هذه فهرسة ما فى النصف الثانى من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف من الابواب والفصول المعرف جميعها فى ديباجة الكتاب وهى أربعة وثمانون بابا منها فى هذا النصف اثنان وأربعون كما هو موضوع بهذه الفهرسة المجعولة للاستدلال على أى باب من الابواب أو فصل من الفصول فى أى صحيفة من صحائف هذا النصف

هذه فهرسة ما فى النصف الثانى من كتاب المستطرف فى كل فن مستظرف من الابواب والفصول المعرف جميعها فى ديباجة الكتاب وهى أربعة وثمانون بابا منها فى هذا النصف اثنان وأربعون كما هو موضوع بهذه الفهرسة المجعولة للاستدلال على أى باب من الابواب أو فصل من الفصول فى أى صحيفة من صحائف هذا النصف

(فهرسة الجزء الثانى)

صفحة

٢ الباب الثالث والاربعون فى الهجاء ومقدماته

٨ الباب الرابع والاربعون فى الصدق والكذب وفيه فصلان

٨ الفصل الاول فى الصدق

٩ الفصل الثانى فى الكذب وماجاء فيه

١١ الباب الخامس والاربعون فى بر الوالدين وذم العقوق الخ وفيه فصول

١٢ الفصل الاول فى بر الوالدين وذم العقوق

١٥ الفصل الثانى فى الاولاد وحقوقهم الخ

١٥ الفصل الثالث فى ذكر الانساب والاقارب والعشيرة

١٥ الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم الخ وفيه فصول

١٥ الفصل الاول فى الحسن ومحاسن الاخلاق

٣٥ الباب السابع والاربعون فى التختم والحلى والمصوغ والطيب الخ

٣٧ الباب الثامن والاربعون فى الشباب والشيب والصحة الخ وفيه فصول

٣٧ الفصل الاول فى الشباب وفضله

٣٨ الفصل الثانى فى الشيب وفضله

٤١ الفصل الثالث فى العافية والصحة

٤٢ الباب التاسع والاربعون فى الاسماء والكنى والالقاب الخ

٤٧ الباب الخمسون فيما جاء فى الاسفار والاغتراب وما قيل فى الوداع الخ

٥٣ الباب الحادى والخمسون فى ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه

٥٩ الباب الثانى والخمسون فى ذكر الفقر ومدحه

٦١ الباب الثالث والخمسون فى ذكر التلطف فى السؤال وذكر من سئل فأجاد

٦٦ الباب الرابع والخمسون فى ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك

٦٩ الباب الخامس والخمسون فى العمل والكسب والصناعات والحرف الخ

٧٣ الباب السادس والخمسون فى شكوى الزمان وانقلابه الخ وفيه ثلاثة فصول

٧٣ الفصل الاول فى شكوى الزمان وانقلابه بأهله

٧٦ الفصل الثانى فى الصبر على المكاره ومدح التثبت الخ

٨٤ الفصل الثالث فى التأسى فى الشدة والتسلى عن نوائب الدهر

٨٦ الباب السابع والخمسون فيما جاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة الخ

٩٣ الباب الثامن والخمسون فى ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان

٩٣ الفصل الاول فى مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا

٩٤ الفصل الثانى فى ذم العبيد والخدم

صحيفة

٩٥	الباب التاسع والخمسون فى أخبار العرب الجاهلية واوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم الخ
٩٩	الباب الستون فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة الخ
١٠٩	الباب الحادى والستون فى الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد الخ
١١٧	الباب الثانى والستون فى ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام الخ
١٥٥	الباب الثالث والستون فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم
١٥٩	الباب الرابع والستون فى خلق الجان وصفاتهم
١٦٢	الباب الخامس والستون فى ذكر البحار ومافيها من العجائب الخ وفيه فصول
١٦٢	الفصل الاول فى ذكر البحار
١٦٦	الفصل الثانى فى ذكر الانهار والآبار والعيون
١٦٧	الفصل الثالث فى ذكر الآبار
١٦٨	الباب السادس والستون فى ذكر عجائب الارض ومافيها من الجبال الخ وفيه فصول
١٦٨	الفصل الاول فى ذكر الارض ومافيها من العمران والخراب
١٦٨	الفصل الثانى فى ذكر الجبال
١٦٩	الفصل الثالث فى ذكر المبانى العظيمة وغرائبها وعجائبها
١٧٣	الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها
١٧٦	الباب الثامن والستون فى الاصوات والالحان وذكر الغناء الخ
١٨١	الباب التاسع والستون فى ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم الخ
١٨٦	الباب السبعون فى ذكر القينات والاغانى
١٩٢	الباب الحادى والسبعون فى ذكر العشق ومن بلى به الخ وفيه فصول
١٩٢	الفصل الاول فى وصف العشق
١٩٤	الفصل الثانى فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف
١٩٩	الفصل الثالث فى ذكر من مات بالحب والعشق
٢٠٦	الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت الخ
٢٧٧	الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن الخ وفيه فصول
٢٧٧	الفصل الاول فى النكاح وفضله والترغيب فيه
٢٨٥	الفصل الثانى فى صفات النساء المحمودة
٢٨٦	الفصل الثالث فى صفة المرأة السوء
٢٨٧	الفصل الرابع فى مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن
٢٨٩	الفصل الخامس فى الطلاق وما جاء فيه
٢٩١	الباب الرابع والسبعون فى تحريم الخمر وذمها والنهى عنها

صحيفة	
٢٩٢	الباب الخامس والسبعون فى المزاح والنهى عنه الخ وفيه فصول
٢٩٣	الفصل الاوّل فى النهى عن المزاح
٢٩٣	الفصل الثانى فيما جاء فى الترخيص فى المزاح والبسط والتنعم
٢٩٦	الباب السادس والسبعون فى النوادر والحكايات وفيه فصول عشرة
٢٩٦	الفصل الاوّل فى نوادر العرب
٢٩٩	الفصل الثانى فى نوادر القرّاء والفقهاء
٢٩٩	الفصل الثالث فى نوادر القضاة
٣٠١	الفصل الرابع فى نوادر النحاة
٣٠٢	الفصل الخامس فى نوادر المعلمين
٣٠٣	الفصل السادس فى نوادر المتنبئين
٣٠٤	الفصل السابع فى نوادر السؤال
٣٠٥	الفصل الثامن فى نوادر المؤذنين
٣٠٥	الفصل التاسع فى نوادر النواتية
٣٠٦	الفصل العاشر فى نوادر جامعة
٣٠٧	الباب السابع والسبعون فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصلان
٣٠٧	الفصل الاوّل فى الدعاء وآدابه
٣٠٩	الفصل الثانى فى الأدعية وما جاء فيها
٣١٨	الباب الثامن والسبعون فى القضاء والقدر وأحكامهما والتوكل على الله عزوجل
٣٢٢	الباب التاسع والسبعون فى التوبة وشروطها والندم والاستغفار
٣٢٥	الباب الثمانون فى ذكر الامراض والعلل والطب والدواء الخ وفيه فصول
٣٢٥	الفصل الاوّل فى الامراض والعلل وما جاء فى ذلك من الأجر والثواب
٣٢٦	الفصل الثانى فى ذكر العلل كالجدر والقرح الخ
٣٢٨	الفصل الثالث فى التداوى من الأمراض والطب
٣٣١	الفصل الرابع فى العيادة وفضلها
٣٣٢	الباب الحادى والثمانون فى ذكر الموت وما يتصل به من القبر واحواله
٣٣٦	الباب الثانى والثمانون فى الصبر والتأسى والتعازى والمراثى الخ وفيه فصول
٣٣٦	الفصل الاوّل فى الصبر
٣٣٨	الفصل الثانى فى التعازى والتأسى
٣٤٢	الفصل الثالث فى المراثى
٣٤٧	الباب الثالث والثمانون فى ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها
٣٥٥	الباب الرابع والثمانون فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

الجزء الثاني من كتاب المستطرف في كل فن
مستطرف تأليف الامام الاوحد
العالم العلامة اللوذعي الفهامة
الشيخ شهاب الدين احمد
الابشيهي تغمده الله
برحمته والرضوان
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

(الباب الثالث والاربعون فى الهجاء ومقدماته)

القصد من الهجاء الوقوف على ملحه ومافيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة لا التشفى بالاعراض والوقوع فيها وليس الهجاء دليلا على اساءة المهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به فما كل مذموم بذميم وقد يهجى الانسان بهتانا وظلما أو عبثا أو ارهابا قال المتوكل لابى العيناء كم تمدح الناس وتذمهم قال ما أحسنوا وأساؤا وقد رضى الله تعالى على عبد من عبيده فمدحه فقال نعم العبد انه أواب وغضب على آخر فقال منّاع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم قيل الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم وقال دعبل فى المأمون بعد البيعة له وقتل الامين

انى من القوم الذين همو همو * قتلوا أخاك وشرفوك بمقعد

شادوا لذكرك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فقال المأمون ما أبهتك ليت شعرى متى كنت خاملا وفى حجر الخلافة ربيت وبدرها غذيت ولما قتل جعفر بن يحيى بكى عليه أبو نواس فقيل له أتبكى على جعفر وأنت هجوته فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد بلغه والله انى قلت

ولست وان أطنبت فى وصف جعفر * بأول انسان خرى فى ثيابه

فكتب يدفع اليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه * ومن العبث بالهجو ما روى أن الحطيئة

هم به جاء فلم يجد من يستحقه فقال

أبت شفتاى اليوم الا تكلما * بسوء فلا ادرى لمن أنا قائله
أرى بى وجها قبح الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

وعيب بأمه فقال

تنحى فاجلسى عنا بعيدا * أراح الله منك العالمينا
اغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثينا
حماتك ما علمت حياة سوء * وموتك قد يسر الصالحينا

وقال رجل ما أبالى أهجيت أم مدحت فقال له الاحنف أرحت نفسك من حيث تعب الكرام * وقال رجل لآخر ان هجوتنى أتموت ابنتى قال لا قال أفتخرب ضيعتى قال لا قال فرجل مع ساقى الى حلق فى حرأتك قال ولم تركت رأسك قال لانظر ما تصنع وأنا أقول انما يخشى من الهجو من يخاف على عرضه وأما من لا يخاف على عرضه فقد يستوى عنده المدح والذم وبئس الرجل ذاك * وكان الرجل من نمير اذا قيل له ممن الرجل يقول من نمير وأمال بها عنقه فلما هجاهم جرير بقوله

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

صار اذا قيل لاحدهم ممن الرجل يقول من بنى عامر وما لقيت قبيلة من العرب بهجو ما لقيت نمير بهجو جرير وهجا ابن بسام رجلا فقال

ياطلوع الرقيب من غير الف * ياغرابا أتى على ميعاد
ياركودا فى وقت غيم وصيف * ياوجوه التجار يوم كساد

وقصد ابن عيينة قبيصة المهابى واستماحه فلم يسمح له بشئ فانصرف مغضبا فوجه اليه داود ابن زيد بن حاتم فقرضاه وأحسن اليه فقال فى ذلك

داود محمود وأنت مذمم * عجبا لذاك وانما من عود
ولرب عود قد يشق لمسجد * نصفا وباقيه لحش وقود
فلحش انت له وذا لمسجد * كم بين موضع مسلح وسجود
هذا جزاؤك يا قبيص لانه * جادت يداه وأنت قفل حديد

وله هجاء فى خالد

أبوك لنا غيث يغيث بوبله * وأنت جراد لست تبقى ولا تذر
له أثر فى المكرمات يسرنا * وأنت تعفى دائما ذلك الاثر

وقال المبرد فى حقه لم يجتمع لاحد من المحدثين فى بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه الا له ولما قصد حماد عجرد لتأديب ولد الامين قال بشار بن برد شعر

قل للامين جزاك الله صالحة * لا يجمع الله بين السخل والذيب
السخل يعلم أن الذئب آكله * والذئب يعلم ما بالسخل من طيب

وقال فيه أيضا

يا أبا الفضل لا تنم * وقع الذئب فى الغنم

ان حماد عجرد * شيخ سوء قد اغتنم
بين خنذيه حربة * في غلاف من الادم
ان رأى نم غفلة * يجمع الميم بالقلم

فشاعت الابيات فأمر الامين باخراج حماد * وقال رجل لاخيه لابويه لاهجونك هجاء يدخل معك في قبرك قال كيف تهجوني وأبوك أبي وأمك امي قال أقول شعر

بني أمية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الماء والعود

فدخل يعقوب على المهدي فاخبره ان بشارا هجاه فاغتاظ المهدي وانحدر الى البصرة لينظر في أمرها فسمع أذانا في ضحى النهار فقال انظروا ما هذا واذا به بشار وهو سكران فقال له يا زنديق عجب ان يكون هذا من غيرك ثم أمر به فضربه سبعين سوطا حتى أتلفه بها وألقى في سفينة فقال عين الشمقمق ترانى حيث يقول

ان بشار بن برد * تيس اعمى في سفينه

فلما مات ألقيت جثته في الماء فحمله الماء فأخرجه الى الدجلة فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة وأخرجت جنازته فتابعه أحد وتباشر عامة الناس بموته لما كان يلحقهم من الاذى منه * وخاصم أبو دلامة رجلا فارتفعا الى عافية القاضي فلما رآه أبو دلامة أنشد يقول

لقد خاصمتني دهاة الرجال * وخاصمتها سنة وافيه
فما حص الله لى حجة * ولا خيب الله لى قافيه
ومن خفت من جوره في القضاء * فلست أخافك يا قافيه

فقال عافية لاشكونك الى أمير المؤمنين ولاعلمنه انك هجوتني قال له أبو دلامة اذا والله يعزلك قال ولم قال لانك لا تعرف الهجاء من المدح قال فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر له بجائزة * ودخل أبو دلامة على المهدي وعنده اسمعيل بن علي وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي والله لئن لم تهج واحدا ممن في هذا البيت لاقطعن اسانك فنظر الى القوم وتحير في أمره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بأن عليه رضاه قال أبو دلامة فازددت حيرة فما رأيت أسلم لى من ان أهجو نفسي فقلت

الا أبلغ لديك أبا دلامه * فلست من الكرام ولا كرامه
جمعت دمامة وجمعت لؤما * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
اذا لبس العمامة قلت قردا * وخنزيرا اذا نزع العمامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجازه * وقال ابن الاعرابي ان أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهب في محمد بن هاشم

لم تندكفاك من بذل النوال كما * لم يندسيفك مذ قلدته بدم

وهجا بعضهم القمر فقال يهدم العمر ويوجب اجرة المنزل ويشحب الالوان ويقرض الكتان ويفسد السارى ويعين السارق ويفضح العاشق * ولابن منقذ في ابن طليب المصري قد

احترقت داره

انظر الى الايام كيف تسوقنا * قسرا الى الاقدار بالاقدار
ما أوقد ابن طليب قط بداره * نارا وكان خرابها بالنار

وكان للوجيه بن صورة المصرى دلال الكتب دار عصر موصوفة بالحسن فاحترقت فقال فيها ابن المنجم

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها وهجة تتضرم
فما هو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

وقد أحسن الاديب كمال الدين على بن محمد بن المبارك الشهير بابن الاعمى فى ذم دار كان يسكنها حيث قال

دار سكنت بها أقل صفاتها * أن تكثر الحشرات فى جنباتها
الخير عنها نازح متباعد * والشر دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدمته * كم اعدم الاجفان طيب سناتها
وبيت تسعرها براغيث متى * غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتنقيط ولكن قافه * قد قدمت فيه على اخواتها
وبها ذباب كالضباب يسد عيـ * ـن الشمس ما طربى سوى غناتها
اين الصوارم والقنا من فتكها * فينا واين الاسد من وثباتها
وبها من الخطاف ما هو معجز * أبصارنا عن وصف كيفياتها
وبها خفافيش تطير نهارها * مع ليلها ليست على عاداتها
وبها من الجرذان ما قد قصرت * عنه العتاق الجرد فى حملاتها
وبها خنافس كالطنافس افرشت * فى أرضها وعلت على جنباتها
لو شم أهل الحرب منتن فسوها * اردى الكماة الصيد عن صهواتها
وبنات وردان واشكال لها * مما يفوت العين كنه ذواتها
أبدا تمص دماء نافكأنها * حجامة لبست على كاساتها
وبها من النمل السليمانى ما * قد قل ذر الشمس عن ذراتها
ما راعنى شئ سوى وزغاتها * فتعوذوا بالله من لدغاتها
سجعت على أوكارها فظننتها * ورق الحمام سجعن فى شجراتها
وبها زنابير تظن عقاربا * حر السموم أخف من زفراتها
وبها عقارب كالاقارب رتع * فينا حمانا الله لدغ حماتها
كيف السبيل الى النجاة ولا نجا * ة ولا حياة لمن رأى حياتها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها * والارض قد نسجت على آفاتها
فضجيجها كالرعد فى جنباتها * وترابها كالرمل فى خشناتها
والبوم عاكفة على ارجائها * والدود تبحث فى ثرى عرصاتها
والجن تأتيها اذا جن الدجى * تحكى الخيول الجرد فى حملاتها

والنار جزء من تلهب حرها * وجهنم تعزى الى لفحاتها
شاهدت مكتوبا على أرجائها * ورأيت مسطورا على جنباتها
لاتقربوا منها وخافوها ولا * تلقوا بايديكم الى هلكاتها
أبدا يقول الداخلون ببابها * يارب نج الناس من آفاتها
قالوا اذا اندب الغراب منازلا * يتفرق السكان من ساحاتها
وبدا رنا ألف غراب ناعق * كذب الرواة فاين صدق رواتها
صبرا لعل الله يعقب راحة * للنفس اذ غلبت على شهواتها
دارتبيت الجن تحرس نفسها * فيها وتندب باختلاف لغاتها
كم بت فيها مفردا والعين من * شوق الصباح تسح من عبراتها
وأقول يارب السموات العلى * يارازقا للوحش فى فلواتها
اسكنتنى بجهنم الدنيا ففى * أخرى هب لى الخلد فى جناتها
واجمع بمن أهواه شملى عاجلا * ياجامع الارواح بعد شتاتها

ولبعضهم فى بلان

اشكو الى الله بلانا بليت به * مست اناسا له ظهرى فادمانى
فلا يدلك تدليكا بمعرفة * ولا يسرح تسريحا باحسان

وللشيخ شمس الدين البدوى فى بلان أيضا

وبلان له ظفر بياهى * به حد الشفار المرهفات
هوى جسمى فألبسه نحيفا * على حال الستور السابلات
ورام يلين أعضائى برفق * فايبسها وكسر فوقانى
ولم أنظر له أبدا جميلا * وذلك من عظيم المهلكات
واعمى مقلتى يضمان ابط * يفوح به على كل الجهات
فلا تجعل الهى مثل هذا * يغسلنى اذا حانت وفاتى

ولبعضهم فى حمام

وحمام دخلناه لامر * حكى سقرا وفيها المجرمونا
فيضطرخوا يقولوا أخرجونا * فان عدنا فانا ظالمونا

وللشريف أبى يعلى الهاشمى البغدادى فى نظام الملك يهدده بالهجاء يقول

أيجمل يانظام الملك أنى * أعاود من ذراك كما قدمت
واصدر عن حياضك وهى نهب * بافواه السقاة وما وردت
يدل على فعالك سوء حالى * ويخبر عن نوالك ان كتمت
اذا استخبرت ماذا نلت منه * وقد عم الورى كرما سكت

وممن عرض بالهجو فى شعره الخوارزمى قال فى أبى جعفر

أما جعفر لست بالمنصف * ومثلك ان قال قولا يفى
فان أنت أخلفت لى ماوعدت * والا هجيت وأدخلت فى

وقد علم الناس ما بعد فى * فغط الحديث ولا تكشف

ومدح السراج الوراق انسانا فلم يجزه فكتب يعرض له بالهجاء ويهدده يقول

أعد مدحى على وخذ سواه * فقد أتعبتنى يا مستريح
ولا تغضب اذا أنشدت يوما * سواه وقيل لى هذا صحيح

وله أيضا يقول

اعد مدحا كذبت عليك فيه * وقد عوقبت بالحرمان عنه
ولكنى سأصدق فيك قولا * فلا يصعب عليك الحق منه

وقال بعضهم فى نجاج قدموا ولم يهدوا اليه شيأ

مضوا يمجوا والوجوه كأنها * تكاد لفرط البشر أن توضح السبلا
وعادوا كأن القار فوق وجوههم * فلا مرحبا بالقادمين ولا سهلا
وجاؤا وما جادوا بعود أراكة * ولا رضعوا فى كف طفل لنا نقلا

وقال آخر

اذا رمت هجوا فى فلان تصدنى * خلائق قبح عنه لا تتزحزح
تجاوز قدر الهجو حتى كأنه * باقبح ما يهجى به المرء يمدح

وهجا بعضهم امرأة فقال

لها جسم برغوث وساق بعوضة * ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عينيها اذا ما رأيتها * وتعبس فى وجه الضجيع وتكلح
لها منظر كالنار تحسب انها * اذا ضحكت فى أوجه الناس تلفح
اذا عاين الشيطان صورة وجهها * تعوذ منها حين يمسى ويصبح

وبعضهم فى عظيم أنف

لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد دعموه بنخله
وهو كالقبر فى المثال ولكن * جعلوا نصفه على غير قبله

وفيه أيضا

رأينا للزكى جدارا نف * يضاهى فى تشامخه الجبالا
تصدى للهلال لكى يراه * فلولا عظمه لرأى الهلالا

ولبعضهم فى أبخر مخنث

قالوا فلان به نتن فقلت لهم * ياقوم قد حار فكرى فى مساويه
ياقوم لا تعجبوا من نتن نكهته * فالأير يدفع ما فيه الى فيه

ولصفى الدين الحلى

رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
به لم أذق طعم الشعير كأننى * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تقعقع من برد الشتاء أضالعى * لما نسجتها من جنوب وشمأل

وله أيضا

ليهنك ان لى ولدا وعبدا * سواء فى المقال وفى المقام
فهذا سابق من غير سبق * وهذا عاقل من غير لام

وله فى طبيب يدعى اسحق

مباضع اسحق الطبيب كأنها * لها بفناء العالمين كفيل
معودة أن لا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل

وله فى أحمق طويل اللسان

لو أن قوة وجهه فى قلبه * قنص الاسود وجندل الابطالا
أو كان طول لسانه بيمينه * أفنى الكنوز وأنفد الاموالا

وهجا اعرابى رجلا ثم مدحه فقال

انى مدحتك من فساد قريحتى * وعلمت ان المدح فيك يضيع
لكن رأيت المسك عند فساده * يدنى الى بيت الخلا فيضوع

وقيل لبعضهم ما تقول فى فلان وفلان قال هما الخمر والميسر اثمهما أكبر من نفعهما وقيل لرجل كيف وجدت فلانا قال طويل اللسان فى اللؤم قصير الباع فى الكرم وثابا على الشر مناعا للخير * وسمع اعرابى قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا فانتفض ثم سمع قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال الله اكبر هجانا ثم مدحنا وكذلك قال الشاعر

هجوت زهيرا ثم انى مدحته * ومازالت الاشراف تهجى وتمدح

استب رجلان فقال احدهما للآخر لو قطع زبك وعلق لم تبق زانية بالكوفة الا عرفته وقال ابو زيد العبدى

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت * ان الكلاب طويلة الاعمار

وقال المتوكل لابى العيناء مابقى احد فى المجلس الا هجاك وذمك غيرى فقال

اذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلازال غضبانا على لئامها

(الباب الرابع والاربعون فى الصدق والكذب وفيه فصلان)

(الفصل الاول فى الصدق) قال الله تعالى مبشرا للصادقين هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال تعالى والصادقين والصادقات فدحهم وبين لهم المغفرة والاجر العظيم *وقال عمر رضى الله عنه عليك بالصدق وان قتلك * وما أحسن ماقيل فى ذلك

عليك بالصدق ولو أنه * أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا المولى فأغبى الورى * من أسخط المولى وأرضى العبيد

وقال اسمعيل بن عبيد الله لما حضرت أبى الوفاة جمع بنيه فقال لهم يابنى عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلا ثم سئل عنه اقر به والله ما كذبت كذبة قط مذ قرأت القرآن *وعن عائشة رضى الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم بم يعرف المؤمن قال بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه * وقيل لكل شئ حلية وحلية النطق الصدق * وقال محمد الوراق

الصدق منجاة لاريابه * وقربة تدنى من الرب

وقيل الصدق عمود الدين وركن الادب وأصل المروأة فلا تتم هذه الثلاثة الابه * وقال ارسطاطاليس أحسن الكلام ماصدق فيه قائله وانتفع به سامعه * وقال المهلب بن أبي صفرة ما السيف الصارم في يد الشجاع بأعز له من الصدق * وكان يقال على الصدوق فلان وقف لسانه على الصدق * ويقال الصدق محمود من كل أحد الامن الساعي * ويقال لو صدق عبد فيما بينه وبين الله تعالى حقيقة الصدق لاطلع على خزائن الغيب ولكان أمينا في السموات والارض * وقيل من لزم الصدق وعود لسانه به وفق * ويقال الصدق بالخير أحرى * وقال عتبة بن أبي سفيان اذا اجتمع في قلبك أمران لاتدري أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه فان الصواب أقرب الى مخالفة الهوى * وقال ارسطاطاليس الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب * وكان نقش خاتم ذي يزن وضع الخذ للحق عز * وامتدح ابن ميادة جعفر بن سليمان فأمر له بمائة ناقة فقبل يده وقال والله ماقبلت يد قرشي غيرك الا واحدا فقال أهو المنصور قال لا والله قال فمن هو قال الوليد بن يزيد قال فغضب وقال والله ماقبلتها لله تعالى فقال والله ولايدك ماقبلتها لله تعالى ولكن قبلتها لنفسي فقال والله لاضربنك الصدق عندي اعطوه مائة أخرى * وقال عامر العدواني في وصيته الى وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا * يعني من لزم الصدق وعوده لسانه وفق فلا يكاد ينطق بشيء يظنه الاجاء على ظنه * وخطب بلال لاخيه امرأة قرشية فقال لاهلها نحن من قد عرفتم كنا عبدين فأعتقنا الله تعالى وكنا ضالين فهدانا الله تعالى وكنا فقيرين فأغنانا الله تعالى وأنا أخطب اليكم فلانة لاخي فان تنكحوه اله فالحمد لله تعالى وان ترد ونا فالله أكبر فأقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال ممن عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجوا أخاه فزوجوه فلما انصرفوا قال له أخوه يغفر الله لك أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتترك ماعدا ذلك فقال مه يا أخي صدقت فانكحك الصدق * وخطب الحجاج فأطال فقام رجل فقال الصلاة فان الوقت لاينتظرك والرب لايعذرك فأمر بحبسه فأتاه قومه وزعموا انه مجنون وسألوه أن يخلي سبيله فقال ان أقر بالجنون خليته فقيل له فقال معاذ الله لاأزعم ان الله ابتلاني وقد عافاني فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه

(الفصل الثاني من هذا الباب في الكذب وماجاء فيه) قال الله تعالى في الكاذبين ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وقال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وتحروا الصدق فان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة * وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كذب العبد كذبة تباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ماجاء به * ويقال روى الكذب أحد الكذابين * ويقال رأس المآثم الكذب وعمود الكذب البهتان * وقيل أمران لاينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار وقال الحسن في قوله تعالى ولكم الويل

مما تصفون وهي لكل واصف كذب الى يوم القيامة * قال الاصمعي قلت لكذاب أصدقت قط قال لولا اني أخاف أصدق في هذا القلت لك لا فتجب

وقال محمود بن أبي الجنود

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو * ل فحيلتي فيه قليله

* ويقال فلان أكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز * وكان بفارس محتسب يعرف بجراب الكذب وكان يقول ان منعت الكذب انشقت مرارتي واني والله لاجد به مع ما يلحقني من عاره من المسرة مالا أجده بالصدق مع ما ينالني من نفعه * وقال فيلسوف من عرف من نفسه الكذب لم يصدق الصادق فيما يقوله ولبعضهم

حسب الكذوب من البلية بعض ما يحكى عليه
فمتى سمعت بكذبة * من غيره نسبت اليه

وأضاف صيرفي قوما فاقبل يحدثهم فقال بعضهم نحن كما قال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت * وعن عبد الله بن السري قال قلت لابن المبارك حدثنا حديثا قال ارجعوا فلست أحدثكم فقيل له انك لم تحلف فقال لو حلفت لكفرت وحدثتكم ولكن لست بأكذب فكان هذا أحب الينا من الحديث * وقال مجاهد يكتب على ابن آدم كل شئ حتى انينه في سقمه وحتى ان الصبي ليبكي فتقول له أمه اسكت وأشتري لك كذا ثم لا تفعل فتكتب كذبة * وقال الفضيل ما من مضغة أحب الى الله تعالى من اللسان اذا كان صدوقا ولا مضغة أبغض الى الله تعالى من اللسان اذا كان كذوبا * وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا أعظم الخطايا اللسان الكذوب قال الشاعر

لا يكذب المرء الا من مهانته * أو فعله السوء أو من قلة الادب
لبعض حيفة كلب خير رائحة * من كذبة المرء في جد وفي لعب

* ولما نصب معاوية رضي الله عنه ابنه يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء وجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يسلمون على يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم انك لو لم تول هذا أمور المسلمين لاضعتها والاحنف ساكت فقال معاوية مالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله تعالى ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله خيرا عما تقول ثم أمر له بألوف فلما خرج الاحنف لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له يا أبا بحر اني لاعلم ان هذا من شرار خلق الله تعالى ولكنهم استوثقوا من الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع في اخراجها الا بما سمعت فقال له الاحنف يا هذا أمسك فان ذا الوجهين خليق أن لا يكون عند الله وجيها * وقيل ان الكذب يحمد اذا وصل بين المتقاطعين أو أصلح بين الزوجين ويذم الصدق اذا كان غيبة وقد رفع الحرج عن الكاذب في الحرب وعن المصلح بين المرء وزوجه * وكان المهلب في حرب الخوارج يكذب لاصحابه يقوي بذلك جأشهم فكانوا اذا رأوه قبلا اليهم قالوا جاءنا بكذب * وقال يحيى بن خالد رأينا شارب خمر نزع وصاحب فواحش رجع ولم نر كذابا صار صادقا * وكان عمرو بن معدي كرب

مشهورا بالكذب * وقيل لخلف الاحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان ابن معدي كرب يكذب فقال كان يكذب في المقال ويصدق في الفعال * قيل ان بلالا لم يكذب منذ اسلم رضي الله عنه والحمد لله وحده

الباب الخامس والاربعون في برّ الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقرابات وذكر الانساب وفيه فصول

(الفصل الاول في برّ الوالدين وذم العقوق) قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا * وقال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا * وقال تعالى أن اشكر لي ولوالديك الي المصير * وقال تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا * وعن علي رضي الله عنه لو علم الله شيأ في العقوق أدنى من أف لحرمه فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار * وقيل ان رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين (وحكى) أبو سهل عن أبي صالح عن أبي نجيح عن ربيعة عن عبد الرحمن عن عطاء بن أبي مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حج عن والده بعد وفاته كتب الله لوالده حجة وكتب له براءة من النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق وكان رجل من النساك يقبل كل يوم قدم أمه فأبطأ يوما على اخوته فسألوه فقال كنت أتمرغ في رياض الجنة فقد بلغنا ان الجنة تحت أقدام الامهات وبلغنا ان الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة آلاف وخمسمائة كلمة فكان آخر كلامه يا رب أوصني قال أوصيك بأمك حسنا قال له سبع مرات قال حسبي ثم قال يا موسى ألا ان رضاها رضاي وسخطها سخطي وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لابن مهران لا تأتين أبواب السلاطين وان أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر ولا تخالون بامرأة وان علمتها سورة من القرآن ولا تصحبن عاقا فانه لن يقبلك وقد عق والديه * وقال فيلسوف من عق والديه عقه ولده وقال المأمون لم أر أحدا أبر من الفضل بن يحيى بأبيه بلغ من برّه له انه كان لا يتوضأ الابماء سخن فمنعهم السجان من الوقود في ليلة باردة فلما أخذ يحيى مضجعه قام الفضل الى قمقم نحاس فملأه ماء وأدناه من المصباح فلم يزل قائما وهو في يده الى الصباح حتى استيقظ يحيى من منامه وقيل طلب بعضهم من ولده أن يسقيه ماء فلما أتاه بالشربة نام أبوه فمازال الولد واقفا بالشربة في يده الى الصباح حتى استيقظ أبوه من منامه وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ان لي أما بلغ منها الكبر أنها لا تقضي حاجتها الا وظهري لها مطية فهل أدّيت حقها قال لا لانها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها وقال ابن المنكدر بت اكبس رجل أبي وبات آخر يصلي ولا يسرني ليلته بليلتي * وقيل ان محمد بن سيرين كان يكلم أمه كما يكلم الامير الذي لا ينصف منه وقيل لعلي بن الحسين رضي الله عنه انك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك في صحفة فقال أخاف أن تسبق يدي يدها الى ما تسبق عيناها اليه فأكون قد عققتها

(الفصل الثانى فى الاولاد وحقوقهم وذكر النجباء والاذكياء والبلداء والاشقياء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد ريحانة من الجنة * وقال الفضل ريح الولد من الجنة وكان يقال ابنك ريحانتك سبعا ثم حاجبك سبعا ثم عدوا أو صديق * وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قلت لسيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله هل يولد لاهل الجنة قال والذى نفسى بيده ان الرجل يشتهى أن يكون له ولد فيكون حمله ووضعه وشبابه الذى ينتهى اليه فى ساعة واحدة وقيل من حق الولد على والده أن يوسع عليه حاله كى لا يفسق وقال عمر رضى الله عنه انى لاكره نفسى على الجماع رجاء أن يخرج الله منى نسمة تسبحه وتذكره وقال رضى الله عنه أكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون وقال شبيب بن شبة ذهب اللذات الا من ثلاث شم الصبيان وملاقاة الاخوان والخلوة مع النسوان ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه نفاحة القلب فقال انبذها عنك فانهن بلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن قال لا تقل يا عمرو ذلك فوالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الاخوان الا هن فقال عمرو يا أمير المؤمنين انك حببتهن الى وقيل لرجل أى ولدك أحب اليك قال صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرأ وغائبهم حتى يحضر وقال ابن عامر لامرأته امامة بنت الحكم الخزاعية ان ولدت غلاما فلك حكمه فلما ولدت قالت حكمى أن تطعم سبعة أيام كل يوم على ألف خوان من فالوذج وأن تعق بألف شاة ففعل لها ذلك وغضب معاوية على يزيد فهجره فقال الاحنف يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظللة وأرض ذليلة وبهم نصول على كل جليلة فان غضبوا أرضيهم وان سألوا أعطيهم وان لم يسألوا فابتدئهم ولا تنظر اليهم شزرا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك فقال معاوية يا غلام اذا رأيت يزيد فاقرأه السلام واحمل اليه مائتى ألف درهم ومائتى ثوب فقال يزيد من عند أمير المؤمنين فقيل له الاحنف فقال يزيد بن معاوية على به فقال يا أبا بحر كيف كانت القصة فحكاها له فشكر صنيعه وشاطره الصلة (وحكى) الكسائى انه دخل على الرشيد يوما فامر باحضار الامين والمامون ولديه قال فلم يلبث قليلا ان أقبلا كالكوكبى أفق يزينهما هداهما ووقارهما وقد نضا أبصارهما حتى وقفا فى مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعوا له بأحسن الدعاء فاستدناهما وأسند محمدا عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمرنى أن ألقى عليهما أبوابا من النحو فما التهما شيأ الا أحسنا الجواب عنه فسرّه ذلك سرورا عظيما وقال كيف تراهما فقلت شعرا

أرى قمرى أفق وفرعين شامة * يزينهما عرق كريم ومحتد
سليلى أمير المؤمنين وحائزى * مواريث ما أبقى النبى محمد
يسدان أنفاق النفاق بشيمة * يزينهما حزم وسيف مهند

ثم قلت ما رأيت أعز الله أمير المؤمنين أحدا من أبناء الخلافة ومعدن الرسالة وأغصان هذه الشجرة الزلالية آدب منهما ألسنا ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا على الكلام رويّة وحفظا منهما أسال الله تعالى أن يزيدهما الاسلام تأييدا وعزا ويدخل بهما على أهل

الشرك ذلا وقعا وأتن الرشيد على دعائه ثم ضمهما اليه وجمع عليهما يديه فلم يبسطهما حتى رأيت الدموع تتحدر على صدره ثم أمرهما بالخروج وقال كانكما بهما وقد هم القضاء ونزلت مقادير السماء وقد تشتت أمرهما وافترقت كلمتهما بسفك الدماء وتهتك الستور * وكان يقال بنو أمية دخل أخرج الله منه زق عسل يعني عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه * وسب اعرابي ولده وذكر له حقه فقال يا أبتاه ان عظيم حقك على لا يبطل صغير حقي عليك * قال سيدي عبد العزيز الدباغ رحمه الله

احب بنيتي ووددت اني * دفنت بنيتي في قاع لحد
ومابي أن تهون علي لكن * مخافة ان تذوق الذل بعدي
فان زوجتها رجلا فقيرا * أراها عنده والهم عندي
وان زوجتها رجلا غنيا * فلطلم خدها ويسب جدي
سألت الله بأخذها قريبا * ولو كانت أحب الناس عندي

وقال هرون بن علي بن يحيى المنجم

أرى ابني تشابه من علي * ومن يحيى وذاك به خليق
وان يشبههما خلقا وخلقا * فقد تسرى الى الشبه العروق

وقال أبو النصر مولى بني سليم

ونفرح بالمولود من آل برمك * ولا سيما ان كان من ولد الفضل

وقال الحسن بن زيد العلوي

قالوا عقيم ولم يولد له ولد * والمرء يخلفه من بعده الولد
فقلت من علقت بالحرب همته * عاف النساء ولم يكثر له عدد

وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه يرقص ولده ويقول

ازهر من آل بني عتيق * مبارك من ولد الصديق * ألذه كما الذ ريق

وكانت اعرابية ترقص ولدها وتقول

يا حبذا ريح الولد * ريح الخزامى في البلد
اهكذا كل ولد * أم لم يلد مثلي أحد

وكان اعرابي يرقص ولده ويقول

احبه حب الشحيح ماله * قد ذاق طعم الفقر ثم نا له * اذا أراد بذله بذاله

* وكان لاعرابي امرأتان فولدت احداهما جارية والاخرى غلاما فرقصته أمه يوما وقالت معايرة لضرتها

الحمد لله الحميد العالي * انقذني الغلام من الحوالي
من كل شوهاء كشن بالي * لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول

وما علي أن تكون جاريه * تغسل رأسي وتكون الغالبه
وترفع الساقط من خباريه * حتى اذا ما بلغت ثمانيه

ازرتها بنقبة يمانيه * أنكحتها مروان أو معاويه

* اصهار صدق ومهور غاليه *

قال فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال وقال ان أمها حقيقة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها فقال معاوية لولا مروان سبقنا اليها لاضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة فبعث اليها بمائتي ألف درهم والله أعلم

(ومما جاء في الاولاد البلداء الفليلي التوفيق) قيل نظر اعرابي الى ولده قبيح المنظر فقال له يا بني انك لست من زينة الحياة الدنيا * وقال رجل لولده وهو في المكتب في أي سورة أنت فقال لا أقسم بهذا البلد ووالدي بلا ولد فقال لعمري من كنت أنت ولده فهو بلا ولد * وأرسل رجل ولده يشتري له رشاء للبئر طوله عشرون ذراعا فوصل الى نصف الطريق ثم رجع فقال يا أبت عشرون في عرض كم قال في عرض مصيبتي فيك يا بني * وكان لرجل من الاعراب ولد اسمه حمزة فبينما هو يوما يمشي مع أبيه اذا برجل يصيح بشاب يا عبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال ألا تسمع فقال يا عم كلنا عبيد الله فأي عبد الله تعني فالتفت أبو حمزة اليه وقال يا حمزة ألا تنظر الى بلاغة هذا الشاب فلما كان من الغد اذا برجل ينادي شابا يا حمزة فقال حمزة ابن الاعرابي كلنا حمزة فأي حمزة تعني فقال له أبوه ليس يعنيك يا من أخذ الله به ذكر أبيه * وكان لمحمد بن بشير الشاعر ابن جسيم فأرسله في حاجته فأبطأ عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر اليه ثم قال

عقله عقل طائر * وهو في خلقة الجمل

فأجابه

مشبه بك يا أبي * ليس لي عنك منتقل

*ونهى اعرابي ابنه عن شرب النبيذ فلم ينته وقال

أمن شربة من ماء كرم شربتها * غضبت علي الآن طابت لي الخمر

سأشرب فاسخط لا رضيت كلاهما * حبيب الى قلبي عقوق والسكر

وقيل قال ذلك يزيد بن معاوية لابيه حين نهاه عن شرب الخمر

(ومما جاء في صلة الرحم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلة الرحم منماة للولد مثراة للمال وقيل وجد حجر حين حفر ابراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت مكتوب عليه بالعبرانية انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمائي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتنه أي قطعته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الخير ثوابا صلة الرحم * وحدثنا أبو سهل عن صالح بن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن كعب الاحبار أنه قال والذي فلق البحر لموسى بن عمران ان في التوراة لمكتوبا يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك أزد في عمرك وأيسر لك في يسيرك وأصرف عنك عسيرك * وعن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب جل وعلا وصلة الرحم تزيد في العمر وذكر تمام الحديث

*(الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر الانساب والاقارب والعشيرة) * قال عمر رضى الله عنه تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم وقيل لو لم يكن من معرفة الانساب الا اعتزازها من صولة الاعداء وتنازع الاكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأى وأفضل الثواب ألا ترى الى قول قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا ولولا رهطك لرجمناك فابقوا عليه لرهطه * وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العربية فانها تزيد فى المروأة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها * وسئل عيسى عليه السلام اى الناس أشرف فقبض قبضتين من تراب وقال أى هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب ان أكرمكم عند الله أتقاكم * كان أبو كبشة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أمه فلما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالوا انزعه عرق أبى كبشة حيث خالفهم فى عبادة الشعرى وقال خالد بن عبد الله القشيرى سالت واصل بن عطاء عن نسبه فقال نسبى الاسلام الذى من ضيعه فقد ضيع نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد وجه عبد وكلام حر * ومن كلام على كرم الله وجهه اكرم عشيرتك فانهم جناحك الذى به تطير فانك بهم تصول وبهم تطول وهم العدة عند الشدة اكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم فى أمورك ويسر عسرهم * وكان يقال اذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته * ويقال حق الاقارب اعظام الاصغر للاكبر وحنو الاكبر على الاصغر * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده * قال بعضهم

واذا رزقت من النوافل ثروة * فامنح عشيرتك الادانى فضلها
واعلم بأنك لم تسود فيهم * حتى ترى دمث الخلائق سهلها

الباب السادس والاربعون فى الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبيح والطول والقصر والالوان والشباب وما أشبه ذلك وفيه فصول

*(الفصل الاول فى الحسن ومحاسن الاخلاق) * والى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتهى الحسن والجمال * كان محمد صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم لا بائنا من طول ولا تقتحمه عين من قصر أبيض اللون مشربا بحمرة أدعج العينين مفلج الثنايا دقيق المسربة أزهر اللون واضح الخلق أقنى الانف كأن عنقه ابريق فضة ظاهر الوضاءة تملأ الوجه تلألؤ القمر شثن الكفين مسيح القدمين واسع الصدر من لبته الى سرته شعر يجرى كالقضيب ليس فى بطنه ولا صدره شعر غيره أشعر الذراعين والمنكبين لم يبلغ شيبه فى رأسه ولحيته عشرين شعرة ضخم الكراديس أنور المتجرد اذا مشى كأنما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا بين كتفيه خاتم النبوة كأنه زر حجلة أو بيض حمامة لونه كلون جسده أبلج الوجه حسن الخلق وسيما قسيما فى جبينه زج وفى عينيه دعج وفى عنقه سطح وفى لحيته كثافة ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد واحسنهم واكملهم من قريب كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن * قال أنس رضى الله عنه ما رأيت من ذى لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال

وأحسن منك لم ترقط عيني * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

اللهم صل وسلم عليه واجعله شفيعا لمن يصلي عليه وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه الا استحسانا أن يطعم لحمه النار * وقد كان المتوكل رحمه الله من أحسن الخلفاء العباسية وجها وأبهاهم منظرا وكان مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجها (حكى) أنه كان جالسا بفناء داره يوما بالبصرة اذ جاءت امرأة فوقفت تنظر اليه فقال لها ما وقوفك يرحمك الله فقالت طفئ مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا * وقيل لاعرابية ظريفة ما بال شفتيك مشققة فقالت ان التين اذا حلا تشقق والورد يتشقق اذا مسه الندى * وكانت لبابة بنت عبد الله بن عباس رضي الله عنهم من أجمل الناس وجها وكانت عند الوليد ابن عتبة بن أبي سفيان فكانت تقول ما نظرت وجهي في مرآة مع انسان الا رجحته من حسن وجهي الا الوليد فكنت اذا نظرت الى وجهي مع وجهه رجحت وجهي من حسن وجهه قال الشاعر

ولو أنها في عهد يوسف قطعت * قلوب رجال لا أكف نساء

وقال كثير

لو أن عزة حاكمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها

(ومما جاء في محاسن الخلق منظوما على الترتيب من الفرق الى القدم)

(ما قيل في الشعر) كان يقال من تزوج امرأة أو اتخذ جارية فليستحسن من شعرها فان الشعر الحسن أحد الوجهين * قال بكر بن النطاح

بيضاء تسحب من قيام شعرها * وتغيب فيه وهو وجه أسحم
فكأنها فيه نهار ساطع * وكأنه ليل عليها مظلم

وللمتنبي

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فارت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا

وله أيضا

لبس الوشي لامتجملات * ولكن كي يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن * ولكن خفن في الشعر الضلالا

وقال الصفدي

لولا شفاعة شعره في صبه * ما كان زار ولا أزال سقاما
لكن تنازل في الشفاعة عنده * فغدا على أقدامه يترامى

وقال ابن الصائغ

ثنى غصنا وصد ليه فرعا * كحظي حين أطلب منه وصلا
وبلبله على الارداف منه * فلم أر مثل ذاك الفرع أصلا

وقال آخر

ارخى ثلاثا يوم حمامه * ذوائبا تعبق منها الغوال
فقلت والقصد ذؤاباته * واسهرى فى ذى الليالى الطوال

وقال آخر

بدت ثريا قرطها وشعرها * متصل بكعبها كما ترى
يا عجبا لشعرها لما ابتدى * من الثريا فانتهى الى الثرى

وقال ابن المعتز

توارت عن الواشى بليل ذوائب * لها من محياها اضاءة فجر
يغطى عليها شعرها بظلامه * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

ومما قيل فى الاصداغ قال ابن المعتز

ريم يتيه بحسن صورته * عبث النعاس بلحظ مقلته
وكان عقرب صدغه وقفت * لما دنت من ورد وجنته

وقال العادلى

وعهدى بالعقارب حين تشتو * يخف لدغها ويقل ضرا
فما بال الشتاء أتى وهذى * عقارب صدغها تزداد شرا

وقال آخر

وما ضره نار بخده ألهبت * ولكن بها قلب المحب يعذب
عناقيد صدغيه بخده تلتوى * وأمواج ردفيه بخصره تلعب
شربت الهوى صرفا زلالا وانما * لواحظه تسقى وقلبى يشرب

وقال آخر

حل القباء ولوى صدغه فانعقدا * واحمر بين محلول ومعقود
وأسكرتنى شمايله وريقته * هل هذه الخمر من تلك العناقيد

(ومما قيل فى مدح العذار) قال أبو فراس بن حمدان

يا من يلوم على هواه جهالة * انظر الى تلك السوالف تعذر
حسنت وطاب نسيمها فكأنها * مسك تساقط فوق خد أحمر

وقال محمد بن وهب

صدودك والهوى هتكا استتارى * وساعدنى البكاء على اشتهارى
وكم أبصرت من حسن ولكن * عليك لشقوتى وقع اختيارى
ولم أخلع عذارا فيك الا * لما عاينت من خلع العذار

وقال آخر

ومعذر رقت حواشى خده * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه سوادها الاحداق

وقال آخر

ومهفهف راقت نضارة وجهه * والعين تنظر منه أحسن منظر

أصلي بنار الخد عنبر خاله * فبدا العذار دخان ذاك العنبر

وقال آخر

أصبحت سلطان القلوب ملاحة * وبجمال وجهك للبرية عسكر
طلعت طلائع وجنتيك مغيرة * بالنصر يقدمها اللواء الاخضر

وقال آخر

ياذا الذي خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ماصح عندي ان لحظك صارم * حتى حملت بعارضيك حمائلا

وقال آخر

من لا رأى كعبة الحسن التي حرست * بالنمل حيث مقام النمل في فمه
فلينظر النمل أضحى فوق عارضه * يطوف سبعا وسبعا حول مبسمه

وقال بدر الدين الدماميني

تحدث ليل عارضه بأني * ساسلوه وينصرم المزار
فأشرق صبح غرته ينادي * حديث الليل يمحوه النهار

وقال آخر

وقالوا تسلى فقد شانه * عذار أراحك من صده
فقلت وهمتم ولكنني * خلعت العذار على خده

سيدي أبو الفضل بن أبي الوفا

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حمى وردخديه حماة عذاره * فياحسن ريحان العذار حماحمى

وقال ابن نباتة

وبهجتي رشا يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

وقال الموصلي

لحديث نبت العارضين حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا نهاني المرء قلت ترفقوا * فاليكم هذا الحديث يساق

وقال اخر

أصبحت مكسورا بسهم لحاظه * ومقيدا من صدغه بلسانه
حتى بدا سيف العذار مجردا * فخشيت يقتلني وذا من شانه

وقال آخر

ياصاح قد حضر المدام ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس

ابن نباتة

وضعت سلاح الصبر عنه فماله * يغازل بالالحاظ من لايغازله

وسال عذار فوق خدّيه سائل * على خدّه فليتق الله سائله

(ومما قيل فى ذمّ العذار) قال الشاعر

غدا الماء التى ليلا بهيما * وكان كأنه قمر منير
وقد كتب السواد بعارضيه * لمن يقرا وجاءكم النذير

آخر فى ذمّه

قلت لاصحابى وقد مرّ بى * منتقبا بعد الصبا بالظلم
بالله ياأهل ودّى قفوا * ثم انظروا كيف زوال النعم

وقال آخر

مازال يلتف ريحانا بعارضه * حتى استطال عليه صار يخنقه
كأنما طوّر سينا فوق عارضه * طول الزمان فموسى لايفارقه

وقال آخر

مازال يحلف لى بكل أليّة * أن لايزال مدى الزمان مصاحبى
لما جنى نزل العذار بخدّه * فتعجبوا السواد وجه الكاذب

ابن المعتز

يارب ان لم يكن فى وصله طمع * ولم يكن فرج من طول جفوته
فاشفف السقام الذى فى لحظ مقلته * واسترملاحة خديه بلحيته

(ومما قيل فى الجبين والحواجب) خالد الكاتب

لها من ظباء الرمل عين مريضة * ومن ثمر الريحان خضرة حاجب
ومن يانع الاغصان قدّ وقامة * ومن حالك الحبر اسوداد الذوائب

وقال آخر

غزانى الهوى فى جيشه وجنوده * وهب علىّ الجيش من كل جانب
بميسرة اجنادها اعين المها * وميمنة تقضى بزجّ الحواجب

وقال آخر

اياقمرا تبسم عن اقاح * وياغصنا يميل مع الرياح
جبينك والمقبل والثنايا * صباح فى صباح فى صباح

(ومما قيل فى العيون) قال الاصمعىّ ماوصف أحد العيون بمثل ماوصف أحمد بن الرقاع فى قوله

وكأنما دون النساء اعارها * عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فلاعبت * فى جفنه سنة وليس بنائم

وقال ابن المعتز

عليم بما تحت العيون من الهوى * سريع بكسر اللحظ والقلب جازع
فيجرح أحشائى بعين مريضة * كما لان متن السيف والحدّ قاطع

وقال الاخطل

ولا تلمم بدار بنى كليب * ولا تقرب لها أبدا رجالا
ترى فيها بوارق مرهفات * يكدن يكدن بالحرق الرجالا

وقال أبو فراس واحسن

وبيض بالحاظ العيون كأنما * هززن سيوفا واستللن خناجرا
تصدين لى يوما بمنعرج اللوى * فغادرن قلبى بالتصبر غادرا
سفرن بدورا وانتقبن أهلة * ومسن غصونا واعتقبن جآذرا

وقال آخر

ومريض جفن ليس يصرف طرفه * نحو امرئ الارماه بحتفه
قد قلت اذا أبصرته متمايلا * والردف يجذب خصره من خلفه
يا من يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه

وقال أبو هنتان

أخو دنف رمته فاقصدته * سهام من جفونك لا تطيش
فواتك لا يقال سوى احورارى * بهن ولا سوى الاهداب ريش
اصين فؤاد مهجته فأضحى * سقيما لا يموت ولا يعيش
كئيبا ان ترحل عنه جيش * من البلوى اناخ به جيوش

وقال آخر

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * فصبوا عليه الماء من شدة النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو انصفوا قالوا به أعين الانس

عز الدين الموصلى

لها عين لها غزو وغزل * مكحلة ولى عين تباكت
وحاكت فى فعائلها المواضى * فسالت مقلة غزلت وحاكت

برهان الدين القيراطى

شبه السيف والسنان بعينى * من لقتلى بين الانام استهلا
فاتى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذاك حاشى وكلا

وله أيضا

بأبى اهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتنى سيوفهن بحده

بدر الدين بن حبيب

عيناه قد شهدت بأنى مخطئ * وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد فى قتلتى * فالخط زور والشهود سكارى

جلال الدين بن خطيب داريا

شهدت جفون معذبى بملالة * منى وان وداده تكليف
لكننى لم أنأ عنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعيف

وقال

وقال الشيخ عز الدين الموصلي

يامقلة الحب مهلا * فقد أخذت بثارك
وأنت ياوجنتيه * لاتحرقيني بنارك

وقال ابن الصائغ

لمثلي من لواحظها سهام * لها في القلب فتك أي فتك
اذا رامت تشك به فؤادا * يموت المستهام بغير شك

وقال الصلاح الصفدي

ياعاذلي على عين محجبة * خف سحر ناظرها فالسحر فيه خفي
وخذ فؤادي ودعه نصب مقلتها * لاترم نفسك بين السهم والهدف

وقال آخر

بسهم أجفانه رماني * فذبت من هجره وبينه
ان مت مالي سواه خصم * لانه قاتلي بعينه

وقال آخر

سهام الجفن كم قتلت لنفس * مبرأة من السلوى زكيه
فما أقوى جفونك وهي مرضى * وأقدرها على قتل البريه

(ومما قيل في الخال) للصلاح الصفدي

بروحي خده المحمر أضحى * عليه شامة شرط المحبه
كان الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

لابن الصائغ

بروحي أفدي خاله فوق خده * ومن أنا في الدنيا فأفديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن في ذلك الخال

للشيخ جمال الدين بن نباتة

لله خال على خد الحبيب له * في العاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثه حبة القلب القتيل به * وكان عهدي بأن الخال لايرث

وقال آخر

ياسالبا خمر السماء جماله * ألبستني في الحزن ثوب سمائه
أحرقت قلبي فارتمى بشرارة * علقت بخدك فانطفت في مائه

للشيخ تقي الدين بن حجة

قلت للخال اذ بدا * في نقا جيده السعيد
فزت ياعبد قال لي * أنا عبد لكل جيد

وقال ابن أيبك

في الجانب الايمن من خدها * نقطة مسك أشرقت شمها
حسبته لما بدا خالها * وجدته من حسنها عمها

وقال الحسين بن الضحاك

ياصائد الطير كم ذا * باللحظ تضنى وتسبى
نصبت نقطة خال * فصدت طائر قلبى

(ومما قيل فى الخدود) قال ابن المعتز

صل بخدى خديك تلق عجيبا * من معان يحار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياض * وبخدىّ للدموع غدير

وقال آخر

ورد الخدود ونرجس اللحظات * وتصافح الشفتين فى الخلوات
شئ أسرّ به وأعلم انه * وحياته أحلى من اللذات

(ومما قيل فى الثغور) قال يوسف بن مسعود الصوّاف

بروحى من ولى فولى بمهجتى * وولى منامى وهو كالوصل شارد
حمى ثغره منى بسيف لحاظه * وحتام يحمى ثغره وهو بارد

وقال آخر

أنفقت كنز مدامعى فى ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فمضى وراح تغزلى فى البارد

وقال آخر

رأى ثغر من أهوى عذولى فقالى * ولم يدر ان اللوم فى خده يغرى
شغلت بهذا وارتبطت بحسنه * وأحسن ما كان الرباط على ثغر

وقال ابن ريان

لاحت على مبسمه المشتهى * ثلاث شامات غدت فى التثام
لاتعجبوا ان كثرت حوله * فالمنهل العذب كثير الزحام

(ومما قيل فى طيب الريق والنكهة) قال ذو الرمة

اسيلة مجرى الدمع هيفاء طفلة * عروب كايماض الغمام ابتسامها
كأنّ على فيها وماذقت طعمه * زجاجة خمر طاب فيها مدامها

قال شهاب الدين الكردى

ذكرت ريح حبيبى * بشرب راح تعطر
وليس ذا بعجيب * فالشئ بالشئ يذكر

غيره

رشفت ريقك حلوا * ولم يكن لى صبر
وسوف أحظى بوصل * فأوّل الغيث قطر

الصلاح الصفدى

نقل الاراك بان ريقة ثغره * من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح ما نقل الاراك لانه * يرويه نصا عن صحاح الجوهرى

وقال

وقال آخر

ثلاث تجمعن في ثغرها * ملاح أدلتها واضحه
فان قيل ماهي قل لي أقل * هي الطعم واللون والرائحه

وقال اخر

يارب ممتنع الوصال محجب * بستوره كالبدر بين غيومه
دارت مراشفه عليّ وكاسه * فسكرت في الحالين من خرطومه

وقال آخر

أريقا من رضابك أم رحيقا * رشفت فكدت منه لن أفيقا
وللصهباء أسماء ولكن * جهلت بأن في الاسماء ريقا

(ومما قيل في حسن الحديث) قال البحتري

ولما التقينا والنقا موعد لنا * تعجب رائي الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وقال سلم الخاسر

ظللنا فبتنا عند أم محمد * يوم ولم نشرب شرابا ولا خمرا
اذا صمتت عنا خجرنا لصمتها * وان نطقت هاجت لالبابنا سكرا

وقال ابن الرومي

يمسي ويصبح معرضا فكأنه * ملك عزيز قاهر سلطانه
ليست اساءته بناقصة له * در يساقطه الى لسانه

وما أحسن هذه الابيات وهي من طارف الشعر ووافره وناقده وجيد الكلام وبارع الوصف

وكل حديث الناس الا حديثها * رجيع وفيما حدثتك الطرائف
جرحن بأعناق الظباء وأعين الـ * ـعذارى وارتجت بهن الروادف
رجحن بأرداف ثقال وأسوق * جذال وأعضاء عليها المطارف

(ومما قيل في رقة البشرة) قال ابن المعتز

نضت عنها القميص لصب ماء * فوتردخدها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت * بمعتدل أرق من الهواء
ومدت راحة كالماء منها * الى ماء عتيد في اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت * على عجل الى أخذ الرداء
رأت شخص الرقيب على تدان * فأسبلت الظلام على الضياء
فغاب الصبح منها تحت ليل * وظل الماء يقطر فوق ماء

وقال آخر

تغير عن مودته وحالا * وكان مواصلا فطوى الوصالا
وعلمه التدلل كيف هجري * فليت الوصل كان له دلالا
ترى من فوق حقويه قضيبا * اذا ماحركته خطاه مالا

اذا كلمته أثرت فيه * وان حركته فالحمر سالا

وقال بشار

وما نظرت عيني غداة لقيتها * بشئ سوى اطرافها والحواجب
كحوراء من حور الجنان غريرة * يرى وجهه في وجهها كل ناظر

ومنه أخذ ابو نواس قوله

نظرت الى وجهه نظرة * فابصرت وجهي في وجهه

وقال آخر

توهمه قلبي فأصبح خده * وفيه مكان الوهم من نظري أثر
ومر بفكري جسمه فجرحته * ولم أر جسما قط تجرحه الفكر

وقال آخر

سقى الله روضا قد تبدى لناظر * به شادن كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذي فيه ينضح

وقال آخر

وأهيف قده كسى احمرارا * وحاز الحسن فهو بلا شبيه
فلو أخجلته بالقول جهدي * لجرة خده ما بان فيه

(ومما قيل في التقبيل) لمظفر الاعمى

قبلته فتلظى جمر وجنته * وفاح من عارضيه العنبر العبق
وحال بينهما ماء ولا عجب * لا ينطفي ذا ولا ذا منه يحترق

وقال آخر

سألته في ثغره قبلة * فقال ثغري لم يجز لثمه
فهاكها في الخد واقنع بها * ما قارب الشئ له حكمه

وقال صاحب حماة

قال الذي تيمني * قولوا لمن خبلته
يروم مني قبلة * لو مات ما قبلته

الشيخ عز الدين الموصلي

كالورد المنظوم اصداغه * وخده كالورد لما ورد
بالغت في اللثم وقبلته * في الخد تقبيلا يفك الزرد

وقال آخر

رأيت الهلال على وجهه * فلم أدر أيهما أنور
سوى ان ذاك بعيد المزار * وهذا قريب لمن ينظر
وذاك يغيب وذا حاضر * ومامن يغيب كمن يحضر
وينفع الهلال قليل لنا * ونفع الحبيب لنا أكثر

وقال ابن صابر

قبلت وجنته فالتفت جيده * بخجلا وماس بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكى الطل فوق الآس
فكأننى استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من انفاسى

وقال آخر

قبلت رجل حبيبى * فازورّ واحمرّ خدّا
وقال قبلتم رجلى * لقد تنازلت جدّا
فقلت ما جئت بدعا * ولا تجاوزت حدّا
رجل سعت بك نحوى * حقوقها لا تؤدّى

ومما قيل فى الوجه الحسن ابن نباته

انسية فى مثال الجن تحسبها * شمسا بدت بين تشريق وتغميم
شقت لها الشمس ثوبا من محاسنها * فالوجه للشمس والعينان للريم

عبد الله بن أبى خبيص

نصدّ من غير علة * بالعز أضحت عذله
كأنها حين تدنو * شمس علىها مظله
وان أضاءت بليل * تفوق نور الاهله

وقال آخر

* اقسم بالله وآياته * ما نظرت عينى الى مثله *
ولا بدا وجهه طالعا * الا سألت الله من فضله

وقال آخر

أقيمى مكان البدر ان افل البدر * وقومى مقام الشمس قد أمها الفجر
ففيك من الشمس المنيرة نورها * وليس لها منك التبسم والثغر

عمر بن أبى ربيعة

ذات حسن ان تغب شمس الضحى * قلنا من وجهها عنها خلف
أجمع الناس على تفضيلها * وهو اهم فى سوى هذا اختلف

أخذ أبو تمام هذا المعنى فرده الى المدح فقال

لو أن اجماعنا فى فضل سوددة * فى الدين لم يختلف فى الامة اثنان

وقال آخر

يا مفردا فى الحسن والشكل * من دلّ عينيك على قتلى
البدر من شمس الضحى نوره * والشمس من نورك تستملى

وقال آخر

فى اربع مىّ حلت منك اربع * فما أنا أدرى أيها هاج لى كربى
أوجهك فى عينى أم الريق فى فمى * أم النطق فى سمعى أم الحب فى قلبى

فلما سمعه اسحق بن يعقوب الكندىّ قال هذا تقسيم فلسفى وجعله العلوىّ خمسة فقال

وفى خمسة منى حلت منك خمسة * فريقك منها فى فمى طيب الرشف
ووجهك فى عينى ولمسك فى يدى * ونطقك فى سمعى وعرفك فى أنفى

ابن نباتة

أيها العاذل الغبى تأمل * من عذا فى صفاته القلب ذائب
وتعجب لطرة وجبين * ان فى الليل والنهار عجائب

محمود المخزومى

رأيتك فى الشمس المنيرة غدوة * فكنت على عينى أبهى من الشمس
لانك تزهو ان بدا الليل بهجة * وشمس الضحى ليست تضىء اذا تمسى

وقال آخر

اذا احتجبت لم يكفك البدر وجهها * وتكفيك فقد البدر ان غرب البدر
وحسبك من خمر مذاقة ريقها * ووالله ما من ريقها حسبك الخمر

ومما قيل فى البنان المخضب قال ابن الرومى

وقفت وقفة ببـاب الطاق * ظبية من مخدرات العراق
بنت سبع واربع وثلاث * أسرت قلب صبها المشتاق
قلت من أنت ياغزال فقالت * انا من لطف صنعة الخلاق
لاترم وصلنا فهذا بنان * قد صبغناه من دم العشاق

وقال الراضى بالله

قالوا الرحيل فانشبت اظفارها * فى خدها وقد اعتلقت خطابها
فظننت ان بنانها من فضة * قطفت بنور بنفسج عنابها

وقال آخر

لما اعتنقنا للوداع واعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين محاجر ومعاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

وقال آخر

* ولما تلاقينا رأيت بنانها * مخضبة تحكى عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدى أهكذا * يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت وأذكت فى الحشى لاعج الجوى * مقالة من بالود لم يتبرم
بكيت دما يوم النوى فسحته * بكفى فاحمرت بنانى من دمى

وقال آخر

دنون عشية التوديع منى * ولى عينان بالدم تجريان
فلم يمسحن اكراما لجفونى * ولكن رمن تخضيب البنان

ومما قيل فى النحور قال دعبل

أتاح لك الهوى بيضا حسانا * تباهى بالعيون وبالنحور
نظرت الى النحور فكدت تقضى * فكيف اذا نظرت الى الخصور

ومما قيل فى نعت النهود قال العباس بن الاحنف

والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الضعيف الوالد
جال الوشاح على قضيب زانه * تفاح صدر ماحوته ناهد

وقال آخر

ومحبوبة عند الوداع رأيتها * تنشف دمعا بالرداء الممسك
وتبكى حذار البين منها بدمعة * تسيل على الخدين فى حسن مسلك
فتحسب مجرى الدمع من وجناتها * بقية طل فوق ورد معمك
وقد سفرت عن غرة بابلية * وصدر به نهد بحق مفكك

عمر بن كلثوم

ترائك اذا دخلت على خلاء * قد امتدت عيون الكاشحينا
لنهد مثل حق العاج حسنا * حصينا من اكف اللامسينا

وقال آخر

بصدرها كوكبا در كأنهما * وكان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بستور من غلائلها * فالناس فى الحل والركبان فى الحرم

وقال آخر

صدور فوقهن حقاف عاج * ودر زانه حسن اتساق
تقول الناظرون اذا رأوه * أهذا الحلى من هذى الحقاق
وما تلك الحقاق سوى ثدى * جعلن من الحقاق على وفاق
نواهد لايعدن لهن عيب * سوى منع المحب من العناق

وقال آخر

لقد فتكت عيون الغيد فينا * ببيض مرهفات وهى سود
وتطعننا القدود اذ التقينا * بسمر من اسنتها النهود

ومما قيل فى الارداف والخصور قال ابن الرومى

وشربت كاس مدامة من كفها * مقرونة بمدامة من ثغرها
وتمايلت فضحكت من أردافها * عجبا ولكنى بكيت لخصرها

الطنبغا المهاربى

ردفه زاد فى الثقالة حتى * أقعد الخصر والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقالا * فضعيفان يغلبان قويا

وقال آخر

يا خصره كم جفاء * تبدى وأنت نحيل
يا ردفه ملت عنى * ما أنت الا بخيل

القيراطى

بدت روادف بدرى * تحت الحنين لعينى

فقلت يابدر هذا * حقا خيال لحبي

وقال آخر

اسائلها أين الوشاح وقد سرت * معطلة منه معطرة النشر
فقالت وأومت للسوار بخلته * الى معصمي لما تلاقى فى خصرى

وقال آخر

بيض وسمر مقلتاه وقده * بدر وليل وجنتاه وشعره
اقسى من الحجر الأصم فؤاده * وارق من شكوى المتيم خصره

وقال آخر

رخيمات المقال مدللات * جواعل فى الثرى قضبا جذالا
جمعن نخامة وخلوص جيد * وقدا بعد ذلك واعتدالا

ومما قيل فى المعاصم قال عمر بن أبى ربيعة

حسروا الوجوه بأذرع ومعاصم * ورنوا بنجل للقلوب كوالم
حسروا الاكمة عن سواعد فضة * فكأنما انتصبت مقون صوارم

ومما قيل فى اعتدال القوام قال صلاح الدين الصفدى

تقول له الاغصان مذهز عطفه * أتزعم ان اللين عندك مأثوى
فقم نحتكم للروض عند نسيمه * ليقضى على من مال منا الى الهوى

وقيل ليس لأحد من شعراء العرب فى نعت محاسن النساء من الاوصاف البارعة مع جودة السبك ورقة اللفظ ما لذى الرمة حتى كأنه حضرى من أهل المدن لا من أهل الوبر وقال القاضى مجد الدين بن مكانس

أقول لحبى قم ومل يامعذبى * كميلة خود غير السكر حالها
ولا تله عن شئ اذا ما حكيتها * فقام كغصن البان لينا ومالها

وقال آخر

ومحكم أعطافه * فى قتل صب ماغوى
فاعجب لعادل قده * فى النفس يحكم بالهوى

وقال آخر

ومهفهف عنى يميل ولم يل * يوما الى فصحت من الم الجوى
لم لا تميل الى ياغصن النقا * فأجاب كيف وأنت من أهل الهوى

ومما قيل فى الساق قال ذو الرمة

لم أنسه اذ قام يكشف عامدا * عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا تعجبوا ان قام فيه قيامتى * ان القيامة يوم كشف الساق

وقال آخر

جاءت بساق أبيض أملس * كلؤلؤ يبدو لعشاقها
فافتتنت فيها جميع الورى * وقامت الحرب على ساقها

قال ابن منقذ

بدر ولكنه قريب * ظبي ولكنه أنيس
ان لم يكن قده قضيبا * فالأعطافه تميس

ومما قيل في مشي النساء قال بعضهم

يهززن للمشي اطرافا مخضبة * هز الشمال ضحى عيدان نسرين
أو كاهتزاز رديني تداوله * أيدي الرجال فزاد المتن في اللين

وقال آخر

يمشين مشي قطا البطاح تاودا * قب البطون رواجح الاكفال
فكأنهن اذا أردن زيارة * يقلعن أرجلهن من اوحال

ومما قيل في العناق وطيبه لابن المعتز

ما قصر الليل على الراقد * وأهون السقم على العائد
كأنني عانقت ريحانة * تنفست في ليلها البارد
فصورانا في قميص الدجى * حسبتنا في جسد واحد

وقال آخر

وموشح نازعت فضل وشاحه * وأعرته من ساعدي وشاحا
بات الغيور يشق جلدة وجهه * وأمال أعطافا علي ملاحا

وقال ابن المعذل

أقول وجنح الدجى مسبل * والليل في كل فج يد
ونحن ضجيعان في مسجد * فلله ما ضمنا المسجد
أياغدان كنت لي محسنا * فلا تدن من ليلتي ياغد
وياليلة الوصل لا تقصري * كما ليلة الهجر لا تمتد

وقال آخر

وليل رقيق الطرتين تظلمت * كواكبه من بدره المتلاشق
لهونا بغزلان الصريمة تحته * تميت الهوى ما بين صدر ومرفق

وقال ابن المعتز

وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
تقر العصافير وهي خائفة * من النواطير يانع الرطب

وقال ديك الجن

ومعدولة مهما أمالت ازارها * فغصن وأما قدها فقضيب
لها القمر الساري شقيق وانها * لتطلع أحيانا له فيغيب
أقول لها والليل مرخ سدوله * وغصن الهوى غض النبات رطيب
لانت المنى يازين كل ملمحة * وأنت الهوى ادنى له فاجيب

وقال علي بن الجهم

سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تسرب

وقال آخر

ياليل دم لى لا أريد براحا * حسبى بوجه معذبى مصباحا
حسبى به نورا وحسبى ريقه * خمرا وحسبى خده تفاحا
حسبى بضحكه اذا استضحكته * مستغنيا عن كل نجم لاحا
طوقته طوق العناق وساعد * وجعلت كفى للثام وشاحا
هذا هو اليوم النعيم نخلنا * متعانقين فلا نريد براحا

وقال آخر

ولم أنس ضمى للحبيب على رضا * ورشفى رضابا كالرحيق المسلسل
ولا قوله لى عند تقبيل خده * تنقل فلذات الهوى فى التنقل

(ومما قيل فى السمن) قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول ما رأيت سمينا عاقلا الا محمد بن الحسن قال الشاعر

لا أعشق الابيض المنفوخ من سمن * لكننى أعشق السمر المهازيلا
انى امرؤ أركب المهر المضمر فى * يوم الرهان وغيرى يركب الفيلا

(ومما قيل فى مدح الالوان والثياب) مدح البياض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البياض نصف الحسن وكان صلى الله عليه وسلم أبيض ازهر اللون مشربا بحمرة قال الشاعر

بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شم الأنوف من الطراز الاول

ومما قيل فى مدح السواد قيل لبعضهم ما تقول فى السواد قال النور فى السواد أراد بذلك نور العينين فى سوادهما وقال بعضهم

قالوا تعشقتها سوداء قلت لهم * لون الغوانى ولون المسك والعود
انى امرؤ ليس شأن البيض مرتفعا * عندى ولو خلت الدنيا من السود

وقال الحقطان

لئن كنت جعد الرأس واللون فاحم * فانى بسيط الكف والعرض أزهر
وان سواد اللون ليس بضائرى * اذا كنت يوم الروع بالسيف اخطر

دخل ابراهيم بن المهدى على المأمون فقال انك لعم الخليفة الأسود فقال ابراهيم نعم فتمثل المأمون ببيت نصيب فقال

ان كنت عبدا ففى حرة كرما * او اسود اللون انى أبيض الخلق

ثم قال ياعم اخرجنا الهزل الى الجد فأنشد ابراهيم

ليس يزرى السواد بالرجل الشهم ولا بالفتى الأريب الأديب
ان يكن للسواد فيك نصيب * فبياض الاخلاق منك نصيبى

وقال آخر

لام العواذل فى سوداء فاحمة * كأنها فى سواد القلب تمثال

وهام بالخال اقوام وما علموا * انى أهيم بشخص كله خال

وقيل لمدنى كيف رغبتم فى السواد فقال لو وجدنا بيضاء لسودناها وقال آخر

يكون الخال فى خد قبيح * فيكسوه الملاحة والجمالا

فكيف بلام ذو عشق على من * يراها كلها فى الخد خالا

وقال آخر

فاستحسنوا الخال فى خدّ فقلت لهم * انى عشقت مليحا كله خال

وكان أبو حاتم المدنى ينشد

ومن يك معجبا ببنات كسرى * فانى معجب ببنات حام

وتفاخرت حبشية ورومية فقالت الرومية أنا حبة كافور وأنت عدل فحم فقالت الحبشية أنا حبة مسك وأنت عدل ملح وقد قال الشاعر

أحب لحبها السودان حتى * احب لحبها سود الكلاب

وقال آخر

أشبهك المسك واشبهته * قائمة فى لونه قاعده

لا شك اذ لونكما واحد * أنكما من طينة واحده

ومما قيل فى الصفرة قال الشاعر

اصفراء كان الهجر منك مزاجها * ليالى كان الود منك مباحا

كأن نساء الحى مادمت فيهم * قباحا فلما غبت صرن ملاحا

وقال آخر

قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذاك من عيب به نزلا

عيناه مطلوبة فى ثار من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

ومما قيل فى طول اللحية قيل ان اللحية الطويلة عش البراغيث ونظر يزيد الشيبانى الى رجل ذى لحية عظيمة تلتف على صدره واذا هو خاضب فقال له يا هذا انك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن فى كل جمعة * وآخر للحناء يتبعان

ولولا نوال من يزيد بن مزيد * لأصبح فى حافاتها الحنان

وقال اسحق بن خلف فى قصير طويل اللحية

ماشيت داود فاستضحكت من عجب * كأنه والد يمشى بمولود

ما طول داود الا طول لحيته * يظن داود فيها غير موجود

وقال ابن المقفع

تأملت أسواق العراق فلم أجد * دكاكينهم الا عليها الموالیا

جلوسا عليها ينفضون لحاهم * كما انفضت عجف البغال المخالیا

ومما جاء فى عظم الخلقة والطول والقصر قيل خرب القهندز فبرزت منه جماجم اموات

فتصدعت جمجمة فانتثرت اسنانها فوزن السن منها فكان وزنها أربعة أرطال فأتى بها الى ابن المبارك فجعل يقلبها ويتعجب من عظمها ثم قال

اذا ما تذكرت أجسامهم * تصاغرت النفس حتى تهون

وأراد ملك الروم أن يباهي أهل الاسلام فبعث الى معاوية رجلين احدهما طويل والثاني قصير شديد القوة فدعا للطويل بقيس بن سعد بن عبادة فنزع قيس سراويله ورمى بها اليه فلبسها الطويل فبلغت ثدييه فلاموا قيسا على نزع السراويل فقال

أردت لكيما يعلم الناس انها * سراويل قيس والوفود شهود

وكي لا يقولوا خان قيس وهذه * سراويل عاد أحرزتها ثمود

واني من القوم اليمانين سيد * وما الناس الا سيد ومسود

ثم دعا معاوية للرجل الشديد فى قوته بمحمد بن الحنفية فخيره بين أن يقعد فيقيمه أو يقوم فيقعده فغلبه فى الحالتين وانصرف مغلوبين وقيل كان سلمة بن مرة الناموسي اسر امرأ القيس بن النعمان اللخمي الملك وكان الناموسي قصيرا مقحما واللخمي طويلا جسيما فقالت بنت امرئ القيس ياهذا القصير أطلق أبي فسمعها سلمة بن مرة فقال

لقد زعمت بنت امرئ القيس انني * قصير وقد أعيا أباها قصيرها

ورب طويل قد نزعت سلاحه * وعانقته والخيل تدمى نحورها

وقالوا عظم اللحية يدل على البله وعرضها على قلة العقل وصغرها على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى جميعها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمروأة والتي يطول تحديقها تدل على الحمق والتي تكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر على الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان (وعما قيل فى القبح والدمامة) أراد رجل أن يكتب كتابا لبعض أصحابه فلم يجد من يرسله معه الا رجلا وخش الصورة بشع المنظر فلم يقدر على تحليته لفرط دمامته فكتب الى صاحبه يأتيك بهذا الكتاب آية من آيات الله تعالى وقدره فدعه يذهب الى نار الله وسقره ومر أبو الاسود الدؤلي بمجلس لبني بشير فقال بعض فتيانهم كأن وجهه وجه عجوز راحت الى أهلها بطلاقها وقال الجاحظ ما أضحكني قط الا امرأة مرت بي الى صائغ فقالت له اعمل مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سألت الصائغ فقال هذه امرأة أرادت أن أعمل لها صورة شيطان فقلت لا أدري كيف أصوره فأتت بك الى لاصوره على صورتك وفى الجاحظ يقول الشاعر

* لو مسخ الخنزير مسخا ثانيا * ما كان الا دون قبح الجاحظ

رجل ينوب عن الجحيم بوجهه * وهو العمى فى عين كل ملاحظ

* ولو أن مرآة جلت تمثاله * ورآه كان له كأعظم واعظ

وقال الاصمعي رأيت بدوية من أحسن الناس وجها ولها زوج قبيح فقلت ياهذه ارضين أن تكوني تحت هذا فقالت ياهذا العله أحسن فيما بينه وبين ربه فجعلني ثوابه وأسأت فيما بيني وبين ربي فجعله عذابي أفلا أرضى بما رضي الله به وحج مخنث فرأى رجلا قبيح الوجه يستغفر

فقال

فقال يا حبيبي ما أراك أن تخل بهذا الوجه على جهنم وقال بعضهم لرجل طلع لي دمل في أقبح المواضع فقال له كذبت هذا وجهك ليس فيه شئ وخرج رجل قبيح الوجه الى المتجر فدخل اليمن فلم ير فيها أحسن منه وجها فقال

لم أر وجها حسنا * منذ دخلت اليمنا
فيا شقاء بلدة * أحسن من فيها أنا

وخطب رجل عظيم الانف امرأة فقال لها قد عرفت الى رجل كريم المعاشرة محتمل المكاره فقالت لا شك في احتمالك المكاره مع حملك هذا الانف أربعين سنة وقال الشاعر في رجل كبير الانف

لك وجه وفيه قطعة أنف * كجدار قد أدعموه بغله
وهو كالقبر في المثال ولكن * جعلوا نصبه على غير قبله

وقال آخر

* لك أنف أنوف * أنفت منه الانوف
أنت في القدس تصلي * وهو في البيت يطوف

ومما جاء في الثقلاء قال مطيع بن اياس

قلت لعباس أخينا * يا ثقيل الثقلاء
أنت في الصيف سموم * وجليد في الشتاء
أنت في الارض ثقيل * وثقيل في السماء

ومما جاء في الملابس وألوانها والعمائم ونحوها قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وقال صلى الله عليه وسلم تعمموا تزدادوا جمالا وقال صلى الله عليه وسلم العمائم تيجان العرب وكان الزبير بن العوام يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة وعليهم عمائم صفر قد أرخوها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ابن عوف الى دومة الجندل فتخلف عن الجيش وأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة سوداء من خز فنقضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعممه بيده وأسدلها بين كتفيه قد رشبر وقال هكذا اعتم يا ابن عوف وبعث ملك الروم الى النبي صلى الله عليه وسلم جبة ديباج فلبسها ثم كساها عثمان وكان سعيد بن المسيب يلبس الحلة بألف درهم ويدخل المسجد فقيل له في ذلك فقال اني أجالس ربي وقيل المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة وقيل البس البياض والسواد فان الدهر هكذا بياض نهار وسواد ليل

ومما قيل في لبس السواد قول أبي قيس

رأيتك في السواد فقلت بدرا * بدا في ظلمة الليل البهيم
وألقيت السواد فقلت شمس * تحت بشعاعها ضوء النجوم

وقدم تاجر الى المدينة يحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السود فشكى الى الدارمي ذلك وكان الدارمي قد نسك وتعبد فعمل بيتين وأمر من يغني بهما في المدينة وهما هذان البيتان

قل للمليحة فى الخمار الاسود * ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ازاره * حتى تعدت له بباب المسجد

قال فشاع الخبر فى المدينة ان الدارمى رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم يبق فى المدينة مليحة الا اشترت لها خمارا أسود فلما أنفد التاجر ما كان معه رجع الدارمى الى تعبده وعمد الى ثياب نسكه فلبسها وقال آخر فى لابسة الاحمر

وشمس من قضيب فى كثيب * تبدت فى لباس جلنارى
سقتنى ريقها صرفا وحيت * بوجنتها فهاجت جل نارى

وقال آخر فى لابسة ثوب خمرى

فى ثوبها الخمرى قد أقبلت * بوجنة حمراء كالجمر
قلت سكرا حين أبصرتها * لاتنكروا سكرى من الخمر

وقال الصنوبرى فى لابسة أخضر

وجارية أدبتها الشطاره * ترى الشمس من حسنها مستعاره
بدت فى قميص لها أخضر * كما ستر الورق الجلناره
فقلت لها ما اسم هذا اللباس * فأبدت جوابا لطيف العباره
شقائق أثر قوم به * فنحن نسميه شق المراره

وقال حكيم لابنه ايالك ان تلبس ما يديم الملك نظره اليك به واعلم ان الوشى لا يلبسه الا الاحمق أو مالك وعليك بالبياض وقيل لباس الجلاء الاستبرق لطول بقائه ولباس المترفين السندس لقلة بقائه ولباس المقتصدين الديباج لتوسطه بقائه وقال بعض الامراء لحاجبه أدخل على عاقلا فأتاه برجل فقال بم عرفت عقله فقال رأيته يلبس الكتان فى الصيف والقطن فى الشتاء والملبوس فى الحر والجديد فى البرد وقيل كان لابرويز عمامة طولها خمسون ذراعا اذا اتسخت ألقاها فى النار فيحترق الوسخ ولا تحترق وكان له رداء حسن يتلون كل ساعة ومراويل مجوهرة مكللة من أنابيب الزمرد وقيل الاقبية لباس الفرس والقراطق لباس الهند والازر لباس العرب وسئل بعض العرب عن الثياب فقال الصفر أشكل والحمر أجمل والخضر أقبل والسود أهول والبيض أفضل وقال أفلاطون الصبغ الشقائق والروائح الزعفرانية تسكن الغضب والصبغ الياقوتى والروائح الوردية تحرك السرور واذا قرب اللون الاحمر الى اللون الاصفر تحركت القوة العشقية واذا مزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية واذا مزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبائع كلها وكان مصعب بن الزبير يقول لكل شئ راحة وراحة البيت كنسه وراحة الثوب طيه وقال بعض الاعراب رأيت بالبصرة برودا كأنها نسجت بأنواع الربيع ودخل بعض العذريين على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها

وعاقل فهين رذل لبسه وعرف نفسه قال الاصمعى رأيت اعرابيا فاستنشدته فانشدنى أبياتا وروى أخبارا فتعجبت من جماله وسوء حاله فسكت سكتة ثم قال

أ أخى ان الحادثا * ت عركتنى عرك الاديم
لاتنكرن ان قد رأيـ * ـت أخاك فى طمرى عديم

ان كان أثوابي رثا * ث فانهن على كريم

قال بعضهم وقيل للشافعي رحمه الله

على ثياب لو تقاس جميعها * بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها * نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
وما ضر نصل السيف اخلاق غمده * اذا كان عضبا حيث وجهه يرى

ودخل بعضهم على الرشيد فازدراه فانشده

ترى الرجل النحيف فتزدريه * وفي أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه * فيخلف ظنك الرجل الطرير
لقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بغير وجه * ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى * فلا عار عليه ولا نكير
فان الله في شرار كمو قليلا * فاني في خياركمو كثير

ويقال كل ما تشتهيه نفسك والبس ما تشتهيه الناس وقد نظمه من قال

ان العيون رمتك اذ فاجأتها * وعليك من مهن الثياب لباس
أما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت * واجعل لباسك ما اشتهته الناس

وفي هذا القدر كفاية والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السابع والاربعون في التختم والحلي والمصوغ والطيب والتطيب وما أشبه ذلك

(ما جاء في التختم) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام واخاتم في يمينه قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام

كف الرسالة ليس يخفى حسنها * وتمام حسن الكف لبس الخاتم

وذكر السلامي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه واخلفاء بعده فنقله معاوية رضي الله عنه الى اليسار وأخذ الامويه بذلك ثم نقله السفاح الى اليمين فبقي الى أيام الرشيد رضي الله عنه فنقله الى اليسار وأخذ الناس بذلك وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب أحدكم غم مادام عليه ذلك وبلغ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ان ابنه اشترى فص خاتم بألف دينار فكتب اليه عزمت عليك الا ما بعت خاتمك بألف دينار وجعلتها في بطن جائع واستعمل خاتما من ورق وانقش عليه رحم الله امرأ عرف نفسه وكان خاتم علي رضي الله عنه من ورق ونقشه نعم القادر الله وكان لابي نواس خاتمان أحدهما عقيق مربع وعليه مكتوب

تعاظمني ذنبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك أعظما

والآخر حديد صيني عليه أشهد أن لا اله الا الله مخلصا وأوصى عند موته أن يغسل الفص ويجعل في فمه قال جعفر بن محمد رضي الله عنه ما افتقرت يد تختمت بخاتم فيروزج وقيل الخواتم أربعة الياقوت للعطش والفيروزج للمال والعقيق للسنة والحديد الصيني للحرز

وقيل للخوف والله أعلم

(ذكر ما جاء في الحلي) قيل ان قرطى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية كان فيهما درتان كبيض الحمام لم ير مثلهما ولم يدر قيمتهما وقال محمد بن شفي يوسف بن عمر الى هشام يا قوتة حمراء يخرج طرفاها من كفي كانت للراقتة جارية خالد بن عبد الله القسري اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار وحبة لؤلؤ أعظم ما يكون من الطيب فدخلت عليه بهما فقال اكتب معك بوزنهما فقلت يا أمير المؤمنين هما أعظم من أن يكتب بوزنهما فقال صدقت وبعث معاوية الى عائشة رضي الله تعالى عنها طوقا من ذهب فيه جوهرة قومت بمائة ألف دينار فقسمته بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ملك العرب كلما مرت عليه سنة من سنين ملكه زيدت في تاجه خرزة وكان يقال لها خرزات الملك

(ذكر ما جاء في الطيب والتطيب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الطيب المسك وعن عائشة رضي الله عنها قالت كأني أنظر الى وبيص الطيب في مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم وعن سهل بن سعد يرفعه ان في الجنة لمرعى من مسك مثل مراعي دوابكم هذه وعن أنس رضي الله عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق فجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ وقال يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين فقالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب وعن عمر رضي الله عنه قال لو كنت تاجرا ما اخترت على العطران فاني رجحه لم يفتني ريحه وناول المتوكل فتى فارة المسك فقال

لئن كان هذا طيبنا وهو طيب * لقد طيبته من يديك الانامل

واهدى عبد الله بن جعفر لمعاوية قارورة من الغالية فسأله كم أنفق عليها فذكر مالا جزيلا فقال هذه غالية فسميت بذلك وسئل مالك بن سليمان بن خارجة من أخته هند بنت أسماء فقال علمني كيف تصنعين طيبك فقالت لا أفعل تريدان تعلمه جواريك هو لك متى كما أردته ثم قالت والله اني ما تعلمته الا من شعرك حيث تقول

أطيب الطيب عرف أم أبان * فارمسك بعنبر مسحوق

قال أبو قلابة كان ابن مسعود رضي الله عنه اذا خرج من بيته الى المسجد عرف جيران الطريق انه مر من طيب ريحه وعن الحسن بن زيد الهاشمي عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضي الله عنه يطلي جسده فاذا مر في الطريق قال الناس أمر ابن عباس أم مر المسك وعنه عن أبيه قال رأيت ابن عباس رضي الله عنهما حين أحرم والغالية على صدغه كأنها لزقة وقال أبو الضحى رأيت على رأس الزبير من المسك ما لو كان لي لكان رأس مالي وقيل لمالي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بفاطمة بنت عبد الملك أسرج في مسارجه تلك الليلة بالغالية وقال الشعبي الرائحة الطيبة تزيد في العقل وقال علي كرم الله وجهه تشمموا الترجس ولو في العام مرة فان في قلب الانسان حالة لا يزيلها الا الترجس وكان الشعبي يقول اذا ورد الورد صدر البرد وكانت الصحابة رضي الله عنهم يستحبون اذا قاموا من الليل أن يمسوا لحاهم بالطيب وكان من اختلف في طرقات المدينة وجد عرفا طيبا فيقول ولذلك سميت طيبة وأقول والله ما طابت طيبة الا بالطيب الطاهر صلى الله عليه وسلم وما

أحسن ما قيل

اذا لم أطب فى طيبة عند طيب * به طيبة طابت فأين أطيب

وقيل ان فارة المسك دويبة شبيهة بالخشف تصاد لسرتها فاذا صادها الصياد عصب السرة بعصابة شديدة فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها ثم يأخذ السرة فيدفنها فى الشعير حتى يستحيل الدم المجتمع فيها مسكا ذكيا بعد أن كان لا يرام تتناوقد يوجد جوذان سود يقال لها فأرات المسك ليس عندها الا رائحة لازمة لها (وحكى) أن العنبر يأتى على طفاوة الماء لا يدرى أحد معدنه فلا يأكله شئ الا مات ولا ينقره طائر الا بقى منقاره فيه ولا يقع عليه حيوان الا نصلت أظفاره فيه والتجار والعطارون ربما وجدوا أظفارا فيه وقال الزمخشرى عفا الله عنه سمعت ناسا من أهل مكة يقولون هو من زبد بحر سرنديب وأجود العنبر الأشهب ثم الأزرق وأدونه الأسود وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس فى العنبر زكاة انما هو شئ نثره البحر وأما العود فأجوده الهندى وهو منسوب الى منذل قرية من قرى الهند وأجوده أصلبه وامتحان رطبه أن تطبع فيه نقش الخاتم فان انطبع فرطب والا فلا ومن خصائصه أن رائحته تطبع فى الثوب أسبوعا فلا يقمل مادامت فيه وأما الكافور فهو ماء شجر بجزيرة الكافور يحزونه بالحديد فاذا خرج ظاهرا وضربه الهواء انعقد كالصموغ الجامدة على الاشجار وأما النتد فصنوع وهو العود المستقطر والعنبر واللبان

لو كنت أحمل جراحين زرتكم * لم ينكر الكلب أنى صاحب الدار

لكن أتيت وريح المسك يقدمنى * والعنبر الندمشبوب على النار

وكانت ملوك الفرس تأمر برفع الطيب أيام الورد وكان المتوكل يلبس أيام الورد الثياب المورّدة ويفرش الورد فى مجلسه ويطيب جميع آلاته بالورد وقال الحسن بن سهل أمهات الرياحين تقوى بأمهات الطيب فالنرجس يقوى بالورد والورد يقوى بالمسك والبنفسج يقوى بالعنبر والريحان يقوى بالكافور والنسرين يقوى بالعود وقال جالينوس المسك يقوى القلب والعنبر يقوى الدماغ والكافور يقوى الرئة والعود يقوى المعدة والغالية تحمل الزكام والصندل يحمل الأورام وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا ترّدوا الطيب فانه طيب الريح خفيف الحمل تبخر به من الاعراب وعنده أعرابى فقرطت من الاعرابى ريح خفيفة فأراد أن يعلم هل فطن بها الاعرابى أم لا فقال ما أطيب هذا المثلث قال نعم ولكنك ربعتها وقال الاحنف ان شم رائحة المسك يحيى القلب وقال سلمة لابن عباس وعنده جعفر بن سليمان ما شممت أنفى من ريح مسك شممته من الناس الا ريح كفك أطيب فأمر له بألف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثامن والاربعون فى الشباب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما أشبه ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول فى الشباب وفضله) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ما بعث الله نبيا الا شابا ولا أوتى العلم عالم الا شابا ثم تلا هذه الآية قالوا سمعنا فتى يذكرهم

يقال له ابراهيم وقد أخبر الله تعالى به ثم آتى يحيى بن زكريا الحكمة قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف وقال تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وقال تعالى واذ قال موسى لفتاه وقال أنس رضى الله عنه قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد على جميع الانصار وكبار المهاجرين على حداثة سنه وعتاب بن أسيد ولاه مكة وهما أكابر قريش وعبد الله بن عباس على جلالة قدره وحفظه من العلم وقال بعض البلغاء الشباب باكورة الحياة وأطيب العيش أوائله كما أن أطيب الثمار بواكيرها والشباب أبلغ الشفعاء عند النساء وأكثر الوسائل لقلوبهن ولذلك قال الشاعر

أعلى الرجال مع النساء مواقعا * من كان أشبههم بهن خدودا

وما بكت العرب على شئ ما بكت على الشباب ولو لم يكن هذا الشباب حميدا وزمانه عميما لوسامة صورته وبهجة منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما جاور الله فى جنات خلده شابا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جرد امرد أبناء ثلاثين وقد جاء فى ذلك أشياء كثيرة ليس هذا موضع بسطها

(الفصل الثانى فى الشيب وفضله) أول من شاب سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام وفى الخبر أن الله تعالى يقول الشيب نورى وأنا أستحى أن أحرق نورى بنارى وعن جعفر ابن محمد عن أبيه قال جاء رجلان الى النبى صلى الله عليه وسلم شيخ وشاب فتكلم الشاب قبل أن يتكلم الشيخ فقال عليه السلام كبر كبر وبهذه الرواية من وقر كبير الكبر سنه آمنه الله من فزع يوم القيامة وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى وعزتى وجلالى وفاقة خلقى الى انى لأستحى من عبدى وأمتى يشيبان فى الاسلام أن أعذبهما ثم بكى فقيل له ما يبكيك يا رسول الله قال أبكى ممن يستحى الله منه وهو لا يستحى من الله وقال من بلغ ثمانين من هذه الأمة حرمه الله على النار وقال اذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فانه أسير الله فى الارض تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيئات وقيل كان الرجل فيمن كان قبلكم لا يحتلم حتى يبلغ ثمانين سنة وقال ابن وهب ان أصغر من مات من ولد آدم ابن مائتى سنة فبكته الانس والجن لحداثة سنه وقال النخعى كان يقال اذا بلغ الرجل أربعين سنة على خلق لم يتغير عنه حتى يموت وعن ابن عباس رضى الله عنهما رفعه من أتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره على شره فليتجهز الى النار وعن أنس رضى الله عنه قال قال ملك الموت لنوح عليه السلام يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل فى بيت له بابان فقام وسط البيت ساعة ثم خرج من الباب الثانى ويقال أطلع أكبر منك ولو بليلة وقال عبد العزيز بن مروان من لم يتعظ بثلاث لم ينته بشئ الاسلام والقرآن والشيب قال الشاعر

يا عامر الدنيا على شيبه * فيك أعاجيب لمن يعجب
ما عذر من يعمر بنيانه * وعمره منهدم يخرب

وقال الشعبى الشيب عذر لا يعاد منها ومصيبة لا يعزى عليها وقال الفرزدق

ويقول كيف يميل مثلك للظبا * وعليك من عظم المشيب عذار
والشيب ينقص فى الشباب كأنه * ليل يصيح بعارضيه نهار

وقال أبو دلف فى بياض اللحية

تكونى هم بيضاء نابته * لها بغضة فى مضمر القلب ثابته
ومن عجب انى اذا رمت قصها * قصصت سواها وهى تضحك نابته

وقال أيضا

أرى شيب الرجال من الغوانى * بمبلغ شيبهن من الرجال

وقال ابن المعتز

فظللت أطلب وصلها بتذلل * والشيب يغمزها بان لا تفعلى

قيل صاح شاب بشيخ أحدب بكم ابتعت هذا القوس ياعماه فقال يابنى انى أعطيتها بغير ثمن ومر رجل أشمط بامرأة عجيبة فى الجمال فقال ياهذا ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه والا فأعلمنا فقالت كأنك تخطبنى قال نعم فقالت ان فى عيبا قال وما هو قالت شيب فى رأسى فثنى عنان دابته فقالت على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة ولا رأيت فى رأسى شعرة بيضاء ولكننى أحببت أن أعلمك انى أكره منك مثل ما تكره منى فأنشد ويقال انه لابن المعتز

رأين الغوانى الشيب لاح بمفرقى * فأعرضن عنى بالخدود النواضر

وقال آخر

سألتها قبلة يوما وقد نظرت * شيبى وقد كنت ذا مال وذا نعم
فأعرضت وتولت وهى قائلة * لا والذى أوجد الاشياء من عدم
ما كان لى فى بياض الشيب من أرب * أفى الحياة يكون القطن حشو فمى

وقال آخر

قالت أرى مسكة الشعر البهيم غدت * كافورة قد أحالتها يد الزمن
فقلت طيب بطيب والتنقل فى * معادن الطيب أمر غير مستهجن
قالت صدقت وما أنكرت ذا بذا * المسك للشم والكافور للكفن

وقال آخر

قالت أراك خضبت الشيب قلت لها * سترته عنك يا عمى ويا بصرى
فقهقهت ثم قالت من تعجبها * تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

وقال ابن نباتة

تبسم الشيب بوجه النقى * يوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لا يبكى على نفسه * من ضحك الشيب على ذقنه

وقال ابن المعتز

فما أقبح التفريط فى زمن الصبى * فكيف به والشيب فى الرأس شامل

وكان المأمون يتمثل بقول الشاعر

رأت وضحا في الرأس مني فراعها * فريقان مبيض به وبهيم
تفاريق شيب في السواد لوامع * فيا حسن ليل لاح فيه نجوم

ويقال في الرجل اذا شاب ليله عسعس وصبحه تنفس

اذا نازع الشيب الشباب فاصلتا * بسيفيهما فالشيب لاشك غالب

وقال آخر

الا ان شيب العبد من نقرة القفا * وشيب كرام الناس شيب المفارق

وقال النمري

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر

وقال علي بن ربيع

كبرت ودق العظم مني وعقني * بنيّ وزالت عن فراشي العقائد
وأصبحت أعشى أخبط الارض بالعصا * يقودني بين البيوت الولائد

وقال آخر

عريت من الشباب وكنت غصنا * كما يعرى من الورق القضيب
وبحت على الشباب بدمع عيني * فما نفع البكاء ولا النحيب
فيا ليت الشباب يعود يوما * فأخبره بما فعل المشيب

وقال ابن النقيب

وكم كان من عين عليّ وحافظ * وكم كان من واش لها ورقيب
فلما بدا شيبي اطمأنت قلوبهم * ولم يحفظوني واكتفوا بمشيبي

وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ما شبهت الشباب الا كشئ كان في كمي فسقط قال الشاعر

شباب لو بكت الدماء عليهما * عيناك حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

وقال الجاحظ

أترجو أن تكون وأنت شيخ * كما قد كنت في زمن الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجديد من الثياب

(ومما جاء في الخضاب) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالخضاب فانه أهيب لعدوكم وأجمل لنسائكم وعن أبي عامر الانصاري رضي الله عنه رأيت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يغير بالحناء والكتم وقيل خضاب الحناء يصفي البصر ويذهب بالصداع ويزيد في الباه (بيت)

تسود أعلاها وتأبى أصولها * وليس الى رد الشباب سبيل

وقيل وفد عبد المطلب بن هاشم على سيف بن ذي يزن فقال له لو خضبت شعرك فلما رجع الى مكة اختضب فقالت امرأته نبيلة ما أحسن هذا الوداع فقال

ولوداع لي هذا الخضاب حمدته * وكان بديلا من خليل قد انصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة * ولابد من موت نبيلة أو هرم

وقال

وقال آخر

يا خاضب الشيب الذى * فى كل ثالثة يعود
ان الخضاب اذا نفا * فكأنه شيب جديد
فدع المشيب وما يريـ * ـد فلن يعود كما تريد

وقال محمود الوراق

فامسك الشباب واستضنه * اذا استمتك لميتك الخضابا

*(الفصل الثالث فى العافية والصحة) *عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاء انتهت الأمانى يا صاحب العافية وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له ألم أصح بدنك وأروك بالماء البارد وقال على رضى الله عنه فى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم هو الامن والصحة والعافية وعن ابن عباس رضى الله عنهما يسأل الله العباد عن الأبدان والأسماع والابصار فيم استعملوها وهو أعلم بذلك وقال ابن عيينة من تمام النعمة طول الحياة فى الصحة والأمن والسرور وقالت عائشة رضى الله عنها لو رأيت ليلة القدر ما سألت الله الا العفو والعافية وقال قبيصة بن ذؤيب كنا نسمع نداء عبد الملك بن مروان من وراء الحجرة فى مرضه يا أهل النعم لا تستقلوا شيأ من النعم مع العافية ويقال البصر لا جوار له والملك لا صديق له والعافية لا ثمن لها قال ابن الرومى

اذا ما كساك الدهر سربال صحة * ولم تخل من قوت يحل ويقرب
فلا تغبطن أهل الكثير فانما * على قدر ما يعطيهم الدهر يسلب

ويقال صحة الجسم أوفر القسم وذكر بعضهم العافية فقال وأى وطاء وأى غطاء وقال حكيم ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ مثل الحياة فالغنى وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ مثل الموت فالفقر وقال على رضى الله عنه ما المبتلى الذى اشتد به البلاء بأحوج الى الدعاء من المعافى الذى لا يأمن البلاء وقيل ان فأرة البيوت رأت فأرة الصحراء فى شدة وضنكة فقالت لها ما تصنعين ههنا اذهبى معى الى البيوت التى فيها أنواع النعيم والخصب فذهبت معها واذا صاحب البيت الذى كانت تسكنه قد هيأ لها الرصد لبنة تحتها شحمة فاقتحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فخطمتها فهربت الفأرة البرية وهزت رأسها متعجبة وقالت أرى نعمة كثيرة وبلاء شديدا ألوان العافية والفقر أحب الى من غنى يكون فيه الموت ثم فرت الى البرية وكان عند رومى خنزير فربطه الى أسطوانة ووضع العلف بين يديه ليسمنه وكان بجنبه اتان لها جحش وكان ذلك الجحش يلتقط من العلف ما يتناثر فقال لامه يا أماه ما أطيب هذا العلف لو دام فقالت له يا بنى لا تقربه فان وراءه الطامة الكبرى فلما أراد الرومى أن يذبح الخنزير ووضع السكين على حلقه جعل يضطرب وينفخ فهرب الجحش وأتى الى أمه وأخبرها بأسنانه وقال ويحك يا أماه انظرى هل بقى فى خلال أسنانى شئ من ذلك العلف فاقلعيه فما أحسن القنع مع السلامة والله أعلم بالصواب *(الفصل الرابع فى أخبار المعمرين فى الجاهلية والاسلام) *قال الحسن رضى

الله عنه أفضل الناس نوابا يوم القيامة المؤمن المعمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخياركم قالوا بلى يارسول الله قال أطولكم أعمارا في الاسلام اذا استدوا وزعموا أن تبعا الفزاري كان من المعمرين وانه دخل على بعض خلفاء بني أمية فسأله عن عمره فقال عشت أربعمائة وعشرين سنة في فترة عيسى بن مريم عليه السلام في الجاهلية وستين في الاسلام قال له أخبرني عما رأيت في سالف عمرك قال رأيت الدنيا ليلة ويوما في اثر يوم ورأيت الناس بين جامع مال مفترق ومفترق مال مجموع وبين قوي يظلم وضعيف يظلم وصغير يكبر وكبير يهرم وحي يموت وجنين يولد وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود وقد قال ابن الجوزي ان آدم عليه السلام عاش ألف سنة وعاش ابنه شيث تسعمائة سنة وعاش ابنه مهلايل ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه ادريس ثلثمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش ابنه هود تسعمائة واثنتين وستين سنة وعاش ابنه متوشلخ تسعمائة وستين سنة وأما ابنه نوح عليه السلام فروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال عاش نوح عليه السلام ألفا وأربعمائة وخمسين عاما وأما خضر عليه السلام واسمه خضرون فهو أطول بني آدم عمرا وذكر أن لقمان عليه السلام عاش ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة وكانت العرب لا تعد من الاعمار الا ما بلغ مائة وعشرين سنة فما فوقها وعاش اكثم بن صيفي ثلثمائة وستين سنة وأدرك الاسلام وعاش سطيح سبعمائة سنة وعاش قس بن ساعدة الايادي سبعمائة سنة وكان من حكماء العرب وعاش لبيد بن ربيعة الشاعر مائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام وعاش دريد بن الصمة مائة وسبعين سنة حتى سقط حاجباه على عينيه وأدرك الاسلام ولم يسلم ومن المعمرين عدي بن حاتم الطائي وزهير بن جناده عاشا مائتين وعشرين سنة ومن المعمرين ذو الاصابع العذري عاش مائتين وعشرين سنة وهو أحد حكماء العرب في الجاهلية ومن المعمرين عمرو بن معديكرب الزبيدي ومن المعمرين عبد المسيح ابن نفيلة عاش ثلثمائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام * وقد رأيت رجلا من أهل محلة مسير بالغربية وذكر أنه بلغ من العمر مائة وأربعين سنة وأن امرأته بلغت من العمر كذلك ولقد رأيت منه ما لم أر من بعض شبان هذا العصر في القوة وشدة البأس ورأيت له ولدا شيخا هو أشد قوة من والده وذلك في صفر سنة تسع وعشرين وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب التاسع والاربعون في الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن منها)

فأشرف الاسماء وأعظمها بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى هل تعلم له سميا وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض مكتوبا عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله ولاسمه عن أن يداس كان عند الله من الصديقين وخفف عنه وعن والديه العذاب وان كانا مشركين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يرث ابليس لعنه الله قط الا ثلاث رنات رنة حين لعن وأخرج من ملكوت السموات والارض ورنة حين ولد محمد صلى الله عليه وسلم ورنة حين أنزلت سورة الحمد وفي أولها بسم الله الرحمن

الرحيم

الرحيم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم وان أمتي يأتون يوم القيامة يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فتثقل حسناتهم في الميزان فتقول الامم ما أثقل موازين أمة محمد فتقول الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابتداء كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى لو وضعت في كفة الميزان ووضعت سيآت الخلق في كفة لرجحت كفة الاسماء (وأما) الاسماء والكنى ففي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أسمائكم الى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة * وينبغي أن تنادي من لا تعرف اسمه بعبارة لطيفة لا يتأذى بها ولا يكون فيها كذب كقولك يا فقيه يا أخي يا فقير يا سيدي يا صاحب الثوب الفلاني أو البغل الفلاني أو الفرس الفلاني أو السيف الفلاني وما أشبه ذلك ودخل عباد على المتوكل وبين يديه جام من ذهب فيه ألف مثقال فقال له أسألك عن شيء ان أجبتني عنه اتممت من غير أن تفكر فلك الجام بما فيه فقال سل يا أمير المؤمنين قال أسألك عن شيء له اسم ولا كنية له وعن شيء له كنية ولا اسم له قال المنارة وأبو رياح فعجب المتوكل وأعطاه الجام بما فيه وقيل لعثمان ذا النورين رضي الله عنه لانه هو ورقية كانا أحسن زوجين في الاسلام وقيل لانه تزوج برقية ثم بأم كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوجد من تزويج بابنتي نبي غيره وكان قتادة بن النعمان الانصاري رضي الله عنه أصيب في عينه يوم أحد فسقطت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن وأصح من الأخرى فكانت تعتل أي ترمد عينه الباقية ولا تعتل عينه المردودة فقيل له ذو العينين وقال أبو هريرة رضي الله عنه كنيت بهرة صغيرة كنت أحملها في حجري فألعب بها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أبا هريرة واختلف في اسمه فقيل عبد الرحمن وقيل عبد شمس وقيل عمير وقيل سليمان وقال الشعبي رضي الله عنه كنية الدجال أبو يوسف * ذو الشهرة أبو دجانة الانصاري رضي الله عنه كان له شهرة يلبسها بين الصفين * ذو الرياستين الفضل بن سهل لانه دبر أمر السيف والقلم وولي رياسة الجيوش والدواوين ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه الهدايا فقال

اليوم يوم المهرجان * هديتي فيه اللسان
لك دولتان حديثة * وقديمة ورياستان
لك في الورى من هاشم * نبت وبيت خسروان
علم الخليفة كيف أنت فصرت في هذا المكان

فأمر له بجميع الهدايا * المطيبون بنو عبد مناف وبنو أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب ونعيم بن مرة والحرث بن فهر غمسوا أيديهم في خلوق ثم تحالفوا * شيبة الحمد عبد المطلب لقب بشيبة كانت في رأسه حين ولد قال حذافة

بنو شيبة الحمد الذي كان وجهه * يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب مر به في سوق مكة مردوفا له فجعلوا يقولون من هذا الذي وراءه فيقول عبدي * سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه اسمه عبد الله ولقبه العتيق والصديق لجماله وتصديقه بخبر الاسراء أو لانه أول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سيدنا عمر رضي الله عنه لقب بالفاروق لانه قال يوم أسلم لا يعبد الله اليوم سرا فظهر به الاسلام وفرق بين الحق والباطل * الكامل سعد بن عبادة رضي الله عنه لانه كان يكتب ويحسن الرمي والعوم * طلحة بن عبد الله رضي الله عنه كان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات لسخائه * رشح الحجر وأبو الريان عبد الملك بن مروان لقب بذلك لبخله وبخره * عكة العسل سعيد بن العاص رضي الله عنه الحبر عبد الله بن عباس رضي الله عنه لقب بذلك لعلمه كان يقال له مرة الحبر ومرة البحر * الاشدق عمرو بن سعيد لانه كان مائل الشدق * الفياض عكرمة بن ربعي لقب بذلك لسخائه المصطلق خزيمة بن سعد الخزاعي قيل له المصطلق لحسن صوته وشدته وكان أول من غنى من خزاعة * راح يكذب لقب به المهلب لانه كان يضع الحديث أيام الخوارج فيحدث به فاذا رأوه قالوا راح يكذب * واصل الغزال كان يكثر الجلوس في سوق الغزالين وكان يتبع العجائز فيتصدق عليهم ولم يكن غزالا * سليمان التيمي كان داره ومسجده في بني تميم ولم يكن منهم وهو شيباني أبو عمرو الشيباني لم يكن من بني شيبان وانما كان يعلم يزيد بن مزيد الشيباني * اليزيدي كان يعلم يزيد بن منصور الحميري فنسب اليه * ذو القروح امرؤ القيس كان ملك الروم كساه الحلة المسمومة فقرحته وقالوا لم تكن الكنى لاحد من الامم الا للعرب وهي مفاخرهم وقال بعضهم

أكنيه حين أناديه لاكرمه * ولا ألقبه والسودد اللقب

وقيل في قوله تعالى فقولا له قولا لينا أي كنياه ولما ضرب موسى عليه السلام البحر ولم ينفلق أوحى الله تعالى اليه أن كنه فقال انفلق أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وأما الالقاب) فقد قال الله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان سماه الله تعالى فسوقا واتفق العلماء رضي الله عنهم على جواز ذلك على وجه التعريف لمن لا يعرف الا بذلك كالأعمش والأعمى والأعرج والأحول والأفطس والاقرع ونحو ذلك وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم يزل في الامم كلها يجري في المخاطبات والمكاتبات من غير نكير غير أنها كانت تطلق على حسب الموسومين وأما ما استحسن من تلقيب السفلة بالالقاب العلية حتى زال الفضل وذهب التفاوت وانقلب النقص والشرف شرعا واحدا فمنكر وهب أن العذر مبسوط في ذلك فما العذر في تلقيب من ليس من الدين في دبير ولا قبيل ولا له فيه ناقة ولا فصيل بل هو محتو على ما يضاد الدين وينافي كمال الدين وشرف الاسلام وهي لعمر الله الغصة التي لا تساغ والغبن الذي يعجز الصبر دونه فلا يستطاع نسأل الله تعالى اعزاز دينه واعلاء كلمته وان يصلح فسادنا ويوقظ غافلنا * الرجل يكنى باسم والده والمرأة كذلك واذا كنوا من لم يكن له ولد فعلى جهة التفاؤل وبناء الامر على رجاء أن يعيش فيولد له وقد يكنون بما يلائم المكنى من غير الاولاد كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي رضي عنه أبو تراب وذلك انه نام في غزوة ذي العشيرة فذهب به النوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متمرغ في التراب فقال له اجلس أبا تراب وكان أحب أسمائه اليه وكقولهم أبي لهب لحمرة خديه ولونه قال الزمخشري رحمه الله تعالى وسمعتهم يكنون الكبير الرأس والعمامة بأبي الرأس

وأبي العمامة وسمعت العرب ينادون الطويل اللحية يا أبا الطويلة وسمعت عرب البصرة يكنون باسمائهم كأبي زهو وأبي سلطانة وأبي ليلى ونحو ذلك ولا حرج في ذلك وقد كنى جماعة من أفاضل الصحابة بأبي ثلاثة منهم سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه كان له ثلاث كنى أبو عمرو وأبو عبد الله وأبو ليلى ومنهم أبو امامة وأبو رقية تميم الداري وأبو كريمة المقداد بن معد يكرب وكثير من الصحابة ومن التابعين رضوان الله عليهم أجمعين أبو عائشة مسروق بن الاجدع وكان لانس أخ صغير وله نغير يلعب به فمات فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه حزينا فقال ما شأنه فقالوا مات نغيره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير ونظر المأمون الى غلام حسن في الموكب فسأله عن اسمه فقال لا أدري فقال

تسميت لا أدري فانك لا تدري * بما فعل الحب المبرح في صدري

وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سميتم الولد محمدا فأكرموه ووسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجها وعنه ما من قوم كان بينهم مشورة فحضرهم من كان اسمه محمد أو أحمد فأدخلوه في مشورتهم الا كان خيرا لهم وما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمد أو أحمد الا تدس الله ذلك المنزل في كل يوم مرتين كل ذلك ببركة هذا الاسم الشريف (ومما) جاء في مدح الاسماء منظوما قال بعضهم في مليح اسمه ابراهيم

رأيت حبيبي في المنام معانقي * وذلك للمهجور مرتبة علما
وقد رقى من بعد هجر وقسوة * وما ضر ابراهيم لو صدق الرؤيا

وفيه أيضا

لا زال بابك كعبة محجوجة * وترابها فوق الجباه وسيم
حتى ينادى في البقاع باسرها * هذا المقام وأنت ابراهيم

وفيه أيضا

يا سمي الخليل ان فؤادي * فيه من لوعة الغرام جحيم
وقضيب يا قاتلي ان قلبي * فيه نار وانت فيه مقيم

ولبعضهم في مليح اسمه عمر

يا أعدل الناس اسماكم تجور علي * فؤاد مضناك بالهجران والبين
أظنهم سرقوك القاف من قمر * وأبدلوها بعين خفية العين

وفيه أيضا

ما عليهم في الهوى لو نظروا * حين سموك فقالوا عمر
أبدلوا قافك عينا غلطا * أخطؤا ما أنت الا قمر

ولبعضهم في مليح حامل شمعة موقودة اسمه عثمان

وافى الي بشمعة وضاؤها * وضاؤه حكما لنا القمرين
ناديته ما الاسم يا كل المنى * فأجابني عثمان ذو النورين

ولبعضهم في مليح اسمه يوسف

يا من سبى الشعراء غل عذاره * النحم يشهد لي بأني مدنف
صيرت قلبي من صدودك فاطرا * فامنن علي بزورة يا يوسف

للصفي الحلي فيمن اسمه داود

وثقت بان قلبي من حديد * وفيه على الهوى بأس شديد
فلان على هواك ولا عجيب * اذا داود لان له الحديد

وله فيمن اسمه موسى

أتى موسى بآية خال خدّ * حوته صوارم الحدق المراض
فآية ذا بياض في سواد * وآية ذا سواد في بياض
فجاءت بضدّ ما قد جاء موسى * كليم الله في الحقب الماضي

وللقيراطي في مليح اسمه بدر

سموه بدرا وذاك لما * ان فاق في حسنه وتما
وأجمع الناس اذ رأوه * بأنه اسم على مسمى

ولمؤلفه رحمه الله في قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني

وعظ الانام امامنا الحبر الذي * سكب العلوم كبحر فضل طافح
فشفى القلوب بعلمه وبوعظه * والعلم يشفي ان يكن من صالح

وتوجهت مرة الى بلتماج لاجتمع بالحاج خليل بن منصور في ضرورة فلم أجده ولم يقم أحد من اخوته بقضاء ما توجهت بسببه فقلت

خصال خليل كلهن حميدة * وأوصافه تزرى بكل جميل
فلا خير في بلتماج ان لم يكن بها * ولا خير في الدنيا بغير خليل

وقال آخر في مقبل

يا من تحجب عن محب صادق * ما زال عنه كل يوم يسأل
من لي بيوم فيه تسمح باللقا * ويقال لي هذا حبيبك مقبل

ولبعضهم في مليح اسمه محسن

واهيف يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو العجيب محسن * وكم دموع في الهوى اسالها

صفي الدين الحلي في اسم حسن

حبيبي وافر والشوق مني * طويل والهوى عندي مديد
وأعجب اني أهوى حسنا * وشوقي في محبته يزيد

(ومما قيل في أسماء النساء) في فاطمة

عجبت من فاتنة لم تزل * لمرتجي الوصل لها فاطمه
تنكر ما ألقاه من وجدها * وهي بشوقي والهوى عالمه

ابن مكانس في اسم عائشة

يا دهر خبرني بحقك واشفني * فسهام فكري في أمورك طائشه
ايحل اني في المحبة ميت * وحبيبتي من بعد موتي عائشه

شمس الدين البديري في اسم حليمة

ولما رأتني في هواها متيما * أكابد من حر الغرام أليمه

فجادت بطيب الوصل منها ولم تجر * ومن أين تدرى الجود وهى حليمه

ولبعضهم فى اسم بركة دويبت

لما نصب الهوى لقلبى شركه * ناديت وقلبى تاركٌ من تركه
يا قلب أفق ولا تمل للشركه * تغفل ثمانين ساعة من بركه

مردوف أيضا

لما نصب الهوى لقلبى شركه * فى كل طريق
ناديت وقلبى تاركٌ من تركه * لو كان يفيق
يا قلب أفق ولا تمل للشركه * ما الشركُ يليق
تغفل ثمانين ساعة من بركه * عن كل صديق

ولو تتبعت هذا المعنى لاحتجت الى مجلدات ولكن فيما ذكرته كفاية والله الموفق وأسأله العناية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخمسون فيما جاء فى الاسفار والاغتراب وما قيل فى الوداع والفراق والحث على تركُ الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين اليه

(أما ما جاء فى الاسفار والحث على ترك الاقامة بدار الهوان فقد) قال الله تعالى هو الذى جعل لكم الارض ذلولا الآية وفى الاثر سافروا تغنموا وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لاصبح الناس على ظهر سفر وهو ميزان الاخلاق ان الله بالمسافر رحيم ويقال الحركة ولود والسكون عاقر وقال حكيم السفر يسفر عن اخلاق الرجال وكان بعضهم يريد السفر فيمنعه والده اشفاقا عليه فقال يوما

ألا ليتنى أمضى لشانى ولا أكن * على الاهل كالانذال الشديد
تهيبنى ريب المنون ولم أكن * لاهرب عما ليس منه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسى * وقيل اذا أخطأت أنت رشيد
فدعنى أجول الارض عمرى لعله * يسر صديق أو يغاظ حسود

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ولا تطوى بالنهار وقال كعب بن مالك رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يسافر الرجل فى غير رفقة وقال صلى الله عليه وسلم الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب وقال صلى الله عليه وسلم اذا خرج ثلاثة فى ركب فليؤمروا أحدهم وقيل أغار حذيفة بن بدر على هجان النعمان بن المنذر بن ماء السماء وسار فى ليلة مسافة ثمانى ليال فضرب به المثل وقال قيس بن الخطيم

همما بالاقامة ثم سرنا * مسير حذيفة الخير بن بدر

وسار ذكوان مولى عمر رضى الله عنه من مكة الى المدينة فى يوم وليلة وقال المأمون لاشئ ألذ من السفر فى كفاية وعافية لانك تحل كل يوم فى محل لم تحل فيها وتعاشر قوما لم تعرفهم (وما قيل فى ترك الاقامة بدار الهوان) قال الفرزدق

وفى الارض عن دار القلى متحول * وكل بلاد أوطنتك بلاد

وقال آخر

وماهي الا بلدة مثل بلدتي * خيارهما ما كان عونا على دهري

وقال آخر

واذا البلاد تغيرت عن حالها * فدع المقام وبادر التحويلا

ليس المقام عليك فرضا واجبا * في بلدة تدع العزيز ذليلا

وقال الصفي الحلي

تنقل فلذات الهوى في التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل

ففي الارض أحباب وفيها منازل * فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل

ولا تستمع قول امرئ القيس انه * مضل ومن ذا يهتدي بمضلل

وقال عبد الله الجعدي

فان تجف عني أو تزرني اهانة * أجد عنك في الارض العريضة مذهبا

(ومما قيل في الوداع والفراق والشوق والبكاء) قال جرير

لو كنت أعلم ان آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

وقيل لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ما كان جدك صانعا في قوله فعلت مالم أفعل قال كان يقلع عينيه حتى لا يرى مظعن أحبابه ثم أنشد يقول

وما وجد مغلول بصنعاء موثق * بساقيه من ماء الحديد كبول

قليل الموالي مسلم بجزيرة * له بعد نومات العيون اليل

يقول له الحداد أنت معذب * غداة غد أو مسلم فقتيل

بأكبر مني لوعة يوم راعني * فراق حبيب ما اليه سبيل

وقال الشاعر

وما أم خشف طول يوم وليلة * ببلقعة بيداء ظمآن صاديا

تهيم ولا تدري الى أين تبتغي * مولهة حزنا تجوز الفيافيا

أضر بها حر الهجير فلم تجد * لغلتها من بارد الماء شافيا

اذا بعدت عن خشفها انعطفت له * فألفته ملهوف الجوانح طاويا

بأوجع مني يوم شدوا حمولهم * ونادى منادي البين أن لا تلاقيا

وقال عبد العزيز الماجشون وهو من فقهاء المدينة قال لي المهدي يا ماجشون ما قلت حين فارقت أحبابك قال قلت يا أمير المؤمنين

لله بالك على أحبابه جزعا * قد كنت أحذر هذا قبل أن يقعا

ما كان والله شؤم الدهر يتركني * حتى يجرعني من بعدهم جرعا

ان الزمان رأى الف السرور لنا * فدب بالبين فيما بيننا وسعى

فليصنع الدهر بي ما شاء مجتهدا * فلا زيادة شيء فوق ما صنعا

فقال والله لاعينك فأعطاه عشرة آلاف دينار وقال آخر

وقفت يوم النوى منهم على بعد * ولم أودعهم وجدا واشفاقا

اني خشيت على الاطعان من نفسي * ومن دموعي احراقا واغراقا

وقال

وقال عمر بن أحمد

أتى الرحيل فحين جدّ ترحلت * مهج النفوس له عن الاجساد
من لم يبت والبين يصدع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

وحكى بعضهم قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون فى شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له أحسنت فأومأ بيده الى حجر بيننا به وقال ألمثلى يقال أحسنت فقررنا منه فقال أقسمت عليكم الا مارجعتم حتى أنشدكم فان انا أحسنت فقولوا أحسنت وان أنا أسأت فقولوا أسأت فرجعنا اليه فأنشد يقول

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهمو * وحملوها وسارت بالدمى الابل
وقلبت بخلال السجف ناظرها * يرنو الىّ ودمع العين ينهمل
* وودعت بنان زانه عنم * ناديت لاجلت رحلاك ياجمل
ياحادى العيس عرّج كى أودعهم * ياحادى العيس فى ترحالك الاجل
انى على العهد لم أنقض مودتهم * ياليت شعرى لطول البعد ما فعلوا

فقلنا له ما توافقال والله وأنا أموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت رحمه الله تعالى وقال آخر

لما علمت بأن القوم قد رحلوا * وراهب الدير بالناقوس مشتغل
شبكت عشرى على رأسى وقلت له * ياراهب الدير هل مرّت بك الابل
فمن لى وبكى بل رق لى ورثى * وقال لى يافتى ضاقت بك الحيل
ان الخيام التى قد جئت تطلبهم * بالامس كانوا هنا والآن قد رحلوا

وقال الشيخ الاكبر سيدى محيى الدين بن عربى رحمه الله تعالى

ما رحلوا يوم ساروا البذل العيسا * الا وقد حملوا فيها الطوا ويسا
من كل فاتكة الالحاظ مالكة * تخالها فوق عرش الدر بلقيسا
اذا تمشت على صرح الزجاج ترى * شمسا على فلك فى بحر اد ريسا
اسقفة من بنات الروم عاطلة * ترى عليها من الانوار ناموسا
وحشية مالها أنس قد اتخذت * فى بيت خلوتها للذكر ناوسا
ان أومأت تطلب الانجيل تحسبهم * قساقسا أو بطاريقا شمامسا
ناديت اذ رحلوا اللبين ناقتها * ياحادى العيس لا تحدو بها العسا
غيبت اجناد صبرى يوم بينهم * على الطريق كراديسا كرا ديسا
ساروا وأصبحت أنعى الربع بعدهمو * والوجد فى القلب لا ينفك مغروسا

وقال آخر

* ولما بدت للـــرحيل جمالنا * وجدّ بنا سير وفاضت مدامع *
* تبدت لنا مذعورة من خبائها * وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع *
* أشارت بأطراف البنان وودعت * وأومت بعينيها ومق أنت راجع *
* فقلت لها والله ما من مسافر * يسير ويدرى ما به الله صانع *
فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها * فسالت من الطرف الكحيل مدامع

وقالت الهي كن عليه خليفة * فيارب ما خابت لديك الودائع

وقال آخر

يا راحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقيا لك يتفق
ما أنصفتك دموعي وهي دامية * ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

وقال البغدادي

قالت وقد نالها البين أوجعه * والبين صعب على الاحباب موقعه
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفت * قواه عن حمل ما فيه وأضلعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى * من شت شمل الهوى بالبين يجمعه
كأنني يوم ولت حسرة وأسى * غريق بحر يرى الشاطي ويمنعه

وقال ابن البديري

* قفا حاديا ليلى فاني وامق * ولا تعجلا يوما على من يفارق *
* وزما مطايا ها قبيل مسيرها * ليلتذ منها بالتزود عاشق *
ولا تزجرا بالسوق اظعان عيسها * فان حبيبي للظعائن سائق
ولما التقينا والغرام يذيبنا * ونحن كلانا في التفكر غارق
وقفنا ودمع العين يعجب بيننا * تسارقني في نظرة وأسارق
فلا تسألا ما حل بالبين بيننا * ولا تعجبا أنا مشوق وشائق

وقال أيضا

تذكرت ليلى حين شط مزارها * وعادت منازلها خليات بلقع
بكيت عليها والقنا يقرع القنا * وسمر العوالي للمنايا تشرع
وخالفت لواي عليها وعذلي * وحالفت سهدي والخليون هجع
ولم أستطع يوم النوى رد عبرة * فؤادي أسى من حرها يتقطع
فقال خليلي اذ رأى الدمع دائما * يفيض دما من مقلتي ليس يدفع
لئن كان هذا الدمع يجري صبابة * على غير ليلى فهو دمع مضيع

وقال آخر

مددت الى التوديع كفا ضعيفة * وأخرى على الرمضاء فوق فؤادي
فلا كان هذا آخر العهد منكمو * ولا كان ذا التوديع آخر زادي

وقال آخر

ولما وقفنا للوداع عشية * وطرفي وقلبي دامع وخفوق
بكيت فأضحكت الوشاة شماتة * كأني سحاب والوشاة بروق

ولمؤلفه رحمه الله تعالى

يا سادة في سويد القلب مسكنهم * وفي منامي أرى أني اعانقهم
أوحشتمونا وعز الصبر بعدكمو * يا من يعز علينا أن نفارقهم

وقال آخر

لو أن مالك عالم بذوى الهوى * وبحاله من أضلع العشاق
ما عذب العشاق الا بالهوى * واذا استغاثوا غاثهم بفراق

وقال ابن الوردى

دهرنا أضحى ضنينا * باللقا حتى ضنينا
بالمنى الوصل عودى * أجمعينا أجمعينا

وقال الشريف الرضى

عللانى بذكرهم واسقيانى * وامزجا لى دمعى بكاس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

وقال آخر عند ذلك

قالوا أثر قد اذعنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعى على بصرى
ما حق طرف هدانى نحو حسنكمو * أنى أعذبه بالدمع والسهر

وقال الموصلى

فسدت لطول بعادكم احلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منامى
والطيف قد وعد الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

ومما قيل فى البكاء قال الشاعر

رجوت طيف خياله * وكيف لى بهجوع
والذاريات جفونى * والمرسلات دموعى

وقال آخر

ارحم رحمت للوعق * وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لاتسل * عن حالها ياماجرى

وقال آخر

ان عينى مذغاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى * لاتسل ماجرى على اثرهنا

وقال آخر

ياقلب صبرا على الفراق ولو * روعت ممن تحب بالبين *
وأنت يادمع ان ظهرت بما * أخفيه من قلبى سقطت من عينى

وقال آخر

خاض العواذل فى حديث مدامعى * لما غدا كالبحر سرحة سيره
فحبسته لاصون سرهواكمو * حتى يخوضوا فى حديث غيره

وقال ابن المواز

رحت يوم الفراق أجرى دموعى * حسرة اذ قضى الفراق بينى
قيل كم ذا تجرى دموعك تعمى * أوقف الدمع قلت من بعد عينى

وقال آخر

لما لبست لبعده ثوب الضنى * وغدوت من ثوب اصطباري عاريا
أجريت وقف مدامعي من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

وقال آخر

* ولم أر مثلي غار من طول ليله * عليه كأن الليل يعشقه معي *
وما زلت أبكي فدجى الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من قيض أدمعي

وقال الموصلي

عين أفاضت دموعي * اطول صد و بين
ووجنة الخد قالت * رأيت غسلي بعيني

وقال آخر

وما فارقت ليلى من مراد * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل الف * اذا ماتت حبيبته بكاها

وفي بعض الكتب السماوية ان مما عاقبت به عبادي أن ابتليتهم بفراق الاحبة (وما جاء في الحنين الى الوطن) اما محبة الوطن فمستولية على الطباع مستدعية أشد الشوق اليها روى ان أبان قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبان كيف تركت مكة قال تركت الاذخر وقد أعذق والثمام وقد أورق فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بلال رضي الله عنه

الا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بواد وحولي اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل

وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى بلدها تواقة والى مسقط رأسها مشتاقة (ومن حب الوطن ما حكي) أن سيدنا يوسف عليه السلام أوصى بأن يحمل تابوته الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك فلما بعث موسى عليه الصلاة والسلام واهلك الله تعالى فرعون اعلمه الله حمله موسى الى مقابر آبائه فقبره بالارض المقدسة وأوصى الاسكندر رحمه الله تعالى أن تحمل رمته في تابوت من ذهب الى بلاد الروم حبا لوطنه واعتل سابور ذو الاكتاف وكان أسيرا ببلاد الروم فقالت له بنت الملك وكانت قد عشقته ما تشتهي قال شربة من ماء دجلة وشمة من تراب اصطخر فاتته بعد أيام بشربة من ماء وقبضة من تراب وقالت له هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم بالوهم فنفعه من علته وقال الجاحظ كان النفر في زمن البرامكة اذا سافر أحدهم أخذ معه من تربة أرضه في جراب يتداوى به وما أحسن ما قال بعضهم

بلاد ألفناها على كل حالة * وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
ونستعذب الارض التي لا هواءها * ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ووصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وقال عبد الله بن سليمان في نهاوند أرضها مسك وترابها الزعفران وثمارها الفاكهة وحيطانها الشهد وقال الحجاج لعامله على أصبهان وقد واليتك على بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل

وحشيشها

وحشيشها الزعفران وكان يقال البصرة خزانة العرب وقبة الاسلام لانتقال قبائل العرب اليها واتخاذ المسلمين بها وطنا ومركزا وكان أبو اسحق الزجاج يقول بغداد حاضرة الدنيا وماسواها بادية وأنا أقول مصر كنانة الله فى أرضه والسلام (ومما جاء فى ذم السفر) قيل لرجل السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر وقال بعضهم

كل العذاب قطعة من السفر * يارب فاردد ناعلى خير الحضر

وقيل لاعرابى ما الغبطة قال الكفاية مع لزوم الاوطان ومرّ اياس بن معاوية بمكان فقال أسمع صوت كلب غريب فقيل له بم عرفت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره وأراد اعرابى السفر فقال لامرأته

عدّى السنين لغيبتى وتصبرى * وذرى الشهور فانهنّ قصار

فاجابته

فاذكرصبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بناتك انهنّ صغار

فاقام وترك السفر ويقال رب ملازم لمهنته فاز بغبيته

وقال ابن الهيثم

لعمرك ماضاقت بلاد بأهلها * ولكنّ أخلاق الرجال تضيق

وفيما ذكرته كفاية * وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادى والخمسون فى ذكر الفقر وحب المال والافتخار بجمعه)

قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا * وقيل الفقر رأس كل بلاء وداعية الى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروأة مذهبة للحياء فمتى نزل الفقر بالرجل لم يجد بدا من ترك الحياء ومن فقد حياءه فقد مروأته ومن فقد مروأته مقت ومن مقت ازدرى به ومن صار كذلك كان كلامه عليه لالله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وفى الحديث لاخير فيمن لايحب المال ليصل به رحمه ويؤدى به أمانته ويستغنى به عن خلق ربه وقال على كرّم الله وجهه الفقر الموت الاكبر وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفر والفقر وعذاب القبر وقيل من حفظ دنياه حفظ الاكرمين دينه وعرضه قال الشاعر

لاتلمنى اذا وقيت الاواقى * بالاواقى لماء وجهى واقى

وقال لقمان لابنه يابنى أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم أر شيأ أمرّ من الفقر فان افتقرت فلا تحدّث به الناس كيلا ينتقصوك ولكن اسأل الله تعالى من فضله فمن ذا الذى سأل الله فلم يعطه أودعاه فلم يجبه أوتضرّع اليه فلم يكشف مابه وكان العباس رضى الله عنه يقول الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أعذب من الماء * وأرفع من السماء * وأحلى من الشهد * وأذكى من الورد * خطوه ثواب * وسيأته حسنات * وقوله مقبول * يرفع مجلسه * ولايل حديثه * والمفلس عند الناس أكذب من لمعان السراب * وأثقل من الرصاص لايسلم عليه ان قدم ولايسئل عنه ان غاب * ان حضر ازدروه * وان غاب شتموه *

وان غضب صفعوه * ومصاحفه تنقض الوضوء * وقراءته تقطع الصلاة * وقال بعضهم طلبت الراحة لنفسي فلم أجد لها أروح من ترك ما لا يعنيها وتوحشت في البرية فلم أر وحشة أقر من قرين السوء وشهدت الزحوف وغالبت الاقران فلم أر فريسا أطلب للرجل من المرأة السوء ونظرت الى كل ما يذل القوى ويكسره فلم أر شيأ أذل له ولا أكسر من الشاقة قال الشاعر

وكل مقل حين يغدو لحاجة * الى كل ما يلقى من الناس مذنب
وكانت بنو عمي يقولون مرحبا * فلما رأوني معدما مات مرحب

وقال آخر

المال يرفع سقفا لاعماد له * والفقر يهدم بيت العز والشرف

وقال آخر

جروح المال ما لها طبيب * وعيش الفقر ليس يطيب
وحسبك أن المرء في حال فقره * تحمقه الاقوام وهو لبيب
ومن يغتر بالحادثات وصرفها * يبت وهو مغلوب الفؤاد سليب
وما ضرني ان قال أخطأت جاهل * اذا قال كل الناس أنت مصيب

وقال آخر

الفقر يزري بأقوام ذوي حسب * وقد يسود غير السيد المال

وقال آخر

لعمرك ان المال قد يجعل الفتى * سنيا وان الفقر بالمرء قد يزري
وما رفع النفس الدنية كالغنى * ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

وقال آخر

اذا قل مال المرء لانت قناته * وهان على الادنى فكيف الاباعد

وقال ابن الاحنف

يعشى الفقير وكل شيء ضده * والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب * ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة * خضعت لديه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا عابرا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

وقال آخر

فقر الفتى يذهب أنواره * مثل اصفرار الشمس عند المغيب
والله ما الانسان في قومه * اذا بلي بالفقر الا غريب

وقال آخر

ان الدراهم في المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة * وهي السلاح لمن أراد قتالا

وقال آخر

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلبت يوما به انقلبوا

يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

وقال بعض الفرس من زعم انه لا يحب المال فهو عندي كذاب

وقال الكناني

أصبحت الدنيا الناعبرة * فالحمد لله على ذلكا

قد أجمع الناس على ذمها * وما أرى منهم لها تاركا

وقال الزمخشري

واذا رأيت صعوبة في مطلب * فاجعل صعوبته على الدينار

وابعثه فيما تشتهيه فانه * جبريل من قوة الاجبار

قال الثوري رحمه الله تعالى لان أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحب الي من أن أحتاج الى لئيم وفي هذا المعنى قال الشاعر

احفظ عري مالك تحظى به * ولا تفرط فيه تبقى ذليل

وان يقولوا باخل بالعطا * فالبخل خير من سؤال البخيل

واحفظ على نفسك من زلة * يرى عزيز القوم فيها ذليل

(وأما ما جاء في الاحتراز على الاموال) فقد قالوا ينبغي لصاحب المال ان يحترز ويحتفظ عليه من المطمعين والمبرطحين والمحترفين الموهمين والمتنمسين (فاما المطمعون) فهم الذين يتلقون أصحاب الاموال بالبشر والاكرام والتحية والاعظام الى أن يأنسوا بهم ويعرفوهم بالمشاهدة وربما قضوا ما قدروا عليه من حوائجهم الى أن يألفوهم ويحصل بينهم سبب الصداقة ثم ان أحدهم يذكر لصاحب المال في معرض المقال انه كسب فائدة كثيرة في معيشته ثم يمشي معه في الحديث الى أن يقول اني فكرت فيما عليك من المؤن والنفقات وهذا أمر يعود ضرره في المستقبل ان لم تساعد بالمكاسب وغرضي التقرب اليك ونصحك وخدمتك وأريد أن أوجه اليك فائدة من التجر بشرط أن لا أضع يدي لك على مال بل يكون مالك تحت يدك أو تحت يد أحد من جهتك ويخرج له في صفة الناصحين المشفقين فاذا أجابه الى ذلك كان أمره معه على قسمين ان ائتمنه وجعل المال بيده أعطاه اليسير منه على صفة انه من الربح وطاول به الاوقات ودفع اليه في المدة الطويلة الشيء اليسير من ماله ثم يحتج عليه ببعض الآفات ويدعي الخسارة فان لزمه صاحب المال قابحه وبرطل من جملة المال صاحب جاه فيدفعه ويقول هذا رابانى فان رضي صاحب المال وفق بينهما على أن يكتب عليه بقية المال وثيقة فلا يستوفي ما فيها الا في الآخرة وان هو لم يأتمنه وعول ان يكون القبض بيده والمتاع مخزونا لديه واطأ عليه البائعين والمشترين وحصل لنفسه وعمل ما يقول به فان حصل لصاحب المال أدنى ربح أوهمه ان مفاتيح الارزاق بيده وان كد المشتري أو رخص أحال الامر على الاقدار وقال ليس لي علم بالغيب ومن أشد المطمعين المتعرضون لصنعة الكيمياء وهم الطماعون المطمعون في عمل الذهب والفضة من غير معدنهما فيجب ان يحذر التقرب منهم والاستماع لهم في شيء من حديثهم فان كذبهم ظاهر وذلك أنهم يوهمون الغير أنهم يبلونهم خيرا ويطلعونهم على صنعتهم ابتداء منهم لا لحاجة وهذا يستحيل ويحتجون بان

مايلجئهم الى ذلك الاعدم الامكان وتعذر المكان فنهم من يكون شوقه الى أن يدخل الى مكان ويترك عنده عدة لها قيمة فيأخذها ويتسحب ومنهم من يشترط أن عمله لا ينتهي الى مدة فيقنع في تلك المدة بالاكل غدوة وعشية ويسيله بعد ذلك ان كان معروفا قال فسد علي العمل من جهة كيت وكيت ويقول للذي يتفق عليه هل لك في المعاودة فان حمله الطمع ووافقه كان هذا له أتم غرض ثم يحتال آخر المدة على الفراق بأي سبب كان وان كان منكورا غافل صاحب المكان وخرج هاربا ومن المطمعين قوم يجعلون في الجبال أمارات من ردم وحجر ويأتون الى أصحاب الاموال ويقولون انا نعرف علم كنز فيه من الامارات كيت وكيت ثم يوقفونهم على ورقة متصنعة ويقولون نريد أن نأخذ لنا عدة ونتفق علينا ومهما حصل من فضل الله تعالى لنا ولك فيوافقهم على ذلك ويوطن نفسه على أن المدة تكون قريبة فيعملون يوما أو يومين فيظهر لهم أكثر الامارات فيزداد طمعا ويعتقد الصحة ثم يدرجونه الى أن يتفق عليهم ماشاء الله تعالى ويكون آخر أمرهم كصاحب الكيمياء وان كانوا منكورين ورغبتهم الطمعة في قماشه أو في العدة التي معه فربما قتلوه هنالك لاجل ذلك ومضوا فهذا أمر المطمعين (وأما المبرطمون) فهم من الخونة والناس بهم أكثر غررا وذلك انهم اذا ندب صاحب المال أحدا منهم لشراء حاجة سارع فيها واحتاط في جودتها وتوفير كيلها أو وزنها أو ذرعها ووضع من أصل ثمنها شيأ وزنه من عنده مسرا حتى يبيض وجهه عند صاحب المال ويعتقد نصحه وأمانته ونجح مساعيه وكذلك ان ندبه لشئ يبيعه استظهر واستجاد النقد ولا يزال هكذا دأبه حتى يلقى مقاليد أموره اليه فيستعطفه ويفوز به ثم يغير الحال الاول في الباطن فينبغي لصاحب المال أن لا يغفل عنه (وأما المحترفون الموهمون) فهم الذين يتعرضون لذوي الاموال فيظهرون لهم الغنى والكفاية ويباسطونهم مباسطة الاصدقاء ويعتمدون جودة اللباس ويستعملون كثيرا من الطيب ثم ان أحدهم يذكر أنه يربح الارباح العظيمة فيما يعانيه ويذكر ذلك مع الغير ولا يزال كذلك حتى يثبت ويستقر في ذهن صاحب المال انه يكتسب في كل سنة الجمل الكثيرة من المال وانه لا يبالي اذا أنفق أو أكل أو شرب فتشره نفس صاحب المال لذلك فيقول له على سبيل المداعبة يا فلان تريد الدنيا كلها لنفسك لم لا تشركنا في متاجرك هذه وأرباحك فيقول له أنت جبان يعز عليك اخراج الدينار وتظن أنك ان أظهرته خطف منك ولا تدري انه مثل البازي ان أرسلته أكل وأطعمك وان أمسكته لم يصدشيا واحتجت الى أن تطعمه والامات وأنا والله لو كان عندي علم انك تنبسط لهذا كنت فعلت معك خيرا كثيرا ولكن ما كان الا هكذا وما كان لا كلام فيه والعمل في المستانف فيشكره صاحب المال ويسأله أخذ المال فيطله بتسليمه فيزداد فيه رغبة الى أن يسلمه اليه فيكون حاله كحال المطمع اذا صار المال تحت يده (وأما المتنسكون) فهم أهل الرياء المظهرون التعفف والنسك ومجانبة الحرام ومواظبة الصلاة والصيام لكي يشتهر ذكرهم عند الخاص والعام ثم يلقون ذوي الاموال بالبشر والاكرام والتلطف في المقال ويمشون الى أبواب الملوك على صفة التهافي بالاعياد وربما يأتي معه باحد من الاولاد ويظهرون النزاهة والغنى ويجعلون الدين سلما الى الدنيا وأكثر أغراضهم ان تودع

عندهم الاموال وتفوض اليهم الوصايا ويجلهم العوام وتقبل شهادتهم الحكام وتندبهم الملوك الى الوصايا والاموال وهؤلاء أشر من اللصوص والقطاع وذلك ان شهرة اللصوص والقطاع تدعو الى الاستيزاز منهم وتشبه هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم قال الشاعر

صلى وصام لامر كان أمّله * حتى سواه فما صلى ولا صاما

وقيل لافقير افقر من غني يأمن الفقر قال الشاعر

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى * وان الغنى يخشى عليه من الفقر

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال يابني عليك بطلب العلم وجمع المال فان الناس طائفتان خاصة وعامة فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال وقال بعض الحكماء اذا افتقر الرجل اتهمه من كان به موثقا وأساء به الظن من كان ظنه به حسنا ومن نزل به الفقر والفاقة لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهب بهاؤه وما من خلة هي للغنى مدح الا وهي للفقير عيب فان كان شجاعا سمي أهوج وان كان مؤثرا سمي مفسدا وان كان حليما سمي ضعيفا وان كان وقورا سمي بليدا وان كان لسنا سمي مهذارا وان كان صموتا سمي عييا قال ابن كثير

الناس اتباع من دامت له نعم * والويل للمرء ان زلت به القدم

المال زين ومن قلت دراهمه * حتى يحكم من مات الا انه صنم

لما رأيت اخلائي وخاصتي * والكل مستترعني وعمتهم

أبدوا جفاء واعراضا فقلت لهم * اذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم

وكان ابن مقلة وزيرا لبعض الخلفاء فزور عنه يهودي كتابا الى بلاد الكفار ودهنه أمورا من اسرار الدولة ثم تحيل اليهودي الى أن أوصل الكتاب الى الخليفة فوقف عليه وكان عند ابن مقلة حظية هويت هذا اليهودي فأعطته درجا بخطه فلم يزل يجتهد حتى حاكى خطه ذلك الخط الذي كان في الدرج فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر بقطع يدابن مقلة وكان ذلك يوم عرفة وقد لبس خلعة العيد ومضى الى داره وفي موكبه كل من في الدولة فلما قطعت يده وأصبح يوم العيد لم يأت أحد اليه ولا توجع له ثم اتضحت القضية في أثناء النهار للخليفة انها من جهة اليهودي والجارية فقتلهما شر قتلة ثم أرسل الى ابن مقلة أموالا كثيرة وخلعا سنية وندم على فعله واعتذر اليه فكتب ابن مقلة على باب داره يقول

تقالب الناس والزمان * فحيث كان الزمان كانوا

عادا لي الدهر نصف يوم * فانكشف الناس لي وبانوا

يا أيها المعرضون عني * عودوا فقد عاد لي الزمان

ثم أقام بقية عمره يكتب بيده اليسرى قال بعضهم

انما قوة الظهور النقود * وبها يكمل الفتى ويسود

كم كريم ازرى به الدهر يوما * وليم تسعى اليه الوفود

والاطباء يعلمون أمراضا من علاجها اللعب بالدينار وشرب الادوية والمسايق التي يغلى فيها الذهب قال الشاعر

احرص على الدرهم والعين * تسلم من العيلة والدين
فقوة العين بانسانها * وقوة الانسان بالعين

واعلم ان القلب عود البدن فاذا قوى القلب قوى سائر البدن وليس له قوة أشد من المال وبالضد اذا ضعف من الفقر ضعف له البدن (حكى) ان ملكا رأى شيخا قد وثب وثبة عظيمة على نهر قسطاه والشاب يعجز عن ذلك فعجب منه فاستحضره وفادته فى ذلك فأراه ألف دينار مربوطة على وسطه وقال لقمان لابنه يابنى شيآن اذا أنت حفظتهما الا تبالى بما صنعت بعدهما دينك ليعادل ودرهمك لمعاشك والكلام فى هذا المعنى كثير وقد اقتصرت منه على النزر اليسير وقد كان فى الناس من يتظاهر بالغنى ويراه مروأة وفخرا فمن ذلك ما حكى عن أحمد بن طولون انه دخل يوما بعض بساتينه فرأى النرجس وقد تفتح زهره فاستحسنه فدعا بغدائه فتغدى ثم دعا بشرابه فشرب قلما انتشى قال على بألف مثقال من المسك فنثره على أوراق النرجس * واتذكر الآن نبذة من الذخائر والتحف (حكى) الرشيد بن الزبير فى كتابه الملقب بالجواهر والطرف ان أبا الوليد ذكر فى كتابه المعروف باخبار مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة عام الفتح فى سنة ثمان من الهجرة وجد فى الجب الذى كان فى الكعبة سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان يهدى للبيت قيمتها ألف ألف وتسعمائة ألف وتسعون ألف دينار وباع زهرة التميمى يوم القادسية منطقة كان قتل صاحبها بثمانين ألف دينار ولبس سلبه وقيمته خمسمائة ألف وخمسون ألفا وأصاب رجل يوم القادسية راية كسرى فعوض عنها ثلاثين ألف دينار وكانت قيمتها ألف ألف دينار ومائتى ألف ووجد المستورد بن ربيعة يوم القادسية ابريق ذهب مرصعا بالجوهر فلم يدر أحد ما قيمته فقال رجل من الفرس انا آخذه بعشرة آلاف دينار ولم يعرف قيمته فذهب به الى سعد بن أبى وقاص فأعطاه اياه وقال لاتبعه الا بعشرة آلاف دينار فباعه سعد بمائة ألف دينار ولما أتت الترك الى عبد الله ابن زياد ببخارا فى سنة أربع وخمسين كان مع ملكهم امرأته خاتون فلما هزمهم الله تعالى اجلوها عن لبس خفها فلبست احدى فردتيه ونسيت الاخرى فأصابها المسلمون فقومت بمائتى ألف دينار ولما فتح قتيبة بن مسلم بخارا فى سنة تسع وثمانين وجد فيها قدور ذهب ينزل اليها بسلالم ودفع مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل الى زياد مولاه فصاح يا فوت أحر وقال له ايتنى به وكان قد قوم ذلك القصر بألف ألف درهم فاخذه زياد ورضه بين حجرين وقال والله لا ينتفع به أحد بعد مصعب وذكر مصعب بن الزبير أن بعض عمال خراسان فى ولايته ظهر على كنز فوجد فيه حلة كانت لبعض الاكاسرة مصوغة من الذهب مرصعة بالدر والجوهر والياقوت الاحمر والاصفر والزبرجد فحملها الى مصعب بن الزبير فخرج من قومها فبلغت قيمتها ألفى ألف دينار فقال الى من أدفعها فقيل الى نسائك وأهلك فقال لا بل الى رجل قدم عندنا يدا وأولانا جميلا ادع لى عبد الله بن أبى دريد فدفعها اليه ولما صار وجود عماد الدولة فى قبضة أمير الجيوش وجد فى جملته دملج ذهب فيه جوهرة حمراء كالبيضة وزنها سبعة عشر مثقالا فأنفذها أمير الجيوش الى المستنصر فقومت بتسعين ألف دينار ووجد فى بستان العباس بن الحسن الوزير مما أعده له من آلة الشرب يوم قتل سبعمائة صينية من

ذهب وفضة ووجد له مائة ألف مثقال عنبر * وترك هشام بن عبد الملك بعد موته اثنى عشر ألف قميص وشى وعشرة آلاف تكة حرير وحملت كسوته لما حج على سبعمائة جمل وترك بعد وفاته أحد عشر ألف ألف دينار ولم تأت دولة بنى العباس الا وجميع أولاده فقراء لا مال لواحد منهم وبين الدولة العباسية ووفاة هشام سبع سنين ولما قتل الافضل بن أمير الجيوش فى شهر رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة خلف بعده مائة ألف ألف دينار ومن الدراهم مائة وخمسين أردبا وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج ودواة من الذهب قوّم ما عليها من الجواهر واليواقيت بمائتى ألف دينار وعشرة بيوت فى كل بيت منها مسمار ذهب قيمته مائة دينار على كل مسمار عمامة لونا وخلف كعبة عنبر يجعل عليه ثيابه اذا نزعها وخلف عشرة صناديق مملوأة من الجوهر الفائق الذى لا يوجد مثله وخلف خمسمائة صندوق كبار لكسوة حشمه وخلف من الزبادى الصينى والبلور المحكم وسق مائة جمل وخلف عشرة آلاف ملعقة فضة وثلاثة آلاف ملعقة ذهب وعشرة آلاف زبدية فضة كبار وصغار وأربع قدور ذهبا كل قدر وزنها مائة رطل وسبعمائة جام ذهبا بفصوص زمرذ وألف خريطة مملوأة دراهم خارجا عن الارادب فى كل خريطة عشرة آلاف درهم وخلف من الخدم والرقيق والخيل والبغال والجمال وحلى النساء ما لا يحصى عدده الا الله تعالى وخلف ألف حسكة ذهبا وألفى حسكة فضة وثلاثة آلاف نرجسة ذهب وخمسة آلاف نرجسة فضة وألف صورة ذهبا وألف صورة فضة منقوشة عمل المغرب وثلثمائة تور ذهبا وأربعة آلاف تور فضة وخلف من البسط الرومية والاندلسية ما ملأ به خزائن الايوان وداخل قصر الزمرذ وخلف من البقر والجاموس والاغنام ما يباع لبنه فى كل سنة بثلاثين ألف دينار وخلف من الحواصل المملوأة من الحبوب ما لا يحصى ولما احتوى الناصر على ذخائر قصر العاضد وجد فيه طبلا كان بالقرب من موضع العاضد محتفظا به فلما رأوه سخروا منه فضرب عليه انسان فضرط فضحكوا منه ثم أمسكه آخر وضربه فضرط فضحكوا عليه فكسروه استهزاء وسخرية ولم يدروا خاصيته وكانت الفائدة فيه انه وضع للقولنج فلما أخبروا بخاصيته ندموا على كسره وقد جمعت الملوك من الاموال والذخائر والتحف كنوزا لا تحصى وبعد ذلك ماتوا ونفدت ذخائرهم وفنيت أموالهم فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه

قال بعضهم

هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

فضمنت انا هذا البيت وقلت

أيا من عاش فى الدنيا طويلا * وأفنى العمر فى قيل وقال

وأتعب نفسه فيما سيفنى * وجمع من حرام أو حلال

هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثانى والخمسون فى ذكر الفقر ومدحه)

قد دل قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى على ذم الغنى ان كان سبب

الطغيان وسئل أبو حنيفة رحمه الله عن الغنى والفقر فقال وهل طغى من طغى من خلق الله عز وجل الا بالغنى وتلا هذه الآية المتقدمة والمحققون يرون الغنى والفقر من قبيل النفس لا فى المال وكان الصحابة رضى الله عنهم يرون الفقر فضيلة وحدث الحسن رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الاغنياء بأربعين عاما فقال جليس للحسن أمن الاغنياء أنا أم من الفقراء فقال هل تغديت اليوم قال نعم قال فهل عندك ما تتعشى به قال نعم قال فاذا أنت من الاغنياء وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم يبيت طاويا ليالى ماله ولا لاهله عشاء وكان عامة طعامه الشعير وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم يأكل خبز الشعير غير منخول هذا وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الارض فأبى أن يقبلها صلوات الله وسلامه عليه وكان يقول اللهم توفنى فقيرا ولا تتوفنى غنيا واحشرنى فى زمرة المساكين وقال جابر رضى الله تعالى عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم على ابنته فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فبكى وقال تجرعى يا فاطمة مرارة الدنيا لنعيم الآخرة * قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم الفقر موهبة من مواهب الآخرة وهبها الله تعالى لمن اختاره ولا يختاره الا أولياء الله تعالى وفى الخبر اذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل للملائكة أدنوا الى أحبائى فيقولون الملائكة ومن أحباؤك يا اله العالمين فيقول فقراء المؤمنين أحبائى فيدنونهم منه فيقول يا عبادى الصالحين انى ما زويت الدنيا عنكم لهوانكم على ولكن لكرامتكم تمتعوا بالنظر الى وتمنوا ما شئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد أحسنت الينا ما زويت عنا منها ولقد أحسنت بما صرفت عنا فيأمرهم فيكرمون ويحبرون ويزفون الى أعلى مراتب الجنان وقال صلى الله عليه وسلم هل تنصرون الا بفقرائكم وضعفائكم والذى نفسى بيده ليدخلن فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام والاغنياء يحاسبون على زكاتهم وقال عليه الصلاة والسلام رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله تعالى لأبره أى لو قال اللهم انى أسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيأ وقال عليه الصلاة والسلام ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به الذين اذا استأذنوا على الامير لا يؤذن لهم وان خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتلجلج فى صدره لو قسم نوره على الناس يوم القيامة لوسعهم وروى عن خالد بن عبد العزيز أنه قال كان حيوة بن شريح من البكائين وكان ضيق الحال جدا فجلست اليه ذات يوم وهو جالس وحده يدعو فقلت له يرحمك الله لو دعوت الله تعالى ليوسع عليك فى معيشتك قال فالتفت الينا وشمالا فلم ير أحدا فأخذ حصاة من الارض وقال اللهم اجعلها ذهبا فاذا هى تبرة فى كفه ما رأيت أحسن منها قال فرمى بها الى وقال هو أعلم بما يصلح عباده فقلت ما أصنع بهذه قال انفقها على عيالك فهبته والله ان أردها عليه وقال عون بن عبد الله صحبت الاغنياء فلم أجد فيهم أحدا أكثر منى هما الانى كنت أرى ثيابا أحسن من ثيابى ودابة أحسن من دابتى ثم صحبت الفقراء بعد ذلك فاسترحت قال بعضهم

وقد يهلك الانسان كثرة ماله * كما يذبح الطاوس من أجل ريشه

وقال عبد الله بن طاهر

ألم تر أن الدهر يهدم ما بنى * ويأخذ ما أعطى ويفسد ما أسدى

فمن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ ينال به فقدا

وكان من دعاء السلف رضى الله عنهم اللهم انى أعوذ بك من ذل الفقر وبطر الغنى وقيل مكتوب على باب مدينة الرقة ويل لمن جمع المال من غير حقه وويلان ان ورثه لمن لا يحمده وقدم على من لا يعذره ولما فتحت بلخ فى زمن عمر رضى الله عنه وجد على بابها صخرة مكتوب فيها اثنتان بين الفقير من الغنى بعد الانصراف من بين يدى الله تعالى أى بعد العرض قال الشاعر

ومن يطلب الاعلى من العيش لم يزل * حزينا على الدنيا رهين غبونها

اذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن * على حالة الا رضيت بدونها

وقال آخر

ولا ترهبن الفقر ما عشت فى غد * لكل غد رزق من الله وارد

وقال هرون بن جعفر الطالبى

* بوعدت همتى وقوربت مالى * ففعالى مقصر عن مقالى *

ما اكتسى الناس مثل ثوب اقتناع * وهو من بين ما اكتسوا سربالى

ولقد تعـــلم الحوادث انى * ذو اصطبار على صروف الليالى

وقال اعرابى من ولد فى الفقر أبطره الغنى ومن ولد فى الغنى لم يزده الا تواضعا فما أحسن الفقر وأكثر ثوابه وأعظم أجر من رضى به وصبر عليه اللهم اجعلنا من الصابرين برحمتك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(الباب الثالث والخمسون فى التلطف فى السؤال وذكر من سئل فجاد)

روى الامام مالك فى الموطا عن زيد بن أسلم رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطوا السائل ولو جاء على فرس وما سئل عليه السلام شيأ قط فقال لا واتى اعرابى على على رضى الله عنه فسأله شيأ فقال والله ما أصبح فى بيتى شئ فضل عن قوتى فولى الاعرابى وهو يقول والله ليسألنك الله عن موقفى بين يديك يوم القيامة فبكى على رضى الله عنه بكاء شديدا وأمر برده وقال يا قنبر ائتنى بدرعى الفلانية فدفعها الى الاعرابى وقال لا تخدع عنها فطالما كشفت بها الكروب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قنبر يا أمير المؤمنين كان يجزيه عشرون درهما فقال يا قنبر والله ما يسرنى ان لى زنة الدنيا ذهبا وفضة فتصدقت به وقبل الله منى ذلك وانه يسألنى عن موقف هذا بين يدى وقال على رضى الله عنه ان لكل شئ ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وقال مسلمة لنصيب سلنى فقال كفك بالعطية أبسط من لسانى بالمسئلة فقال سلما جبه ادفع اليه ألف دينار وسأل رجل الحسن رضى الله عنه فقال له ما وسيلتك قال وسيلتى انى أتيتك عام أول فبررتنى فقال مرحبا بمن توسل الينا بنا ثم وصله وأكرمه ويقال الكريم اذا سئل ارتاح واللئيم اذا سئل ارتاع ولما وفد المهدى من الرى الى العراق امتدحه الشعراء فقال أبو دلامة

انى نذرت لئن رأيتك قادما * أرض العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبى محمد * ولتملأن دراهما حجرى

فقال المهدى صلى الله على محمد فقال أبو دلامة ما أسرعك للاولى وأبطأك عن الثانية فضحك واحر بيدرة فصبت فى حجره وسمع الرشيد اعرابية بمكة تقول

* طحنتنا كلا كل الاعوام * وبرتنا طوارق الايام *
* فأتينا كموئد أكفنا * لالتقام من زادكم والطعام
فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا * أيها الزائرون بيت حرام

فبكى الرشيد وقال لمن معه سألتكم بالله تعالى الا ما دفعتم اليها صدقاتكم فألقوا عليها الثياب حتى وارتها كثرة وصلوا حجرها دراهم ودنانير وسأل اعرابى بمكة وأحسن فى سؤاله فقال أخ فى الله وجار فى بلد الله وطالب خير من عند الله فهل من أخ يواسينى فى الله قال الشاعر

ليس فى كل وهلة وأوان * تهب فيها صنائع الاحسان
فاذا أمكنت فبادر اليها * حذرا من تعذر الامكان

وقال البصرى

أضحت حوائجنا اليك مناخة * معقولة برحابك الوصال
أطلق فديتك بالنجاح عقالها * حتى تثور بنا بغير عقال

وعن على رضى الله عنه قال يا كميل مر أهلك ان يروحوا فى كسب المكارم * ويدلجوا فى حاجة من هو نائم * فوالذى وسع سمعه الاصوات ما من أحد أودع قلبا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نابته نائبة جرى اليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال لجابر بن عبد الله يا جابر من كثرت نعم الله تعالى عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يجب لله فيها فقد عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم بما يجب لله فيها عرض نعمه لزوالها وكان لبيد رحمه الله تعالى آلى على نفسه كلما هبت الصبا أن ينحر ويطعم ويمادى العناق اذا ضاق الخناق فخطب الوليد بن عتبة يوما فقال قد علمتم ما جعل أبو عقيل على نفسه فأعينوه على مروأته ثم بعث اليه بخمس من الابل وبهذه الابيات

أرى الجزار يشحذ مديتيه * اذا هبت رياح بنى عقيل
طويل الباع ابلج جعفرى * كريم الجد كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعبرى بمن اواه * على العلات بالمال القليل

فدعا لبيد بنته الخماسة وقال يا بنية انى تركت قول الشعر فأجيبى الامير عنى فقالت

اذا هبت رياح بنى عقيل * تداعينا لهبتها الوليدا
طويل الباع ابلج عبشمى * أعان على مروأته لبيدا
بامثال الهضاب كان رعيا * عليها من بنى حام قعودا
أباوهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعدان الكريم لمعد * وظنى فى ابن عتبة أن يعودا

فقال لقد أحسنت والله يا بنية لولا انك سألت وقلت عد فقالت يا أبت ان الملوك لا يستحيا منهم

فى المسئلة فقال والله لانت فى هذا أشعر منى ووفد رجل من بنى ضبة على عبد الملك فأنشده

والله ماندرى اذا مافاتنا * طلب اليك من الذى نتطلب
ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد * أحدا سوالك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التى عوّدتنا * أولا فأرشدنا الى من نذهب

فامر له بالف دينار فعاد اليه من قابل وقال يا أمير المؤمنين ان الروى لينازعنى وان اطياءه يمنعنى فأمر له بألف دينار وقال والله لو قلت حتى تنفد بيوت الاموال لاعطيتك وقيل ان رجلا عرض للمنصور فسأله حاجة فلم يقضها فعرض له بعد ذلك فقال له المنصور أليس قد كلمتنى مرة قبل هذه قال نعم يا أمير المؤمنين ولكن بعض الاوقات أسعد من بعض وبعض البقاع أعز من بعض فقال صدقت وقضى حاجته وأحسن اليه وروى ان أبا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدى السفاح فى بعض الايام فقال له سلنى حاجتك فقال كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة أصيد عليها فقال اعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلب ويصيد به قال اعطوه غلاما قال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه قال اعطوه جارية فقال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار يسكنونها قال اعطوه دارا تجمعهم قال فان لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون قال قد أقطعته عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غامرة فقال ما الغامرة يا أمير المؤمنين قال مالا نبات فيها قال قد اقطعتك يا أمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافى بنى أسد فضحك وقال اجعلوها كلها عامرة فانظر الى حذقه بالمسئلة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتى بمسئلة بعد مسئلة على ترتيب وفكاهة حتى سأل ما سأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليه (وحكى) عن المأمون انه قال ليحيى بن أكثم يوما سر بنا نتفرج فسارا فبينما هما فى الطريق واذا بقصبة خرج منها رجل بقصبة للمأمون يتظلم له فنفرت دابته فألقته على الارض صريعا فأمر بضرب ذلك الرجل فقال يا أمير المؤمنين ان المضطر يرتكب الصعب من الامور وهو عالم به ويتجاوز حد الادب وهو كاره لتجاوزه ولو أحسنت الايام مطالبتى لاحسنت مطالبتك ولا "نت على ردّ مالم تفعل أقدر من ردّ ما قد فعلت قال فبكى المأمون وقال بالله أعد على "ما قلت فأعاده فالتفت المأمون الى يحيى بن أكثم وقال أما تنظر الى مخاطبة هذا الرجل باصغريه والنبى صلى الله عليه وسلم يقول المرء باصغريه قلبه ولسانه والله لا وقفت لك الا وأنا قائم على قدمى فوقف وأمر له بصلة جزيلة واعتذر اليه فلما هم المأمون بالانصراف قال الرجل يا أمير المؤمنين بيتان قد حضرانى ثم أنشد يقول

ما جاد بالوفر الا وهو معتذر * ولا عفا قط الا وهو مقتدر
وكلما قصدوه زاد نائله * كالنار يؤخذ منها وهى تستعر

وقيل ان بعض الحكماء لزم باب كسرى فى حاجة دهرا فلم يوصل اليه فكتب أربعة أسطر فى ورقة ودفعها للحاجب فكان فى السطر الاول العديم لا يكون معه صبر على المطالبة وفى السطر الثانى الضرورة والامل اقدمانى عليك وفى السطر الثالث الانصراف من غير فائدة شماتة الاعداء وفى السطر الرابع أما نعم ثمرة وأما لا فريحة فلما قرأها كسرى دفع له

فى كل سفر ألف دينار (وحكى) ان رجلا كان جارا لابن عبيد الله فأصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل أكثر الناس عنه فعزم جار ابن عبيد الله على الخروج من البلاد فى طلب المعيشة وكانت له زوجة لا تقدر على السفر فلما رأت زوجها تهيأ للسفر قالت له اذا سافرت من ينفق علينا قال ان لى على ابن عبيد الله دينا ومعى به اشهاد عليه شرعى تنفذى الاشهاد وقدميه اليه فاذا قرأه أنفق عليك مما عنده حتى أحضر ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الابيات يقول

قالت وقد رأت الاحمال محدجة * والبين قد جمع المشكو والشاكى
من لى اذا غبت فى ذا الحى قلت لها * الله وابن عبيد الله مولاكى

فمضت اليه المرأة وحكت له ما قال زوجها وأخبرته بسفره وناولته الرقعة فقرأها وقال صدق زوجك ومازال ينفق عليها ويواصلها بالبر والاحسان الى أن قدم زوجها فشكره على فضله واحسانه (وحكى) ان مطيع بن اياس مدح معن بن زائدة بقصيدة حسنة ثم أنشدها بين يديه فلما فرغ من انشاده أراد معن أن يباسطه فقال يا مطيع ان شئت أعطيناك وان شئت مدحناك كما مدحتنا فاستحيا مطيع من اختيار الثواب وكره اختيار المدح وهو محتاج فلما خرج من عنده معن أرسل اليه بهذين البيتين

ثنا من أمير خير كسب * لصاحب نعمة وأخى ثراء
ولكن الزمان برى عظامى * ومالى كالدراهم من دواء

فلما قرأها معن فضك وقال ما مثل الدراهم من دواء وأمر له بصلة جزيلة ومال كثير قال الشاعر

هززتك لا انى جعلتك ناسيا * لامرى ولا انى أردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله * الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

وقال آخر

ماذا أقول اذا رجعت وقيل لى * ماذا القيت من الجواد الافضل
ان قلت أعطانى كذبت وان أقل * يخل الجواد بماله لم يجمل
فاختر لنفسك ما أقول فانى * لابد اخبرهم وان لم أسأل

وقال آخر

لنوائب الدنيا خبأتك فانتبه * يا نائما من جهلة النوام
أعلى الصراط تزيل لوعة كربتى * أم فى المعاد تجود بالانعام

ومما يستحسن الحاقه بهذا الباب ذكر شئ مما جاء فى ذم السؤال والنهى عنه روى عن عبد الرحمن بن عوف بن مالك الاشجعى رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسطنا أيدينا وكنا حديثى عهد بالمبايعة فقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام يا رسول الله نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا الله وأسر كلمة خفية وهى ولا تسألوا الناس شيأ فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله اياه رواه

مسلم وقال رجل لابنه اياك ان تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه وكان لقمان يقول لولده يا بني اياك والسؤال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخفاف الناس بك وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لا تدخل يدك في فم التنين الى المرفق خير لك من أن تبسطها الى غني قد نشأ في الفقر وقيل لاعرابي ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم وقال أبو محلم السعدي

اذا مارماك الدهر في الضيق فاتجع * قديم الغنى في الناس انك حامده
ولا تطلبن الخير ممن أفاده * حديثا ومن لا يورث المجد والده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسئلة الناس من الفواحش ما أعمل من الفواحش غيرها وقال عليه الصلاة والسلام لان يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا فيسأله اعطاه أو منعه قال الشاعر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

وقال أحمد الانباري

لموت الفتى خير من البخل للفتى * وللبخل خير من سؤال بخيل
لعمرك ما شيء لوجهك قيمة * فلا تلق انسانا بوجه ذليل

وقال سلم الخاسر

اذا أذن الله في حاجة * أتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

ويقال أحب الناس الى الله من سأله وأبغض الناس الى الناس من احتاج اليهم وسألهم وفي هذا المعنى قيل

لا تسألن بني آدم حاجة * وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله * وبني آدم حين يسئل يغضب

وقال محمود الوراق

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة أو راغب
فارغب الى ملك الملوك ولا تكن * ياذا الضراعة طالبا من طالب

وقال ابن دقيق العيد

وقائلة مات الكرام فمن لنا * اذا عضنا الدهر الشديد بنابه
فقلت لها من كان غاية قصده * سؤالا لمخلوق فليس بنابه
اذا مات من يرجى فقصودنا الذي * ترجيه باق فالوذي ببابه

وقال بعض أهل الفضل

لما افتقرت لصحبي ما وجدتهمو * لجأت لله لباني واغناني
واها على بذل وجهي للورى سفها * فلو بذلت الى مولاي والاني

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال سألت فلانا حاجة أقل من قيمته فردني ردا أقبح من

خلقته وسأل عروة مسعبا حاجة فلم يقضها فقال علم الله تعالى ان لكل قوم شيخا يفزعون اليه وأنا أفزع منك ويقال لاشئ أوجع للاخيار من الوقوف بباب الاشرار وقال الامام الشافعي رحمه الله تعالى

بلوت بني الدنيا فلم أر فيهم * سوى من غدا والبخل ملء ثيابه
فجردت من غمد القناعة صارما * قطعت رجائي منهم بذبابه
فلا ذا يراني واقفا في طريقه * ولا ذا يراني قاعدا عند بابه
غني بلا مال عن الناس كلهم * وليس الغنى الا عن الشئ لا به
اذا ظالم يستحسن الظلم مذهبا * ولج عتوا في قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الليالي فانها * ستبدي له ما لم يكن في حسابه
فكم قد رأينا ظالما متمردا * يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
فعما قليل وهو في غفلاته * أتاه صروف الحادثات ببابه
فأصبح لا مال ولا جاه يرتجى * ولا حسنات تلتقى في كتابه
وجوزي بالامر الذي كان فاعلا * وصب عليه الله سوط عذابه

وقال آخر

لا تسألن الى صديق حاجة * فيحول عنك كما الزمان يحول
واستغن بالشئ القليل فانه * ما صان عرضك لا يقال قليل
من عف خف على الصديق لقاؤه * وأخو الحوائج وجهه مملول
وأخوك من وفرت ما في كفه * ومتى علقت به فانت ثقيل

وقال آخر

ليس جودا أعطيته بسؤال * قد يهز السؤال غير جواد
انما الجود ما أتاك ابتداء * لم تذق فيه ذلة الترداد

وقال آخر

لا تحسبن الموت موت البلا * انما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا * أخف من ذاك لذل السؤال

وقال الشافعي رضي الله عنه

قنعت بالقوت من زماني * وصنت نفسي عن الهوان
خوفا من الناس أن يقولوا * فضل فلان على فلان
* من كنت عن ماله غنيا * فلا أبالي اذا جفاني *
* ومن رآني بعين نقص * رأيته بالتي رآني *
ومن رآني بعين تم * رأيته كامل المعاني *

والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والخمسون في ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك)

قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فسرها بعضهم بالهدية وقال

صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا فانها تجلب المحبة وتذهب الشحناء وقال صلى الله عليه وسلم الهدية مشتركة وقال صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فأعطوه ومن استعاذكم فأعيذوه ومن أهدى اليكم كراعا فاقبلوه وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها * وفى الاثر الهدية تجلب المودة الى القلب والسمع والبصر * ومن الامثال اذا قدمت من سفر فأهد لاهلك ولو حجرا وقال الفضل بن سهل ما استرضى الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلبت السخائم * ولا دفعت المغارم * ولا استميل المحبوب * ولا توقى المحذور * بمثل الهدية وأتى فتح الموصلى بهدية وهى خمسون دينارا فقال حدثنا عطاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من آتاه الله رزقا من غير مسئلة وردّه فكأنما ردّه على الله تعالى وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية الى عمر فردّها فقال يا عمر لم رددت هديتى فقال رضى الله عنه انى سمعتك تقول خيركم من لم يقبل شيأ من الناس فقال يا عمر انما ذاك ما كان عن ظهر مسئلة فاما اذا أتاك من غير مسئلة فانما هو رزق ساقه الله اليك * وقالت أم حكيم الخزاعية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا فانه يضاعف الحب ويذهب بغوائل الصدر ويقال فى نشر المهاداة * طى المعاداة * ذكر انواع الهدايا للخلفاء وغيرهم ممن قصرت به قدرته فأهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذر بها اهدى الى سليمان بن داود عليهما السلام ثمانية أشياء متباينة فى يوم واحد فيلة من ملك الهند * وجارية من ملك الترك * وفرس من ملك العرب * وجوهرة من ملك الصين * واستبرق من ملك الروم * ودرة من ملك البحر * وجرادة من ملك النمل * وذرة من ملك البعوض * فتأمل ذلك وقال سبحان القادر على جمع الاضداد وأهدى ملك الروم الى المأمون هدية فقال المأمون أهدوا له ما يكون ضعفها مائة مرة ليعلم عز الاسلام ونعمة الله تعالى علينا ففعلوا ذلك فلما عزموا على حملها قال ما أعز الاشياء عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم فى الهدية من ذلك قالوا مائتا رطل مسكا ومائتا فروة سمور وأهدت قطر الندى الى المعتضد بالله فى يوم نيروز فى سنة اثنتين وثمانين ومائتين هدية كان فيها عشرون صينية ذهب فى عشرة منها مشام عنبر وزنها أربعة وثمانون رطلا وعشرون صينية فضة فى عشرة منها مشام صندل زنتها نيف وثلاثون رطلا وخمس خلع وشى قيمتها خمسة آلاف دينار * وعملت شمامات ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار وأهدى يعقوب بن الليث الصفار الى المعتمد على الله هدية فى بعض السنين من جملتها عشرة بازات منها باز أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة بدرابزين يصلى فيه خمسة عشر انسانا ومائة رطل من مسك ومائة رطل عود هندى وأربعة آلاف ألف درهم * وأهدت تربانت الاوبارى ملكة افرنجة وما والاها الى المكتفى بالله فى سنة ثلاث وسبعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين غلاما صقليا وعشرين جارية صقلبية وعشرة كلاب بكارا لا تطيقها السباع وستة بازات وسبع صقور ومضرب حرير متلون بجميع الالوان كلون قوس قزح يتلون فى كل ساعة من ساعات النهار وثلاثة أطيار من الاطيار الافرنجية اذا نظرت الى الطعام أو الشراب المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت

بأجنحتها حتى يعلم بذلك وخرزا يجذب النصول بعد نبات اللحم عليها بغير وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة فى قدر البغل وآذانها شبه آذان البغل وهى مخططة تخطيطا عاما لجميع خلقتها وأهدى قسطنطين ملك الروم الى المستنصر بالله فى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة هدية عظيمة اشتملت قيمتها على ثلاثين قنطارا من الذهب الاحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية قيمة ذلك ثلثمائة ألف دينار عربية (وحكى) أن الخيزران جارية المهدى كانت أديبة شاعرة فعزم المهدى على شرب دواء فانفذت اليه جام بلور فيه شراب اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال وكتبت اليه تقول

اذا خرج الامام من الدواء * وأعقب بالسلامة والشفاء
وأصلح حاله من بعد شرب * بهذا الجام من هذا الطلاء
فينعم للتى قد أنفذته * اليه بزورة بعد العشاء

فسر بذلك ووقعت الجارية منه أعظم موقع وزار الخيزران وأقام عندها يومين وأهدى الصابى الى عضد الدولة اسطرلابا فى يوم المهرجان وكتب اليه يقول

أهدى اليك بنو الاملاك واحتفلوا * فى مهرجان جديد أنت تبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى * سمو قدرك عن شئ يدانيه
لم يرض بالارض يهديها اليك وقد * أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

وأهدى رجل الى المتوكل قارورة ذهب وكتب معها ان الهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فكلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن واذا كانت من الكبير الى الصغير فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع وأهدى مرة أبو الهذيل الى موسى بن عمران دجاجة ووصفها له بصفات جليلة ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شئ بجمال أو سمن قال هو أحسن أو أسمن من الدجاجة التى أهديتها اليكم وان ذكر حادث قال ذلك قبل أن أهدى لكم الدجاجة بشهر وما كان بين ذلك وبين اهداء الدجاجة الا أيام قلائل فصارت مثلا لمن يستعظم الهدية ويذكرها قال الشاعر

وان امرأ أهدى الى صنيعة * وذكرنيها مرة للئيم

وقال سفيان الثورى اذا أردت أن تتزوج فأهد للام وكان سفيان يروى عن ابن عباس رضى الله عنه من أهديت اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها فأهدى اليه صديق له ثيابا من ثياب مصر وعنده قوم فذكروا الخبر فقال انما ذلك فيما يؤكل ويشرب أما فى ثياب مصر فلا * وكتب الحمدونى الى جارية اسمها برهان وقد حج مواليها فقال

حجوا مواليك يا برهان واعتمروا * وقد أتتك الهدايا من مواليك
فأطرفينى بما قد أطرفوك به * ولا تكن طرفتى غير المساويك
ولست أقبل الا ما جلوت به * ثنيتيك وما رددت فى فيك

وكتب بعضهم الى صديقه وقد أهدى اليه هدية يسيرة يقول

تفضل بالقبول على انى * بعثت بما يقل العبد عندك

وأهدى بعضهم الى صديقه هدية فى يوم نيروز وكتب اليه يقول هذا يوم جرت فيه العادة

بالطاف

بالطاف العبيد للسادة * وقد رالامير يجل عما تحيط به المقدرة * وفي سوددة ما يوجب التفضل ببسط المعذرة * وقد وجهت ما حضر علما بانه لا يستكثر ما جل * ولا يستقل لعبده ما قل * فان رأى ان يتطول بقبول القليل كنطوله باهداء الجزيل فعل وجعل يقول

رأيت كثير ما يهدى اليكم * قليلا فاقتصرت على الدعاء

وبلغ الحسن بن عمارة ان الاعمش يقع فيه ويقول ظالم ولى المظالم فاهدى اليه هدية فقبلها الاعمش بعد ذلك وقال الحمد لله الذى ولى علينا من يعرف حقوقنا فقيل له كنت تذمه ثم الآن تمدحه فقال حدثنى خيثمة من عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من أساء اليها

وقال عبد الملك بن مروان ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها * الكتاب يدل على عقل كاتبه * والرسول يدل على عقل مرسله * والهدية تدل على عقل مهديها * والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الخامس والخمسون فى العمل والكسب والصناعات والحرف وما أشبه ذلك)

أما العمل فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل العمل أدومه وان قل وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه قليل مدام عليه خير من كثير ملول * وفى التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق * وكان ابراهيم بن أدهم يسقى ويرعى ويعمل بالكراء ويحفظ البساتين والمزارع ويحصد بالنهار ويصلى بالليل * وعن على رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما ينفى عنى جفة العلم قال العمل وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى * وقال الاوزاعى اذا أراد الله بقوم سوأ أعطاهم الجدل ومنعهم العمل * وأنشد يقول

وما المرء الا حيث يجعل نفسه * فنفسك فاجعل

وقال بعض الحكماء لا شئ أحسن من عقل زانه حلم ومن عمل زانه علم ومن حلم زانه صدق ودخل بعض الخواص على ابراهيم بن صالح وهو أمير فلسطين فقال له عظنى فقال له الولى بلغنى رحمك الله ان اعمال الاحياء تعرض على أقاربهم الموتى فانظر ماذا تعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك فبكى ابراهيم حتى سالت دموعه * وقيل من جد وجد وأنشدوا فى المعنى

انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر

وقل من جد فى أمر يحاوله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وتقول العرب فلان وثاب على الفرص وقال بعضهم

وانى اذا باشرت أمرا أريده * تدانت أقاصيه وهان أشده

وعن أنس رضى الله عنه يتبع الميت ثلاث يرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ولا يرجع عمله * وقال بعضهم العمل سعى الاركان الى الله والنية سعى القلوب الى الله والقلب ملك والاركان جنود ولا يحارب الملك الا بالجنود ولا الجنود الا بالملك *

وقيل الدنيا كلها ظلمات الا موضع العلم * والعلم كله هباء الا موضع العمل * والعمل كله هباء الا موضع الاخلاص هذا هو العمل * وأما الكسب فقد جاء فى تفسير قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم أى دروع من الحديد وذلك ان داود عليه السلام كان يدور فى المحاريب فاذا رأى من لا يعرفه تحدث معه فى أمر داود فاذا سمعه عاب بشئ يصطنعه من نفسه فسمع يوما من يقول انى لا أجد فى داود عيبا الا أنه يأكل من غير كسبه فعند ذلك صلى داود عليه السلام فى محرابه وتضرع بين يدى الله تعالى وسأله ان يعلمه ما يستعين به على قوته فعلمه الله تعالى صنعة الحديد وجعله فى يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على أمره وصار يحكم منها الدروع * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل رزقى تحت رمحى فكانت حرفته الجهاد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المحترف * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض العبد الصحيح الفارغ وقال عليه السلام من اكتسب قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة ولو تعلمون ما أعلم من المسئلة لما سأل رجل رجلا شيأ وهو يجد قوت يومه وليس عند الله أحب من عبد يأكل من كسب يده ان الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من بات كالا فى طلب الحلال أصبح مغفورا له وعن الحسن رحمه الله كسب الدرهم الحلال أشد من لقاء الزحف وقيل لمحمد بن مهران ان ههنا أقواما يقولون نجلس فى بيوتنا وتأتينا أرزاقنا فقال هؤلاء قوم حمقى ان كان لهم مثل يقين ابراهيم خليل الرحمن فليفعلوا وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة * وقال أيضا انى لأرى الرجل فيعجبنى فأقول ألە حرفة فان قالوا لا سقط من عينى واشترى سليمان وسقا من طعام وهو ستون صاعا فقيل له فى ذلك فقال ان النفس اذا أحرزت رزقها اطمأنت * قال بعضهم فى السعى

خاطر بنفسك كى تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح

وقيل ان أول من صنع لسان الميزان عبد الله بن عامر وكان الناس انما يزنون بالشاهين وعن أنس رضى الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سعر لنا فقال ان الله الخالق القابض المسعر الرازق وانى لأرجو ان ألقى الله تعالى وليس أحد يطلبنى بمظلمة ظلمته بها فى أهل ولا مال * وأما ما جاء فى العجز والتوانى فقد روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال من أطاع التوانى ضيع الحقوق ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه * قال الشاعر

على المرء أن يسعى ويبذل جهده * ويقضى الله الخلق ما كان قاضيا

ومثله قوله

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

وقيل احذر مجالسة العاجز فانه من سكن الى عاجز أعداه من عجزه وأمده من جزعه وعوده قلة الصبر ونساه ما فى العواقب وليس للعجز ضد الا الحزم وقال بعض العلماء من الخذلان

مساهرة الامانى ومن التوفيق بغض التوانى وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال باكروا فى طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح وقال الامام الشافعى رضى الله عنه احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة الناس وقال على رضى الله عنه التوانى مفتاح البؤس وبالعجز والكسل تولدت الفاقة وتحبت الهلكة ومن لم يطلب لم يجد وافضى الى الفساد وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير وقال بعض الحكماء الحركة بركة والتوانى هلكة * والكسل شؤم * وكلب طائف خير من أسد رابض * ومن لم يحترف * لم يعتف * وقيل من العجز والتوانى تنفتح الفاقة قال هلال بن العلاء الرقاء هذين البيتين من جملة أبيات

كأن التوانى أنكح العجز بنته * وساق اليها حين زوجها مهرا
فراشا وطيا ثم قال لها اتكى * فانكما لابد أن تلدا الفقرا

وقال آخر

توكل على الرحمن فى الامر كله * ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب
* ألم تر أن الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء ان تجنيه من غير هزه * جنته ولكن كل رزق له سبب *

وسأل معاوية رضى الله عنه سعيد بن العاصى عن المروأة فقال العفة والحرفة وكان أيوب السختيانى يقول يا فتيان احترفوا فانى لا آمن عليكم ان تحتاجوا الى القوم يعنى الامراء وقال رجل للحسن انى اشر صحفى فأقرؤه بالنهار كله فقال اقرأه بالغداة والعشى ويكون يومك فى صنعتك وما لا بد منه ومر رجل الله باسكاف فقال يا هذا اعمل وكل فان الله يحب من يعمل ويأكل ولا يحب من يأكل ولا يعمل وقال أبو تمام

أعاذلتى ما أحسن الليل مركبا * وأحسن منه فى الملمات راكبه
ذرينى وأهوال الزمان أقاسها * فاهواله العظمى تليها غياهبه
أرى عاجزا يدعى جليد القسمة * ولو كان التقوى لكلت مضاربه
وعفا يسمى عاجزا بعفافه * ولولا التقى ما أعجزته مذاهبه
وليس يعجز المرء اخطأه الغنى * ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

وقال آخر

فلا تركن الى كسل وعجز * يحيل على المقادر والقضاء

وقال اعرابى العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للامانى المستحيلة ويقال فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التوانى فى صورة التوكل ويريه الهوينا باطالته على القدر وقال لقمان لابنه يا بنى اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق قال أبو العتاهية

اذا وضع الراعى على الارض صدره * حقيق على المعزى بأن تتبددا

فالتوانى هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والاحالة على المقادير وهذا من أقبح الافعال * وأما التأنى فانه خلاف التوانى

وهو الرفق ورفض العجلة والنظر فى العواقب * وقد قيل من نظر فى عواقب الامور * سلم من آفات الدهور * ومما جاء فى ذلك قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من الدنيا والآخرة * وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة عليك بالرفق فان الرفق لا يخالط شيأ الا زانه * ولا يفارق شيأ الا شانه * وفى التوراة الرفق رأس الحكمة * وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته السلامة * ووجد على سيف مكتوب التأنى فيما لا يخاف فيه الفوت أفضل من العجلة فى ادراك الامل وقال بعض الحكماء اذا شككت فاجزم * واذا استوضحت فاعزم * وقالوا يد الرفق تجنى ثمرة السلامة * ويد العجلة تغرس شجرة الندامة * وأنشدوا فى ذلك

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقالوا التانى حصن السلامة * والعجلة مفتاح الندامة * وقالوا اذا لم يدرك الظفر بالرفق والتأنى فبماذا يدرك * وقال المهلب أناة فى عواقبها درك * خير من عجلة فى عواقبها فوت * وقالوا من تأنى نال ما تمنى * والرفق مفتاح النجاح وقال بعض الحكماء اياك والعجلة فانها تكنى أم الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم * ويجيب قبل أن يفهم * ويعزم قبل أن يفكر * ويحمد قبل أن يجرب * ولن تصحب هذه الصفة أحدا الا صحب الندامة * وجانب السلامة * وأما الصناعات والحرف وما يتعلق بها فقد روى عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الابرار من الرجال الخياطة * وعمل الابرار من النساء الغزل * وكان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته ويعلف ناضحه وقال سعيد بن المسيب كان لقمان الحكيم خياطا وقيل كان ادريس خياطا ووقف على بن أبى طالب كرم الله وجهه على خياط فقال له ياخياط ثكلتك الثواكل صلب الخيط * ودق الدروز * وقارب الغروز * فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه * واحذر السقاطات فان صاحب الثوب أحق بها * ولا تتخذ بها الايادى وتطلب المكافأة وقال فيلسوف ان من القبيح ان يتولى امتحان الصناع من ليس بصانع وفى الحديث اكذب أمتى الصواغون والصباغون * وكذب الدلال مثل وقالوا الكل أحمد رأس مال ورأس مال الدلال الكذب وقال عبد الرحمن بن شبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول التجار هم الفجار فقيل أليس الله تعالى قد أحل البيع قال نعم ولكن يحدثون فيكذبون ويحلفون فيحنثون وقال الفضيل يخص الموازين سوادا فى الوجه يوم القيامة وانما أهلكت القرون الاولى لانهم أكلوا الربا وعطلوا الحدود ونقصوا الكيل والميزان وقال مجاهد فى قوله تعالى واتبعك الارذلون قيل هم الحاكة والاساكفة وقيل ان حائكا سأل ابراهيم الحربى ما تقول فيمن صلى العيد ولم يشتر لحما فاما الذى يجب عليه فتبسم ابراهيم ثم قال يتصدق بدرهمين فلما مضى قال ما علينا ان نفرح المساكين من مال هذا الاحمق وقيل لرجل هل فيكم حائك قال لا قيل فمن ينسج لكم ثيابكم قال كل منا ينسج لنفسه فى بيته وكان اردشير بن بابك لا يرتضى لمنادمته ذا صناعة رديئة كحائك وحجام ولو كان يعلم الغيب مثلا وقال كعب لا تستشيروا الحاكة فان الله تعالى

سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم لان مريم عليها السلام مرت بجماعة من الحياكين فسألتهم عن الطريق فدلوها على غير الطريق فقالت نزع الله البركة من كسبكم

قال أبو العتاهية

الا انما التقوى هي العز والكرم * وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقي نقيصة * اذا صح التقوى وان حاك أو حجم

وهذا ما أردنا سياقه في هذا الباب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السادس والخمسون في شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكاره والتسلي عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول

(الفصل الاول في شكوى الزمان وانقلابه بأهله) روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال ما من يوم ولا ليلة ولا شهر ولا سنة الا والذي قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم صلى الله عليه وسلم وكان معاوية رضي الله عنه يقول معروف زمانا منكر زمان قد مضى ومنكره معروف زمان لم يأت * وكانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابي فسبقها فشق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم فقال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله ان لا يرفع شيأ من هذه الدنيا الا وضعه (وحكى) عن شيخ من همدان قال بعثني أهلي في الجاهلية الى ذي الكلاع الحميري بهدايا فمكثت شهرا الا أصل اليه ثم بعد ذلك أشرف اشرافة من كوة له فخرجه من حول القصر سجدا ثم رأيته بعد ذلك وقد هاجر الى حمص واشترى بدرهم لها وسمطه خلف دابته وهو القائل هذه الابيات

* أف للدنيا اذا كانت كذا * أنا منها في بلاء وأذى *
ان صفا عيش امرئ في صحبها * جرعته ممسيا كأس الردى
ولقد كنت اذا ما قيل من * أنعم العالم عيشا قيل ذا *

وقال يونس بن ميسرة لا يأتي علينا زمان الا بكينا منه ولا يتولى عنا زمان الا بكينا عليه ومن ذلك قوله

رب يوم بكيت منه فلما * صرت في غيره بكيت عليه

ومثله

وما مر يوم ارتجى فيه راحة * فأخبره الا بكيت على أمسي

ومن كلام ابن الاعرابي

عن الايام عد فعن قليل * ترى الايام في صور الليالي

وقال علي رضي الله عنه ما قال الناس لشئ طوبى الا وقد خبأ له الدهر يوم سوء وقال الشاعر

فيا الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التي كنت أعهد

ودخل داود عليه السلام غارا فوجد فيه رجلا ميتا وعند رأسه لوح مكتوب فيه أنا فلان ابن فلان الملك عشت ألف عام وبنيت ألف مدينة وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش ثم صار

أمرى الى أن بعثت زنبيلا من الدراهم فى رغيف فلم يوجد ثم بعثت زنبيلا من الجوهر فلم يوجد فدققت الجواهر واستفيتها فاقت مكانى فمن أصبح وله رغيف وهو يحسب أن على وجه الارض أغنى منه أمأنه الله كما ماتى * وذكر ان عبد الرحمن بن زياد لما ولى خراسان حازمن الاموال ماقدر لنفسه انه ان عاش مائة سنة ينفق فى كل يوم ألف درهم على نفسه أنه يكفيه فرؤى بعد مدة وقد احتاج الى أن باع حلية مصحفه وأنفقها وقال هيثم بن خالد الطويل دخلت على صالح مولى منارة فى يوم شات وهو جالس فى قبة مغشاة بالسمور وبين يديه كانون فضة يحفر فيه بالعود ثم رأيته بعد ذلك فى رأس الجسر وهو يسأل الناس ولما قتل عامر بن اسمعيل مروان بن محمد ونزل فى داره وقعد على فرشه دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت ياعامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه وأقعدك عليه لقد أبلغ فى عظتك وقال مالك بن دينار مررت بقصر تضرب فيه الجوارى بالدفوف ويقلن

الا يادار لايدخلك حزن * ولايغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار تأوى كل ضيف * اذا ماضاق بالضيف المكان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب وبه عجوز فسألتها عما كنت رأيت وسمعت فقالت ياعبد الله ان الله يغير ولا يتغير والموت غالب كل مخلوق قد والله دخل بها الحزن وذهب باهلها الزمان وقال أبو العتاهية

لئن كنت فى الدنيا بصيرا فانما * بلاغك منها مثل زاد المسافر
اذا أبقت الدنيا على المرء دينه * فما فاته منها فليس بضائر

وقال عبد الملك بن عمير رأيت رأس الحسين رضى الله عنه بين يدى ابن زياد فى قصر الكوفة ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدى المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدى مصعب ثم رأيت رأس مصعب بين يدى عبد الملك قال سفيان فقلت له كم كان بين أول الرؤس وآخرها قال اثنا عشرة سنة وقال الشاعر

ان للدهر صرعة فاحذرنها * لاتبيتن قد أمنت السرورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى * ولقد كان آمنا مسرورا

وكان محمد بن عبد الله بن طاهر فى قصره على الدجلة ينظر فاذا هو بحشيش فى وسط الماء وفى وسطه قصبة على رأسها رقعة فدعا بها فاذا فيها مكتوب شعرا وهو للشافعى رضى الله عنه

تاه الاعيرج واستعلى به البطر * فقل له خيرما استعملته الحذر
أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

قال فما انتفع بنفسه مدة وأعجب ماوجد فى السير خبر القاهر أحد الخلفاء وقلعه من الملك وخروجه الى الجامع فى بطانة جبة بغير ظهارة ومتديه يسأل الناس بعد ان كان ملكه لاقطار الارض فتبارك الله يعز من يشاء ويذل من يشاء وقيل كان لمحمد المهلبى قبل اتصاله بالسلطان حال ضعيف فبينما هو فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث والحراث

الا انه من أهل الأدب اذ أنشده يقول

ألا موت يباع فأشتريه * فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا رحم المهيمن نفس حرّ * تصدّق بالوفاة على أخيه

قال فرثى له رفيقه وأحضر له بدرهم ما سدّ به رمقه وحفظ الابيات وتفرقا ثم ترقى المهلبي الى الوزارة وأخفى الدهر على ذلك الرجل الذى كان رفيقه فتوصل الى ايصال رقعة اليه مكتوب فيها

الا قل للوزير فدته نفسى * مقالا مذكرا ما قد نسيه
أتذكر اذ تقول لضنك عيش * ألا موت يباع فاشتريه

فلما قرأها تذكر فأمر له بسبعمائة درهم ووقع تحت رقعته مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ثم قلده عملا يرتزق منه * ودخل مسلمة بن زيد بن وهب على عبد الملك بن مروان فقال له أى الزمان أدركته أفضل وأى الملوك أكمل فقال أما الملوك فلم أر الا حاسدا وذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع آخرين وكلهم يذكر أنه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم وقال حبيب بن أوس

لم أبك من زمن لم ارض خلته * الا بكيت عليه حين ينصرم

وقال آخر

يا معرضا عنى بوجه مدبر * ووجوه دنياه علىّ مقبله
هل بعد سالك هذه من حالة * أو غاية الا انحطاط المنزله

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير

ذهب الذين اذا رأونى مقبلا * بشوا الىّ ورحبوا بالمقبل
وبقيت فى خلف كأن حديثهم * ولغ الكلاب تهارشت فى المنزل

وقال آخر فى معناه

* يا منزلا عبث الزمان بأهله * فأبادهم بتفرق لا يجمع *
* أين الذين عهدتهم بك مرة * كان الزمان بهم يضر وينفع *
* أيام لا يغشى لذكرك مربع * الا وفيه للمكارم مرتع
ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقى الذين حياتهم لا تنفع

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلى

وانى رأيت الدهر منذ صحبته * محاسنه مقرونة ومعايبه
اذا سرّنى فى أول الامر لم أزل * على حذر من أن تذم عواقبه

وقال بعضهم

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يزين بعضه * بعضا ليدفع معور عن معور
حلف الزمان ليأتين بمثلهم * حنثت يمينك يا زمان فكفر

وكان يقال اذا أدبر الأمر أتى الشر من حيث يأتى الخير وكان يقال بتقلب الدهر تعرف جواهر الرجال ويقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وقال بعضهم نحن فى زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان فى هلاك الناس الاطمعا اضرب بطرفك حيث شئت هل تنظر الا فقيرا يكابد فقرا أو غنيا بدل نعمة الله كفرا أو بخيلا اتخذ بحق الله وفرا أو مقترا كأن بسمعه عن سماع المواعظ وقرا * وقال آخر نحن فى زمان اذا ذكرنا الموتى حييت القلوب واذا ذكرنا الاحياء ماتت القلوب ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيتمرغ عليه ويقول يا ليتنى مكانه ويقال لا يقاوم عز الولاية بذل العزل (بيت)

ما من مسىء وان طالت أساءته * الا وبكفيك يوم من مساعيه

وقال الأمين

يا نفس قد حق الحذر * أين المفر من القدر
كل امرئ مما يخا * ف ويرتجيه على خطر
من يرتشف صفو الزما * ن يغص يوما بالكدر

وقال بعضهم

وقائلة ما بال وجهك قد نضت * محاسنه والجسم بان شحوبه
فقلت لها هاتى من الناس واحدا * صفا وقته والنائبات تنوبه

وللأمير أبى على بن منقذ

اما والذى لا يعلم الأمر غيره * ومن هو بالسر المكتم اعلم
لئن كان كتمان المصائب مؤلما * لاعلانها عندى أشد وأعظم
وبى كل ما يبكى العيون أقله * وان كنت منه دائما أتبسم

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه وايم الله ما كان قوم قط فى خفض عيش فزال عنهم الا بذنوب اقترفوها لان الله تعالى ليس بظلام للعبيد ولو أن الناس حين ينزل بهم الفقر ويزول عنهم الغنى فزعوا الى ربهم بصدق نياتهم لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد قال الشاعر

يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى بالقرآن واعظا قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم والله أعلم

(الفصل الثانى فى الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع) قد مدح الله تعالى الصبر فى كتابه العزيز فى مواضع كثيرة وأمر به وجعل أكثر الخيرات مضافا الى الصبر وأثنى على فاعله وأخبر أنه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت فى الاشياء وجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وبالجملة فقد ذكر

الله سبحانه وتعالى الصبر فى كتابه العزيز فى نيف وسبعين موضعا وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك أخبار كثيرة فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم النصر فى الصبر وقوله عليه الصلاة والسلام بالصبر يقع الفرج وقوله الأناة من الله تعالى والعجلة من الشيطان فمن هداه الله تعالى بنوره وفقه ألهمه الصبر فى مواطن طلباته والتثبت فى حركاته وسكناته وكثيرا ما أدرك الصابر مرامه أو كاد وفات المستعجل غرضه أو كاد * وقال الاشعث بن قيس دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فوجدته قد أثر فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا أمير المؤمنين الى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زادنى الا ان قال

اصبر على مضض الادلاج فى السحر * وفى الرواح الى الطاعات فى البكر
انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد فى أمر يؤمله * واستعصب الصبر الا فاز بالظفر

فحفظتها منه وألزمت نفسى الصبر فى الامور فوجدت بركة ذلك وعن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا حط الله بها من خطاياه وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا واذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط رواه الترمذى وقال حديث حسن وعن اسحق بن عبد الله بن ابى فروة عن أنس بن مالك قال قال النبى صلى الله عليه وسلم الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر والصبر عند الصدمة الاولى وعظم الاجر على قدر المصيبة ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال احفظوا عنى خمسا ثنتين وثنتين وواحدة لا يخافن أحدكم الا ذنبه ولا يرجو الا ربه ولا يستحى أحد منكم اذا سئل عن شئ وهو لا يعلم ان يقول لا أعلم واعلموا ان الصبر من الامور بمنزلة الرأس من الجسد اذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد واذا فارق الصبر الامور فسدت الامور وأى مر رجل حبسه السلطان ظلما فات فى حبسه مات شهيدا فان ضربه فمات فهو شهيد وروى فى الخبر لما نزل قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه يا رسول الله كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض ألست يصيبك الاذى ألست تحزن قال بلى يا رسول الله قال فهذا ما تجزون به يعنى جميع ما يصيبك من سوء يكون كفارة لك وبهذا اتضح لك ان العبد لا يدرك منزلة الاخيار الا بالصبر على الشدة والبلاء وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند الكعبة وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالامس فقال

أبو جهل لعنه الله أيكم يقوم الى سلا الجزور فيلقيه على ظهر محمد اذا سجد فانبعث أشقى القوم فأخذه وأتى به فلما سجد صلى الله عليه وسلم وضع بين كتفيه السلا والفرث والدم فضحكوا ساعة وأنا قائم أنظر فقلت لو كان لي منعة لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة رضي الله عنها فجاءت فطرحته عن ظهره ثم أقبلت عليهم فسبتهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم الصلاة رفع يديه فدعا عليهم فقال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمع القوم صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته فقال اللهم عليك بأبي جهل وعقبة وشيبة وربيعة والوليد وأمية بن خلف فقال علي رضي الله عنه والذي بعث محمدا بالحق رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر وكان الصالحون يفرحون بالشدة لاجل غفران الذنوب لان فيها كفارة السيآت ورفع الدرجات وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من رزقهن فقد رزق خيري الدنيا والآخرة الرضا بالقضاء والصبر على البلاء والدعاء في الرخاء (وحكي) ان امرأة من بني اسرائيل لم يكن لها الا دجاجة فسرقها سارق فصبرت وردت أمرها الى الله تعالى ولم تدع عليه فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه في وجهه فسعى في ازالته فلم يقدر على ذلك الى أن أتى حبرا من أحبار بني اسرائيل فشكا له فقال لا أجد لك دواء الا ان تدعو عليك هذه المرأة فارسل اليها من قال لها أين دجاجتك فقالت سرقت فقال لقد آذاك من سرقها قالت قد فعل ولم تدع عليه قال وقد فعلت في بعضها قالت هو كذلك فما زال يجاحتى أثار الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر من أين علمت ذلك قال لانها لما صبرت ولم تدع عليه انتصر الله لها فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه سقط الريش من وجهه فالواجب على العبد ان يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم ان النصر مع الصبر وان مع العسر يسرا وان المصائب والرزايا اذا توالت أعقبها الفرج والفرج عاجلا ومن أحسن ما قيل في ذلك من المنظوم

واذا مسك الزمان بضر * عظمت دونه الخطوب وجلت
وأتت بعده نوائب أخرى * سئمت نفسك الحياة وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ الامانى * فالرزايا اذا توالت تولت
واذا أوهنت قواك وجلت * كشفت عنك جملة وتخلت

ولمحمد بن بشر الخارجي

ان الامور اذا استدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما يجبا
لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

ولزهير بن أبي سلمى

ثلاث يعز الصبر عند حلولها * ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها * وفرقة اخوان وفقد حبيب

وقال بعضهم

عليك باظهار التجلد للعدا * ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
أما تنظر الريحان يشمم ناضرا * ويطرح في البيدا اذا ما تغيرا

ولابن نباتة

صبرا على نوب الزما * ن وان أبى القلب الجريح
فلكل شئ آخر * اما جميل أو قبيح

وقال أبو الاسود وأجاد

وان امرأ قد جرب الدهر لم يخف * تقلب عصريه لغير لبيب
وما الدهر والايام الا كما ترى * رزية مال أو فراق حبيب

ومن كلام الحكماء ما جوهد الهوى بمثل الرأى ولا استنبط الرأى بمثل المشورة ولا حفظت النعم بمثل المواساة ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر وما استنجحت الامور بمثل الصبر وقال نهشل

ويوم كأن المصطلين بحره * وان لم يكن نار قيام على الجمر
صبرنا له صبرا جميلا وانما * تفرج أبواب الكريهة بالصبر

وقال ابن طاهر

حذرتني وذا الحذر * ليس يغني من القدر
ليس من يكتم الهوى * مثل من باح واشتهر
انما يعرف الهوى * من على مره صبر
نفس يا نفس فاصبري * فازبالصبر من صبر

وكان يقال من تبصر تصبر وكان يقال ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر وكان يقال لادواء لداء الدهر الا الصبر ولله در القائل

الدهر أدبني والصبر ربانى * والقوت أقنعني واليأس أغناني
وحنكتني من الايام تجربة * حتى نهيت الذى قد كان ينهاني

وما أحسن ما قال محمود الوراق

انى رأيت الصبر خير معول * فى النائبات لمن أراد معولا
ورأيت أسباب القناعة أكدت * بعرى الغنى فجعلتها لى معقلا
فاذا نبا بي منزل جاوزته * وجعلت منه غيره لى منزلا
واذا غلا شئ على تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

وقال بعضهم

اذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة * فأفرغ لها صبرا ووسع لها صدرا
فان تصاريف الزمان عجيبة * فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

وقال بعضهم

وما مسني عسر ففوضت أمره * الى الملك الجبار الا تيسرا

وما أحسن ما قيل

الدهر لا يبقى على حالة * لا بدان يقبل أو يدبر
فان تلقاك بمكروهه * فاصبر فان الدهر لا يصبر

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله تعالى قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من السجن مع بعض الرجال وقد زادهمي وكادت نفسي ان تزهق وضاقت علي الارض بما رحبت واذا برجل عليه آثار العبادة قد أقبل علي ورأى ما أنا فيه من الكآبة فقال ما حالك فاخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر ستر للكروب وعون على الخطوب وروى عن ابن عمه علي رضي الله عنه انه قال الصبر مطية لا تدبر ويوسف لا يكل وأنا أقول

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله * عند الاله وأنجاه من الجزع
من شد بالصبر كفا عند مؤلمة * ألوت بداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدني فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضرني شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكني أقول

أما والذي لا يعلم الغيب غيره * ومن ليس في كل الامور له كفو
لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه * لقد يجتني من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت أحدا يعرفه ولا رآه أحد قبل ذلك في الكوفة ثم أخرجت في ذلك اليوم من السجن وقد حصل لي سرور عظيم بما سمعت منه وانتفعت به ووقع في نفسي انه من الابدال الصالحين قيضه الله تعالى لي يوقظني ويؤدبني ويسليني * وقيل ان رجلا كان يضرب بالسياط ويجلد جلدا بليغا ولم يتكلم ويصبر ولم يتأوه فوقف عليه بعض مشايخ الطريقة فقال له أما يؤلمك هذا الضرب الشديد فقال بلى قال لم لا تصيح فقال ان في هذا القوم الذين وقفوا علي صديقا لي يعتقد في الشجاعة والجلادة وهو يرقبني بعينه فأخشى ان ضجيت يذهب ماء وجهي عنده ويسوء ظنه بي فانا أصبر على شدة الضرب وأحتمله لاجل ذلك قال الشاعر

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه * ويحمد منه الصبر مما يصيبه
فمن قل فيما يتقيه اصطباره * لقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر ولم يكلفني الا ما كلفوا به فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل واني والله لاصبرن كما صبروا فان النبي صلى الله عليه وسلم لما صبر كما أمر أسفر وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين هم أولوا العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة فقال مقاتل رضي الله عنه هم نوح وابراهيم واسحق ويعقوب ويونس وأيوب صلوات الله عليهم وقال قتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ويقال ما الذي صبروا عليه حتى سماهم الله تعالى أولي العزم فأقول (ذكر ما صبروا عليه) اما نوح عليه السلام فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما كان نوح عليه السلام يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته يرون انه

قدمات ثم يعود ويخرج الى قومه ويدعوهم الى الله تعالى ولما أيس منهم ومن ايمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يابني انظر الى هذا الشيخ واعرفه ولا يغرنك فقال له ابنه يا أبت مكنني من العصا فأخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه السلام شج بها رأسه وسال الدم على وجهه فقال رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فاصبرني الى أن تحكم فأوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك فقال يارب وما الفلك قال بيت من خشب يجرى على وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي وأغرق أهل معصيتي قال يارب وأين الماء قال أنا على كل شئ قدير قال يارب وأين الخشب قال اغرس الخشب فغرس الساج عشرين سنة وكف عن دعائهم وكفوا عن ضربه الا أنهم كانوا يسخرون به فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعها وجففها وقال يارب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور وبعث الله له جبريل فعلمه وأوحى الله تعالى اليه أن عجل بعمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني فلما فرغت السفينة جاء أمر الله سبحانه وتعالى بانتصار نوح ونجاته واهلاك قومه وعذابهم الا من آمن معه وفار التنور وظهر الماء على وجه الارض وقذفت السماء بأمطار كأفواه القرب حتى عظم الماء وصارت أمواجه كالجبال وعلا فوق أعلى جبل في الارض أربعين ذراعا وانتقم الله سبحانه وتعالى من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه السلام وفي تمام قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لأهل التفسير ليس هذا موضع شرحه وبسطه فهذا زبدة صبر نوح عليه السلام وانتصاره على قومه وأما ابراهيم عليه السلام فانه لما كسر أصنام قومه التي كانوا يعبدونها لم يروا في قتله ونصرة آلهتهم أبلغ من احراقه فأخذوه وحبسوه ببيت ثم بنوا حائرا كالحوش طول جداره ستون ذراعا الى سفح جبل عال ونادى مناد ملكهم أن احتطبوا لاحراق ابراهيم ومن تخلف عن الاحتطاب أحرقه فلم يتخلف منهم أحد وفعلوا ذلك أربعين يوما ليلا ونهارا حتى كاد الحطب يساوي رؤس الجبال وسدوا أبواب ذلك الحائر وقذفوا فيه النار فارتفع لهبها حتى كان الطائر يمر بها فيحترق من شدة لهبها ثم بنوا بنيانا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم على رأس البنيان فرفع ابراهيم عليه السلام طرفه الى السماء ودعا الله تعالى وقال حسبي الله ونعم الوكيل وقيل كان عمره يومئذ ستة وعشرين سنة فنزل اليه جبريل عليه السلام وقال يا ابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا فقال جبريل سل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه جبريل عليه السلام فجلس به على الارض وأخرج الله له ماء عذبا قال كعب ما أحرقت النار غير كافه وأقام في ذلك الموضع سبعة أيام وقيل أكثر من ذلك ونجاه الله تعالى ثم أهلك نمرود وقومه بأخس الاشياء وانتقم منهم وظفر ابراهيم عليه السلام بهم فهذه ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى ولم يجزع منها وصبر وفوض أمره الى الله تعالى في ذلك وتوكل عليه ووثق به ثم جاءته قصة ذبح ولده وأمره الله تعالى بذلك فقابل أمره بالتسليم والامتثال * وسارع الى ذبحه من غير اهمال ولا اهمال * وقصته مشهورة وتفاصيل القصة في كتب التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه ومبادرته الى طاعة مولاه وصبره

على ماقدره وقضاه عوضه الله تعالى عن ذبح ولده أن فداه واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه وأما الذبيح صلوات الله وسلامه عليه فانه صبر على بلية الذبح وتلخيصها ان الله تعالى لما ابتلى ابراهيم عليه السلام بذبح ولده قال انى أريد أن أقرب قربانا فأخذ ولده والسكين والحبل وانطلق فلما دخل بين الجبال قال ابنه أين قربانك يا أبت قال ان الله تعالى قد أمرنى بذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين يا أبت أشدد وثاقى كى لا أضطرب واجمع ثيابك حتى لا يصل اليها وشاش الدم فترآه أمى فيشتد حزنها وأسرع امرار السكين على حلقى ليكون أهون للموت على واذا القيت أمى فاقرأ السلام عليها فأقبل ابراهيم عليه السلام على ولده يقبله ويبكى ويقول نعم العون أنت يا بنى على ما أمر الله تعالى قال مجاهد لما أمر السكين على حلقه انقلبت السكين فقال يا أبت اطعن بها طعنا وقال الذى جعل الله حلقه كصفيحة من نحاس لا تعمل فيها السكين شيأ فلما ظهر فيهما صدق التسليم نودى ان يا ابراهيم هذا فداء ابنك فأتاه جبريل عليه السلام بكبش أملح فأخذه وأطلق ولده وذبح الكبش فلاجرم ان جعل الذبيح نبيا بصبره وامتثاله لامره وأما يعقوب عليه الصلاة والسلام فانه لما ابتلى بفراق ولده وذهاب بصره واشتداد حزنه قال فصبر جميل وكذلك يوسف صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين لما ابتلاه الله تعالى بالقائه فى ظلمة الجب وبيعه كما تباع العبيد وفراقه لأبيه وادخاله السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك كله بصبره وقبوله فلاجرم أورثهما صبرهما جمع شملهما واتساع القدرة بالملك فى الدنيا مع ملك النبوة فى الآخرة وأما أيوب عليه الصلاة والسلام فانه ابتلاه الله تعالى بهلاك أهله وماله وتتابع المرض المزمن والسقم المهلك حتى أفضى أمره الى ما تضعف القوى البشرية عن حمله ولنذكر شيأ مختصرا من ذلك وهو أن ملكا من ملوك بنى اسرائيل كان يظلم الناس فنهاه جماعة من الانبياء عن الظلم وسكت عنه أيوب عليه السلام فلم يكلمه ولم ينهه لاجل خيل كانت له فى مملكته فأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام تركت نهيه عن الظلم لاجل خيلك لأطيلن بلاءك فقال ابليس لعنه الله يا رب سلطنى على أولاده وماله فسلطه فبث ابليس مردته من الشياطين فبعث بعضهم الى دوابه وزروعها فاحتملوها جميعا وقذفوها فى البحر وبعث بعضهم الى زرعه وجناته فأحرقوها وبعث بعضهم الى منازله وفيها أولاده وكانوا ثلاثة عشر ولدا وخدمه وأهله فزلزلوها فهلكوا ثم جاء ابليس الى أيوب عليه السلام وهو يصلى فتمثل له فى صورة رجل من غلمانه فقال يا أيوب أنت تصلى ودوابك وزروعك قد ذهبت عليها ريح عظيمة وقذفت الجميع فى البحر وأحرقت زرعك وهدمت منازلك على أولادك وأهلك فهلك الجميع ما هذه الصلاة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذى أعطانى ذلك كله ثم قبله منى ثم قام الى صلاته فرجع ابليس ثانيا فقال يا رب سلطنى على جسده فسلطه فنفخ فى ابهام رجله فانتفخ ولا زال يسقط لحمه من شدة البلاء الى أن بقى اهاؤه تبين وهو مع ذلك كله صابر محتسب مفوض أمره الى الله تعالى وكان الناس قد هجروه واستقذروه وألقوه خارجا عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته رحمة بنت يوسف الصديق قد سلمت فترددت اليه متفقدة فجاءها ابليس يوما فى صورة شيخ

ومعه سخلة وقال لها يذبح أيوب هذه السخلة على اسمى فمر أخاه فأخبرته فقال لها ان شفانى الله تعالى لأجلدنك مائة جلدة تأمرينى أن أذبح لغير الله تعالى فطردها عنه فذهبت وبقى ليس له من يقوم به فلما رأى انه لا طعام له ولا شراب ولا أحد من الناس يتفقده خر ساجدا لله تعالى وقال رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى طول هذه المدة وهى على ما قيل ثمان عشرة سنة وقيل غير ذلك وأنه تلقى جميع ذلك بالقبول وما شكا الى مخلوق ما نزل به عاد الله تعالى بألطافه عليه فقال تعالى فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وأفاض عليه من نعمه ما انساه به بلوى نقمه ومنحه من أقسام كرمه أن أفتاه فى عينه نحلة قسمه ومدحه فى نص الكتاب فقال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب فلو لم يكن الصبر من أعلى المراتب وأسنى المواهب لما أمر الله تعالى به رسله ذوى الحزم وسماهم بسبب صبرهم أولى العزم وفتح لهم بصبرهم أبواب مرادهم وسؤالهم ومنحهم من لدنه غاية أمرهم وأمولهم ومرامهم فالسعيد من اهتدى بهداهم واقتدى بهم وان قصر عن مداهم وقيل العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخاء والتعب يعقبه الراحة والضيق يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهى الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزقه صبرا وأجرا والشقى من ساق القدر اليه جزعا ووزرا ومما شنف السمع من نجيع هذه الاشارة وأتحف النفع فى نهيج هذه العبارة ما روى عن الحسن البصرى رضى الله عنه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه قد نبش من قبر فقلت ما دهاك يا هذا فقال اكتم على أمرى حبسنى الحجاج منذ ثلاث سنين فكنت فى أضيق حال وأسوأ عيش وأقبح مكان وأنا مع ذلك كله صابر لا أتكلم فلما كان بالأمس أخرجت جماعة كنت معهم فضربت رقابهم وتحدث بعض أعوان السجن أن غدا تضرب عنقى فأخذنى حزن شديد وبكاء مفرط وأجرى الله تعالى على لسانى فقلت الهى اشتد الضر وفقد الصبر وأنت المستعان ثم ذهب من الليل أكثره فأخذتنى غشية وأنا بين اليقظان والنائم اذ أتانى آت فقال لى قم فصل ركعتين وقل يا من لا يشغله شئ عن شئ يا من أحاط علمه بما ذرأ وبرأ أنت عالم بخفيات الامور ومحصى وساوس الصدور وأنت بالمنزل الاعلى وعلمك محيط بالمنزل الادنى تعاليت علوا كبيرا يا مغيث أغثنى وفك أسرى واكشف ضرى فقد نفد صبرى فقمت وتوضأت فى الحال وصليت ركعتين وتلوت ما سمعته منه ولم تختلف على منه كلمة واحدة فما تم القول حتى سقط القيد من رجلى ونظرت الى أبواب السجن فرأيتها قد فتحت فقمت فخرجت ولم يعارضنى أحد فأنا والله طليق الرحمن وأعقبنى الله بصبرى فرجا وجعل لى من ذلك الضيق مخرجا ثم ردعنى وانصرف يقصد الحجاز وفيما يروى عن الله تعالى انه أوحى الى داود عليه السلام يا داود من صبر علينا وصل الينا وقال بعض الرواة دخلت مدينة يقال لها دقار فبينما أنا أطوف فى خرابها اذ رأيت مكتوبا بباب قصر خرب بماء الذهب واللازورد هذه الابيات

يا من أحل عليه الهم والفكر * وغيرت حاله الايام والغير
أما سمعت لما قد قيل فى مثل * عند الاياس فأين الله والقدر

ثم الخطوب اذا أعدائها طرقت * فاصبر فقد فاز أقوام بما صبروا
وكل ضيق سيأتي بعده سعة * وكل فوت وشيك بعده الظفر

ولما حبس أبو أيوب في السجن خمس عشرة سنة ضاقت حيلته وقل صبره فكتب الى بعض اخوانه يشكو اليه طول حبسه وقلة صبره فرد عليه جواب رقعته بقول

صبرا أبا أيوب صبر مسبرح * واذا عجزت عن الخطوب فمن لها
ان الذي عقد الذي انعقدت به * عقد الملاك ارد فيك يملك حلها
صبرا فان الصبر يعقب راحة * ولعلها أن تنجلي ولعلها

فأجابه أبو أيوب يقول

صبرتني وعظمتني وأنالها * وستنجلي بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها * كرما به اذ كان يملك حلها

فلبث بعد ذلك أياما حتى أطلق مكرما وأنشدوا

اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذي يكشف البلوى هو الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه * لا تيأسن فان الصانع الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * فاتري حيلة فيما قضى الله

(الفصل الثالث من هذا الباب في التأسي في الشدة والتسلي عن نوائب الدهر)

قال الثوري رحمه الله تعالى لم يفقه عندنا من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة وقيل الهموم التي تعرض للقلوب كفارات للذنوب وسمع حكيم رجلا يقول لآخر لا أراك الله مكروها فقال كأنك دعوت عليه بالموت فان صاحب الدنيا لا بد له أن يرى مكروها وتقول العرب ويل أهون من ويلين وقال ابن عيينة الدنيا كلها غموم فما كان فيها من سرور فهو ريح وقال العتبي اذا تناهى الغم انقطع الدمع بدليل أنك لا ترى مضروبا بالسياط ولا مقدما لضرب العنق يبكي وقيل تزوج مغن بنائحة فسمعها تقول اللهم أوسع لنا في الرزق فقال لها يا هذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفي ذلك فان كان فرح دعوني وان كان حزن دعوك وقال وهب بن منبه اذا سلك بك طريق البلاء سلك بك طريق الانبياء وقال مطرف ما نزل بي مكروه قط فاستعظمته الا ذكرت ذنوبي فاستصغرته وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه يرفعه يود أهل العافية يوم القيامة ان لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب الله تعالى لأهل البلاء وروى أبو عتبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا ابتلاه فاذا أحبه الحب البالغ اقتناه قالوا وما اقتناه قال لا يترك له مالا ولا ولدا ومر موسى عليه السلام برجل كان يعرفه مطيعا لله عز وجل قد مزقت السباع لحمه واضلاعه وكبده ملقاة على الارض فوقف متعجبا فقال أي رب عبدك ابتليته بما أرى فأوحى الله تعالى اليه انه سألني درجة لم يبلغها بعمله فأحببت أن أبتليه لابلغه تلك الدرجة وكان عروة بن الزبير صبورا حين ابتلي حكي انه خرج الى الوليد بن يزيد فوطئ عظما فابلغ الى دمشق حتى بلغ به كل مذهب فجمع له الوليد الاطباء فأجمع رأيهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما أحب ان أغفل عما ذكر الله تعالى فأحمى له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم

يتوجع ثم قال لئن كنت ابتليت فى عضو فقد عوفيت فى اعضاء فبينما هو كذلك اذ أتاه خبر ولده انه اطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن أخذت واحدا لقد أبقيت جماعة وقدم على الوليد وقدم من عبس فيهم شيخ ضرير فسأله عن حاله وسبب ذهاب بصره فقال خرجت مع رفقة مسافرين ومعى مالى وعيالى ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالى فعرّسنا فى بطن واد فطرقنا سيل فذهب ما كان لى من أهل ومال وولد غير صبى صغير وبعير فشمر البعير فوضعت الصغير على الارض ومضيت لآخذ البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا رأس الذئب فى بطنه وهو يأكل فيه فرجعت الى البعير فحطم وجهى برجليه فذهبت عيناى فأصبحت بلا عينين ولا ولد ولا مال ولا أهل فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم أن فى الدنيا من هو أعظم مصيبة منه وقيل الحوادث المضة مكسبة لحظوظ جلة اما ثواب متدخر أو تطهير من ذنب أو تنبيه من غفلة أو تعريف لقدر النعمة قال البحترى يسلى محمد بن يوسف على حبسه

وما هذه الأيام الا منازل * فمن منزل رحب الى منزل ضنك
وقد دهمتك الحادثان وانما * صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك
أما فى نبى الله يوسف اسوة * لمثلك محبوس على الظلم والافك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

وقال على بن الجهم لما حبسه المتوكل

قالوا حبست فقلت ليس بضائرى * حبسى وأى مهند لا يغمد
والشمس لولا انها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والنار فى أحجارها مخبوءة * لا تصطلى ان لم تثرها الازند
والحبس مالم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتورّد
بيت يجدّد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
لولم يكن فى الحبس الا أنه * لا تستذلك بالحجاب الأعبد
غرّ الليالى بادیات عوّد * والمال عارية يعار ويسترد
ولكل حىّ معقب ولربما * أجلى لك المكروه عما يحمد
لا يؤيسنك من تفرج نكبة * خطب رمالة به الزمان الانكد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا ومات طبيبه والعوّد
صبرا فان اليوم يعقبه غد * وبد الخلافة لا تطاول لها يد

قال وأنشد اسحق الموصلى ابراهيم بن المهدى حين حبس

هى المقادير تجرى فى أعنتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما ترين خسيس الاصل ترفعه * الى العلاء ويوما تخفض العالى

فما امسى حتى وردت عليه الخلع السنية من المأمون ورضى عنه وقال ابراهيم بن عيسى الكاتب فى ابراهيم بن المدنى حين عزل

ليهن أبا اسحق أسباب نعمة * مجددة بالعزل والعزل انبل

شهدت لقد منوا عليك وأحسنوا * لانك يوم العزل أعلى وأفضل

وقال آخر

قد زادملك سليمان فعاوده * والشمس تطفو فى المجرى وترتفع

وقال أبو بكر الخوارزمى لمعزول الحمد لله الذى ابتلى فى الصغير وهو المال وعافى فى الكبير وهو الحال

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا أن يزول التجمل

وقيل المال حظ ينقص ثم يزيد وظل ينحسر ثم يعود وسئل بزرجمهر عن حاله فى نكبته فقال عولت على أربعة أشياء أولها أنى قلت القضاء والقدر لابد من جريانهما الثانى أنى قلت ان لم أصبر فما أصنع الثالث أنى قلت قد كان يجوز أن يكون أعظم من هذا الرابع أنى قلت لعل الفرج قريب والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السابع والخمسون ماجاء فى اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والفرح والسرور ونحو ذلك مما يتعلق بهذا الباب

فمما يليق بهذا الباب من كتاب الله عز وجل قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وقوله تعالى وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد وقوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ويروى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو كان العسر فى جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه وقال عليه الصلاة والسلام عند تناهى الشدة يكون الفرج وعند تضايق البلاء يكون الرخاء وقال على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتى انتظار الفرج الله تعالى وقال الحسن لما نزل قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال النبى صلى الله عليه وسلم أبشروا فلن يغلب عسر يسرين ومن كلام الحكماء ان تيقنت لم يبق هم وقال أبو حاتم

اذا اشتملت على البؤس القلوب * وضاقت بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت * وأرست فى مكانها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الاريب
أتاك على قنوط منك غوث * يمن به اللطيف المستجيب

وقال آخر

عسى الهم الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفك عان * ويأتى أهله النائى الغريب

وقال آخر

تصبر ايها العبد اللبيب * لعلك بعد صبرك ما تخيب
وكل الحادثان اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

وقال ابراهيم بن العباس

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقال آخر

لئن صدع البين المشتت شملنا * فللبين حكم في الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللشمس من بعد الغروب طلوع
وان نعمة زالت عن المرء انقضت * فان لها بعد الزوال رجوع
فكن واثقا بالله واصبر لحكمه * فان زوال الشر عنك سريع

(ولنذكر نبذة ممن حصل له الفرج بعد الشدة) روى أن الوليد بن عبد الملك كتب الى صالح بن عبد الله عامله على المدينة المنورة ان أخرج الحسن بن الحسن بن علي من السجن وكان محبوسا واضربه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة سوط فأخرجه الى المسجد واجتمع الناس وصعد صالح يقرأ عليهم الكتاب ثم نزل يأمر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب اذ جاء علي بن الحسين عليه السلام فأفرج له الناس حتى أتى الى جنب الحسن فقال يا ابن العم ما لك ادع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك قال ما هو يا ابن العم فقال لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ثم انصرف عنه وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال أراه في سجنه مظلوما أخروه وأنا أراجع أمير المؤمنين في أمره فأطلق بعد أيام وأتاه الفرج من عند الله تعالى وقال الربيع لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى في المنام عليا رضي الله عنه وهو يقول يا محمد فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم قال الربيع فأرسل المهدي الي ليلا فراعني ذلك فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان حسن الصوت فقص علي الرؤيا ثم قال ائتني بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه واجلسه الى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين يقرأ علي كذا فما هدني أن لا تخرج علي ولا على أحد من ولدي فقال والله ما شأني فقال صدقت ثم قال يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار وردّه الى أهله بالمدينة قال الربيع فأحكمت أمره ليلا فأصبح الاعلى الطريق وقال اسمعيل بن بشار

وكل حزن وان طالت بليته * يوما تفرج غماه وتنكشف

وقال مسلم بن الوليد كنت يوما جالسا عند خياط بازاء منزلي فمر بي انسان أعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلي لأضيفه وليس معي درهم بل كان عندي زوج أخفاف فارسلته مع جاريتي لبعض معارفي فباعهما بتسعة دراهم واشتريت بها ما قلته لهما من الخبز واللحم فجلسنا نأكل واذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسأل هذا منزل فلان ففتحت الباب وخرجت فقال أنت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالخياط على ذلك فاخرج لي كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن مزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتحسكون في منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها لقدومك علينا فادخلته الى داري وزدت في الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فأكلنا ثم وهبت لضيفي شيأ يشتري به هدية لأهله وتوجهنا الى باب يزيد بالرقة فوجدناه في الحمام فلما خرج استؤذن لي

عليه فدخلت فاذا هو جالس على كرسي وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فردّ أحسن ردّ وقال ما الذي أقعدك عنا قلت قلة ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها قال أتدري لم أحضرتك قلت لا أدري قال كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه فقال لي يا يزيد من القائل فيك هذه الابيات

سل الخليفة سيفا من بني مضر * يمضي فيخترق الاجسام والهاما
كالدهر لا يثنى عما يهم به * قد أوسع الناس انعاما وارغاما

فقلت والله لا أدري يا أمير المؤمنين فقال سبحان الله أيقال فيك مثل هذا ولا تدري من قاله فسألت فقيل لي هو مسلم بن الوليد فأرسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا اليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلت الارض وسلمت فردّ علي السلام فأنشدته مالي فيه من شعر فأمر لي بمائتي ألف درهم وأمر ليزيد بمائة وتسعين ألف درهم وقال ما ينبغي لي أن أساوي أمير المؤمنين في العطاء فانظر الى هذا التيسير الجسيم بعد العسر العظيم وما أحسن ماقيل

الأمن والخوف أيام مداولة * بين الانام وبعد الضيق تتسع

ولما وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الاموال ضيق على يزيد بن أبي مسلم فلما ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبي مسلم افريقية وكان محمد بن يزيد راليا عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم وشدد في طلبه فاتى به اليه في شهر رمضان عند المغرب وكان في يد يزيد بن أبي مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن يزيد حين رآه يا محمد بن يزيد قال نعم قال طالما سألت الله أن يمكنني منك فقال وأنا والله طالما سألت الله أن يجيرني منك فقال والله ما أجارك ولا أعاذك وان سبقني ملك الموت الى قبض روحك سبقته والله لا آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك ثم أمر به فكتف ووضع في النطع وقام السياف فأقيمت الصلاة فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلي وكان أهل أفريقية قد أجمعوا على قتله فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الامير وفك الاسير قال اسحق بن ابراهيم الموصلي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول أطلق القاتل فارتعت لذلك ودعوت بالشموع ونظرت في أوراق السجن واذا ورقة انسان ادعى عليه بالقتل وأقر به فأمرت باحضاره فلما رأيته وقد ارتاع فقلت له ان صدقتني أطلقتك فحدثني أنه كان هو وجماعة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة وأن عجوزا جاءت لهم بامرأة فلما صارت عندهم صاحت الله الله وغشي عليها فلما افاقت قالت أنشدك الله في أمري فان هذه العجوز غرتني وقالت ان في هذه الدار نساء صالحات وأنا شريفة جدتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمي فاطمة وأبي الحسين بن علي فاحفظوهم في فقمت دونها وناضلت عنها فاشتد علي واحد من الجماعة وقال لابد منها وقاتلني فقتلته وخلصت الجارية من يده فقلت ستدرك الله كما سترتني وسمع الجيران الصيحة فدخلوا علينا فوجدوا الرجل مقتولا والسكين بيدي فأمسكوني وأتوا بي اليك وهذا أمري فقال اسحق قد وهبتك لله ولرسوله فقال وحق الذين وهبتني لهما لا أعود

الى معصمة ابدا وأمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما حضر أمر بضرب عنقه فقال أيها الامير أخرني الى غد قال ورأى فرج لك فى تأخير يوم واحد ثم أمر برده الى السجن فسمعه الحجاج وهو راجع الى السجن يقول

عسى فرج يأتى به الله انه * له كل يوم فى خليقته أمر

فقال الحجاج والله ما أخذه الا من كتاب الله وهو قوله تعالى كل يوم هو فى شأن وأمر باطلاقه وقال بعض جلساء المعتمد كنا بين يديه ليلة نخفق رأسه بالنعاس فقال لا تبرحوا حتى أغفى سويعة فغفا ساعة ثم أفاق جزعا مرعوبا وقال امضوا الى السجن وائتونى بمنصور الجمال فجاؤا به فقال له كم لك فى السجن قال سنة ونصف قال على ماذا قال أنا جمال من أهل الموصل وضاق على الكسب ببلدى فأخذت جملى وتوجهت الى بلد غير بلدى لاعمل عليه فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مستقيمى الحال وهم مقدار عشرة أنفس وجدوهم يقطعون الطريق فدفع واحد منهم شيأ للاعوان فأطلقوه وأمسكونى عوضه وأخذوا جملى فناشدتهم الله فأبوا وبجنت أنا والقوم فأطلق بعضهم ومات بعضهم وبقيت أنا فدفع له المعتمد خمسمائة دينار وأجرى له ثلاثين دينارا فى كل شهر وقال اجعلوه على جمالنا ثم قال أتدرون ما سبب فعلى هذا قلنا لا قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أطلق منصورا الجمال من السجن وأحسن اليه وأخذ الطاعون أهل بيت فسد بابه ففضل فيه طفل يرضع لم يشعر به أحد ففتح الباب بعد شهر فوجدوا الطفل قد عطف الله عليه كلبة ترضعه مع جرولها فسبحان القادر على كل شئ لا اله غيره ولا معبود سواه قال الشاعر

اذا تضايق أمر فانتظر فرجا * فأضيق الامر أدناه الى الفرج

وقال آخر

فلا تجزعن ان أظلم الدهر مرة * فان اعتكار الليل يؤذن بالفجر

وقال آخر

لعمرك ما كل التعاطيل ضائرا * ولا كل شغل فيه للمرء منفعه

اذا كانت الارزاق فى القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعه

فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى * ألا رب ضيق فى عواقبه سعه

وقال الرياشى ما اعترانى هم فانشدت قول أبى العتاهية حيث قال

هى الايام والغير * وأمر الله ينتظر

أتيأس أن ترى فرجا * فأين الله والقدر

الا سرى عنى وهبت ريح الفرج ويروى أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة وصنع النوم فارسل الى قائد البحر وقال له أنفذ الآن مركبا الى افريقية يأتونى بأخبارها فعمد القائد الى مقدم مركب وأرسله فلما أصبحوا اذا بالمركب فى موضعه كأنه لم يبرح فقال الملك لقائد البحر أليس قد فعلت ما أمرتك به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت مركبا فرجع بعد ساعة وسيحدثك مقدم المركب فأمر باحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك ما منعك أن تذهب حيث أمرت

قال ذهبت بالمركب فبينما أنا في جوف الليل والرجال يجدفون اذا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته في أسماعنا ناديناه مرارا لبيك لبيك وهو ينادي يا الله يا الله يا غياث المستغيثين فجدفنا بالمركب نحو الصوت فلقينا هذا الرجل غريقا في آخر رمق من الحياة فقطعنا به المركب وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افريقية فغرقت سفينتنا منذ أيام وأشرفت على الموت وما زلت أصيح حتى أتاني الغوث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطانا وأرّقه في قصره لغريق في البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحدة فسبحانه لا اله غيره ولا معبود سواه (وحكى) سيدي أبو بكر الطرطوشي في كتابه سراج الملوك قال أخبرني أبو الوليد الباجي عن أبي ذر قال كنت اقرأ على الشيخ ابي حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزأ من الحديث في حانوت رجل عطار فبينا أنا جالس معه في الحانوت اذ جاءه رجل من الطوافين ممن يبيع العطر في طبق يحمله على يده فدفع اليه عشرة دراهم وقال له أعطني بها أشياء سماها له من العطر فاعطاه اياها فاخذها في طبقه وأراد أن يمضي فسقط الطبق من يده فانكب جميع ما فيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تعينه على بعض هذه الاشياء فقال سمعا وطاعة فنزل وجمع له ما قدر على جمعه منها ودفع له ما عدم منها وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له لا تجزع فأمر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف أيها الشيخ ليس جزعي لضياع ما ضاع لقد علم الله تعالى أني كنت في القافلة الفلانية فضاع لي هميان فيه أربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت لضياعها حيث كان لي غيرها من المال ولكن ولدي ولد لي في هذه الليلة فاحتجنا لأمه ما تحتاج النفساء ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم فخشيت أن أشتري بها حاجة النفساء فأبقى بلا رأس مال وأنا قد صرت شيخا كبيرا لا أقدر على التكسب فقلت في نفسي أشتري بها شيأ من العطر فأطوف به صدر النهار فعسى استفضل شيأ أستديم به رمق أهلي ويبقى رأس المال أتكسب به واشتريت هذا العطر فحين انكب الطبق علمت انه لم يبق لي الا الفرار منهم فهذا الذي أوجب جزعي قال أبو حفص وكان رجل من الجند جالسا الى جانبي يستوعب الحديث فقال للشيخ أبي حفص يا سيدي أريد أن تأتي بهذا الرجل الى منزلي فظننا انه يريد أن يعطيه شيأ قال فدخلنا الى منزله فأقبل على الطواف وقال له عجبت من جزعك فاعاد عليه القصة فقال له الجندي وكنت في تلك القافلة قال نعم وكان فيها فلان وفلان فعلم الجندي صحة قوله فقال وما علامة الهميان وفي أي موضع سقط منك فوصف له المكان والعلامة قال الجندي اذا رأيته تعرفه قال نعم فأخرج الجندي له هميانا ووضعه بين يديه فحين رآه صاح وقال هذا همياني والله وعلامة صحة قولي ان فيه من الفصوص ما هو كيت وكيت ففتح الهميان فوجده كما ذكر فقال الجندي خذ مالك بارك الله لك فيه فقال الطواف ان هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير وأكثر فخذها وأنت في حل منها ونفسي طيبة بذلك فقال الجندي ما كنت لآخذ على أمانتي مالا وأبى أن يأخذ شيأ ثم دفعها للطواف بجميعها فاخذها ومضى ودخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء اللهم أغن فقرنا ويسر أمرنا برحمتك يا أرحم الراحمين (وحكى) ان الملك ناصر الدولة من آل حمدان كان يشكو وجع القولنج حتى أعيا الاطباء دواؤه ولم

يجدوا له شفاء فدسوا على قتله وأرصدوا له رجلا ومعه خنجر فلما كان في بعض دهاليز القصر وثب عليه ذلك الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل خاصرته فلم تخط المعا الذي فيه القولنج فخرج ما فيه من الخلط فعافاه الله تعالى وبرئ أحسن ما كان وبهذا حكاه أبو بكر الطرطوشي قال حدثنا القاضي أبو مروان الداراني بطرطوشة قال نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فاووا الى دار خربة هنالك فاستكنوا فيها من الرياح والامطار واستوقدوا نارهم وسوّوا معيشتهم وكان في تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم يا هؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد في هذه البقعة فابوا الا دخولها فاعتزلهم ذلك الرجل وبات خارجا عنهم ولم يقرب ذلك المكان فاصبحوا في عافية وحملوا على دوابهم فبينما هم كذلك اذ دخل ذلك الرجل الى الدار ليقضي حاجته فخر عليه الحائط فمات لوقته قال وأخبرني أبو القاسم بن حبيش بالموصل قال لقد سمعت في هذه الدار وأشار الى دار هنالك قصة عجيبة قلت وما هي قال كان يسكن هذه الدار رجل من التجار ممن يسافر الى الكوفة في تجارة الخز فاتفق انه جمل جميع ما معه من الخز في خريج وحمله على حماره وسار مع القافلة فلما نزلت القافلة أراد انزال الخريج عن الحمار فثقل عليه فامر انسانا هنالك فاعانه على انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل ليأكل معه فسأله عن أمره فاخبره أنه من أهل الكوفة وانه خرج لحاجة عرضت له بغير نفقة ولا زاد فقال له الرجل كن رفيقي آنس بك وتعينني على سفري ونفقتك ومؤنتك عليّ فقال له الرجل وأنا أيضا أختار صحبتك وأرغب في مرافقتك فسار معه في سفره وخدمه أحسن خدمة الى أن وصلا الى تكريت فنزل الرفقة خارج المدينة ودخل الناس الى قضاء حوائجهم فقال التاجر لذلك الرجل احفظ حوائجنا حتى أدخل المدينة وأشتري ما نحتاج اليه ثم دخل المدينة وقضى جميع حوائجه ورجع فلم يجد القافلة ولا صاحبه ورحلت الرفقة ولم ير أحدا فظن انه لما رحلت الرفقة رحل ذلك الخادم معهم فلم يزل يسير ويجد السير في المشي الى أن أدرك القافلة بعد جهد عظيم وتعب شديد فسألهم عن صاحبه فقالوا ما رأيناه ولا جاء معنا ولكنه ارتحل على اثرك فظننا انك أمرته فكر الرجل راجعا الى تكريت وسأل عن الرجل فلم يجد له أثرا ولا سمع له خبرا فيئس منه ورجع الى الموصل مسلوب المال فوصلها نهارا فقيرا جائعا عريانا مجهودا فاستحى أن يدخلها نهارا فتشمت به الاعداء نعوذ بالله من شماتتهم وخشي أن يحزن الصديق اذا رآه على تلك الحالة فاستخفى الى الليل ثم عاد الى داره فطرق الباب فقيل له من هذا قال فلان يعني نفسه فأظهروا له سرورا عظيما وحاجة اليه وقالوا الحمد لله الذي جاء بك في هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة فانك أخذت مالك معك وما تركت لنا نفقة كافية وأطلت سفرك واحتجنا وقد وضعت زوجتك اليوم والله ما وجدنا ما نشتري به شيأ للنفساء فأتنا بدقيق ودهن نسرج به علينا فلما سمع ذلك ازداد غما على غمه وكره أن يخبرهم بحاله فيحزنهم بذلك فاخذ وعاء للدهن ووعاء للدقيق وخرج الى حانوت أمام داره وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو ذلك وكان البياع أطفأ سراجه وأغلق حانوته ونام فناداه فعرفه فاجابه وشكر الله على سلامته فقال له افتح حانوتك وأعطني ما نحتاج

اليه من دقيق وعسل ودهن فنزل البياع الى حانوته وأوقد المصباح ووقف يزن له ما طلب فبينما هو كذلك اذ حانت من التاجر التفاتة الى قعر الحانوت فرأى خرجه الذى هرب به صاحبه فلم يملك نفسه أن وثب اليه والتزمه وقال ياعدو الله ائتنى بمالى فقال له البياع ما هذا يافلان والله ما علمتك متعديا وأنا أبدا ما جنيت عليك ولا على غيرك فما هذا الكلام قال هذا خرجى هرب به خادم كان يخدمنى وأخذ حمارى وجميع مالى فقال البياع والله ما لى علم غير أن رجلا ورد على بعد العشاء واشترى منى عشاءه وأعطانى هذا الخرج فجعلته فى حانوتى وديعة الى حين يصبح والحمار فى دارجارنا والرجل فى المسجد نائم قال له احمل معى الخرج وامض بنا الى الرجل فرفع الخرج على عاتقه ومضى معه الى المسجد فاذا الرجل نائم فى المسجد فوكزه برجله فقام الرجل مرعوبا فقال مالك قال أين مالى ياخائن قال ها هو فى خرجك فوالله ما أخذت منه ذرة قال فاين الحمار وآلته قال هو عند هذا الرجل الذى معك فعفا عنه وخلى سبيله ومضى بخرجه الى داره فوجد متاعه سالما فوسع على أهله وأخبرهم بقصته فازداد سرورهم وفرحهم وتبرك وابذلك المولود فسبحان من لا يخيب من قصده ولا ينسى من ذكره (ولنلحق بهذا الباب ذكر شئ مما جاء فى التهنئة والبشائر) كتب بعضهم الى اخيه وقد أتاه خبر استبشر به سمعت عنك خبرا سارا اكتب فى الالواح وامتزج بالارواح وعد فى جملة البشائر العظام وجرى فى العروق وغشى فى العظام وكان خالد ابن عبد الله القسرى أخا هشام بن عبد الملك من الرضاع وكان يقول له انى لارى فيك آثار الخلافة ولا تموت حتى تليها فقال له ان أنا وليتها فلك العراق فلما ولى أتاه فقام بين الصفين وقال ياأمير المؤمنين أعزك الله بعزته وأيدك بملائكته وبارك لك فيما والاك ورعاك فيما استرعاك وجعل ولايتك على أهل الاسلام نعمة وعلى أهل الشرك نقمة لقد كانت الولاية اليك أشوق منك اليها وأنت لها أزين منها لك وما مثلها ومثلك الا كما قال الاحوص هذه الابيات

وان الدرزاد حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا
وتزيدن أطيب الطيب طيبا * ان تمسسه أين مثلك أينا

ودخل على المهدى أعرابى فقال له فيم جئت قال أتيتك برسالة قال هاتها قال أتانى آت فى منامى فقال ائت أمير المؤمنين فأبلغه هذه الابيات

لكم ارث الخلافة من قريش * تزف اليكم أبدا عروسا
الى هرون تهدى بعد موسى * تميس ومالها ان لا تميسا

فقال المهدى ياغلام على بالجواهر فحشا فاه حتى كاد ينشق ثم قال اكتبوا هذه الابيات واجعلوها فى بخانق صبيانا وقال ابراهيم الموصلى فى تهنئة الرشيد بالخلافة

ألم تر أن الشمس كانت مريضة * فلما أتى هرون أشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه * فهرون واليها ويحيى وزيرها

وغناه بها من وراء الحجاب فوصله بمائة ألف دينار ويحيى بخمسين ألفا ودخل عطاء بن أبى صيفى على يزيد بن معاوية وهو أول من جمع بين التهنئة والتعزية فقال رزئت خليفة

الله وأعطيت خلافة الله قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه وليت الرياسة وكنت أحق بالسياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكر الله على أعظم العطية ومر عمر بن هبيرة بعد اطلاقه من السجن بالرقة فاذا امرأة من بني سليم على سطح لها تحادث جارة لها البلا وهي تقول لا والذي أسأله أن يخلص عمر بن هبيرة مما هو فيه ما كان كذا فرمى اليها بصرة فيها مائة دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة فطيبي نفسا وقري عينا والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والخمسون في ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان)

(الفصل الاول في مدح العبيد والاماء والاستيصاء بهم خيرا) عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يدخل الجنة شهيد وعبد أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعن ابن عمر رضي الله عنهما رفعه ان العبد اذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه فله أجره مرتين وكان زيد بن حارثة خادما لخديجة رضي الله عنها اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبوه يريد شراءه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رضي بذلك فعلت فسئل زيد فقال ذل الرق مع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الي من عز الحرية مع مفارقته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخترنا اخترناه فأعتقه وزوجه أم أيمن وبعدها زينب بنت جحش وعن علي رضي الله عنه قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وعن أبي هريرة رضي الله عنه لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي وعن ابن مسعود الانصاري قال ضربت غلاما لي فسمعت من خلفي صوتا اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى فقال اما انك لو لم تفعل للفحتك النار وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم ثم أعاد عليه فصمت فلما كانت الثالثة قال له أعفو عنه كل يوم سبعين مرة وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال حدثني أبو القاسم نبي التوبة صلى الله عليه وسلم من قذف مملوكه وهو بريء مما قال جلد له يوم القيامة حدا وقيل أراد رجل بيع جاريته فبكت فقال لها مالك فقالت لو ملكت منك ما ملكت مني ما أخرجتك من يدي فأعتقها وتزوجها وقال أبو اليقظان ان قريشا لم تكن ترغب في أمهات الاولاد حتى ولدن ثلاثة هم خير أهل زمانهم علي بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وذلك أن عمر رضي الله عنه أتي ببنات يزدجرد بن شهريار بن كسرى مسبيات فأراد بيعهن فأعطاهن للدلال ينادي عليهن بالسوق فكشف عن وجه احداهن فلطمته لطمة شديدة على وجهه فصاح واعمراه وشكا اليه فدعاهن عمر وأراد أن يضربهن بالدرة فقال علي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكرموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر ان بنات الملوك لا يبعن ولكن قوموهن فقوموهن وأعطاه أثمانهن وقسمهن بين الحسن بن علي ومحمد بن

أبي بكر وعبد الله بن عمر فولدن هؤلاء الثلاثة وقيل استبق بنو عبد الملك فسبقوا مسلمة وكان ابن أمة فقتل عبد الملك بقول عمرو العبدى

خيتكموا أن تحملوا فوق خيلكم * هجينا لكم يوم الرهان فيدرك
فتعثر كفاه ويسقط سوطه * ويخدر ساقاه فما يتحرك
وهل يستوى المرآن هذا ابن حرة * وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

فقال له مسلمة يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ليس هذا مثلى ولكن كما قال ابن المعمر هذه الابيات

فما أنكحونا طائعين بناتهم * ولكن خطبناهم بارماحنا قسرا
فمازادنا فيها السباء مذلة * ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا
وكم قد ترى فينا من ابن سبية * اذا لقى الابطال يطعنهم شزرا
ويأخذ ريان الطعان بكفه * فيورده بيضا ويصدرها حمرا

فقبل رأسه وعينيه وقال أحسنت يا بنى ذاك والله انت وأمر له بمائة ألف درهم مثل ما أخذ السابق والله أعلم

(الفصل الثانى فى ذم العبيد والخدم) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بئس المال فى آخر الزمان المماليك وقال مجاهد اذا كثرت الخدم كثرت الشياطين وقال لقمان لابنه لا تأمنن امرأة على سر ولا تطأ خادما تريدها للخدمة ووصف بعضهم عبدا فقال يأكل فاره ويعمل كارها ويبغض قوما ويحب نوما وقيل لبعضهم ألك غلام فقال

ومالى غلام فأدعو به * سوى من أبوه أخو عمتى

وقال اكثم اطلب حر وان مسه الضر والعبد عبد وان ألبسته الدر ودعا بعض أهل الكوفة اخوانه وله جارية فقصرت فيما ينبغى لهم من الخدمة فقال

اذا لم يكن فى منزل المرء حرة * رأى خللا فيما يولى الولائد
فلا يتخذن حر قعيدة * فهن لعمر الله بئس القعائد

وكان لرجل غلام من اكسل الناس فأرسله يوما يشترى له عنبا وتينا فأبطأ عليه حتى عيل صبره ثم جاء بأحدهما فضربه وقال ينبغى لك اذا استقضيتك حاجة ان تقضى حاجتين فرض الرجل فأمر الغلام أن يأتيه بطبيب فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله عنه فقال اما ضاربتى وأمرتنى أن أقضى حاجتين فى حاجة فجئتك بالطبيب فان شفاك الله تعالى والا فحر لك هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفار وقيل كان عمرو الاعمى يلى حكم السند فكتب الى موسى الهادى ان رجلا من أشراف أهل الهند من آل المهلب بن أبى صفرة اشترى غلاما أسود فربا وتيناه فلما كبر وشب اشتد به هوى مولاته فراودها عن نفسها فأبت فدخل مولاه يوما على غفلة منه من حيث لا يعلم فاذا هو على صدر مولاته فعمد اليه فجب ذكره وتركه يتشحط فى دمه ثم أدركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه الى أن برئ من علته فأقام الغلام بعدها مدة يطلب أن يأخذ ثأره من مولاه ويدبر عليه أمرا يكون فيه شفاء

عليه وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع كأنهما الشمس والقمر فغاب الرجل يوما عن منزله لبعض الامور فاخذ الاسودان الصبيين فصعد بهما على ذروة سطح عال فنصبهما هناك وجعل يعللهما بالمطعم مرة وباللعب أخرى الى أن دخل مولاه فرفع رأسه فرأى ابنيه في شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابني للموت قال أجل والله الذي لا يحلف العبد باعظم منه لئن لم تجب ذلك لأرمين بهما فقال الله الله يا ولدي في تربيتي لك قال دع هذا عنك فوالله ما هي الا نفسي وانى لا سمح بها في شربة ماء فجعل يكرر عليه ويتضرع له وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد يريد الصعود اليه فيدليهما من ذلك الشاهق فقال أبوهما ويلك فاصبر حتى أخرج مدية وأفعل ما أردت ثم أسرع وأخذ مدية فجب نفسه وهو يراه فلما رأى الاسود ذلك رمى الصبيين من ذلك الشاهق فتقطعا وقال ان جبك لنفسك ثاري وقتل أولادك زيادة فيه فأخذ الاسود وكتب بخبره لموسى الهادي فكتب موسى لصاحب السند عمر والا تجمى بقتل الغلام وقال ما سمعت بمثل هذا قط وأمر أن يخرج من مملكته كل أسود فاترى أرد أمن العبيد ولا أقل خيرا منهم وأكثرهم ردائة المولدون لو أحسنت الى أحدهم الدهر كله بكل ما تصل يدك اليه انكره كأن لم يرمنك شيأ وكلما أحسنت اليه تمرد وان اسأت اليه خضع وذل وقد جربت أنا ذلك كثيرا وما أحسن ما قيل

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقيل ان العبد اذا شبع فسق وان جاع سرق وكان جدي لامي يقول شر المال تربية العبيد والمولدون منهم ألأم من الزنوج واردأ لان المولد لا يعرف له أبا وربما يعرف الزنجي أبويه ويقال في المولد بغل لانه مجنس والبغل تكون أمه فرسا وأبوه حمارا وبالعكس فلا تثق بمولد لانه قل ان يكون فيه خير وان كان فذلك نادر والنادر لا حكم له وانا استغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب التاسع والخمسون في اخبار العرب الجاهلية وأوابدهم وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب من اكاذيبهم

للعرب أوابد وعوائد كانوا يرونها فضلا وقد دل على بعضها القرآن العظيم وأكذب الله دعاويهم فيها فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون * قال أهل اللغة البحيرة ناقة كانت اذا نتجت خمسة أبطن وكان الاخير ذكرا بحروا اذنها أي شقوا اذنها وامتنعوا من ذكاتها ولا تمنع من ماء ولا مرعى * وكان الرجل اذا أعتق عبدا وقال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث * وأما الوصيلة ففي الغنم كانت الشاة اذا ولدت أنثى فهي لهم وان ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم * واما الحام فالذكر من الابل كانت العرب اذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى * وقال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فالخمر ما خامر العقل ومنه سميت الخمر خمرا والميسر القمار والانصاب حجارة وكانت لهم يعبدونها وهي الاوثان واحدها نصب والازلام سهام كانت لهم مكتوب

على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي فاذا أراد الرجل سفرا أو أمرا يهتم به ضرب بتلك القداح فاذا خرج الامر مضى لحاجته واذا خرج النهي لم يمض * ومن أوادهم وأد البنات أي دفنهن احياء كانوا في الجاهلية اذا رزق أحدهم انثى وأدها واذا بشر بها ضاق صدره وكظم وجهه وهو قوله تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وقال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم وقد قيل انهم كانوا يقتلونهن خوف العار ومكة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش تئد فيه البنات * وقيل ان صعصعة جد الفرزدق كان يشتري البنات ويفديهن من القتل كل بنت بناقتين عشراوين وجمل وفاخر الفرزدق رجلا عند بعض خلفاء بني أمية فقال أنا ابن محيي الموتى فأنكر الرجل ذلك فقال ان الله تعالى يقول ومن أحياها فكأنما احيا الناس جميعا * واما الرفادة في الحج فكانت خرجا تخرجه قريش في كل موسم من أموالهم الى قصي فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولازاد وذلك ان قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وان الحاج ضيوف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحاج حتى يصدروا عنكم ففعلوا وكانوا يخرجون ذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه اليهم وقيل أول من أقام الرفادة عبد المطلب وهو الذي حفر بئر زمزم وكانت مطمورة واستخرج منها الغزالين الذهب اللذين عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلي وسبعة أسياف وخمسة دروع سوابغ فضرب من الاسياف باب الكعبة وجعل أحد الغزالين الذهب صفائح الذهب وجعل الاخر في الكعبة واعلم وفقني الله واياك أنه لم يسمع بعجب أعظم من عجب سعيد بن زرارة وعبد الله ابن زياد التميمي وابن عمالك الاسدي الذين ضرب بهم المثل فاما سعيد بن زرارة فقيل انه مرت به امرأة فقالت له يا عبد الله كيف الطريق الى مكان كذا فقال لها اياها شتاء مثلي يكون من عبيد الله وأما عبد الله بن زياد التميمي فقيل أنه خطب الناس بالبصرة فاحسن وأوجز فقود من نواحي المسجد كثر الله فينا مثلك فقال لقد كافتم الله شططا وأما ابن عمالك فانه أضل راحلته فالتمسها فلم يوجد فقال والله لئن لم يرد راحلتي علي لاصليت له أبدا فوجدت وقد تعلق زمامها ببعض أغصان الشجر فقيل له قد رد الله عليك راحلتك فصل فقال انما كانت يميني عينا قصدا فانظر رحمك الله الى هذا العجب كيف ذهب بهم حتى افضى بهم الى الكفر وصار واحدا مستبشعا ومثلا بين العالمين مستشنعا نعوذ بالله من الخذلان المؤدي الى النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (حكي) عن الحجاج بن يوسف الثقفي أنه قيل له كيف وجدت منزلك بالعراق قال خير منزل ان الله اظفرني بأناس بغى الاسل فيهم واعانني على الانتقام منهم فكنت اتقرب اليه بدمائهم فقيل له من هم فذكر هؤلاء الثلاثة وذكر حديثهم ولا محالة انهم من محاسن الحجاج وان قلت في جنب سيآته والله أعلم

ذكر أديان العرب في الجاهلية كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكانت اليهودية في نمير وبني كنانة وبني الحرث بن كعب وكندة وكانت المجوسية في بني تميم

منهم زرارة بن عدى وابنه على وكان تزوج ابنته ثم ندم ومنهم الاقرع بن حابس كان مجوسيا وكانت الزندقة فى قريش أخذوها من الجزيرة وكانت بنو حنيفة اتخذوا فى الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم أدركتهم مجاعة فأكلوه وقد قيل ان أول من غير الحنيفية عمرو بن لحى أبو خزاعة وهو انه رحل الى الشام فرأى العماليق يعبدون الاصنام فاعجبه ذلك فقال ما هذه الاصنام التى أراكم تعبدونها قالوا هذه أصنام نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال اعطونى منها صنما أسير به الى أرض العرب فيعبدونه فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه وقيل ان أول ما كانت عبادة الاحجار فى بنى اسمعيل وسبب ذلك انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حتى ضاقت عليهم وتفرقوا فى البلاد وما من أحد الا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة وأفضى ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحسنوه من الحجارة ثم خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه من دين اسمعيل فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلال وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جوف الكعبة يقال له هبل وأيضا اتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم فينحرون عندها ويطعمون وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة فوقع اساف على نائلة فى الكعبة فمسخهما الله حجرين واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل سفرا تمسح به حين يركب وكان ذلك آخر ما يصنع اذا توجه الى سفره واذا قدم من سفره بدأ به قبل أن يدخل الى أهله واتخذت العرب الاصنام وانهمكوا على عبادتها وكانت لقريش وبنى كنانة العزى وكان حجابها بنى شيبة وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان حجابها بنى معتب من ثقيف وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم * وأما يغوث ويعوق ونسر فقيل انهم كانوا اسماء أولاد آدم عليه السلام وكانوا اتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان وحسن لهم أن يصوروا صورته فى قبلة مسجدهم ليذكروه اذا نظروه ففعلوا ذلك فقال اجعلوه فى مؤخر المسجد ففعلوا وصوروه من صفر ورصاص ثم مات آخر ففعلوا ذلك الى أن ماتوا كلهم فصوروهم هنالك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وحسن لهم الشيطان عبادة شئ غير الله فقالوا له من نعبد قال آلهتكم المصورة فى مصلاكم فعبدوها الى أن بعث الله نوحا عليه السلام فنهاهم عن عبادتها فقالوا ما أخبر الله عنهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية ولما عم الطوفان الارض طمها وعلا عليها التراب زمانا طويلا فأخرجها الشيطان لمشركى العرب فعبدوها وذكر الواحدى فى الوسيط أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون انشط لهم وأشوق للعبادة كما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم جهال بالاحوال فحسن لهم عبادتها وان من سبقهم من قومهم عبدوها فسموها باسمائهم وقال الواقدى كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر والله تعالى أعلم أى ذلك كان

(ذكروا بداهم) الرتم شجر معروف كانت العرب اذا خرج أحدهم الى سفر عمد الى شجرة

منه فعقد غصنا منها فاذا عاد من سفره ووجده قد انحل قال قد خاتنى امرأتى وان وجده على حالته قال لم تخنى * الرتيمة ناقة كانت العرب اذا مات واحد منهم عقلوا ناقته عند قبره وسدوا عينيها حتى تموت يزعمون أنه اذا بعث من قبره ركبها * التعمية والتفقئة كان الرجل اذا بلغت ابله ألفا قلع عين الفحل يقولون ان ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت على الالف فقأ عينه الاخرى * العرداء يصيب الابل شبه الجرب كانوا يكوون السليمة ويزعمون أن ذلك يبرئ داء العرداء * ضرب الثور عن البقر كانت البقر اذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون ان الجن يركبون الثيران فيصدون البقر عن الشرب * الهامة كانوا يزعمون ان الانسان اذا قتل ولم يؤخذ بثأره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة وهو كالبومة فلا يزال يصيح على قبره اسقونى الى أن يؤخذ بثاره وكان للعرب مذاهب فى الجاهلية فى النفس وتنازع فى كيفياتها فمنهم من زعم ان النفس هى الدم وان الروح الهواء الذى فى باطن جسم الانسان الذى منه نفسه وقالوا ان الميت لا يوجد فيه الدم وانما يوجد فى الحياة مع الحرارة والرطوبة لان كل حى فيه حرارة ورطوبة فاذا مات ذهبت حرارته وحل به اليبس والبرودة وطائفة منهم يزعمون ان النفس طائر ينشط من جسم الانسان اذا مات او قتل ولا يزال متصورا فى صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا له وفى ذلك يقول بعضهم

سلط الموت والمنون علينا * فلهم فى صدى المقابر هام

ثم جاء الاسلام والعرب ترى صحة أمر الهام حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هام وزعموا ان هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير كضرب من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد فى الديار المعطلة والنواويس ومصارع القتلى ويزعمون ان الهامة لا تزال عند ولد الميت لتعلم ما يكون من خبره فتخبر الميت * الصفر زعموا ان الانسان اذا جاع عض على شرسوفه الصفر وهى حية تكون فى البطن * تثنية الضربة زعموا ان الحية تموت فى أول ضربة فاذا ثنيت عاشت * الغيلان والتغوّل للعرب فى الغيلان والتغول اخبار وأقاويل يزعمون ان الغول يتغوّل لهم فى الخلوات فى أنواع الصور فيخاطبونها وتخاطبهم وزعمت طائفة من الناس ان الغول حيوان مشؤم وانه خرج منفردا ليستأنس ويوحش وطلب القفار وهو يشبه الانسان والبهيمة ويتراءى لبعض السفار فى أوقات الخلوات وفى الليل (وحكى) ان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه رآه فى سفره الى الشأم فضربه بالسيف وقال لحاطب الغول كل شئ يتعرض للسيارة ويتلون فى ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف وقالوا انه ذكر وأنثى الا أن أكثر كلامهم انه أنثى واما القطرب فى قولهم فهو نوع من الاشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر فى أكناف اليمن وصعيد مصر فى أعاليه وربما انه يلحق الانسان فينكحه فيدوم دبره فيموت وربما نزا على الانسان وأمسكه فيقول أهل تلك النواحى التى ذكرناها أمنكوح هو أم مذعور فان كان قد نكحه أيسوا منه وان كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه واذا رآه الانسان وقع مغشيا عليه ومنهم من يظهر له فلا يكترث به لشهامته وثبات قلبه

(ذكر الهواتف) أما الهواتف فقد كانت كثرت فى العرب وكان أكثرها أيام ولد سيدنا رسول

الله صلى الله عليه وسلم وان من حكم الهواتف ان تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئى
(ومن عجيب) ما حكى من أمر الهواتف ما حكاه أبو عمرو بن العلاء قال خرجنا حجاجا فصاحبنا
رجل وجعل يقول فى طريقه ليت شعرى هل بقى على فلما انصرفنا من مكة قالها فى بعض
الطريق فأجابه صوت فى الظلام نعم ونا كها جميعه * وهو رجل أحمر ضخم فى قفاه كيه * فسكت
الرجل فلما صرنا الى البصرة اخبرنا ذلك الرجل قال دخل جيراني يسلمون على فاذا فيهم رجل
أحمر ضخم فى قفاه كية فقلت لاهلى من هذا قالت رجل كان الطف بجيراننا فجزاه الله خيرا
فسألتها عن اسمه فقالت جحية فقلت الحق باهلك * وأما بكاء المقتول فكانت النساء لا يبكين
المقتول حتى يؤخذ ثاره فاذا أخذ ثاره بكينه * واما رمى السن فكانوا يزعمون ان الغلام
اذا ثغر فرمى سنه فى عين الشمس بسبابته وابهامه وقال أبدلنى بأحسن منها فانه يأمن على
اسنانه العوج والفلج * وأما خضاب الخرنك كانوا اذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق
واحد منها خضبوا صدره بدم الصيد علامة * وأما نصب الراية فكانت العرب تنصب الرايات
على أبواب بيوتهم لتعرف بها * وأما جزر النواصى فكانوا اذا أسروا رجلا ومنوا عليه
وأطلقوه جزوا ناصيته * وأما الالتفات فكانوا يزعمون ان من خرج فى سفر والتفت وراءه لم يتم
سفره فان التفت تطير واله * وكانوا يقولون من علق عليه كعب الارنب لم تصبه عين ولا سحر
وذلك ان الجن تهرب من الارنب لانها تحيض وليست من مطايا الجن ويزعمون ان المرأة اذا
أحبت رجلا وأحبها ثم لم يشق عليها رداءه وتشق عليه برقعها فسد حبهما ويزعمون أن الرجل
اذا قدم قرية تخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها ونهق كما تنهق الحمير لم يصبه وباؤها
ويزعمون ان الحرقوص وهو دويبة أكبر من البرغوث تدخل فى فروج الابكار فتفتضهن
ويزعمون أن الرجل اذا ضل فتلب ثيابه اهتدى وكانوا يزعمون ان الناقة اذا نفرت وذكر
اسم أمها فانها تسكن وكانت لهم خرزة يزعمون ان العاشق اذا حكها وشرب ما يخرج منها
صبر وتسمى السلوان ونكاح المقت من سننهم وهو ان الرجل اذا مات قام ولده الاكبر فألقى
ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها فان لم يكن له بها حاجة زوجها بعض اخوته بمهر جديد
فكانوا يرثون النكاح كما يرثون المال ولهم حكايات عجيبة وأحوال غريبة والله تعالى
أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه
وسلم

الباب الستون فى الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة والفراسة والنوم والرؤية وما أشبه ذلك

أما الكهانة فكانت فاشية فى الجاهلية حتى جاء الاسلام فلم يسمع فيه بكاهن وكان ذلك من
معجزات النبوة وآياتها وللكهنة أخبار فمنهم سطيح ورد عليه عبد المسيح وهو يعالج الموت
وأخبره على ما يزعمون بما جاء لاجله وذلك ان الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا
قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فلما اصبح اعلم كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا منه
رأى أن لا يكتم ذلك عن وزرائه ورؤساء مملكته فلبس تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه
ورؤساء مملكته فأخبرهم بالخبر فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران وارتجاس

الايوان فازداد وانما على غمهم فكتب كسرى كتابا الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه
الى رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه اليه عبد المسيح الغسانى فقال له كسرى
أعندك علم بما أريد ان أسألك عنه قال ليخبرنى الملك فان كان عندى علم منه والا أخبرته بمن
يعلمه فأخبره بما رآه الموبذان فقال علم ذلك عند كاهن يسكن مشارف الشام يقال له سطيح
قال فأته فاسأله عما سألتك واتنى بالجواب فركب عبد المسيح * وتوجه الى سطيح * فوجده قد
أشرف على الضريح * فسلم عليه وحياه ولم يخبره عبد المسيح بما جاء بسببه غير انه أنشده شعرا
يذكر فيه انه جاء برسالة من قبل ملك العجم ولم يذكر له السبب فرفع رأسه وقال عبد المسيح على
جمل يسير الى سطيح بعنك ملك بنى ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا
الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت الدجلة وانتشرت فى بلادها يا عبد
المسيح اذا كثرت التلاوه وفاض وادى سماوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت نار
فارس فليس الشام لسطيح شاما ولا الفيحم لعبد المسيح مقاما يرتفع أمر العرب واظن ان
وقت ولادة محمد قد اقترب يملك منهم ملوك وملكات * بعدد الشرافات * وكل ما هو آت آت
* ثم قضى سطيح مكانه فثار عبد المسيح الى راحلته وعاد فأخبر كسرى بذلك (وحكى) ان ربيعة
ابن مضر اللخمى رأى مناما هاله فأراد تفسيره فقال له أهل مملكته ما يفسره الا الاشق
وسطيح فأحضرهما وقال لسطيح انى رأيت مناما هالنى فان عرفته فقد أصبت تفسيره فقال
رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض نهمة فأكل منها كل ذات جمجمة فقال له
الملك ما اخطأت شيأ فما تفسيره قال لهبطن بأرضك الحبش وتملك ما بين أبين الى جرش فقال
الملك ان هذا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفى زمانى أم بعده قال بل بعده بحين أكثر من
ستين أو سبعين تمضى من السنين ثم يقتتلون بها أجمعين ويخرجون منها هاربين قال
ومن ذا الذى يملك بعدهم قال أراه ذا زين * يخرج عليهم من عدن * فما يترك منهم أحدا باليمن *
قال الملك فيدوم ذلك أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبى زكى * يأتيه الوحى
من العلى * قال ومن يكون هذا النبى * قال من ولد عدنان بن فهر بن مالك بن النضر * يكون
فى قومه الملك الى آخر الدهر * قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون
والآخرون * ويسعد فيه المحسنون ويشقى المسيئون * قال اوحق ما تخبر قال والشفق
والقمر اذا اتسق ان ما انبأتك به لحق ثم دعا بشق فقال مثل ما قال سطيح * ومن ذلك ما حكى ان
أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف الى المفاخرة فقال له هاشم أفاخرك على خمسين ناقة
سود الحدق تحمر بمكة فرضى أمية بذلك وجعلا بينهما الخزاعى الكاهن حكما فخبؤا له شيأ
وخرجا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا قد خبأنا لك خبأ فان علمته حاكمنا اليك
وان لم تعلمه تحاكمنا الى غيرك فقال لقد خبأتم لى كيت وكيت قالوا صدقت احكم بين هاشم
ابن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس أيهما أشرف بيتا ونسبا ونفسا فقال والقمر الباهر *
والكوكب الزاهر * والغمام الماطر * وما بالجو من طائر * وما اهتدى بعلم مسافر * لقد سبق
هاشم أمية الى المآثر * ولأمية أواخر * فأخذها هاشم الابل ونحرها واطعمها من حضر وخرج
أمية الى الشام وأقام بها عشر سنين ويقال انها أول عداوة وقعت بين بنى هاشم وبنى أمية

(وحكى)

(وحكى) ان هند بنت عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه بن المغيرة وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة خارجا عن البيوت تغشاه الناس من غير اذن فخلا البيت ذات يوم واضطجع فيه هو وهند ثم نهض لحاجة فاقبل رجل ممن كان يغشى البيت فوطئه فلما رأى هند ارجع هاربا فلما نظره الفاكه دخل عليها فضربها برجله وقال لها من هذا الذى خرج من عندك قالت ما رأيت أحدا قط وما انتبهت حتى انبهتنى قال فارجعى الى بيت أبيك وتكلم الناس فيها فقال أبوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك الكلام فان يكن الرجل صادقا فسيت عليه من يقتله لينقطع كلام الناس وان يك كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فقالت له لا والله ما هو على بصادق فقال له يا فاكه انك قد رميت ابنتى بأمر عظيم فحاكمنى الى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه فى جماعة من بنى مخزوم وخرج أبوها فى جماعة من بنى عبد مناف ومعهم هند ونسوة فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على هذا الرجل فتغيرت حالة هند فقال لها أبوها انى أرى حالك قد تغيرت وما هذا الا لمكروه عندك فقالت لا والله ولكن أعرف انكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمنى بسمة تكون على سبة فقال لها لا تخشى فسوف أختبره فصفر لفرسه حتى أدلى ثم ادخل فى احليله حبة حنظل وربطه فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم فلما تغدوا قال له عتبة قد جئناك فى أمر وقد خبأنا لك خبيئة نختبرك بها قال خبأتم لى ثمرة فى كمرة قال انى أريد ابين من هذا قال حبة بر فى احليل مهر قال فانظر فى أمر هؤلاء النسوة فجعل يأتى الى كل واحدة منهن ويضرب يده على كتفها ويقول لها انهضى حتى بلغ هندا فقال انهضى غير رسحاء ولا زانية وستلدين ملكا اسمه معاوية فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده وقالت املك عنى فوالله انى لاحرص أن يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان فولدت منه أمير المؤمنين معاوية رضى الله عنه

وأما القيافة فهى على ضربين قيافة البشر وقيافة الاثر فاما قيافة البشر فالاستدلال بصفات اعضاء الانسان وتختص بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على أحدهم مولود فى عشرين نفرا فيلحقه بأحدهم (وحكى) عن بعض أبناء التجار أنه كان فى بعض أسفاره راكبا على بعيره يقوده غلام اسود فمر بهؤلاء القبيلة فنظر اليه واحد منهم وقال ما أشبه الراكب بالقائد قال ولد التاجر فوقع فى نفسى من ذلك شئ فلما رجعت الى أمى ذكرت لها القصة فقالت يا ولدى ان أباك كان شيخا كبيرا ذا مال وليس له ولد فخشيت أن يفوتنا ماله فكنت هذا الغلام من نفسى فحملت بك ولولا ان هذا شئ ستعلمه غدا فى الدار الآخرة لما أعلمتك به فى الدنيا * وأما قيافة الاثر فالاستدلال بالاقدام والحوافر والخفاف وقد اختص به قوم من العرب أرضهم ذات رمل اذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه حتى يظفروا به ومن العجب انهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ والمرأة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من المستوطن ويذكر أن فى قطيعة وثغر البرلس اقواما بهذه الصفة وقد وقعت من قريش حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر الى الغار على صخر صلد واحجار رصم ولا طين ولا تراب تبين فيه الاقدام فحجبهم الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم

عما كان من نسج العنكبوت وما لحق القائف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام هذا ومعهم الجماعة من قريش وأبصارهم سليمة ولولا أن هنالك لطيفة لايتساوى الناس فيها يعنى فى علمها لما استأثر بعلم ذلك طائفة دون أخرى وقيل ان القيافة لبنى مدلج فى أحياء مضر واختلف رجلان من القافة فى أمر بعير وهما بين مكة ومنى فقال أحدهما هو جمل وقال الآخر هى ناقة وقصدا يتبعان الاثر حتى دخلا شعب بنى عامر فاذا بعير واقف فقال أحدهما لصاحبه اهوذا قال نعم فوجداه مختفيا فأصابا جميعا

ومنهم من كان يخط الرمل فى الارض ويقول فيوافق قوله ما يأتى بعد وقال رجل شردت لى ابل فجئت الى خراش فسألته عنها فأمر بنته أن تخط لى فى الارض فخطت ثم قامت فضحك خراش ثم قال أتدرى قيامها لاى شئ قلت لا قال قد علمت انك تجد ابلك وتتزوجها فاستحييت ثم خرجت فوجدت ابلى ثم تزوجتها وخرج عمرو بن عبد الله بن معمر ومعه مالك بن خراش الخزاعى غازيين فرأيا مرأة وهى تخط للناس فى الارض فضحك منها مالك هزوا وقال ما هذا فقالت اما والله لا تخرجن من سجستان حتى تموت ويتزوج عمرو هذا زوجتك فكان كما ذكرت

وأما الزجر والعرافة فاحسنه ما روى ان كسرى ابرويز بعث الى النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا ومصورا فقال للزاجر انظر ما ترى فى طريقك وعنده وقال للمصور ائتنى بصورته فلما عادا اليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته ثم قال للزاجر ماذا رأيت قال ما رأيت ما أزجر به الا انه سيعلو أمره عليك لانك وضعت صورته على وسادتك وبعث صاحب الروم الى النبى صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له انظر اليه وسل الى جانبه وانظر الى ما بين كتفيه حتى ترى الخاتم والشامة فقدم الرسول فرأى النبى صلى الله عليه وسلم على نشز عال واضعا قدميه فى الماء وعن يمينه على رضى الله عنه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له تحول فانظر ما أمرت به فنظر الرسول فلما رجع الى صاحبه أخبره الخبر فقال ليعلون أمره ولملكن ما تحت قدمى فتفاءل بالنشز العالى وبالماء الحياة * وقال المدايني وقع الطاعون بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان حين أتاها فخرج هاربا ونزل بقرية من قرى الصعيد فقدم عليه حين نزلها رسول لعبد الملك بن مروان فقال للرسول ما اسمك قال طالب بن مدرك فقال أواه ما أظن انى أرجع الى الفسطاط فمات ولم يرجع وكانت نائلة بنت عمار الكلبى تحت معاوية فقال لفاختة بنت قرظة اذهبى فانظرى اليها فذهبت ونظرت فقالت ما رأيت مثلها ولكنى رأيت تحت سرتها خالا لايوضع معه رأس زوجها فى حجرها فطلقها معاوية وتزوجها بعده رجلان حبيب بن مسلمة والنعمان بن بشير فقتل أحدهما ووضع رأسه فى حجرها وبينما مروان ابن محمد جالس فى ايوانه يتفقد الامور اذ تصدعت زجاجة من الايوان فوقعت منها الشمس على منكب مروان وكان هنالك عراف وقيل قياف فقام فتبعه ثوبان مولى مروان فسأله فقال صدع الزجاج صدع السلطان ستذهب الشمس بملك مروان بقوم من الترك أو خراسان ذلك عندى واضح البرهان فما مضى غير شهرين حتى مضى ملك مروان (وروى)

المدايني ان علياً رضي الله عنه بعث معقلا في ثلاثة آلاف ليقيم بالرقة وذلك في وقعة صفين فسار حتى نزل الحديبية فبينما هو ذات يوم جالس اذ نظر الى كبشين ينتطحان فجاء رجلان فأخذ كل واحد منهما كبشا فذهب به فقال شداد بن أبي ربيعة الظعمي الزاجر انكم لتنصرفون من وجهكم هذا لا تغلبون ولا تغلبون اما ترى الكبشين كيف انتطحا حتى حجز بينهما فتفرقا ولا فضل لاحدهما على الآخر (وحكى) أن الاسكندر ملك بعض البلاد فدخل فيها فوجد امرأة تنسج ثوبا فلما رأته قالت له أيها الملك قد أعطيت ملكا ذا طول وعرض ثم دخل عليها بعد ذلك فقالت ستعزل من الملك قال فغضب عند ذلك فقالت له لا تغضب فانك في المرة الاولى دخلت علي والشقة بيدي اديرطولها وعرضها ودخلت علي الآن والشقة في يدي أريد قطعها لاني قد فرغت من نسجها فلا تغضب فان النفوس تعلم أشياء بعلامات قال الراوي فكان كذلك (وحكى) أن سيف بن ذي يزن لما استنجد كسرى على قتال الحبشة بعث اليه بجيش عظيم فخرج اليهم ملك الحبشة وهو مسروق ابن ابرهة في مائة ألف من الحبشة وكان بين عينيه ياقوتة حمراء معلاقة من الذهب على تاجه تضيء كالنور وهو على فيل عظيم قال وكان في عسكر ذي يزن رجل يقال له زهير فتأمل ذلك منه ثم قال لامير اصبر لننظر ما يكون من أمره قال فتحول مسروق من الفيل الى جمل فقال اصبر فتحول بعد ذلك الى فرس ثم الى بغل ثم الى حمار وكانه انف من مقاتلتهم على شئ من ذلك الا على حمار لما انه استصغرهم واستحقرهم وتنرس ذلك الرجل فيه من الانتقال من أعلى الى ادنى وقال احملوا عليهم فان ملكهم قد ذهب فانه انتقل من كبير الى صغير فحملوا عليهم فكسروهم وقتل الملك (وحكى) انه كان عراف من الطرقيين ببغداد يخبر بما يسأل عنه فلم يخطئ فسأله رجل عن شخص محبوس هل ينطلق قال نعم ويخلع عليه قال فقالت له بأي شئ عرفت ذلك فقال انك لما سألتني التفت يمينا وشمالا فوجدت رجلا على ظهره قربة ماء فدرغها ثم حملها على كتفه فأتوا الماء بالمحبوس وتفريغه بالانطلاق ووضعها على كتفه بالخلعة قال وكان الامر كذلك

وأما الفأل فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل الصالح والاسم الحسن وروي أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل المدينة على كلثوم دعا غلاما من له يا بشار ويا سالم فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه أبشر يا أبا بكر فقد سلمت لنا الدار وقال الاصمعي سألت ابن عون عن الفأل فقال هو أن يكون مريض فيسمع يا سالم أو طالب حاجة فيسمع يا واجد وما أشبه ذلك وأما الطيرة فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل ويكره الطيرة وقيل ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من عرض له من هذه الطيرة شئ فليقل اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له وعن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر وعن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه من أتى كاهنا فصدقه فيما يقول أو أتى امرأته حائضا أو أتى امرأته في دبرها فقد برئ مما نزل على محمد وأنشد المبرد هذه الابيات يقول

لا يعلم المرء لبلا ما يصبحه * الا كواذب ما يجرى به الفال
والفال والزجر والكهان كلهم * مضلاون ودون الغيب اقفال

وقال لبيد

لعمرى ما تدرى الطوارق بالحصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وقال آخر

تعلم انه لا طير الا * على متطيرو هو الثبور
بلى شئ يوافق بعض شئ * احايينا وباطله كثير

وكانت العرب تتطير باشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه ان دابة يقال لها العاطوس كانوا يكرهونها وكانوا اذا أرادوا سفرا خرجوا من الغلس والطير فى أوكارها على الشجر فيطيرونها فان أخذت يمينا أخذوا يمينا وان أخذت شمالا أخذوا شمالا ومنه قول امرئ القيس

وقد أغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

والعرب أعظم ما يتطيرون منه الغراب فالقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتما لانه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الاعور على جهة التطير اذ كان أصح الطير بصرا وفيه يقول بعضهم

اذا ما غراب البين صاح فقل له * ترفق رمالك الله يا طير بالبعد
لانت على العشاق أقبح منظر * وأبشع فى الابصار من رؤية اللبد
تصيح بين ثم تعثر ما شيا * وتبرز فى ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا * كانك من يوم الفراق على وعد

وأعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالابل وسبب ذلك لكونها تحمل اثقال من ارتحل وفى ذلك قال بعضهم مفردا وأجاد

زعموا بأن مطيهم سبب النوى * والمؤذنات بفرقة الاحباب

وقالوا من تطير من شئ وقع فيه (وحكى) عن ابراهيم بن المهدى قال أرسل الى محمد بن زبيدة فى ليلة من ليالى الصيف مقمرة يقول ياعم انى مشتاق اليك فاحضر الآن عندنا فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة وعنده سليمان بن أبى جعفر وجارية نعيم فقال لها غنينا شيأ فقد سررت بعمومتى فغنت وهى تقول هذه الابيات

هموقتلوه كى يكونوا مكانه * كما فعلت يوما بكسرى هرازبه
بنى هاشم كيف التواصل بيننا * وجند اخيه سيقه ونجائبه

قال فغضب وتطير وقال لها ما قصتك ويحك انتهى وغنى ما يسرنى فغنت تقول

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأكثر حزما منك ضرج بالدم

فقال لها ويحك ما هذا الغناء فى هذه الليلة غنى غير هذا فغنت تقول هذه الابيات

ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء

تبكي فراقهم عيني فأرقها * ان التفرق للمشتاق بكاء

قال فانتهرها وقال لها قومي الى لعنة الله فقالت والله يا مولاي لم تجر على لساني غير هذا وما ظننت الا أنك تحبه ثم انها قامت من بين يديه وكان بين يديه قدح بلور كان أبوه يحبه فاصابه طرف ردائها فانكسر قال ابراهيم بن المهدي فالتفت الي وقال يا عمي أرى ان هذا آخر أمرنا فقلت كلا بل يقيك الله يا أمير المؤمنين ويسرك فسمعتها تقول قضى الامر الذي فيه تستفتيان فقال لي اسمعت ما سمعت يا عم فقلت ما سمعت شيئا وما هذا الا توهم فاذا الصوت قد علا فقال يا عم اذهب الى بيتك فمحال ان يكون بعد هذا اجتماع قال فانصرفت من عنده وكان هذا آخر عهدي به وخرج أبو الشمقمق مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل فلما أراد الدخول اليها اندق لواؤه في أول درب منها فتطير لذلك فانشده أبو الشمقمق يقول

ما كان منذ ق اللواء لريبة * تخشى ولا أمر يكون مبتلا

لكن هذا الرمح ضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسر خالد وأمر لابي الشمقمق بعشرة آلاف درهم ودخل الحجاج الكوفة متوجها الى عبد الملك فصعد المنبر فانكسر تحت قدمه لوح فعلم انهم قد تطيروا له بذلك فالتفت الى الناس قبل ان يحمد الله تعالى فقال شاهت الوجوه وتبت الايدي وبؤتم بغضب من الله اذا انكسر عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم واني على اعداء الله تعالى لاذكى من الغراب الابقع وأشأم من يوم نحس مستمر واني لاعجب من لوط وقوله لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد فاي ركن أشد من الله تعالى أو ما علمتم ما أنا عليه من التوجه الى أمير المؤمنين وقد وليت عليكم أخي محمد بن يوسف وامرته بخلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا في أهل اليمن فانه أمره أن يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أمرته أن يسيء الى محسنكم وان لا يتجاوز عن مسيئكم وأنا أعلم انكم تقولون بعدي لا أحسن الله له الصحابة وأنا معجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم وخرج بعض ملوك الفرس الى الصيد فأول من استقبله أعور فضربه وأمر بحبسه ثم ذهب للصيد فاصطاد صيدا كثيرا فلما عاد استدعى بالاعور فامر له بمال فقال لا حاجة لي به ولكن ائذن لي في الكلام فقال تكلم فقال أيها الملك انك تلقيتني فضربتني وحبستني وتلقيتك فصدت وسلمت فاينا اشأم صباحا على صاحبه فضحك منه وأمر له بصلة (وحكي) أيضا ان صاحب قرطبة أصابه وجع فأمر بعض جواريه ان تغنيه ليلهو عن وجعه فقالت مفردا

هذي الليالي علمتنا ان ستطوينا * فشمر عينا بماء المزن واسقينا

قال فتطير من ذلك وأمرها بالانصراف ولم يقم بعد ذلك غير خمسة أيام ومات (وحكي) ان نور الدين محمودا وهمام الدين ركبا في يوم عيد وخرجا للتفرج فتجاريا في الكلام ثم قال محمود يا من درى هل نعيش الى مثل هذا اليوم فقال له همام الدين قل هل نعيش الى آخر هذا الشهر فان العام كثير قال فأجرى الله على منطقهما ما كان مقدرا في الازل فمات أحدهما

قبل تمام الشهر ومات الآخر قبل تمام العام

وأما الفراسة فقد قال الله تعالى ان فى ذلك لايات للمتوسمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وقال على رضى الله عنه ما أضمر أحد شيأ الا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه وقيل أشار ابن عباس رضى الله عنهما على على رضى الله عنه بشئ فلم يعمل به ثم ندم فقال يرحم الله ابن عباس كأنما ينظر الى الغيب من ستر رقيق (وحكى) أن سعيدا الخراز أتاه كان فى الحرم فقير ليس عليه الا ما يستر عورته فأنفت نفسى منه فتفرس ذلك منى فقرأ واعلموا ان الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه فندمت واستغفرت الله فى قلبى فتفرس ذلك أيضا فقرأ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده (وحكى) عن الشافعى ومحمد بن الحسن انهما رأيا رجلا فقال أحدهما انه نجار وقال الآخر انه حداد فسألاه عن صنعته فقال كنت حدادا وانا الآن نجار (وحكى) ان شخصا من أهل القرآن سأل بعض العلماء مسئلة فقال له اجلس فانى اشم من كلامك رائحة الكفر فاتفق بعد ذلك انه سافر السائل فوصل الى القسطنطينية فدخل فى دين النصرانية قال من رآه ولقد رأيته متكئا على دكة وبيده مروحة يروح بها على فقلت السلام عليك يا فلان فسلم على وتعارفنا ثم قلت له بعد ذلك هل القرآن باق على حاله أم لا فقال له لا أذكر منه الا آية واحدة وهى قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال فبكيت عليه وتركته وانصرفت وكان الحسن ابن السقاء من موالى بنى سليم ولم يكن فى الارض أحرز منه كان ينظر الى السفينة فيحزر ما فيها فلا يخطئ وكان حزره للمكيول والموزون والمعدود سواء كان يقول فى هذه الرمانة كذا كذا حبة وزنتها كذا وكذا ويأخذ العود الآس فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطئ وقالوا اذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول لشئ ما عند الله خير وأبقى فاعلم ان فى جواره ولمة ولم يدع اليها واذا رأيت قوما يخرجون من عند قاض وهم يقولون ما شهدنا الا بما علمنا فاعلم ان شهادتهم لم تقبل واذا قيل للمتزوج صيحة البناء على أهله كيف ما تقدمت عليه فقال الصلاح خير من كل شئ فاعلم ان امرأته قبيحة واذا رأيت انسانا يمشى ويلتفت فاعلم انه يريد أن يحدث واذا رأيت فقيرا يعدو ويهرول فاعلم انه فى حاجة غنى واذا رأيت رجلا خارجا من عند الوالى وهو يقول يد الله فوق أيديهم فاعلم انه صفع ويقال عين المرء عنوان قلبه وكانوا يقولون عظم الجبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على لطف الحركة واذا رفع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة فى جسمها دليل الفطنة وحسن الخلق والمروءة والتى يطول تحديقها يدل على الحمق والتى يكسر طرفها تدل على خفة وطيش والشعر فى الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان وكانت الفرس تقول اذا فشا الموت فى الوحوش دل على ضيقة واذا فشا فى الغار دل على الخصب واذا نعق غراب فجاوبته دجاجة عمر الخراب واذا قوقت دجاجة فجاوبها غراب خرب العمار والله أعلم بكل شئ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين

وأما النوم والسهر وما جاء فيهما فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل وروى ان أم سليمان ابن داود عليهما السلام قالت له يا بني لا تكثر النوم بالليل فان صاحب النوم يجيء يوم القيامة مفلسا وكان زمعة بن صالح يصلي ليلا طويلا فاذا اسحر نادى أهله

يا أيها الركب المعرسونا * اكل هذا الليل ترقدونا

فيتواثبون بين باك ووداع ومتضرع فاذا أصبح نادى * عند الصباح يحمد القوم السرى وانشدوا

يا ايها الراقدكم ترقد * قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته * حظا اذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله * لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوي الالباب أهل التقى * قنطرة الحشر لكم موعد

وقيل ان نومة الضحى تورث الغم والخوف ونومة العصر تورث الجنون وأنشد بعضهم مفردا

ألا ان نومات الضحى تورث الفتى * غموما ونومات العصير جنون

وعن العباس بن عبد المطلب أنه مر يوما بابنه وهو نائم نومة الضحى فوكزه برجله وقال له قم لا أنام الله عينك أتنام في ساعة يقسم الله تعالى فيها الرزق بين العباد أو ما سمعت ما قالت العرب انها مكسلة مهرمة منسية للحاجة والنوم على ثلاثة أنواع نومة الخرق ونومة الخلق ونومة الحمق فنومة الخرق نومة الضحى ونومة الخلق هي التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بها أمته فقال قيلوا فان الشياطين لا تقيل ونومة الحمق النومة بعد العصر لا ينامها الا سكران أو مجنون وكان هشام بن عبد الملك يقول لولده لا تصطبح بالنوم فانه شؤم وتكد وقال الثوري لطبيب دلني على شيء اذا أردت النوم جاءني فقال ادهن رأسك واكثر من ذلك واتق الله وكان طاوس يقول لا ن تختلف السباط على ظهري أحب الي من أن أنام يوم الجمعة والامام يخطب وكان شداد بن أوس يتلوى على فراشه كالحية على المقلى ويقول اللهم ان النار منعتني النوم وأنشد وافي المعنى

غيرت موضع مرقدي * يوما ففارقني السكون
قل لي فأول ليلتي * في حفرتي أني أكون

وأنشد أبو دلف

اما لكتى ردى علي رقادي * ونومي فقد شردته عن وسادي
اما تتقين الله في قتل عاشق * أمت الكرى عنه فأحيا الليالي

وأنشد أبو غانم الثقفي مفردا

رقدت رقاد الهم حتى لو أنني * يكون رقادي مغنما لغنيت

فقيل له لمن هذا فقال لرقاد من رقاد العرب وقيل ان نوم عبود يضرب به المثل وكان عبود هذا عبدا اسود قيل انه نام اسبوعا وقيل انه تمادت على أهله وقال اندبوني لا علم كيف تندبوني اذا أنا مت فسجى ونام وندب فاذا هو قد مات

وأما الرؤيا فقد قيل فيها أقاويل وهو انهم قالوا ان النوم هو اجتماع الدم وانحداره الى الكبد ومنهم من رأى ان ذلك هو سكون النفس وهدوء الروح ومنهم من زعم ان ما يجده الانسان في نومه من الخواطر انما هو من الاطعمة والاغذية والطبائع وذهب جهور الاطباء الى ان الاحلام من الاخلاط وان ذلك بقدر مزاج كل واحد منها وقوته فالذي يغلب عليه الصفراء يرى بحورا وعيونا ومياها كثيرة ويرى انه يسبح ويصيد سمكا ومن غلبت على مزاجه السوداء رأى في منامه اجداثا وامواتا مكفنين بسواد وبكاء وأشياء مفزعة ومن غلب على مزاجه الدم رأى الخمر والرياحين وأنواع الملاهي والشباب المصبغة والذي يقع عليه التحقيق أن الرؤيا الصالحة كما قد جاء جزء من ستين جزأ من النبوة وكان النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح والرؤيا على ضربين فمنهم من يرى رؤيا فتجيء على حالها لا تزيد ولا تنقص ومنهم من يرى الرؤيا في صورة مثل ضرب له فمن ذلك ما حكي ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في الجنة غرفا فقال لمن هذه فقيل لابي جهل بن هشام فقال مالابي جهل والجنة والله لا يدخلها أبدا قال فأتاه عكرمة ولده مسلما فتأولها به وكذلك تأول في قتل الحسين لما رأى ان كلبا أبقع يلغ في دمه وكان ذلك بعد رؤياه عليه الصلاة والسلام بخمسين عاما وكذلك حين قال لابي بكر رضي الله عنه اني رأيت كأني رقيت أنا وأنت درجا في الجنة فسبقتك بدرجتين ونصف فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله أقبض بعدك بسنتين ونصف فكان كذلك ورأت عائشة رضي الله عنها سقوط ثلاثة أقمار في حجرتها فأولها أبوها بموته وموت النبي صلى الله عليه وسلم وموت عمر رضي الله عنهما ودفنهم في حجرتها فكان الامر كذلك (وحكي) ان أم الشافعي رضي الله عنه لما حملت به رأت كأن المشتري خرج من فرجها وانقض بمصر ثم تفرق في كل بلد قطعة فأول بعالم يكون بمصر وينتشر علمه باكثر البلاد فكان كذلك (وحكي) أيضا ان عاملا أتى عمر رضي الله عنه فقال رأيت الشمس والقمر اقتتلا فقال له عمر مع من كنت قال مع القمر فقال مع الآية الممحوة والله لا وليتك عملا فعزله ثم اتفق ان عليا رضي الله عنه وقع بينه وبين معاوية ما وقع فكان ذلك الرجل مع معاوية * واما من عرف تعبير الرؤيا فهو ابن سيرين جاءه رجل فقال له رأيت كأني اسقي شجرة زيتون زيتا فاستوى جالسا فقال ما التي تحتك قال عجلة اشتريتها وفي رواية جارية وأنا اطؤها فقال أخاف أن تكون أمك فكشف عنها فوجدها أمه وجاءه رجل فقال رأيت كأن في يدي خاتما أختم به فروج النساء وافواه الرجال فقال له أنت مؤذن تؤذن بالليل فتمنع الرجال والنساء من الاكل والوطء وجاءه رجل فقال رأيت جارية لي قد ذبحت في بيت من دارها فقال هي امرأة نكحت في ذلك البيت وكانت امرأة صديق ذلك الرجل فاغتم لذلك ثم بلغه ان الرجل قدم في تلك الليلة وجامع زوجته في ذلك البيت وجاءه رجل ومعه جراب فقال له رأيت في النوم كاني أسد الزقاق سدا وثيقا شديدا فقال له أنت رأيت هذا قال نعم فقال لمن حضره ينبغي ان يكون هذا الرجل يخنق الصبيان وربما يكون في جرابه آلة الخنق فوثبوا عليه وفتشوا الجراب فوجدوا فيه أوتارا وحلقا فسلموه الى السلطان

وجاءته امرأة وهو يتغدى فقالت له رأيت في النوم كأن القمر دخل في الثريا ونادى مناد من خلفي ان ائتي ابن سيرين فقصي عليه فتقلصت يده وقال ويلك كيف رأيت هذا فاعادت عليه فقال لاخته هذه تزعم انى أموت لسبعة أيام وأمسك يده على فؤاده وقام يتوجع ومات بعد سبعة أيام وجاءه رجل فقال رأيت كأني آخذ البيض واقشره فاكل بياضه وألقى صفاره فقال ان صدق منامك فانت نباش الموتى فكان كذلك (وحكى) ان ابن سيرين رأى الجوزاء قد تقدمت على الثريا فجعل يوصي وقال يموت الحسن وأموت بعده وهو أشرف مني فمات الحسن ومات بعده بمائة يوم (وحكى) ان رجلا رأى عيسى عليه السلام فقال له يانبي الله صلبك حق قال نعم فمر به على بعضهم فقال تكذب رؤياك بقوله تعالى وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم ولكن هو عائد على الرائي فكان كذلك وأتى ابنة مغيث آت في المنام فقال لها لك البشرى بولد * أشبه شيء بالاسد * اذا الرجال في كبد * تغالبوا على بلد * كان له حظ الاسد * فولدت المختار بن أبي عبيد وذلك في عام الهجرة وقال رجل لسعيد ابن المسيب رأيت كأني بلت خلف المقام أربع مرات قال كذبت لست صاحب هذه الرؤيا قال هو عبد الملك فقال لي أربعة من صلبه الخلافة وقال الشافعي رضي الله عنه رأيت عليا رضي الله تعالى عنه في المنام فقال لي ناولني كتبك فنا ولته اياها فأخذها وبددها فأصبحت أحفظ كل آية فأتيت الجعد فأخبرته فقال سيرفع الله شأنك وينشر علمك وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من رآني في منامه فقد رآني حقا فان الشيطان لا يتمثل بي وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كأن رأسي قد قطع وأنا أنظر اليه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال باي عين كنت تنظر الى رأسك فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن توفي وأتوا برأسه بنبيه ونظره اليه باتباع سنته وقال رجل لعلي بن الحسين رأيت كأني أبول في يدي فقال تحتك محرم فنظروا فاذا بينه وبين امرأته رضاع وقال أبو حنيفة رضي الله عنه رأيت كأني نبشت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضممت عظامه الى صدري فهالني ذلك فسألت ابن سيرين فقال ما ينبغي لاحد من أهل هذا الزمان ان يرى هذه الرؤيا قلت أنا رأيتها قال ان صدقت رؤياك لتعيين سنة نبيك صلى الله عليه وسلم * وقال النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة بشارة للمؤمن بما له عند الله من الكرامة في الدنيا والآخرة وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال تضرعت الى ربي سنة أن يريني أبي في النوم حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك ابوك انه سألني عن عقال بعير للصدقة فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه وقال فعل هذا بالتقي الطاهر فكيف بالمقترف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الحادي والستون في الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر

الحيلة من فوائد الآراء المحكمة وهي حسنة مالم يستبح بها محظور وقد سئل بعض الفقهاء عن الحيل في الفقه فقال علمكم الله ذلك فانه قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث

وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد غزوة ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة ولما أراد عمر رضى الله عنه قتل الهرمزان استسقى ماء فأتوه بقدح فيه ماء فأمسكه فى يده واضطرب فقال له عمر لا بأس عليك حتى تشربه فألقى القدح من يده فأمر عمر بقتله فقال ألم تؤمنى قال كيف أمنتك قال قلت لا بأس عليك حتى تشربه وقولك لا بأس عليك امان ولم أشربه فقال عمر قاتلك الله أخذت منى امانا ولم أشعر وقيل كان دهاة العرب أربعة كلهم ولدوا بالطائف معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والسائب بن الاقرع * وكان يقال الحاجة تفتح أبواب الحيل وكان يقال ليس العاقل الذى يحتال للامور اذا وقع فيها بل العاقل الذى يحتال للامور أن لا يقع فيها وقال الضحاك بن مزاحم لنصرانى لو أسلمت فقال ما زلت محبا للاسلام الا أنه يمنعنى منه حبى للخمر فقال أسلم واشربها فلما أسلم قال له قد أسلمت فان شربتها حددتك وان اردت قتلناك فاختر لنفسك فاختار الاسلام وحسن اسلامه فأخذه بالحيلة وقيل دليت من السماء سلسلة فى أيام داود عليه السلام عند الصخرة التى فى وسط بيت المقدس وكان الناس يتحاكمون عندها فمن مدّ يده اليها وهو صادق نالها ومن كان كاذبا لم ينلها الى أن ظهرت فيهم الخديعة فارتفعت * وذلك ان رجلا أودع رجلا جوهرة فخبأها فى مكانه فى عكازة ثم ان صاحبها طلبها من الذى أودعها عنده فأنكرها فتحاكما عند السلسلة فقال المدعى اللهم ان كنت صادقا فلتدن منى السلسلة فدنت منه فسها فدفع المدعى عليه العكازة للمدعى وقال اللهم ان كنت تعلم انى رددت الجوهرة اليه فلتدن منى السلسلة فدنت منه فسها فقال الناس قد سوت السلسلة بين الظالم والمظلوم فارتفعت بشؤم الخديعة وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان احكم بين الناس بالبينة واليمين فبقى ذلك الى قيام الساعة وكان المختار بن أبى عبيد الثقفى من دهاة ثقيف وثقيف دهاة العرب قيل انه وجه ابراهيم بن الاشتر الى حرب عبيد الله بن زياد ثم دعا برجل من خواصه فدفع اليه حمامة بيضاء وقال له ان رأيت الامر علينا فأرسلها ثم قال للناس انى لاجد فى محكم الكتاب * وفى اليقين والصواب * ان الله ممدكم بملائكة غضاب صعاب * تأتى فى صور الحمام تحت السحاب * فلما كادت الدائرة تكون على أصحابه عمد ذلك الرجل الى الحمامة فارسلها فتصايح الناس الملائكة الملائكة وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد * وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على صبى احداهما فأكله فاختصمتا فى الصبى الباقى الى داود عليه السلام فقال كيف أمركما فقصتا عليه القصة فحكم به للكبرى منهما فاختصمتا الى سليمان عليه السلام فقال ائتونى بسكين أشق الغلام نصفين لكل منهما نصف فقالت الصغرى أتشقه يا نبى الله قال نعم قالت لا تفعل ونصيبى فيه للكبرى فقال خذيه فهو ابنك وقضى به لها وجاء رجل الى سليمان بن داود عليه السلام وقال يا نبى الله ان لى جيرانا يسرقون أوزى فلا أعرف السارق فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم وقال فى خطبته وان أحدكم ليسرق أوز جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فمسح الرجل رأسه فقال سليمان خذوه فهو صاحبكم وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة وكان شابا جميلا

فأرسلت اليهما أن يحضرا عندها فحضرا وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما فلما رأى المغيرة ذلك الشاب وعاين جماله علم انها تؤثره عليه فاقبل على الفتى وقال لقد أوتيت جمالا فهل عندك غير هذا قال نعم فعدد محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة كيف حسابك مع أهلك قال ما يخفى على منه شئ وانى لا ستدرك منه أدق من الخردل فقال المغيرة لكنى أضع البدرة فى بيتى فينفقها أهلى على ما يريدون فلا أعلم بنفادها حتى يسألونى غيرها فقالت المرأة والله لهذا الشيخ الذى لا يحاسبنى أحب الى من هذا الذى يحصى على مثقال الذرة فتزوجت المغيرة وبلغ عضد الدولة ان قوما من الاكراد يقطعون الطريق ويتمنعون فى جبال شاهخة ولا يقدر عليهم فاستدعى بعض التجار ودفع اليه بغلا عليه صندوقين فيهما حلوى مسمومة كثيرة الطيب فى ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره ان يسير مع القافلة ويظهر ان هذه هدية لاحد نساء الامراء ففعل التاجر ذلك وسار أمام القافلة فنزل القوم فأخذوا الامتعة والاموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به الجبل فوجد به الحلوى فتبع على نفسه أن ينفرد بها دون أصحابه فاستدعاهم فاكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم وأخذ أرباب الاموال أموالهم وأتى لبعض الولاة برجلين قد اتهما بسرقة فأقامهما بين يديه ثم دعا بشربة ماء فجئ به بكوز فرماه بين يديه فارتاع أحدهما وثبت الآخر فقال للذى ارتاع اذهب الى حال سبيلك وقال للآخر أنت أخذت المال وتلذذت به وتهدده فاقر فسئل عن ذلك فقال ان اللص قوى القلب والبرئ يجزع ولو تحرك عصفور لافزع منه وقصد رجل الحج فاستودع انسانا ماله فلما عاد طلبه منه فجحده المستودع فأخبر بذلك القاضى اياس فقال أعلم بأنك جئتنى قال لا قال فعد الى بعد يومين ثم ان القاضى اياس ابعث الى ذلك الرجل فأحضره ثم قال له اعلم انه قد تحصلت عندى أموال كثيرة لايتام وغيرهم وودائع للناس وانى مسافر سفرا بعيدا وأريد أن أودعها عندك لما بلغنى من دينك وتحصين منزلك فقال حبا وكرامة قال فاذهب وهيئ موضعا للمال وقوما يحملونه فذهب الرجل وجاء صاحب الوديعة فقال له القاضى اياس امض الى صاحبك وقل له ادفع الى مالى والا شكوتك للقاضى اياس فلما جاءه وقال له ذلك دفع اليه ماله واعتذر اليه فاخذه وأتى الى القاضى اياس فأخبره ثم بعد ذلك أتى الرجل ومعه الحمالون لطلب الاموال التى ذكرها له القاضى فقال له القاضى بعد أن أخذ الرجل ماله منه بدا لى ترك السفر امض لشانك لا أكثر الله فى الناس مثلك ولما أراد شيرويه قتل أبيه أبرويز قال ابرويز للداخل عليه ليقتله انى لا دلك على شئ فيه غناك لوجوب حقك على قال وما هو قال الصندوق الفلانى فلما قتله ذهب الى شيرويه وأخبره الخبر فأخرج الصندوق فاذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة اقتص عشرة ابكار وكان اشيرويه غرام فى الباه فتناول منه حبة فهلك من ساعته فكان ابرويز أول مقتول أخذ بثاره من قاتله ولما بايع الرشيد لاولاده الثلاثة بولاية العهد تخلف رجل مذكور من الفقهاء فقال له الرشيد لم تخلفت فقال عاقنى عائق فقال اقرؤا عليه كتاب البيعة فقال يا أمير المؤمنين هذه البيعة فى عنقى الى قيام الساعة فلم يذهب الرشيد ما أراد وظن انه الى قيام الساعة يوم الحشر وما أراد الرجل الا قيامه من المجلس

وقال المغيرة بن شعبة لم يخدعني غير غلام من بني الحارث بن كعب فاني ذكرت امرأة منهم لا تزوجها فقال أيها الامير لا خير لك فيها فقلت ولم قال رأيت رجلا يقبلها فاعرض عنها فتزوجها الفتى فلمه وقلت ألم تخبرني انك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رأيت أباها يقبلها وأتى رجل الى الاحنف فلطمه فقال ما حملك على هذا فقال جعل لي جعل على أن ألطم سيد بني تميم فقال لست بسيدهم عليك بحارثة بن قدامة فانه سيدهم فمضى اليه فلطمه فقطعت يده وقال الشعبي وجهني عبد الملك الى ملك الروم فقال لي من أهل بيت الخلافة أنت قلت لا ولكني رجل من العرب فكتب الى عبد الملك رقعة ودفعها الي فلما قرأها عبد الملك قال لي أتدري ما فيها قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف يولون أمرهم غيره قال أتدري ما أراد بهذا قلت لا قال حسدني عليك فأراد أن أقتلك فقلت انما كبرت عنده يا أمير المؤمنين لانه لم يرك ولم يترك شيأ الا سألني عنه وانا أجيبه فبلغ ملك الروم ما قاله عبد الملك للشعبي فقال لله أبوه ما عدا ما في نفسي ولما ولي عبد الملك بن مروان أخاه بشرا الكوفة وكان شابا ظريفا غزلا بعث معه روح بن زنباع وكان شيخا متورعا فثقل على بشر مرافقته فذكر ذلك لندمائه فتوصل بعض ندمائه الى أن دخل بيت روح بن زنباع ليلا في خفية فكتب على حائط قريب من مجلسه هذه الابيات

يا روح من لبنيات وارملة * اذا نهالك لاهل المغرب الفاعي

ان ابن مروان قد حانت منيته * فاحتل بنفسك يا روح بن زنباع

فتخوف من ذلك وخرج من الكوفة فلما وصل الى عبد الملك أخبره بذلك فاستلقى على قفاه من شدة الضحك وقال ثقلت على بشر وأصحابه فاحتالوا لك (ومن الحيل الظريفة) ما حكي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر وأعرس بصفية وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن علاط السلمي وكان أول ما أسلم في تلك الايام وشهد خيبر فقال يا رسول الله ان لي بمكة مالا عند صاحبتي أم شيبة ولي مال متفرق عند تجار مكة فأذن لي يا رسول الله في العود الى مكة عسى أسبق خبر اسلامي اليهم فاني أخاف ان علموا باسلامي أن يذهب جميع مالي بمكة فأذن لي لعلي أخلصه فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني احتاج أن أقول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل وأنت في حل قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر فلما أبصروني قالوا هذا العمر الله عنده الخبر أخبرنا يا حجاج فقد بلغنا ان القاطع يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر قال قلت انه قد سار الى خيبر وعندي من الخبر ما يسركم قال فأحدقوا حولي ناقتي يقولون ايه يا حجاج قال فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتلونه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال فقلت أعينوني على جمع مالي من غرمائي فاني أريد أن أقدم خيبر فاغنم من ثقل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار الى هناك فقاموا معي فجمعوا لي مالي كأحسن ما أحب فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل علي

حتى وقف الى جانبي وأنا في خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج ما هذا الخبر الذي سئت به قال فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك من السر فقال نعم والله قال قلت استأخر عني حتى ألقاك على خلاء فاني في جمع مالي كما ترى فانصرف عني حتى اذا فرغت من جمع كل شئ كان لي بمكة وأجمعت على الخروج لقيت العباس فقلت له احفظ علي حديثي يا أبا الفضل فاني أخشى أن يتبعوني فاكتم علي ثلاثة أيام ثم قل ما شئت قال لك علي ذلك قال قلت والله ما تركت ابن أخيك الا عروسا على ابنة ملكهم يعني صفية وقد افتتح خيبر وغنم ما فيها وصارت له ولاصحابه قال أحق ما تقول يا حجاج قال قلت اي والله ولقد أسلمت وما جئت الا مسلما لآخذ مالي خوفا من أن أغلب عليه فاذا مضت ثلاثة فأظهر أمرك فهو والله على ما تحب قال فلما كان في اليوم الرابع لبس العباس حلته وتخلق بالطيب وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله هو التجلد لهذه المصيبة قال كلا والذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولاصحابه قالوا من جاءك بهذا الخبر قال الذي جاءكم بما جاءكم به والله دخل عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق ليلحق محمدا وأصحابه ليكون معهم قالوا ثقلت عدو الله اما والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن قال ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك فتوصل الحجاج بفطنته واحتياله الى تخليصه وتحصيل ماله ولما اجتمعت الاحزاب على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا وهم في جمع كثير وجم غفير من قريش وغطفان وقبائل العرب وبني النضير وبني قريظة من اليهود ونازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين واشتد الأمر واضطرب المسلمون وعظم الخوف على ما وصفه الله تعالى في قوله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا فجاء نعيم بن مسعود بن عامر الغطفاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد علمتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا متهما فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم فان البلد بلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وأموالهم وأولادهم ونساؤهم بغير بلدكم وليسوا مثلكم لانهم ان رأوا فرصة اغتنموها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معهم محمدا قالوا أشرت بالرأي ثم أتى قريشا فقال لابي سفيان بن حرب وكان اذ ذاك قائد المشركين من قريش ومن معه من كبراء قريش قد علمتم ودي لكم وفراقي محمدا وانه قد بلغني أمر وأحببت أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه علي قالوا نعم قال اعلموا ان معشر

يهود بنى قريظة قد ندموا على ما فعلوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه يقولون انا قد ندمنا على نقض العهد الذى بيننا وبينك فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقى منهم فنستأصلهم فأرسل يقول نعم فان بعث اليكم يهود يلتمسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس بنى غطفان الى بنى قريظة يقولون لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاغتدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما بيننا وبينه فأرسلوا يقولون لهم ان اليوم يوم السبت وهم يوم لا نعمل فيه شيأ ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان دهمتكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا الى بنى قريظة يقولون انا لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل ان الكلام الذى ذكره نعيم بن مسعود لحق وما يريد القوم الا ان نقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك شمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم فأرسلوا الى قريش وغطفان انا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم فخذل الله تعالى بينهم وارسل عليهم الريح فتفرقوا وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى أن ألهم نعيم بن مسعود هذه الفتنة وهداه الى اليقظة التى عم نفعها وحسن وقعها

(وأما ما جاء فى اليقظ والتبصر فى الامور) فقد قالت الحكماء من أيقظ نفسه وألبسها لباس التحفظ أيس عدوه من كيده له وقطع عنه أطماع الماكرين به وقالوا اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا ينسام وحاكم لا يرتشى فمن تدرع بها أمن من الاختلال والغدر والجور والكيد والمكر وقيل ان كسرى انوشروان كان أشد الناس تطلعا فى خفايا الامور وأعظم خلق الله تعالى فى زمانه تفحصا وبحثا عن أسرار الصدور وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس فى البلاد ليقف على حقائق الاحوال ويطلع على غوامض القضايا فيعلم المفسد فيقابله بالتأديب والمصلح فيجازيه بالاحسان ويقول متى غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه انه قال خرج امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ليلة من الليالى يطوف يتفقد أحوال المسلمين فرأى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن قد رآه بالامس فدنا منه فسمع فيه أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا فدنا منه وقال له من الرجل فقال له رجل من البادية قدمت الى امير المؤمنين لاصيب من فضله قال فما هذا الانين قال امرأة تتمخض قد أخذها الطلق قال فهل عندها أحد قال لا فانطلق عمر لرجل لا يعرفه فجاء الى منزله فقال لامرأته ام كلثوم بنت على ابن أبى طالب بنت فاطمة الزهراء رضى الله عنهم هل لك فى اجر قد ساقه الله تعالى لك قالت

وما هو قال امرأة تمخض ليس عندها حدقات ان شئت قال فخذى معك ما يصلح للمرأة من الخرق والدهن وائتنى بقدروشحم وحبوب فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى أتى البيت فقال ادخلى انى المرأة ثم قال للرجل اوقد لى نارا ففعل فجعل عمر ينفخ النار ويضرمها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى أنضجها وولدت المرأة فقالت أم كلثوم رضى الله عنها ابشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل وقال واخجلتاه منك يا أمير المؤمنين اهكذا تفعل بنفسك قال يا أخا العرب من ولى شيأ من أمور المسلمين ينبغى له أن يتطلع على صغير أمورهم وكبيره فانه عنها مسؤل ومتى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة ثم قام عمر رضى الله عنه وأخذ القدر من على النار وحملها الى باب البيت وأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم فقال عمر رضى الله تعالى عنه للرجل قم الى بيتك وكل مابقى فى البرمة وفى غدائت الينا فلما أصبح جاءه بجهزه بما أغناه به وانصرف وكان رضى الله تعالى عنه من شدة حرصه على تعرف الاحوال واقامة قسطاس العدل وازاحة أسباب الفساد واصلاح الأمة يعس بنفسه ويباشر أمور الرعية سرا فى كثير من الليالى حتى انه فى ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى فى بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا فوقف على الباب يتجسس فرأى عبدا أسود قد أمامه اناء فيه مزر وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت فتسور على السطح ونزل اليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا فمسك الاسود فقال له يا أمير المؤمنين قد أخطأت وانى تائب فاقبل توبتى فقال أريد أن أضربك على خطيئتك فقال يا أمير المؤمنين ان كنت قد اخطأت فى واحدة فأنت قد اخطأت فى ثلاث فان الله تعالى قال ولا تجسسوا وأنت تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها وأنت أتيت من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها وأنت دخلت ولم تسلم فهب هذه لهذه وأنا تائب الى الله تعالى على يدك أن لا أعود فاستتوبه واستحسن كلامه وله رضى الله عنه وقائع كثيرة مثل هذه وكان معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه قد سلك طريق امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك وكان زياد ابن أبيه يسلك مسلك معاوية فى ذلك حتى نقل عنه ان رجلا كلمه فى حاجة له وجعل يتعرف اليه ويظن أن زيادا لا يعرفه فقال أنا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال له أتتعرف الىّ وأنا أعرف بك منك بنفسك والله انى لأعرفك وأعرف أبالك وأعرف أمك وأعرف جدك وجدتك وأعرف هذه البردة التى عليك وهى لفلان وقد أعارك اياها فبهت الرجل وارتعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء بعدهم من اقتدى بهم وهو عبد الملك بن مروان والحجاج ولم يسلك بعدهما ذلك الطريق واقتفى آثار ذلك الفريق الا المنصور ثانى خلفاء بنى العباس ولى الخلافة بعد اخيه السفاح وهى فى غاية الاضطراب فنصب العيون واقام المتطلعين وبث فى البلاد والنواحى من يكشف له حقائق الامور والرعايا فاستقامت له الامور وانت له الجهات واقدامتلى فى خلافته بأقوام نازعوه وارادوا خلعه وتمردوا عليه وتكاثروا فلولا أن الله تعالى أعانه بتيقظه وتبصره ما ثبت له فى الخلافة قدم ولا رفع له مع قصد اولئك القاصدين علم لكنه بث العيون فعرف من انطوى

على خلافه فعالجه بالتلافه واطلع على عزائم المعاندين فقط رؤس عنادهم بأسيافه وكان
بكمال يقظته يتلقى المحذور ويدفعه دون رفعه ويعاجل المخوف بتفريق شمله قبل جمعه فذلت له
الرقاب ولانت لخلافته الصعاب وقرر قواعدها وأحكمها بأوثق الاسباب فمن آثار يقظته
وفطنته ما نقله عنه عقبة الازدي قال دخلت مع الجند على المنصور فارتابني فلما خرج الجند
أدناني وقال لي من أنت فقلت رجل من الازد وأنا من جند امير المؤمنين قدمت الآن مع عمر
ابن حفص فقال اني لأرى لك هيبة وفيك نجابة واني أريدك لأمر وأنا به معني فان كفيتنيه
رفعتك فقلت اني لأرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين في فقال أخف نفسك واحضرني يوم
كذا قال فغبت عنه الى ذلك اليوم وحضرت فلم يترك عنده احدا ثم قال لي اعلم ان بني عمنا
هؤلاء قد ابوا الاكيد ملكنا واغتياله ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم
ويراسلون اليهم بصدقات أموالهم وألطاف بلادهم فخذ معك عينا من عندي وألطافا وكتبا
واذهب حتى تأتي عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب فاقدم عليه متخشعا والكتب
على ألسنة أهل تلك القرية والالطاف من عندهم اليه فاذا رآك فانه سيدلك ويقول
لا أعرف هؤلاء القوم فاصبر عليه وعاوده وقل له قد سيروني سرا وسيروا معي ألطافا وعينا
وكلما جبهك وأنكر اصبر عليه وعاوده واكشف باطن أمره قال عقبة فأخذت كتبه
والعين والالطاف وتوجهت الى جهة الحجاز حتى قدمت على عبد الله بن الحسن فلقيته
بالكتب فانكرها ونهرني وقال ما أعرف هؤلاء القوم قال عقبة فلم أنصرف وعاودته
القول وذكرت له اسم القرية واسماء اولئك القوم وأن معي ألطافا وعينا فأنسرني واخذ
الكتب وما كان معي قال عقبة فتركته ذلك اليوم ثم سألته الجواب فقال اما كتاب فلا
أكتب الى أحد ولكن أنت كاتبي اليهم فاقرأهم السلام وأخبرهم ان ابني محمدا وابراهيم
خارجان لهذا الأمر وقت كذا وكذا قال عقبة فخرجت من عنده وسرت حتى قدمت على
المنصور فاخبرته بذلك فقال لي المنصور اني أريد الحج فاذا صرت بمكان كذا وكذا وتلقاني
بنو الحسن وفيهم عبد الله فاني اعظمه واكرمه وارفعه واحضر الطعام فاذا فرغ من اكله
ونظرت اليك فتمثل بين يدي وقف قدامه فانه سيصرف وجهه عنك فدر حتى تقف من ورائه
واغمز ظهره بابهام رجلك حتى يملأ عينيه منك ثم انصرف عنه وايالك أن يراك وهو يأكل ثم
خرج المنصور يريد الحج حتى اذا قارب البلاد تلقاه بنو الحسن فأجلس عبد الله الى جانبه
وحادثه فطلب الطعام للغداء فأكلوا معه فلما فرغوا أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبد الله
ابن الحسن وقال يا أبا محمد قد علمت أن مما اعطيتني من العهود والمواثيق أنك لا تريدني بسوء
ولا تكيدني سلطانا قال فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين قال عقبة فلحظني المنصور بعينه فقمت
حتى وقفت بين يدي عبد الله بن الحسن فأعرض عني فدرت من خلفه وغمزت ظهره بابهام
رجلي فرفع رأسه وملأ عينيه مني ثم وثب حتى جثى بين يدي المنصور وقال أقلني يا أمير
المؤمنين أقالك الله فقال له المنصور لا أقالني الله ان لم أقتلك وأمر بحبسه وجعل يتطلب ولديه
محمدا وابراهيم ويستعلم أخبارهما قال علي الهاشمي صاحب غدائه دعاني المنصور يوما فاذا

بين يديه جارية صفراء وقد دعالها بانواع العذاب وهو يقول لها ويلك اصدقيني فوالله ما أريد الا الالفة ولئن صدقتيني لاصلن رحمه ولا تابعن البر اليه واذا هو يسألها عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهي تقول لا أعرف له مكانا فأمر بتعذيبها فلما بلغ العذاب منها اغمي عليها فقال كفوا عنها فلما رأى ان نفسها كادت تتلف قال ما دواءها قالوا شم الطيب وصب الماء البارد على وجهها وأن تسقى السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعضه بيده فلما أفاقت سألها عنه فقالت لا أعلم فلما رأى اصرارها على الجحود قال لها أتعرفين فلانة الحجامة فلما سمعت ذلك منه تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت هي والله امتي ابتعتها بمالي ورزقي يجري عليها في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندي سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتجسكم وتتعرف احوالكم وأخباركم ثم قال لها أتعرفين فلانا البقال قالت نعم يا أمير المؤمنين هو في بني فلان قال صدقت هو والله غلامي دفعت اليه مالا وامرته أن يتباع به ما يحتاج اليه من الامتعة وأخبرني ان أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت اليه بعد صلاة المغرب تسأله حناء وحوائج فقال لها ما تصنعين بهذا قالت كان محمد بن عبد الله بن الحسن في بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل الليلة وأردنا هذا ليتخذ النساء ما يتحجن اليه عند دخول أزواجهن من المغيب فلما سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور ارتعدت من شدة الخوف واذعنت له بالحديث وحدثته بكل ما اراد والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثاني والستون في ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات وما أشبه ذلك مرتبا على حروف المعجم

(حرف الهمزة)

(الاسد) من السباع والانثى اسدة وله اسماء كثيرة فمن اشهرها اسامة والحرث وقسورة والغضنفر وحيدرة والليث والضرغام ومن كناه ابو الابطال وابو شبل وابو العباس وهو أنواع منها ما وجهه وجه انسان وشكل جسده كالبقر وله قرون سود نحو شبر ومنها ما هو احمر كالعقاب وغير ذلك وتلده أمه قطعة لحم وتستمر تحرسه ثلاثة أيام ثم يأتي ابوه فينفخ فيه فتتفرج اعضاؤه وتتشكل صورته ثم ترضعه وتسترعيناه مغلوقة سبعة ايام ثم يفتح ويقيم على تلك الحالة بين أبيه وأمه الى ستة أشهر ثم يتكلف الكسب بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال انه لا يعارد فريسته ولا يأكل من فريسة غيره ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب وفي ذلك يقول بعضهم

سأترك حبكم من غير بغض * وذا لكثرة الشركاء فيه
اذا وقع الذباب على طعام * رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء * اذا كان الكلاب باغن فيه

واذا أكل نهش نهشا وريثه قليل جدا ولذلك يوصف بالجوع وعنده شجاعة وجبن وكرم فمن شجاعته الاقدام على الامور وعدم الاكتراث بالغير ومن جبنه أنه يفزع من صوت الديك

والسنور والطست ويتعير عند رؤية النار ومن كرمه انه لا يقرب المرأة خصوصا اذا كانت حائضا وقيل اربع عيون تضيء بالليل عين الاسد وعين النمر وعين السنور وعين الافعى وروى انه لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى قال عتبة بن أبي لهب كفرت برب النجم يعني نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ينهشه فخرج مع أصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا بمكان يقال له الزرقاء زأر الاسد فجعلت فرائصه ترتعد فقالوا له من اى شيء ترتعد فرائصك فوالله ما نحن وانت الا سواء فقال ان محمدا دعا علي ووالله ما اظلت السماء من ذي لهجة اصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ثم جاء النوم فخاطوا انفسهم بمتاعهم وجعلوا بينهم وناموا فجاء الاسد يتهمس وشمهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغطه ضغطة كانت اياها فسمع وهو يا آخر رمق يقول ألم اقل لكم ان محمدا اصدق الناس ولبعضهم في الاسد

عبوس شموص مصلخد مكابد * جرى على الاقران للقرن قاهر
براثنه شثن وعيناه في الدجى * كجمر الغضى في وجهه الشر ظاهر
يديل بانياب حداد كأنها * اذا قلص الاشداق عنها خناجر

(فائدة) اذا أقبلت على واد مسبع فقل أعوذ بدانيال والجب من شر الاسد وسبب ذلك على ما قيل أن بختنصر رأى في نومه ان هلاكه يكون على يدي مولود فجعل يأمر بقتل الاطفال فخافت أم دانيال عليه فجاءت الى بئر فألقته فيه فأرسل الله له أسدا يحرسه وقيل ان بختنصر توهم ذلك في دانيال فضرى له أسدين وجعلهما في الجب وألقاه عليهما فلم يؤذياه وصارا يصيحان حوله ويلحسانه فأقام ماشاء الله تعالى أن يقيم ثم اشتهى الطعام والشراب فأوحى الله تعالى الى أرميا بالشأم ان اذهب الى أخيك دانيال بجب كذا بمكان كذا قال أرميا فسرت الى ذلك الموضع فلما وقفت على رأس ذلك الجب ناديته فعرفني فقال من أرسلك الي قلت أرسلني اليك ربك بطعام وشراب فقال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيب من قصده والحمد لله الذي من وثق به لا يكله الى غيره والحمد لله الذي يجزي بالاحسان احسانا وبالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذي يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تسوء ظنوننا بأعمالنا والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا قال ثم صعد به أرميا من الجب وأقام عنده مدة ثم فارقه ورجع (وحكى) ان يحيى بن زكريا عليهما السلام مر بقبر دانيال عليه السلام فسمع منه صوتا يقول سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت قال بعض الصالحين من قال هذه الكلمات استغفر له كل شيء (وحكى) ان ابراهيم بن أدهم كان في سفره ومعه رفقة فخرج عليهم الاسد فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله قال فولى الاسد هاربا وقيل لما حمل نوح عليه السلام في سفينته من كل زوجين اثنين قال أصحابه كيف نطمئن ومعنا الاسد فسلط الله عليه الحمى وهي أول حمى نزلت في الارض ثم شكوا اليه العذرة فأمر الله الخنزير فعطس فخرج منه الفار فلما كثر وزاد ضرره شكوا ذلك لنوح عليه السلام فأمر الله سبحانه وتعالى الاسد فعطس فخرج منه الهر فجعل الفار

عنهم ويحرم أكل السبع لنهيه عليه الصلاة والسلام عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير (خواصه) فمن خواصه ان صوته يقتل التماسيح وشحمه من طلى به يده لم يقربه سبع ومرارة الذكر منه تحل المعقود وله ينفع من الفالج واذا وضعت قطعة من جلده في صندوق لم يقربه سوس ولا ارضة واذا وضع على جلد غيره من السباع تساقط شعره وهو من الحيوان الذي يعيش ألف سنة على ماذكر وعلامة ذلك كثرة سقوط أسنانه (الابل) قيل ماخلق الله شيأ من الدواب خيرا من الابل ان حملت أثقلت وان سارت ابعدت وان حلبت اروت وان نحرت اشبعت وفي الحديث الابل عزلاهلها والغنم بركة والخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وهي من الحيوان العجيب وان كان عجيبه قد سقط لكثرة تحمل الناس وقد أطاعها الله للآدمي وغيره حتى قيل ان قطارا كان يمضي حمله دهن فزرت فأرة فجذبته فسار معها القطار بواسطة جذبها له وهي مراكب البر ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون ولما كانت مراكب البر والبر فيه ماؤه قليل وماماؤه كثير جعل الله تعالى له صبرا على العطش حتى قيل انه يرتفع ظمؤها الى عشر وفي الحديث لاتسبوا الابل فانها من نفس الله تعالى أي مما يوسع به على الناس حكاه ابن سيده والذي يعرف لاتسبوا الريح فانها من نفس الرحمن قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان ليس لشئ من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه فانه يسوء خلقه فيظهر زبده ويقل رغاؤه فلو حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل ويقل أكله ويخرج له عند رغائه شقشقة لاتعرف من أي شئ هي من أجزائه وهو من الاحرار حتى قيل انه لاينزو على أمه ولا على أخته حتى قيل ان بعض العرب سترناقة بثوب ثم أرسل عليها ولدها فلما عرف ذلك عمد الى الحبل فأكله ثم حقد على صاحبه حتى قتله وليس له مرارة ولذلك كثر صبره وقيل يوجد على كبده شئ رقيق يشبه المرارة ينفع الغشاوة في العين كحلا وفي معدته قوة حتى انها تهضم الشوك وتستطيبه ويحل أكله بالنص والاجماع وأما تحريم يعقوب عليه السلام أكلها فباجتهاد منه وذلك انه كان يسكن البوادي فاشتكى عرق النسا فلم يجد ما يلائمه الا ترك أكل لحومها فلذلك حرمها وأما انتقاض الوضوء بأكل لحمها فاختلف العلماء في ذلك فذهب الاكثرون الى انه لاينقض وعليه الخلفاء الاربعة وابن مسعود وأبي وابن عباس وابو الدرداء وابو طلحة وعامر بن ربيعة وأبو أمامة وجماهير التابعين وبه أخذ مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابهم وخالف في ذلك احمد واسحق ويحيى بن يحيى وابن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقي وهو مذهب الشافعي القديم (خواصه) قال ابن زهير وغيره اكل لحمه يزيد في الباه وفي الانعاظ بعد الجماع وبوله يفتق السكران ووبره اذا أحرق وذر على دم سائل قطعه وقراده اذا ربط على كم عاشق يزول عشقه (الارضة) بفتح الهمزة والراء دويبة صغيرة كنصف العدسة تأكل الخشب والورق ولما كان فعلها في الارض أضيف اسمها اليها قال القزويني اذا أتى على الارضة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما ويقال انها الدابة التي دلت الجن على موت سليمان عليه السلام ومن شأنها انها تبني لنفسها بيتا من عيدان تجمعها مثل بيت العنكبوت منخرط من أسفله الى أعلاه وله في احدى جهاته باب مربع ومنه

تعلم الاوائل وضع الفواويس لموتاهم والنمل عدوها وهو أصغر منها فيأتي من خلفها ويحملها ويمشي بها الى جحره لانه اذا أتاها مستقبلا لا يقلبها (الارنب) حيوان شبه العناق قصير اليدين طويل الرجلين يطأ الارض على مؤخر قدميه وهو اسم يطلق على الذكر والانثى وله شدق شبق وربما تسفد وهي حبلى ويكون عاما ذكرا وعاما انثى ومن عجائبها انها تنام وعيناها مفتوحتان فيأتي الصياد فيظنها مستيقظة قيل من رأى أرنبا عند خروجه من بيته أول ما يخرج أو رآه عند قيامه من نومه واصطبح به لم تقض له حاجة في ذلك اليوم ومن عجيب أمره أن تحمل الانثى منه باثنين وثلاثة وأربعة ولا تلد الا تحت الارض خوفا على أولادها من الانسان وتحفر تحت الارض الحفائر القوية حتى انها تخرب الجدران وعند ولادتها يتحمل شهرها وهي تحضن الاولاد الى عشرين يوما ومن طبعه انه ابله وفيه قوة وشدة وفي سفاده حالة تزوه يصرخ الذكر والانثى كالسنانير فاذا وقع منه الانزال وقع على الارض قليل الحركة وعند سفاده تدبر له وجهها فاذا ملكها بعد ذلك فانها تجري به وهو راكب عليها ويجري معها (فائدة) ذكر ابن الاثير في الكامل أن صديقا له اصطاد أرنبا وله انثيان وذكر وفرج وقيل التقطت الارنب ثمرة فاختلسها الثعلب فاكلها فانطلقا يتخاصمان الى الضب فقالت الارنب يا أبا حسل فقال سميعا دعوت قالت أتيناك لتختصم قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال في بيته يؤتى الحكم قالت اني وجدت ثمرة سلاة قال فكليها قالت قد اختلسها الثعلب قال لنفسه بغي الخير قالت فلطمته قال بحقك اخذت قالت فلطمني قال اقتص قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت أقواله أمثالا ومن ذلك ما حكي ان عدي بن ارطاة اتى شريحا القاضي في مجلس حكمه فقال له أين أنت قال بيني وبين الحائط قال فاسمع مني قال للاستماع جلست قال اني تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال فشرط أهلها أن لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال الشرط أملك قال أريد أن أذهب قال في حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من قضيت قال على ابن أملك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالك (الخواص) قال الجاحظ من علق عليه كعب أرنب لم تضره عين ولا سحر وأكل دماغه يبرئ من الارتعاش العارض من البرد وان شربت المرأة الحامل انفحة الذكر ولدت ذكرا وان شربت أنفحة الانثى ولدت انثى وان علقت عليها زبلها لم تحمل والارنب البحري من السموم فلا يحل أكله (سقنقور) دابة شكلها كالوزغة اذا أخذت وملحت وشرب منها مثقال زاد في الباه وهو من الاشياء النفيسة عند أهل الهند يقال انه يهدى اليهم فيذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر فاذا وضعوا منه مثقالا على لحم أو بيض نفع نفعا عظيما (الافعى) الانثى من الحيات والذكر أفعوان وهو يعيش ألف سنة على ما يقال ويعرف بالشجاع والاسود وهو أشر الحيات وأشرها حيات وأفاعي سجستان ومن عجيب ما يحكى عنها انها الدغت انسانا في رجله فانصدعت جبهته (وحكى) انها نهشت ناقة وفصيلها يرضع فمات قبل أمه وقيل لما دخل شبيب بن شبة على المنصور قال له يا شبيب أدخلت سجستان فقال له نعم قال صف لي أفاعيها قال يا أمير المؤمنين هي دقاق

الاعناق صغار الاذناب مقلصة الرؤس رقش برش كانما كسين اعلام الحبرات كارهن حتوف وصغارهن سيوف وقيل انها تندفن فى التراب أربعة أشهر فى البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها فتمر بشجر الزايج وهو الشمر الاخضر فتحك عينيها به فيرجع اليها بصرها فسبحان من ألهمها ذلك وقال الزمخشرى اذا عميت الافعى بعد ألف سنة الهمها الله تعالى ان تأتى الساتين وتلقى نفسها على هذه الشجرة وتحك عينيها بها فتبصر وقيل اذا قطع ذنبها عاد كما كان واذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام وهى أعدى عدو للانسان وقال بعضهم رأيت حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين فجعلت تضرب به الحجارة يمينا ويسارا حتى كسرت القرنين وابتلعته وقرنيه والله تعالى أعلم وقيل اذا قطع ذنب الحية تعيش ان سلمت من الذر وقيل ان بالحبشة حيات لها أجنحة تطير بها وقيل ان جلدها ينسلخ عنها فى كل سنة مرة وقيل ان الجلد لا ينسلخ وانما الذى ينسلخ قشر فوق الجلد وغلاف يخلق لها كل عام وهى تبيض على عدد أضلاعها أى ثلاثين بيضة فيجتمع عليها النمل فيفسدها بقدرة الله تعالى الا نادرا ومن عجيب أمرها انها لا ترد الماء ولا تريده ولكنها اذا شمت رائحة الخمر فلا تكاد تصبر عنه مع أنه سبب هلاكها لانها اذا شربت سكرت فتعرضت للقتل والذكر لا يقيم فى الموضع وانما تقيم الانثى لاجل فراخها حتى تكتسب قوة فاذا قويت أخذتهم وانسابت فأى بحر وجدته دخلت فيه وأخرجت صاحبه منه وعينها لا تدور واذا قلعت عادت ومن عجيب أمرها انها تهرب من الرجل العريان وتفر بالنار وتقرب منها وتحب اللبن حبا شديدا واذا دخلت بصدرها فى بحر لا يستطيع أقوى الناس اخراجها منه ولو قطعت قطعا وليس لها قوائم ولا أظفار وانما تقوى بظهرها لكثرة أضلاعها (وحكى) عمر بن يحيى العلوى قال كنا فى طريق مكة فأصاب رجلا منا استسقاء فاتفق أن العرب سرقوا مناقلنا وجمال على أحدها ذلك الرجل قال ثم بعد أيام جمعتنا المقادير فوجدته قد برئ فسألناه عن حاله فقال ان العرب لما أخذونى جعلونى فى أواخر بيوتهم فكنت فى حالة أتمنى فيها الموت وبينما أنا كذلك اذ أتوا يوما بأفاعى اصطادوها وقطعوا رؤسها وأذنابها وشووها بعد ذلك فقلت فى نفسى هؤلاء اعتادوها فلا تضرهم فلعلى ان أكلت منها مت فاسترحت فاستطعمتهم فأطعمونى واحدة فلما استقرت فى بطنى أخذنى النوم فنمت نوما ثقيلا ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتى نحو مائة مرة فلما أصبحت وجدت بطنى قد ضمر وقد انقطع الالم فطلبت منهم مأكولا فأكلت وأقمت عندهم أياما فلما نشطت ووثقت من نفسى بالحركة أخذت فى الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة (فائدة) قيل ان الريحان الفارسى لم يكن قبل كسرى وانما وجد فى زمانه وسببه ان كسرى كان ذات يوم جالسا فى بعض متنزهاته اذ جاءته حية فانسابت بين يديه وتمرغت وصارت تتقلق مثل الذى يشتكى فأراد بعض الجند قتلها فمنعهم الملك ثم قال لهم انظروا أمرها فلما سمعت ذلك انسابت بين يديه فأمرهم أن يتبعوها الى المكان الذى تريده قال فجاءت الى بئر وصارت تنظر فيه قال فنظروا فاذا فيه حية عظيمة وعلى ظهرها عقرب أسود فخنقها بعضهم برمح فقتلها وتركوها ورجعوا فاخبروا الملك بذلك فلما كان الغد جاءت الحية للملك وفى فمها بزر فنثرته بين يدى

الملك وذهبت فقال الملك انها أرادت مكافأتنا اجعلوه في الارض لننظر ما يكون من أمره قال ففعلوا ذلك فطلع منه الريحان قال فلما انتهى أمره أتوا به الى الملك قال وكان به زكام فشمه فبرئ (الطيفة) من غريب ما اتفق لعماد الدولة انه لما ملك شيراز اجتمع عليه أصحابه وطلبوا منه مالا ولم يكن عنده ما يرضيهم به فاغتم لذلك ونام مستلقيا على قفاه مفكرا في ذلك واذا بحية عظيمة خرجت من سقف ذلك المجلس ودخلت في سقف آخر قال فطلب سلما وصعد لينظر المكان الذي خرجت منه فلما رآه وجد كوة فنظر في داخلها فاذا هي مطمورة فدخلها فوجد فيها صندوقا فيه خمسمائة ألف دينار فأمر باخراجه وانفاقه على عسكره ومن الطف ما اتفق له أيضا انه كان بتلك البلد خياط أطروش وكان الملك الذي قبله قد أودع عنده وديعة مال قال فطلبه عماد الدولة ليخيط له على عادته لانه هو الذي يخيط للملوك قال فتوهم الاطروش انه غمز عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدي عماد الدولة قال له ان فلانا الملك لم يدع عندي سوى اثني عشر صندوقا ولم أدر ما فيها فأمر باحضارها فأحضرها فأخذها عماد الدولة ووسع بها على جنده وتعجب من هذين القضيتين فكانت هذه الاسباب من دلائل السعادة له وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات بعد ان تنذر ثلاث مرات وقيل ثلاثة أيام وأما سكان البيوت فالانذار لها متعين وفي الحديث من قتل حية فكأنما قتل مشركا ومن لبس خفا فليتفضه ومن اوى الى فراشه فلينفظه (الخواص) يقال ان دمها يجلو البصر وقلبها اذا علق على انسان لا يؤثر فيه السحر وضرسها اذا علق على من به وجع الضرس سكن الالم للاين والايسر للايسر ولحمها قال بقراط الحكيم من أكله أمن من الامراض الصعبة (الانيس) وتسميه الرماة الانيسة لانه من طيور الواجب عندهم وهو طير له لون حسن غذاؤه الفاكهة ومأواه الانهار والبساتين والغياض وله صوت حسن كالقمري (الاوز) طير يحب السباحة وفراخه تخرج من البيضة تسبح (الخواص) في جوفه حصاة تنفع المبطون ودهنه ينفع من ذات الجنب وداء الثعلب اذا طلي به ولسانه ينفع لقطار البول وغذاؤه جيد الا انه بطيء الهضم (الايل) بتشديد الياء المكسورة ذكر الوعل وله اسماء باختلاف اللغات وهو يشبه بقر الوحش واذا خاف من الصياد رمى بنفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك واذا لسعته حية ذهب الى البحر فأكل السرطان فيشفى (خواصه) ان السمك يحب رؤيته وهو يحب ذلك ولذلك أكثر ما يكون بقرب البحر والصيادون يعرفون ذلك فيلبسون جلده ليراهم السمك فيأتي لهم وهو مولع بأكل الحيات وربما لسعته فتسيل دموعه تحت حاجر عينيه حتى تصير نقرتين من كثرة ذلك ثم تجمد تلك الدموع فتصير كالشمع فتؤخذ وتجعل دواء للسم وهو الذي يسمى بالبزهير الحيواني وأجوده الاصفر وأكثر ما يكون ببلاد الهند والسند وفارس واذا وضع على لسعة الحيات أبرأها وان وضعه الملسوع في فيه نفعه وهذا الحيوان لا تنبت قرناه الا بعد سنتين وينبتان في أول الامر مستقيمين ثم بعد ذلك يحصل فيهما التشعب ولا يزال يزيد الى ست سنين فحينئذ يصيران كخلتين ثم بعد ذلك يلقيهما في كل سنة مرة ثم ينبتان قال ارسطو وهذا النوع يصاد بالصفير والاصوات المطربة فانه يحب

الطرب والصيادون يشغلونه بذلك ويأتونه من ورائه فاذا رأوه قد استرخت اذناه وثبوا عليه وقرنه مصمت واحليله من عصب لا عظم فيه ولا لحم وهو من الحيوان الذى يزيد فى السمن فاذا حصل له ذلك فر من مكانه خوفا من الصيادين وحكمه حل أكله (الخواص) اذا بخر بقرنه البيت طرد الهوام التى فيه واذا أحرق واستنشق به الذى به صفرة الاسنان زال ذلك عنه ومن علق عليه شئ منه ذهب نومه ومن خواصه ان دمه يفتت الحصاة التى بالمثانة شربا والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(حرف الباء الموحدة)

(باز) كنيته أبو الاشعث وهو من أشد الحيوان تكبرا وأضيقها خلقا قال القزوينى انها لا تكون الا أنثى وذكرها من غيرها اما من جنس الحدأة أو الشواهين ولاجل ذلك تختلف ألوانها وهو أصناف منها البازى والباشق والشاهين والبيدق والصقر والبازى أحرها مزاجا لانه لا يصبر على العطش فلذلك لا يفارق الماء والاشجار المتسعة والظل الظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران تكثر أمراضه من كثرة طيرانه لانه كلما طار انحط لحمه وهزل وأحسن أنواعه ما قل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما قال الشاعر

لو استضاء المرء فى ادلاجه * بعينه كفته عن سراجه

ودونه الازرق الاحمر العينين والاصفر دونهما ومن صفاته المحمودة ان يكون طويل العنق عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين شديد الانخطاط من الجؤ غليظ الذراعين مع قصر فيهما (لطيفة) من عجيب أمره أن الرشيد خرج ذات يوم للصيد فأرسل بازا فغاب قليلا ثم أتى وفى فمه سمكة فاحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان الجو معمور بأمم مختلفة الخلق وفيه دواب بيض وتفرخ على هيئة السمك لها اجنحة ليست بذوات ريش فأجاز مقاتلا على ذلك وأكرمه (بالة) سمكة عظيمة قال القزوينى يقال ان طولها يبلغ خمسمائة ذراع وقال غيره خمسون ويقال لها العنبر وهى تظهر فى بعض الاحايين لاصحاب المراكب فاذا رأوها طبلوا بالطبول حتى انها تنفر لان لها جناحين كالقناطر اذا نشرتهما أغرقتهم فاذا بغت على حيوان البحر وزادشرها ارسل الله عليها سمكة نحو الذراع تلتصق بأذنها ولا خلاص لها منها فتنزل الى قعر البحر وتضرب رأسها به حتى تموت ثم تطفو بعد ذلك فيقذفها الريح الى الساحل فيأخذها أهله ويشقون جوفها ويستخرجون منها العنبر (بيغاء) هى أصناف كثيرة منها الاخضر والرمادى والاصفر والابيض يتخذها الملوك والرؤساء لحسن لونها وصوتها وفصاحتها (حكى) انه اهدى لعز الدولة درة بيضاء سوداء الرجلين والمنقار ويقال ان نوعا منها يقرأ القرآن (الخواص) من أكل لسانها تفصح واذا جفف دمها وجعل بين الصديقين حصلت بينهما الخصومة وزبلها يخلط بماء الحصرم ويكتحل به ينفع من الرمد وظلمة البصر (بجع) طائر أبيض اللون يميل الى صفرة طويل المنقار كبير البطن أكثر اكله السمك (بح) طائر لطيف يأوى اطراف الماء وهو خلقة شريفة لم يوجد غالبا

الاناثين فقط (براق) هو الدابة التي ركبها النبي صلى الله عليه وسلم وهو دون البغل وفوق الحمار أبيض اللون (برذون) نوع من الخيل دون الفرس العربي وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم ركبه وكذا عمر رضي الله عنه فلما ركبه عمر جعل يتخلل به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علم الله من علمك هذه الخيلاء ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وكنيته أبو الاخطل لطول ذنبه وأنشد السراج الوراق في ذم البراذين يقول

لصاحب الاحباس برذونة * بعيدة العهد عن القرط
اذا رأت خيلا على مربط * تقول سبحانك يا معطي
تمشي الى خلف اذا ما مشت * كأنما تكتب بالقبطي

(الخواص) اذا شربت امرأة دمه لم تحبل ابدا وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت واذا جفف وذر منه على من به الرعاف انقطع رعافه وكذا الجرح (برغوث) تفتح منه الباء وتضم وكنيته أبو طاهر وأبو عدي وأبو وثاب وهو يثب الى ورائه (وحكى) انه يعرض له الطيران كالفيل وهو يطيل السفاد ويبيض وينفرخ وأصله أولا من التراب لاسيما في الاماكن المظلمة وسلطانه في أواخر الشتاء وأول فصل الربيع ويقال انه على صورة الفيل وله انياب وخرطوم وقال بعضهم دبيبها من تحتي أشد من عضها وليس ذلك بدبيب ولكن البرغوث خبيث يستلقي على ظهره ويرفع قوائمه فيزغزغ بها فيظن من لا علم له انه يمشي تحت جنبيه وكان أبو هريرة رضي الله عنه يتلى ثوبه فيلتقط البراغيث ويدع القمل فقال له أنس في ذلك فقال أبدأ بالفرسان وأكر على الرجالة وأنشد أعرابي

ليل البراغيث أعياني وأنصبني * لا بارك الله في ليل البراغيث
كانهن وجلدي اذ خلون به * ايتام سوء أغاروا في المواريث

وقال أبو الرماح الازدي

تطاول بالفسطاط ليلي ولم يكن * بوادي الغضى ليلي على يطول
تؤرقني حدب قصار أذلة * وان الذي يؤذينه لذليل
اذا جلت بعض الليل منهن جولة * تعلقن في رجلي حيث أجول
اذا ما قتلناهن أضعفن كثرة * علينا ولا ينهى لهن قتيل
الا ليت شعري هل أبيتن ليلة * وليس لبرغوث علي سبيل

وقال ابن أيبك الصفدي

اشكو الى الرحمن ما ناليني * من البراغيث الخفاف الثقال
تعصبوا بالليل لما دروا * أني تقنعت بطيف الخيال

ولا يسب البرغوث لما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه فانه أيقظ نبيا الى صلاة الفجر (فائدة) سئل مالك عن البرغوث من يقبض روحه فقال أله نفس قيل نعم قال الله يتوفى الانفس حين موتها ولقد شكا عامل افريقية الى عمر بن عبد العزيز شر الهوام فكتب اليه اذا اوى احدكم الى فراشه فلقرأ وما لنا أن لا نتوكل على الله الآية وقال حنين بن اسحق الحيلة في دفع البرغوث أن تأخذ شيأ من الكبريت

فتدخن به فى البيت فانها تفر من ذلك وقيل يرش البيت بماء السذاب وقيل مشاق المراكب يحرق فى البيت مع قشور النارنج (بعوض) قيل انه على خلقة الفيل الا انه أكبر أعضاء منه فان للفيل أربعة أرجل وللبعوض ستة ويزيد عليه باربعة أجنحة وله خرطوم مجوّف نافذ فاذا طعن به جسد انسان استقى الدم وقذف به الى جوفه فهوله كالبلعوم والحلقوم ومما ألهمه الله تعالى انه اذا جلس على عضو انسان يتتبع مسام العروق فانها أرق وأسرع له فى اخراج الدم وعنده شره فى مصه حتى قيل انه لا يمص شيأ فيتركه باختياره الى أن ينشق أو يطار ومن عجيب أمره انه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الاربع فيتركه طريحا وقال الجاحظ من علم البعوض أن وراء جلد الجاموس دما وأن ذلك الدم غذاء لها وانها اذا طعنت فى ذلك الجلد الغليظ نفذ فيه خرطومها مع ضعفه ولو انك طعنت فيه بمسلات شديدة المتن رهيفة الحد لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته وقدرته قال بعضهم

اقول لنازل البستان طوبى * لعيشك لم تشك فيه البعوض
يملله فليس له قرار * ويخنسه فليس له نهوض
حماه قرصه وطنينه أن * يبيت وعينه فيها غموض
كأنك حين تهدى بالاغانى * تكرر فى مسامعك العروض

ومن الحكم التى أودعها الله تعالى اياها ان جعل الله فيها قوة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفذ الغذاء وجوفا ومخا وعروقا وعظاما فسبحان من قدر فهدى ولم يترك شيأ سدى وقال الزمخشرى فى تفسير سورة البقرة فى ذلك

يا من يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى منياط عروقها فى نحرها * والمخ من تلك العظام النحل
ويرى خرير الدم فى أوداجها * متنقلا من مفصل فى مفصل
ويرى وصول غذا الجنين ببطنها * فى ظلمة الاحشا بغير تقل
ويرى مكان الوطء من أقدامها * فى سيرها وحثيثها المستعجل
ويرى ويسمع حس ما هو دونها * فى قاع بحر مظلم متهوّل
امنن على بتوبة تمحو بها * ما كان منى فى الزمان الاول

(بغل) معروف وكنيته أبو قوص وابو حرون وله كنى غير ذلك كثيرة وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم الخيل وهو عقيم لا نسل له روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن على كرّم الله وجهه أنها كانت تتناسل فدعا عليها ابراهيم الخليل لانها كانت تسرع فى نقل الحطب لنار المنجنيق فقطع الله نسلها وهو أشر الطباع لانه تجاذبه الاعراق المتضادة والاخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجيب ان كل عضو فرضته منه كان بين الفرس والحمار (الخواص) يقال ان حافر البغلة السوداء ينفع لطرد الفار اذا بخر به البيت واذا سحق حافره بعد حرقه وخلط بدهن الآس وجعل على رأس الاقرع نبت شعره وزبله اذا شمه المزكوم زال زكامه على ما ذكر (بقر) هو حيوان شديد

القوة خلقه الله تعالى لمنفعة الانسان وهو أنواع منها الجواميس وهي أكثر البانا وكل حيوان اناثه ارق أصواتا من ذكوره الا البقر وانشاه يضربها الفحل في السنة مرة واذا اشتد شبقها تركت المرعى وذهبت واذا طلع عليها الفحل التوت تحته اذا اخطأ المجرى لشدة صلابة ذكره قال المسعودي رأيت بالري البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبتيها ثم تثور بالحمل (عجيبة) حكي في الاحياء ان شخصا كان له بقرة وكان يشوب لبنها بالماء ويبيعه فجاء السيل في بعض الأودية وهي واقفة ترعى فغرقها فجلس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه يا أبت لا تندبها فان المياه التي كانت تخلطها بلبنها اجتمعت فغرقتها (فائدة) ذكر ابن الفضل في كتابه عن وهب بن منبه انه قال لما خلق الله تعالى الارض ماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا في نهاية العظم والقوة وأمره ان يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الارض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء في وسطها سبعة آلاف ثقب فخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى ثم أمر الصخرة أن تدخل تحت قدمي الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما يقال له كيوثا له أربعة آلاف عين ومثلها انوف وآذان وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل قائمتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له بيهموت ثم أمره الله تعالى أن يدخل تحته ثم جعل الحوت على ماء ثم جعل الماء على الهواء ثم جعل الهواء على ماء أيضا ثم جعل الماء على الثرى ثم الثرى على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق (الخواص) شحم البقر اذا خلط بزنبق أحمر طرد العقارب واذا طلي به انان اجتمعت البراغيث اليه واذا شرب لبنها زاد في الانعاظ وقرنها اذا سحق وجعل في طعام صاحب الحمى فأكله زالت الحمى ومرارتها اذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء واذا طلي به على الأثر الاسود في البدن ازاله وخصية الفحل اذا جففت وسحقت وجعلت في عسل وأكلت فانها تزيد في الباه وشعرها اذا أحرق واستيك به نفع من وجع الانسان واذا خلط مع السكنجبين وشرب نفع من الطحال على ما ذكر (بومة) وكنيتها أم الخراب وأم الصبيان ومن طبعها أن تدخل على كل طير في وكره وتأكل افراخه ولعاداة الطيور لها يجعلها الصيادون في أشراكهم حتى يقع عليها الطير ونقل المسعودي عن الجاحظ أن البومة لا تخرج بالنهار خوفا من العين لانها تظن انها حسناء وهي أصناف وكلها تحب الخلوة بنفسها (الخواص) من خواصها انها تنام باحدى عينيها والأخرى مفتوحة فاذا أخذت المفتوحة وجعلت تحت فص خاتم فمن لبسه لم ينم مادام في يده وعكسها المغموضة واذا أردت معرفة ذلك فألقهما في الماء فالراسبة للنوم والطافية لليقظة واذا أخذ قلب البومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة وهي نائمة تحدثت بجميع ما فعلته في نومها (بوقير) طير أبيض يأتي منه في كل سنة طائفة الى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة فتدخل من تلك الكوة فيسقط منها شيء فان امسكت واحدة كان ذلك العام متوسط الخصب وان امسكت ثنتين كان كثير الخصب وان لم تمسك شيأ كانت السنة مجدبة واهل تلك

الناحية

فوله كيوثا بالجيم ثم خاء معجمة ثم واو ثم ثاء مثلثة اه ولجزء

الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة مارية أم ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم

(حرف التاء)

(تمساح) حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وفيه ستون نابا وقيل ثمانون وبين كل نابين سن صغيرة وهي أنثى في ذكر اذا أطبق فه على شئ لا يفلته حتى يخلعه من موضعه وله لسان طويل وظهر كالسلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل وهو لا يوجد الا بنيل مصر وقال المسافرون انه يوجد بحر الهند وطوله في الغالب ستة أذرع الى عشرة في عرض ذراعين أو ذراع ويقيم في الجر ثمت الماء أربعة أشهر لا يظهر وذلك في زمن الشتاء ويتغوط من فيه في الغالب ويحصل في فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج الى بعض الجزائر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى له طيرا يقال له القطقاط فيدخل في فيه فيدخل ما فيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فه على الطير ليأكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى في جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب المثل فيقال جازاه مجازاة التمساح وزعم بعض الباحثين عن أحوال التمساح أن له ستين نابا وستين عرقا ويسفد ستين مرة ويبيض ستين بيضة ويحضن ذلك ستين يوما ويعيش ستين سنة فاذا أفرخ فما صعد الجبل صار ورلا وما نزل البحر صار تمساحا وفكه الاسفل لا يستطيع تحريكه لان فيه عظما متصلا بصدره واذا أراد الصياد أخذ أنثاه وطلع بها الى البر وقلبها وجامعها فاذا قضى حاجته قلبها ثانيا لانه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك الا أنها لا تستطيع الانقلاب ليبوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله تعالى عليه أضعف الحيوان وهو كوكب الماء يقال انه يتلبط بالطين ويغافل التمساح ويقذف بنفسه في فيه فيبتلعه لنعومته فاذا حصل في جوفه ذاب ما عليه من سخونة بطنه فيعمد الى أمعائه فيقطعها ويقطع مراق بطنه فيقتله (الخواص) عينه تشد على من به رمد اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وشحمه اذا قطر في أذن من به صمم نفعه (تنين) ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل أحمر العينين له مابريق واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان وأول أمره يكون حية متمردة ثم تطغى وتتسلط على حيوان البر فيستغيث منها فيأمر الله تعالى ملكا فيحملها ويلقيها في البحر فتقيم فيه مدة ثم تتسلط على حيوانه أيضا فيستغيث منها الى ربه فيأمر الله تعالى بالقائها في النار فيعذب بها الكافرين وقيل يأمر الله تعالى بالقائها على يأجوج ومأجوج وروى ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن تنينا منها نفخ على الارض ما نبتت فيها خضراء

(حرف الثاء)

(ثعلب) وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل في طلب الرزق فمن ذلك انه يتموت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن انه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد ومن حيلته انه اذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكه فيسلح هو عليه

فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه ويأكله وسلحه اثنين من سلح الحبارى ومن لطيف أمره انه اذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء الى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها فى فيه ونزل فى الماء والبراغيث تطير قليلا حتى تجتمع فى تلك الصوفة فيلقيها فى الماء ويخرج وفروه أدفى الفراء وفيه الابيض والرمادى وغير ذلك وذكر فى عجائب المخلوقات انه أهدى الى ابى منصور السامانى ثعلب له جناحان من ريش اذا قرب الانسان منه نشرهما واذا بعد اصقهما (لطيفة) ذكر ابن الجوزى فى آخر كتاب الاذكياء والحافظ ابو نعيم فى حلية الاولياء عن الشعبى انه قال مرض الاسد فعادته السباع والوحوش ما خلا الثعلب فتم عليه الذئب فقال الاسد اذا حضر فأعلمنى فلما حضر الثعلب أعلمه الذئب بذلك وكان قد اخبر بما قاله الذئب فقال الاسد أين كنت يا أبا الفوارس قال كنت أطلب لك الدواء قال وأى شئ أصبته قال قيل لى خرزة فى عرقوب أبى جعد قال فضرب الاسد يده فى ساق الذئب فأدماه ولم يجد شيأ فخرج ودمه يسيل على رجله وانسل الثعلب فمر به الذئب فناداه ياصاحب الخف الاحمر اذا قعدت عند الملوك فانظر ما يخرج منك فان المجالس بالامانات وقيل خرج الاسد والثعلب والذئب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وضبا وغزالا ثم جلسوا يتقسمون فقال الاسد للذئب اقسم علينا فقال حمار الوحش لى والغزال لابى الحرث والضب للثعلب فضربه الاسد فى رأسه فرضخها فقال الثعلب انا أقسم حمار الوحش لابى الحرث يتغدى به والغزال لابى الحرث يتعشى به والضب لابى الحرث يتنقل به فيما بين ذلك فقال له الاسد لله درك من فرضى ما أعلمك بالفرائض من علمك هذا قال علمنى التاج الاحمر الذى ألبسته هذا وأشار الى الذئب (وحكى) أن الثعلب مر فى السحر بشجرة فرأى فوقها ديكا فقال له أما تنزل تصلى بجماعة فقال ان الامام نائم خلف الشجرة فأيقظه فنظر الثعلب فرأى الكلب فضرط وولى هاربا فناداه ما تأتى لنصلى فقال قد انتقض وضوئى فاصبر حتى أجدد لى وضوأ وأرجع ومن العجيب فى قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الافعى فيأكلها والافعى تصيد العصفور والعصفور يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير تصيد النحل والنحل تصيد الذباب والذباب يصيد البعوض والبعوض يصيد النمل والنمل يأكل كل ما تيسر من صغير وكبير فتبارك الله الذى أتقن ما صنع (الخواص) رأسه اذا ترك فى برج حمام هرب الحمام منه وناب يشد على الصبى يحسن خلقه ومرارته يجعل منها فى أنف المصروع يبرأ ولحمه ينفع من اللوقة والجذام وخصيته تشد على الصبى تنبت اسنانه وفروه أنفع شئ للمربوط ودمه اذا جعل على رأس أقرع نبت شعره اذا كان دون بلوغ وطحاله يشد على من به وجع الطحال يبرأ (ثعبان) هو الكبير من الحيات ذكرا كان أو أنثى وهو عجيب الشأن فى هلاك بنى آدم يلتوى على ساق الانسان فيكسرها وليس له عدو الا النمس ولولا النموس لاكلت الثعابين أهل مصر (لطيفة) قيل ان عبد الله بن جدعان كان فى ابتداء أمره صعلوكا وكان شريرا يقتل ويقتل وكان أبوه يعقل عنه فضجر من ذلك وأراد قتله فخرج هاربا على وجهه فتوصل لجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد فى

صدره شيأ كهيئة الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب علي فيقتلني واستريح قال فدنا منه فوجده مصنوعا من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخله بيتا فيه جثث طوال بالسة على أسرة الذهب والفضة وعند رؤسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم واذا بهم رجال من جرهم وفي وسط البيت كوم من الياقوت الاحمر والزمرد والذهب والفضة واللؤلؤ فأخذ منه قدر ما يحمل وعلم الشق وذهب الى قومه فأغناهم ورجع فلم يدر مكان الشق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنت استظل بجفنة عبد الله بن جدعان من الهجير قالت عائشة يا رسول الله هل ينفعه ذلك شيأ قال لا لانه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين

(حرف الجيم)

(جراد) حيوان معروف وليس له جهة مخصوصة وانما يكون هائما ربا واذا أراد أن يبيض ذهب الى بعض الصخور وضرب بذنبه فتفرج له فيلقي بيضة فيها وله ستة أرجل وطرفا أرجله كالمنشار وهو ألوان عديدة وفيه خلقة عشرة من الجبابرة وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا أيل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذا جمل ورجلا نعامة وذنب حية وهو من الحيوان الذي ينقاد الى رئيسه كالعسكر اذا طعن أميره تتابع خلفه وفي الحديث ان جرادة وقعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله الاكبر ولنا تسعة وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لاكلنا الدنيا بما فيها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم أهلك الجراد اللهم اقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وستأنوا هاعن مزارع المسلمين وعن معايشهم انك سميع الدعاء قال فجاءه جبريل فقال انه قد استجيب لك في بعضها وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر وان أول هلاك هذه الامة الجراد فاذا هلك الجراد تتابعت الامم مثل الدر اذا قطع سلكه قيل كان طعام يحيى بن زكريا عليهما السلام الجراد وقلوب الشجر وكان يقول من أنعم منك يا يحيى وقد أجمع المسلمون على أكل لحمه ومن خواصه أن الانسان اذا تبخر به نفعه من عسر البول (جرو) بكسر الجيم وفتحها وضمها وهو الصغير من أولاد الكلاب والسباع وقد كان صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب وسببه أن جبريل عليه السلام وعده ليأتيه فتأخر فقال فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فقال ما أخرك عن وعدك فقال ما تأخرت ولكن لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب فأمر بقتلها وروى مسلم والطبراني عن خولة بزيادة ولفظها ان جروا دخل تحت سرير في بيته صلى الله عليه وسلم فمات فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أياما لا يأتيه الوحي قال لعله حدث في البيت شيء فخرج للمسجد فنزل عليه الوحي قالت خولة فقممت البيت فوجدت الكلب تحت السرير *(عجيبة)* حكي أن رجلا لم يولد له ولد فكان يأخذ أولاد الناس فيقتلهم فنهته زوجته عن ذلك وقالت يؤاخذك الله بذلك فقال لو آخذ الله على فعل في يوم كذا وصار يعد مدة أفعاله لها فقالت له ان صاعك لم يمتلئ ولو امتلأ آخذك قال فخرج ذات يوم واذا بغلامين يلعبان ومعهما جروفأخذهما الرجل ودخل البيت فقتلهما وطرد الجرو قال فطلبهما أبوهما فلم يجدهما فانطلق الى نبي لهم فأخبره بذلك فقال ألهما

لعبة كان يلعبان بها قال جروكلب قال ائتني به فاتاه به فجعل خاتمه بين عينيه ثم قال له اذهب خلفه فأي بيت دخله ادخل معه فان أولادك فيه قال فجعل الجرو يجوز الدروب والحارات حتى دخل بيت القاتل فدخل الناس خلفه واذا بالغلامين متعفران بدمهما وهو قائم يحفر لهما مكانا يدفنهما فيه فأمسكوه وأتوا به لنبيهم فأمر بصلبه فلما رأته زوجته على الخشبة قالت ألم أحذرك هذا اليوم وتقول ما تقول الآن امتلأ صاعك وسيأتي الكلام على الكلب في حرف الكاف ان شاء الله تعالى (جعل) دويبة معروفة تسمى أبا جعران والزعقوق بعض البهائم في وجهها فتهرب منه وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد في بطنه لون حمرة للذكر قرنان يوجد كثيرا في مراح البقر والجاموس قيل انه يتولد من أخثائهما ومن شأنه جمع الروث واذخاره ومن عجيب أمره انه اذا شم الوردمات ويعيش بعوده للروث وله جناحان لا يكادان يريان الا اذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشي القهقرى ومن طبعه أنه يحرس النيام فاذا قام أحدهم يتغوط تبعه ليأكل من رجيعه وذلك من شدة شهوته للغائط

(حرف الحاء)*

(حجل) طير فوق الحمامة أغبر اللون أحمر المنقار والرجلين يسمى دجاج البر وهو صنفان نجدي وتهامي النجدي أغبر والتهامي أبيض وله شدة الطيران واذا تقاتل ذكران تبعت الانثى الغالب وله شدة شبق وأفراخه تخرج من البيض كاسية ويعمر في الغالب عشرين سنة واذا قوي على غيره أخذ بيضه فخضنه ومن سر الله تعالى انه اذا أفرخ ذلك البيض تبع الفرخ أمه التي باضته ومن طبعه أنه يخدع غيره في قرقرته ولذلك يتخذه الصادون في أشراكهم (غريبة) قيل ان أبا نصر بن مروان أكل مع بعض مقدمي الاكراد فأتي على سماطه بحجلتين مشويتين فلما رآهما ضحك فقال مم تضحك قال كنت أقطع الطريق في عنفوان شبابي فر بي تاجر فأخذته فلما أردت قتله تضرع الي فلم أقتله فلما علم أنه لا بد لي من قتله التفت يمينا وشمالا فرأى حجلتين كانتا بقربنا فقال اشهد الى أنه قاتلي ظلما فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حقه في استشهاده بهما فقال أبو نصر والله لقد شهدا عليك عند من أقادك بالرجل ثم أمر به فضربت عنقه (الخواص) لحمها جيد معتدل الهضم ومرارتها تنفع الغشاوة في العين واذا سعط بها انسان في كل شهر مرة جاد ذهنه وقل نسيانه وقوي بصره (حدأة) بكسر الحاء وفتح الدال مع همزة أخس الطير وبيض بيضتين وربما باضت ثلاثا وتحضن عشرين يوما ومن ألوانها الاسود والرمادي وهي لا تصيد الا خطفا وفي طبعها انها تقف في الطيران وهي أحسن الطير مجاورة لانها اذا جاعت لا تأكل أفراخ جارها ويقال انها طرشاء وفي طبعها انها لا تخطف من الجهة اليمنى لانها عسراء وهي سنة ذكر وسنة أنثى كالارنب *(عجيبة)* روى الحافظ النسفي في فضائل الاعمال أن عاصم بن أبي النجود شيخ القراء في زمانه قال أصابتني خصاصة فجئت الى بعض اخواني فأخبرته بأمري فرأيت في وجهه الكراهة فرجعت من منزله الى الجبانة فصليت ما شاء الله ثم وضعت رأسي على الارض وقلت يا مسبب الاسباب يا فاتح الابواب يا سامع

الاصوات يامجيب الدعوات يافاني الحاجات اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك قال فوالله مارفعت رأسي حتى سمعت وقعة بقربي فاذا بحدأة قد طرحت كيسا أحمر فقمت فأخذته فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهرة ملفوفة في قطن قال فاتجرت بذلك واشتريت لي عقارا وتزوجت (الخواص) مرارتها تجفف في الظل وتنقع في اناء زجاج فمن لسع قطر منها في ذلك الموضع واكتحل مخالفا بلهبة اللسع ثلاثة أميال أبرأته ودسمها اذا خلط بقليل من المسك وماء الورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس واذا وضع في بيت لم تدخله حية ولا عقرب (حرباء) دويبة صغيرة على هيئة السمك ورأسها تشبه رأس العجل اذا رأت الانسان انتفشت وكبرت ولها أربعة أرجل وسنام كهيئة الجمل ولها كفي كثيرة منها أم قرة ويقال لها جمل اليهود وهي أبدا تطلب الشمس فمن أجل ذلك يقال انها مجوسية وتستقبلها بوجهها وتدور معها كيفما دارت فاذا غابت الشمس أخذت في كسبها ومعاشها ويقال ان لسانها طويل نحو ذراع وهو مطوي في حلقها فلذلك تخطف به ما بعد عنها من الذباب وتبتلعه والانثى من هذا النوع تسمى أم حبين ويقال ان الصبيان ينادونها أم حبين انشري برديك ان الامير ناظر اليك وضارب بسوطه جنبيك فاذا زادوا عليها انشرت جناحيها وانصبت على رجليها فاذا زادوا عليها أيضا نشرت أجنحة أحسن من تلك ملونة واذا مشت تطأطئ برأسها وتتلون ألوانا ولذا يقال يتلون كالحرباء (حمار أهلي) معروف ليس في الحيوان من ينزو على غير جنسه الا هو والفرس ونزوه بعد تمام ثلاثين شهرا وكنيته أبو محمود وأبو بحش وغير ذلك وهو أنواع فمنه ماهو لين الاعطاف سريع الحركة ومنه ماهو بضد ذلك ويوصف بالهداية الى سلوك الطريق *(لطيفة)* في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما فتح خيبر أصاب حمارا أسود فكلمه فقال ما اسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج الله تعالى من نسل جدي ستين حمارا كلها لا يركبها الا نبي ولم يبق من الانبياء غيرك وكنت أوقعك لتركبني وأنا عندهم يهودي يجيع بطني ويضرب ظهري وكنت أعثر به عمدا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفور وقال له أتشتهي الاناث قال لا وكان صلى الله عليه وسلم يركبه في حوائجه واذا أراد حاجة عند انسان أرسله اليه فيدفع الباب برأسه فيخرج صاحب البيت فيعرفه ويقضي حاجته فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الى بئر كانت لابي الهيثم فتردى فيها جزعا على النبي صلى الله عليه وسلم فكانت قبره وقيل هذا الحديث منكر وقد ذكره السهيلي في التعريف والاعلام وللناس في ذمه ومدحه أقوال متباينة بحسب الاغراض فمن مدحه أن أبا صفوان وجد رجلا على حمار فقال له في ذلك فقال عير هي من نسل الاكراد يحمل الرحل ويبلغ العقبة ويمنعني أن أكون جبارا في الارض وقال آخر هو أقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة وأخفضها مهوى وأقربها مرتعا وكان حمار أبي يسارة مثلا في الصحة والقوة وهو حمار أسود حمل الناس عليه من منى الى المزدلفة أربعين سنة وكان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشي يختاران ركوب الحمار ويجعلان أبا يسارة قدوة لهما وحجة ومن ذمه ما نقل عن عبد الحميد الكاتب انه قال لا تركبوا الحمار فانه ان كان فارها أتعب يدك وان كان بليدا أتعب رجلك وقيل ما ينبغي لمركب

الدجال أن يكون مركبا للرجال وقال أعرابى الحمار بئس المطية ان أوقفته أدلى وان تركته ولى كثير الروث قليل الغوث سريع الى الفرار يطأ فى الغارة لا توقى به الدماء ولا تعقر به النساء ولا يحلب فى الاناء قال الزمخشرى

ان الحمار ومن فوقه * حماران شرهما الراكب

ومن العرب من لا يركبه أبدا ولو بلغت به الحاجة والجهد قيل كان لرجل بالبادية حمار وكلب وديك فالديك يوقظه للصلاة والكلب يحرسه اذا نام والحمار يحمل أثاثه اذا رحل قال فجاء الثعلب فأكل الديك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عسى أن يكون خيرا ثم جاء الذئب فبقر بطن الحمار فقال عسى أن يكون خيرا قال ثم ان جيرانه من الحى أغير عليهم فأخذوا فأصبح ينظر الى منازلهم وقد خلت فقيل له انما أخذوا بأصوات دوابهم فقال انما كانت الخيرة فى هلاك ما عندى فمن عرف لطف الله رضى بفعله (حمام) هو أنواع كثيرة والكلام فى الذى ألف البيوت وهو قسمان أحدهما برى وهو الذى يوجد فى القرى والآخر أهلى وهو أنواع وأشكال فمنه الرواعب والمراعيش والشداد والغلاب والمنسوب ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو كان فى مسافة بعيدة ولاجل ذلك يحمل الأخبار ومنه من يقطع عشرة فراسخ فى يوم واحد وربما صيد وغاب عن وطنه عشرسنين وهو على ثبات عقله وقوة حفظه حتى يجد فرصة فيطير ويعود الى وطنه وسباع الطير تطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من غيره وهو أطير منه لكن اذا أبصره يعتريه ما يعترى الحمار اذا رأى الاسد والشاة اذا رأت الذئب والفأر اذا رأى الهر ومن طبعه أنه لا يريد الاذكره الى أن يهلك أو يفقد أحدهما ويحب الملاعبة والتقبيل ويسفد لتمام أربعة اشهر ويحمل أربعة عشر يوما ويبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما ويخرج من احدى البيضتين ذكرا والاخرى أنثى واتخاذها فى البيوت لا بأس به غير انه لا يجوز تطييرها والاشتغال بها والارتقاء بها على الأسطحة وعليه عمل أهل العلم قوله عليه الصلاة والسلام شيطان يتبع شيطانة حين رأى شخصا يتبع حمامة فان لم يحصل شئ مما ذكر جاز اتخاذها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الحمام فى بيوتكم فانها تلهى الجن عن صبيانكم واللعب بها من عمل قوم لوط وقال النخعى من لعب بالحمام لم يمت حتى يذوق ألم الفقر ولم يوجد شئ أبله من الحمام فانه تؤخذ أفراخه فتذبح فى مكان ثم يعود فى ذلك المكان ويبيض فيه ويفرخ وقال الجاحظ وللحمام من الفضيلة والفخر ان الحمامة قد تباع بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك القدر شئ من الطير غيره وهو الهادر الذى جاوز الغاية قالوا ولو دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة ولو حدثت أن برذونا أو فرسا يبيع بخمسمائة دينار لكان ذلك سمرا وقد تباع البيضة الواحدة من بيض ذلك الحمام بخمسة دنانير والفرخ بعشرين فمن كان له زوج منه قام فى الغلة مقام ضيعة وأصحابه يبنون من أثمانه الدور والحوانيت وهو مع ذلك ملهى عجيب ومنظر أنيق (الخواص) دمه ينفع الجراحات العارضة للعين والغشاوة ويقطع الرعاف ويبرئ حرق النار اذا خلط بالزيت منه وزبل الاحمر ينفع للسع العقرب اذا وضع

عليه واذا شرب منه مقدار درهمين مع ثلاثة دراهم دار صيني نفع من الحصاة

(حرف الخاء)

(الخطاف) أنواع كثيرة فمنه نوع دون العصفور رمادي اللون يسكن ساحل البحر ومنه مالونه أخضر وتسميه أهل مصر الخطار ونوع طويل الاجنحة رقيق يألف الجبال ونوع أصغر منه يألف المساجد يسميه الناس السنونو وزعم بعضهم أنه الطير الابابيل ويقال ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض حصل له وحشة فخلق الله له هذا الطير يؤنسه فلاجل ذلك لا تجدها تفارق البيوت وهي تبني بيتها في أعلى مكان بالبيت وتحكم بنيانه وتطينه فان لم تجد الطين ذهبت الى البحر فمرغت في التراب والماء وأتت فطينته وهي لا تزيل داخلا بل على حافته أو خارجا عنه وعنده ورع كثير لانه وان ألف البيوت لا يشارك أهلها في أقواتهم ولا يلتمس منهم شيأ ولقد أحسن واصفه حيث يقول

كن زاهدا فيما حوته يد الورى * تبقى الى كل الانام حبيبا
وانظر الى الخطاف حرم زادهم * أضحى مقيما في البيوت ربيبا

ومن شأنه أنه لا يفرخ في عش عتيق بل يجدد له عشا وأصحاب البرقان يلطخون أفراخه بالزعفران فيذهب فيأتي بحجر البرقان ويلقيه في عشه لتوهمه أن البرقان حصل لاولاده وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب الناس فعند ذلك يأخذه من به البرقان ويحكه ويستعمله ومن عجيب أمره أنه يكاد يموت من صوت الرعد واذا عمي ذهب الى شجرة يقال لها عين شمس فيتمرغ فيها فيفيق من غشوته ويفتح عينيه (الطيقة) قيل ان خطافا وقف على قبة سليمان وتكلم مع خطافة وراودها عن نفسها فامتنعت فقال لها تمنعين مني ولو شئت قلبت هذه القبة قال فسمع سليمان فدعاه وقال ما حملك على ما قلت فقال يا نبي الله ان العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم (الخواص) مرارته تسود الشعر ولحمه يورث السهر وقلبه يهيج الباه اذا أكل جافا ودمه يسكن الصداع (خفاش) طير يوجد في الاماكن المظلمة وذلك بعد الغروب وقبل العشاء لانه لا يبصر نهارا ولا في ضوء القمر وقوته البعوض وهذا الوقت هو الذي يخرج فيه البعوض أيضا لطلب رزقه فيأكله الخفاش فيتسلط طالب رزق على طالب رزق وهو من الحيوان الشديد الطيران قيل انه يطير القرسخين في ساعة وهو يعمر مثل النسر وتعاديه الطيور فتقتله لانه قيل ان عيسى عليه السلام لما سأله النصارى في طير لاعظم فيه صنع لهم ذلك باذن الله تعالى فهي تكرهه لانه مباين لخلقتها ومن طبعه الخنوع على ولده حتى قيل انه يرضعه وهو طائر (خنزير) حيوان معروف وله كنى كثيرة منها أبو جهنم وأبو زرعة وأبو داف وهو مشترك بين البهيمة والسبع لانه ذو ناب ويأكل العشب والعلف وهو كثير الشبق حتى قيل انه يجامع الانثى وهي سائرة فيرى في مشيها ستة أرجل فيتوهم الرائي انه حيوان بستة أرجل وليس كذلك والذكر منها يطرد الذكر مثله فمن غلب استقل بالنزو على الانثى وتحرك أذنابها في زمن هيجانها وتطأطئ رأسها وتغير أصواتها وتحمل من نزوة واحدة وتحمل ستة أشهر وتضع عشرين ولدا وينزو الذكر اذا بلغ ستة أشهر وقيل أربعة باختلاف البلاد وقيل ثمانية واذا بلغت الانثى خمس

عشرة سنة لا تحمل وهذا الجنس أفسد الحيوان والذكر أقوى الفحول وليس لذوات الاربع ما للخنزير فى نابه من القوة حتى قيل انه يضرب به السيف والرمح فينقطع مالاقاه واذا التقى نابا من الطول مات لانهما حينئذ يمتنعان من الأكل ومن عجيب أمره انه يأكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها واذا عض كلبا سقط شعره واذا مرض وأطعم السرطان يفيق ومن عجيب أمره انه اذا ربط على ظهره حمار وبال الحمار وهو على ظهره مات ولا يسلخ جلده الا بالقلع مع شئ من لحمه على ما ذكروا (خنفساء) دويبة تتولد من عفونات الارض وبينها وبين العقرب مودة وكنيتها أم فسو لان كل من وضع يده عليها يشم رائحة كريهة (فائدة) قيل ان رجلا رأى خنفساء فقال ما يصنع الله بهذه فأتاه الله تعالى بقرحة عجز الاطباء فيها فبينما هو ذات يوم واذا بطارق يقول من به وجع كذا الى أن قال من به قرحة فخرج اليه ذلك الرجل فلما رأى ما به قال ائتونى بخنفساء فضحك منه الحاضرون فقال ائتوه بالذى يطلب فأتوه بها فأخذها فأحرقها وأخذ رمادها وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المقروح أن الله تعالى ما خلق شيأ سدى وأن فى أخس المخلوقات أهم الادوية فسبحان القادر على كل شئ (الخواص) اذا قطعت رؤس الخنافس وجعلت فى برج الحمام كثر الحمام فى ذلك البرج والاكتحال بما فى جوفها من الرطوبة يحد البصر ويجلو الغشاوة والبياض واذا بخر المكان بورق الدلب هربت منه الخنافس على ما ذكر (خيل) جماعة الافراس وسميت بذلك لانها تختال فى مشيتها وهى من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى ووصى بها النبى عليه الصلاة والسلام فقال الخير معقود بنواصى الخيل الى يوم القيامة وقال عليكم بإناث الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز وروى عن ابن عباس أو على رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أراد الله تعالى خلق الخيل أوحى الى الريح الجنوب وقال انى خالق منك خلقا فاجتمعى فاجتمعت فأتى جبريل فأخذ منها قبضة فخلق الله منها فرسا كميتا وقال خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم فالرزق بناصيتك والغنائم تقاد على ظهرك وبعهدك أرهب المشركين وأعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم قال له يا آدم اختر أى الدابتين الفرس او البراق فقال الفرس يا رب فقال الله تعالى اخترت عزك وعز أولادك وفى الحديث ما من فرس الا ويقول فى كل يوم اللهم من جعلتنى له فاجعلنى أحب أهله اليه وقيل الخيل ثلاثة فرس للرحمن وهى المغزو عليها وفرس لك وهى التى تسابق عليها وفرس للشيطان وهى التى جعلت للخيلاء وفى الحديث ان الملائكة لا تحضر شيأ من اللهو الا فى مسابقة الخيل وملاعبة الرجل أهله ولقد سابق النبى صلى الله عليه وسلم على الخيل وقيل ان الذكر من الخيل أقوى من الانثى ولا يرد علينا ركوب جبريل فى قصة موسى وفرعون الانثى لان ذلك من حكمة الله تعالى حتى تعتها احمنهم فاغرقوا الان الحصان اذا رأى الحجرة تبعها وقيل ان الله تعالى أمر نبيه موسى أن يعبر البحر فعبره وهو خلفه فاعمى أعينهم عن الماء فكانوا يرون بلقعا والخيل تراما فلولا دخول جبريل البحر بفرسه لما دخلت خيلهم وهى أصناف منها السافنات وهى التى اذا ربطت فى مكان وقفت على احدى رجليها وقلبت بعض الاخرى فى الوقوف وقيل غير ذلك

وكانت الصافنات ألف فرس لسليمان عليه السلام فعرضها يوما فشغلته الصلاة قبل صلاة العصر فأمر بعقرها فعوضه الله عنها الريح فكانت فرسه وقيل انما عقرها على وجه القربى كالهدى وقيل ان الفرس لايحب الماء الصافى ولايضرب فيه بيده كما يضرب بها فى الماء الكدر فرجاية فانه يرى شخصه فى الماء الصافى فيفزعه ولايراه فى الماء الكدر وقد قيل فى الحث على حب الخيل

أحبوا الخيل واصطبروا عليها * فان العز فيها والجمالا
اذا ما الخيل ضيعها اناس * ربطناها فأشركت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم * وتكسبنا الاباعر والجمالا

(حرف الدال)

(دابة) اسم لكل مادب على الارض واما التى ذكرها الله تعالى فى سورة سبا فقيل الارضة وقيل السوسة وسبب ذلك ان سليمان عليه السلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه ودخل فيه وأراد أن يصفوله يوم واحد من دهره فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استئذان فقال أذن لى رب البيت فعلم سليمان أن رب البيت هو الله تعالى وان الشاب ملك الموت أرسل ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم طلبت فيه الصفاء فقال طلبت مالم يخلق قال وكان قد بقى من بناء المسجد الاقصى بقية فقال له يا أخى يا عزرائيل أمهلنى حتى يفرغ قال ليس فى أمر ربى مهلة قال فقبض روحه وكان من عادته الانقطاع فى التعبد شهرين وثلاثة ثم يأتى فينظر ماصنعت الجن فلما قبض كان متوكئا على عصاه واستمر ذلك مدة والجن تتوهم أنه مشرف عليها فتعمل كل يوم بقدر عشرة أيام حتى أراد الله ما أراد فسلط على العصا الارضة فاكلتها فخر ميتا فتفرقت الجن عنه وقيل ان واحدا منهم مر عليه فسلم فلم يجبه فدنا منه فلم يجد له نفسا فخر كه فسقطت العصا فاذا هو ميت قال وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة والعصا التى اتكأ عليها من خرنوب قال الله تعالى فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين قال فشكرت الجن الارضة حتى قيل انهم كانوا يأتونها بالماء حيث كانت واما الدابة التى من اشراط الساعة فاختلف فى أمرها فقيل تخرج من الصفا وهو الصحيح وقيل من الطائف وقيل من الحجر وطولها ستون ذراعا ذات قوائم وهى مختلفة الالوان وذلك فى ليلة يكون الناس مجتمعين بمنى أوسائرين الى منى ومعها عصا موسى وخاتم سليمان لايدركها طالب ولايفوتها هارب تلحق المؤمن فتضربه بالعصا فتكتب فى وجهه مؤمن وتدرك الكافر فتسمه بالخاتم وتكتب فى وجه كافر وروى انها تخرج اذا انقطع الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقل الخير (داجن) هو ما يربيه الناس فى البيوت من صغار الغنم والحمام والدجاج وغير ذلك وفى حديث الافك ماعلمت لها قصة غير انها جارية حديثة السن تجين وتنام فتأتى الداجن فتأكل العجين (دب) من السباع وكنيته أبو جهينة وأبو جهل وغير ذلك ولايخرج زمن الشتاء حتى يطيب الهواء واذا جاع عض يديه ورجليه فيندفع جوعه وهو كثير الشبق وينعزل باثنا وتضع جروا واحدا وتصعد به الى أعلى شجرة خوفا عليه من النمل لانها تضعه قطعة لحم ثم لاتزال تلحسه وترفعه فى الهواء

اياما حتى تنفرج اعضاؤه وتخشن ويصير له جلد وفى ولادتها صعوبة وربما ماتت منها وقد تلده ناقص الخلق شوقا منها للسفاد وهى من الحيوان الذى يدعو الانسان للفعل به وقيل ان الدب يقيم أولاده تحت شجرة الجوز ثم يصعد فيرمى بالجوز اليها الى أن تشبع وربما قطع من الشجرة الغصن العسل الضخم الذى لا يقطع الا بالفأس والجهد ثم يشد به على الفارس فلا يضرب احدا الا قتله (دجاجة) وكنيتها أم ناصر الدين وأم الوليد وغير ذلك واذا هرمت لم يبق لبيضها مع وتوصف بقلة النوم قيل ان نومها بقدر ما تتنفس وعندها خوف فى الليل ولاجل ذلك تطلب وقت الغروب مكانا عاليا وتخشى الثعلب قيل انها اذا رأته ألقت نفسها اليه من شدة الخوف ولا تخشى من بقية السباع وقيل يعرف الذكر من الانثى بامساك منقاره فان تحرك فذكر والا فانثى ومن الدجاج ما يبيض فى اليوم مرتين وهو من أسباب موتها ويستكمل خلق البيضة فى بطن الدجاجة فى عشرة أيام وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر باتخاذ الغنم للاغنياء وباتخاذ الدجاج للفقراء ومن العجيب فى صنعة الله تعالى أن خلق الفروج من البياض وجعل الصفار غذاءه كما خلق الطفل من المنى وجعل دم الحيض غذاءه فتبارك الله أحسن الخالقين (الخواص) لحم الدجاج الفتى يزيد فى العقل ويصفى اللون ويزيد فى المنى ويقيم الباه والمداومة عليه تورث النقرس والبواسير على ما ذكر (ديح) طير كبير أغبر يكون بساحل البحر كثيرا وبالقرب من الاسكندرية والناس يصطادونه ويأكلونه (دود) اسم جنس ومنه دود القز ويقال لها الهندية ومن عجيب أمرها أنها تكون أولا مثل بزر التين ثم تصير دودا وذلك فى أوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر فى قدره ولونه ويخرج فى الاماكن الدافئة اذا كان مصورا فى حق وربما تأخر خروجه فتجعل النساء تحت ثديهن بصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الابيض قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر اصبع وينتقل من السواد الى البياض وكل ذلك فى مدة ستين يوما قال ثم يأخذ فى النسج مما يخرجه من فيه الى أن ينتهى ما فى جوفه ثم يخرج شيأ كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان من الاضطراب وعند خروجه يهيج الى السفاد ويلصق الذكر مؤخره الى مؤخر الانثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان قال ويكون قد فرش لهما خرقة بيضاء فينشران البزر عليها ثم يموتان هذا اذا أريد منهما البزر وان أريد الحرير تركا فى الشمس بعد فراغهما من النسج فيموت وهو سريع العطب حتى انه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس المرأة الحائض والرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد ونحو ذلك قال أبو الفتح البستى

ألم تر أن المرء طول حياته * معنى بامر لا يزال يعالجه
كذلك دود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

وقال آخر

يفنى الحريص بجمع المال مدته * وللحوادث ما يبقى وما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

(ديك) وكنيته أبو حسان وأبو حماد وغير ذلك ويسمى الانيس والمؤانس ومن طبعه

لا يألف زوجة واحدة وهو ابله الطبيعة لانه اذا سقط من بيت أصحابه لا يهتدى الى الرجوع اليه وفيه من الخصال الحميدة ما لا يحصر منها انه يساوى بين أزواجه فى الطعمة ويذكر الله تعالى فى الليل حتى قيل انه لوقته ويقسمه وربما لا يخرم فى نوبته وفى الصحيح اذا سمعتم صياح الديك فاذكروا الله تعالى فانه يصيح بصياح ديك العرش وروى الغزالى عن ميمون ابن مهران ان لله ملكا تحت العرش على صورة الديك فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وقال ليقم المسلون فاذا مضى الثلث الثانى ضرب بجناحيه وقال ليقم الذاكرون فاذا كان السحر وطلع الفجر ضرب بجناحيه وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله ديكا أبيض له جناحان موشحان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش وقوائمه فى الهواء فاذا كان ثلث الليل الاول خفق بجناحيه وقال سبحان الملك القدوس فاذا كان الثلث الثانى خفق بجناحيه وقال قدوس قدوس فاذا كان الثلث الثالث خفق بجناحيه وقال ربنا الرحمن الرحيم لا اله الا هو وروى الثعلبى باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت قارئ القرآن وصوت المستغفر بالاسحار وفى الحديث لا تسبوا الديك فانه يؤقت للصلاة وزعم أهل التجربة ان الرجل اذا ذبح الديك الابيض الافرق لم يزل ينكب فى أهله وماله (نادرة) قيل كان لابراهيم بن مزيد ديك وكان كريما عليه فجاء العيد وليس عنده شئ يضحى عليه فأمر امرأته بذبحه واتخاذ طعام منه وخرج الى المصلى فأرادت المرأة تمسكه ففرت بعقبه فصار يحترق من سطح الى سطح وهى تتبعه فسألها جيرانها وهم قوم هاشميون عن موجب ذبحه فذكرت لهم حال زوجها فقالوا ما نرضى أن يبلغ الاضطرار بأبى اسحق الى هذا القدر فأرسل اليه هذا شاة وهذا شاتين وهذا بقرة وهذا كبشا حتى امتلأت الدار فلما جاء ورأى ذلك قال ما هذا فقصت عليه زوجته القصة فقال ان هذا الديك لكريم على الله فان اسمعيل نبى الله فدى بكبش واحد وهذا فدى بما أرى

(حرف الذال)

(ذباب) وكنيته أبو جعفر وهو أصناف كثيرة تتولد من العفونة ومن عجيب أمره انه يلقى رجيعه على الابيض يسود وعلى الاسود يبيض ولا يقعد على شجرة الدناء وفى الحديث اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه فان فى أحدى جناحيه دواء وفى الاخرى داء وان من طبعه أن يلقى نفسه بالجناح الذى فيه الداء (وحكى) أن المنصور كان جالسا فألح عليه الذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب من العلماء فقالوا مقاتل بن سليمان فدعا به ثم قال له هل تعلم لاى حكمة خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت ثم أجازه ومن خصائص النبى صلى الله عليه وسلم انه كان لا يقع عليه ذباب قط وقال المأمون قالوا ان الذباب اذا دلك به موضع لسعة الزنبور سكن ألمه فلسعنى زنبور فحككت على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سكن له ألم فقالوا هذا كان حتفا قاضيا ولولا هذا العلاج لقتلك وقال الجاحظ من منافع الذباب انها تحرق وتخلط بالكحل فاذا اكتحلت بها المرأة كانت عينها أحسن

مايكون وقيل ان المواشط تستعمله ويأمرن به العرائس وقيل ان الذباب اذا مات والقى عليه براده الحديد عاش واذا بخر البيت بورق القرع هرب منه الذباب (ذئب) حيوان معروف وكنيته أبو جعدة وأبو جاعد وأبو غمامة لونه رمادى وهو من الحيوان الذى ينام باحدى عينيه ويحرس بالاخرى حتى تمل فيغمضها ويفتح الاخرى كما قال بعض واصفيه

ينام باحدى مقلتيه ويتقى * باخرى المنايا فهو يقظان هاجع

واذا أراد السفاد اختفى ويطول فى سفاده كالكلب واذا جاع عوى فتجتمع الذئاب حوله فمن هرب منها اكلوه واذا خاف منه الانسان طمع فيه وليس فى الارض أسد يعض على عظم الا ويسمع لتكسيره صوت بين لحييه الا الذئب فان لسانه يبرى العظم برى السيف ولا يسمع له صوت وقيل اذا أدماه الانسان فشم الذئب رائحة الدم لا يكاد ينجو منه وان كان أشد الناس قلبا وأعتهم سلاحا كان الحية اذا خدشت طلبها الذر فلا تكاد تنجو منه وكالكلب اذا عض الانسان يطلبه الفأر فيميل عليه فيكون فى ذلك هلاكه فيحتال له بكل حيلة قيل ولا يعرف الالتهام عند السفاد الا فى الكلب والذئب واذا هجم الصياد على الذئب والذئبة وهما يتسافدان قتلهما كيف شاء والله أعلم

(حرف الراء)

(رخ) طير عظيم الخلقة يوجد بجزائر الصين قال أبو حامد الاندلسى ذكر لى بعض المسافرين فى البحر انهم أرسوا بجزيرة فلما أصبحوا وجدوا فى طرفها المعانا وريقا فقد موا اليه واذا هم بشئ مثل القبة قال فجعلوا يضربون فيه بالفوس الى أن كسروه فوجدوه كهيئة البيضة وفيه فرخ عظيم قال فتعلقوا بريشه وجزوه ونصبوا القدور وخرجوا يحتطبون من تلك الجزيرة حطبا يقال له حطب الشباب فلما أكلوا ذلك الطعام اسودت لحمة ولمة كل ذى شيب قال فلما أصبحوا جاءهم الرخ فوجدهم قد صنعوا بفرخه ماصنعوا فذهب وأتى فى رجليه بحجر عظيم وتبعهم بعد ماساروا فى البحر وألقاه على سفينتهم فسبقت السفينة وكانت مشرعة بتسع قلوع ووقع الحجر فى البحر فتجاهم الله تعالى منه وكان ذلك من لطف الله تعالى بهم قال وقد كان بقى معهم أصل ريشة قيل انهم كانوا يجعلون فيها الماء فتسع مقدار قربة فسبحان الخالق الاكبر (رخم) طير أغبر اصفر المنقار معروف وهو من أشر الطيور ويقال انها صماء وسبب ذلك ماقيل فى بعض الحكايات ان موسى عليه السلام لما مات تكلمت بموته وكانت تعرف مكانه فاصمها الله تعالى حتى لا ترشد أحدا الى موضعه

(حرف الزاى)

(زرافة) حيوان غريب الخلقة ولما كان مأكولها ورق الشجر خلق الله تعالى يديها أطول من رجليها وهى ألوان عجيبة يقال انها متولدة من ثلاث حيوانات الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبع فتنزو الضبع على الناقة فتأتى بذكر فينزو ذلك الذكر على البقرة فتتولد منه الزرافة والصحيح انها خلقة بذاتها ذكر وأنثى كبقية الحيوانات لان الله تعالى لم يخلق شيأ الا بحكمة (زنبور) حيوان فوق النحل له ألوان وقد أودعه الله حكمة

فى بنيانه بيته وذلك انه يبنيه مربعا له أربعة أبواب كل باب مستقبل جهة من الرياح الاربع فاذا جاء الشتاء دخل تحت الارض ويبقى الى ايام الربيع فينفخ الله تعالى فيه الروح فيخرج ويطير فى طبعه التهافت على الدم واللحم ومن خاصيته انه اذا وضع فى الزيت مات وفى الخل عاش ولسعته تزال بعصارة الملوخية

(حرف السين)

(سعلاة) نوع من المتشيطنة قال السهيلى هو حيوان يتراءى للناس بالنهار ويغول بالليل وأكثر ما يوجد بالغياض واذا انفردت السعلاة بانسان وأمكنته صارت ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر قال وربما صادها الذئب وأكلها وهى حينئذ ترفع صوتها وتقول أدركونى فقد أخذنى الذئب وربما قالت من ينقذنى منه وله ألف دينار وأهل تلك الناحية يعرفون ذلك فلا يلتفتون الى كلامها (سمندل) حيوان يوجد بارض الصين ومن عجيب أمره انه يبيض فى النار ويفرخ فيها ويؤخذ وبره فينسج ويجعل منه المناشف وهذه المناشف اذا اتسخت جعلت فى النار فتأكل النار وسخها ولا تحرقها (حكى) أن شخصا بل واحدة من هذه المناشف بالزيت وجعلت فى النار وأوقدت ساعة ولم تحترق (سنجاب) حيوان كهيئة الفأر يوجد فى بلاد الترك على قدر اليربوع اذا أبصر الانسان هرب منه وشعره كشعر الفأر وهو ناعم فيؤخذ ويسلخ جلده ويجعل فروا يلبس وطبعه موافق لكل طبع وأحسنه الازرق (سنور) حيوان متواضع الوف خلقه الله تعالى لدفع الفأر والحشرات كناه وأسماؤه كثيرة (حكى) ان أعرابيا صاد سنورا فرآه شخص فقال ما تصنع بهذا القط والقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الخيدع والقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الخيطل والقيه آخر فقال ما تصنع بهذا الهر قال أبيعه قيل له بكم قال بمائة درهم فقال انه يساوى نصف درهم قال فرمى به وقال لعنه الله ما أكثر أسماءه وأقل قيمته وهذا الحيوان يهيج فى زمان الشتاء فى شهرين منه وتراهن يترددن صارخات فى طلب السفاد فكم من حرة تخلت وذى غيرة هاجت حميته وعزب تحركت شهوته وطيب فم السنور كطيب فم الكلب فى النكهة وقيل ان الهرة تحمل خمسين يوما وهو يجمع بين العض بالناب والخمش بالمخلاب وليس كل سبع كذلك وهو يناسب الانسان فى بعض الاحوال فيعطس ويتمطى ويغسل وجهه بلعابه ويلطخ بوبر ولده بلعابه حتى يصير كان الدهن يسرى فى جلده وقيل اذا بال الهر شم بوله ودفنه قيل لاجل الفأر فاذا شمه علم ان هنالك هرا فلم يخرج وأما سنور الزباد فهو بأرض الهند ويوجد الزباد تحت ابطيه ونخذيه (سوس) هو دود الحبوب والفاكهة ومن الفوائد التى تكتب فى الحبوب فلانوس اسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة وقد نظمها بعضهم فقال

ألا كل من لا يقتدى بائمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

(حرف الشين)

(شادهوار) حيوان يوجد بارض الترك يقال ان له قرنا عليه اثنتان وسبعون شعبة

جوفه فاذا هبت الريح سمع لها صوت عجيب يكاد يدهش وربما قيل ان فيه شعبة يورث سماعها البكاء والحزن وأخرى تورث الفرح والضحك وانه أهدى الى بعض الملوك شيء من شعبها فرأى فيه ذلك ويقال ان من الحيوان شيأ يوجد بالغياض فى قصبة أنفه اثنا عشر ثقبا اذا تنفس يسمع له صوت كصوت المزمار فتأتيه الحيوانات لتسمعه فتدهش فيغفل بعضها من الطرب فيثب عليه فيأخذه ويأكله وهى تعلم ذلك منه وتحترز فاذا أمسك منها شيأ ضاق خلقه وصاح بها صيحة فتهرب وتتركه (شاهين) طير يكون كهيئة الصقر الا انه عظيم الهامة واسع العينين ومزاجه أيبس من مزاج الصقر وحركته من العلو الى أسفل اقوى ولذلك ينقض على الطير بشدة فربما خطئه فيضرب نفسه بالارض بشدة فيموت وقيل أول من صاد به قسطنطين وذلك انه قد جعل له الحكماء الشواهين تقله من الشمس اذا سار فاتفق فى بعض الايام انه ركب فدارت الشواهين عليه وسار قال فطار واحد منها وانقض على صيد فأخذه فأعجب الملك ذلك وصار يتصيد به (شهرور) طير أسود فوق العصفور يصوت بأصوات عجيبة مطربة

(حرف الصاد)

(صرد) حيوان يسمى الصرصار على قدر الخنفساء له جناحان ويقال له الصوام لانه أول طير صام يوم عاشوراء (صعو) طير من صغار العصافير أحمر الرأس

(حرف الضاد)

(ضأن) نوع من الحيوانات ذوات الاربع وهو من الحيوانات المباركة تحمل الانثى منه بواحد واثنين وفيها البركة وغيرها تحمل بالسبعة والتسعة وليس فيها بركة واذا رعت زرعا نبت عوضه وذلك لبركتها بخلاف ذوات الشعر ومن عجيب أمرها انها اذا رأت الذئب تخور وتخاف منه ولا تخاف من سائر السباع قال بعض القصاص مما أكرم الله تعالى به الكبش أن خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ومما أهان به التيس أن خلقه مهتوك الستر مكشوف العورة من قبل ومن دبر ويقال الضأن من دواب الجنة وهى صفوة الله من البهائم ويقال فى المدح هو كبش من الكباش وفى الذم هو تيس من التيوس وأهدى بعضهم الى صديقه شاة هزيلة فقال

تقول لى الاخوان حين طبختها ... أتطبخ شهرا فيها عظاما بلا لحم

ومن العجب انه يأتى غنم من الهند للكبش منها ألية فى صدره وألية فى كتفيه وألية على ذنبه وربما تكبر ألية الضأن حتى تمنعه من المشى ومن عجيب أمرها أنها اذا تساقدت وقت المطر لا تحمل وعند هبوب الريح ان كانت شمالية حملت ذكرا وجنوبية حملت أنثى والله أعلم (ومن خواصها) أن لحمها ينفع للسوداء ويزيد فى المنى والباه واذا تحملت المرأة بصوفها قطع حملها واذا غطى اناء العسل بصوف الضأن الابيض منع وصول النمل اليه واذا دفن قرن كبش تحت شجرة كثر حملها على ما ذكروا والله أعلم (ضب) حيوان يجعل جحره فى الارض الصلدة وعنده لم فربما لا يهتدى بجحره اذا خرج منه فلذلك لا يحفره الا بقرب كودية أو اشارة وهو من الحيوان الذى يعمر قيل انه يعيش سبعمائة سنة ومن طبعه انه يصبر على الماء يقال انه

لا يشرب فانه يبول في أكل أربعين يوما قطرة والانثى تبيض سبعين بيضة وأكثر وتجعلها في الارض وتتعاهدها في كل يوم الى أربعين يوما فيخرج ويفتها قدر بيض الحمام وهذا الحيوان شديد الخوف من الآدمي ولذلك يجعل العقارب في جحره حتى يمتنع بها ويخرج من جحره كليل البصر فيستقبل الشمس فيحصل له بذلك حدة في بصره واذا عطش تنشق النسيم فيروى وبينه وبين الافاعي مناسبة وذلك انه لا يخرج زمن الشتاء (فائدة) قيل ان أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وفي كمه ضب قد صاده وقال لولا أن تسميني العرب بعولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك فقال عمر دعني يا رسول الله أقتله فقال عليه الصلاة والسلام مهلا يا عمر أما علمت ان الحليم كاد أن يكون نبيا قال ثم أقبل الاعرابي على النبي صلى الله عليه وسلم وقال والله لا آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب واخرجه من كمه قال فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه بلسان فصيح لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين فقال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه فقال من أنا يا ضب قال رسول رب العالمين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك قال فقال الاعرابي عند ذلك يا ويلاه ضب اصطدته بيدي من البرية يشهد لك بالرسالة أنا أولى منه بذلك هات يدك أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله حقا ولقد أتيتك وما على وجه الارض أحد أكثر بغضا مني اليك ولقد صرت الآن أذهب من عندك وما على وجه الارض أحد أكثر محبة مني اليك ولأنت الساعة أحب الي من أهلي وولدي وما تملك يدي فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك لهذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه ولكن لا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمني يا حبيبي قال فعلمه سورة الفاتحة وسورة الاخلاص وقال من قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن قال الهنا يقبل اليسير ويعفو عن الكثير ثم سأله أن لك مال فقال يا حبيبي ليس في بني سليم أفقر مني فقال لاصحابه اعطوه فأعطوه حتى أثقلوه فقال عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله عندي ناقة عشارية أعطيها له فقال ان الله يعطيك ناقة في الجنة من درة قوائمها من الزبرجد الاخضر وعيناها من الياقوت الاحمر وعليها هودج من السندس تخطف بك من الصراط كالبرق قال فخرج الاعرابي من عنده فتلقاه ألف فارس من المشركين كلهم يريدون قتل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرهم بقصته فاسلموا عن آخرهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد عليهم وهذه القصة ذكرها الدارقطني بتمامها والبيهقي والحاكم وابن عدي (الخواص) قلبه يذهب الحزن والخفقان وشحمه يطلي به الذكر يزيد في الباه وكبده يشد على وجع الضرس يبرأ واذا جعل على وجه فرس لا يسبقه شئ وبعره يذهب البرص والكلف طلاء ومن أكل لحمه لا يعطش زمانا طويلا (ضبع) حيوان معروف ومن كناه أم عامر ومن طبعه حب لحم الآدمي حتى قيل انه ينبش القبور واذا مر بانسان نائم حفر تحت رأسه ووثب عليه وبقر بطنه وشرب دمه (الخواص) من شرب دمه ذهب وسواسه ومن علق عليه عينه أحبه الناس واذا جعلها في خل سبعة أيام ثم جعلها

تحت فص خاتم فكل من كان به سحر وجعل الخاتم فى قليل ماء وشربه زال سحره (ضفدع) حيوان يتولد من المياه الضعيفة الجرى ومن العفونات وعقيب الامطار وأول مايظهر مثل الحب الاسود ثم ينمو ثم تتشكل له الاعضاء واذا نق جعل فكه الاسفل فى الماء والاعلى من خارج وفى صوته حدة قال سفيان ليس من الحيوان أكثر ذكر الله تعالى من الضفدع وفى الآثار أن داود عليه السلام قال لاسبحن الله تعالى بتسبيح ماسبحه أحد قبلى فنادته ضفدعة ياداود تمن على الله تعالى بتسبيحك وأنا لى تسعون سنة ماجف لسانى عن ذكر الله تعالى قال فما تقولين فى تسبيحك قالت أقول سبحان من هو مسبح بكل لسان سبحان من هو مذكور بكل مكان فقال داود وماعسى أن أقول وقال بعضهم انها كانت تأخذ الماء بفيها وتجعله على نار ابراهيم الخليل والله أعلم

(حرف الطاء)

(طاوس) طير مليح ذو ألوان عجيبة وعنده الزهو فى نفسه والعجب ومن طبعه العفة وهو من الطير كالفرس من الحيوان والانثى تبيض حين يمضى لها من العمر ثلاث سنين وفى ذلك الاوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الانثى مرة واحدة فى كل شهر ففى السنة اثنا عشر بيضة أو أقل أو أكثر ويسفد الذكر فى ايام الربيع ويرمى ريشه فى ايام الخريف كالشجر فاذا بدا طلوع الورق طلع ريشه ومدة حضنه ثلاثون يوما (فائدة) قيل ان آدم لما غرس الكرمة جاء ابليس لعنه الله فذبح عليها طاوسا فشربت دمه فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت دمه فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه فمن أجل ذلك تجد شارب الخمر أول مايشربها وتدب فيه يزهو بنفسه ويميس عجبا كالطاوس فاذا جاء مبادى السكر لعب وصفق بيديه كالقرد فاذا قوى سكره قام وعربد كهيئة الاسد فاذا انتهى سكره انقبض كما ينقبض الخنزير ثم يطلب النوم والناس تتشاءم باقامته بالدور قيل لانه كان سببا لدخول ابليس الجنة وخروج آدم منها والله على كل شئ قدير

(حرف الظاء)

(ظبى) واحد الغزلان وهو ثلاثة أصناف الاول الآرام وهى ظباء الرمل ولونها رمادى وهى سمينة العنق والثانى العفر ولونها أحمر وهى قصيرة العنق والثالث الادم وهى طويلة العنق وتوصف بحدة البصر وقيل ان الظبى يقضم الحنظل قضما ويمضغه مضغا وماؤه يسيل من شدقيه ويرد الماء الملح فيشرب الاجاج ويغمس خرطومه فيه كما تغمس الشاة لحييها فى الماء العذب فأى شئ أعجب من حيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلى مرارة الحنظل (الخواص) لسانه يجفف ويطعم للمرأة السليطة تزول سلاطتها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان فى طعام الصبى يزيد ذكاؤه ويصير فصيحا ذلقا حافظا (ظربان) دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح تزعم العرب ان من صادها وفست فى ثوبه لاتزول الرائحة منه حتى يبلى الثوب ويحكى من شؤمها انها تأتى بيت الظبى فتفسو فيه ثلاث مرات فتقتل مافيه وتأكله بعد ذلك

(حرف العين)

(عجل) حيوان معروف وهو ذكر البقر وسمي بذلك لاستعجال بني اسرائيل بعبادته والسبب في ذلك أن موسى عليه السلام وقت الله له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر وكان فيهم شخص يسمى موسى بن ظفر السامري في قلبه من حب عبادة البقر شيء فابتلى الله به بني اسرائيل فقال ائتوني بحلي قال فأتوه بجميع حليهم فصنع منه عجلا جسدا وألقى عليه قبضة من التراب الذي كان أخذه من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار له خوار كما أخبر الله تعالى فعكفوا على عبادته من دون الله تعالى وكانوا يأتون اليه ويرقصون حوله ويتواجدون فيخرج منه تصويت كهيئة الكلام فيتعجبون من ذلك ويظنون أنه تكلم وانما فعل ذلك باغواء ابليس لعنه الله حتى يطغيهم (فائدة) نقل القرطبي عن سيدي أبي بكر الطرطوسي رحمهما الله أنه سئل عن قوم يجتمعون في مكان فيقرؤن من القرآن ثم ينشدلهم الشعر فيرقصون ويطربون ثم يضرب لهم بعد ذلك بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم حرام فقال مذهب الصوفية أن هذه بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله وأما الرقص والتواجد فاول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هي حالة عباد العجل وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في جلوسهم كأنما على رؤسهم الطير مع الوقار والسكينة فينبغي لولاة الامر وفقهاء الاسلام أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل رحمهم الله (عقرب) هو من الحشرات قال الجاحظ انها تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهم كهيئة النمل كثيرو العدد وقال غيره اذا حملت تسلط عليها أولادها فأكلوا بطنها وخرجوا كهيئة الذر ثم يكبرون ويطوفون بالارض ولها ثمانية أرجل ومن عجيب أمرها انها لا تضرب الثائم الا اذا تحرك شيء منه والخنافس تأوي اليها وربما لسعت التنين العظيم فقتلته (غريبة) قال ذو النون المصري بينما أنا في بعض سياحتي اذ مررت بشاطئ البحر فرأيت عقربا اسود قد أقبل الى أن جاء الى شاطئ البحر فظننت انه يشرب فقمت لانظر فاذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره وذهب به الى ذلك الجانب قال ذو النون فأثرت بمنزري وعمت خلفه حتى اذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء الى شجرة فوجدت تحتها غلاما نائما من شدة السكر قد أقبل عليه تنين عظيم قال فاصعقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت الى ظهر الضفدع فعبر بها الى الماء وسار بها الى المكان الذي جاءت منه قال ذو النون فتعجبت من ذلك وأنشدت

يا راقدا والليل يحفظه * من كل سوء يكون في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك * يأتيك منه فوائد النعم

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال أتم دلك على أني قد تبت عن هذه الخصلة ثم جر يتا ذلك التنين ورميناه في البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح الى أن مات رحمة الله تعالى عليه وما أحسن ما قال بعضهم

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما * تموت الافاعى من سموم العقارب
فقد هدّ قدماعرش بلقيس هدهد * وخرّب فأرقبل ذا سدّ مأرب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من التضييع فى غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

(فائدة) اذا لدغ أحد فاقرأ عليه هذه الكلمات وهى سلام على نوح فى العالمين وصلى الله على سيدنا محمد فى المرسلين من حاملات السم أجمعين لادابة بين السماء والارض الا ربى آخذ بناصيتها كذلك يجزى عباده المحسنين ان ربى على صراط مستقيم نوح قال لكم من ذكرنى لا تلدغوه ان ربى بكل شئ عليم وصلى الله على سيدنا محمد الكريم وقال بعض العلماء من قال عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق بقول اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أمن من العقرب والحية والسارق وفى البخارى ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ماذا لقيت من عقرب لدغتنى البارحة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أما انك لو قلت اذا أمسيت أعوذ بكلمات التامات من شر ما خلق لم تضرك وروى الترمذى أن من قال حين يمسى أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات ثم قال سلام على نوح فى العالمين لم تضره الحية والعقرب والسر فى ذكر نوح دون غيره هو انه لما ركب فى السفينة سألته الحية والعقرب أن يحملهما معه فشرط عليهما أنهما لا يضران من ذكر اسمه بعد ذلك فشرط له ذلك (الخواص) من بخر البيت بزنبق أحمر وشحم بقر هربت منه العقارب ومن شرب مثقالين من حب الاترج أبرأ من سمها ومن علق عليه شئ من ورق الزيتون برئ أيضا لوقته (عقعق) طير ذو لونين طويل الذنب قدر الحمامة على شكل الغراب وجناحاه أكبر من جناحى الحمامة وهو لا يأوى الا الاماكن العالية واذا باض جعل حول بيضه ورق الدلب خوفا عليه من الخفاش لا يفسده (الخواص) دمه اذا جعل على قطن وألصق على موضع النصل والشوكة الغائبة فى البدن أخرجه (علق) دود أحمر واسود يكون بالماء يعلق بالخيل والآدمى فاذا علقت بك فرش عليها ماء وملحا واذا علقت بفرس فبخره بوبر الثعلب فانها تنفصل من رائحة دخانه ومن خواصه ان البيت اذا بخر به هرب ما فيه من البق والبعوض واذا جفف وسحق وقلع الشعر وطلى به مكانه منع نباته (عنقاء) اختلف فيها فقال بعضهم هو طائر عظيم الخلقة له وجه انسان وفيه من كل حيوان لون وقال بعضهم هو طير غريب الشكل يبيض بيضا كالجبال ويعد فى طيرانه وسمى بذلك لانه كان فى عنقها طوق أبيض قال القزوينى انها تخطف الفيلة لعظمها وكبر جثتها كما تخطف الحدأة الفأر قال وكانت فى قديم الزمان بين الناس الى أن خطفت عروسا بحليها فذهب أهلها الى نبى ذلك الزمان فشكوها اليه فدعا عليها فذهب بها الى بعض الجزائر التى خلف خط الاستواء وهى جزيرة لا يصل اليها أحد وجعل لها فيها ما تقتات به من السباع كالفيل والكركند وغير ذلك وقال أصحاب التواريخ ان هذا الطير يعمر

حتى قيل انه يعيش ألفى سنة ويتزاوج اذا مضى عليه خمسمائة (وحكى) الزمخشرى فى ربيع الابرار أن الله تعالى خلق فى زمن موسى طيرا يقال له العنقاء له وجه كوجه الانسان وأربعة أجنحة من كل جانب وخلق له انثى مثله ثم أوحى الله تعالى الى موسى انى خلقت خلقا كهيئة الطير وجعلت رزقه الوحوش والطير التى حول بيت المقدس قال فتناسلا وكثر نسلهما فلما توفى موسى عليه السلام انتقلت الى نجد والعراق فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان الى أن تنبأ خالد بن سنان العبسى فشكوه اله فدعا عليها فانقطعت وانقطع نسلها وانقرضت (عنكبوت) دويبة لها ثمانية أرجل وستة عيون وهى من الحيوان الذى صيده الذباب وولده يخرج قويا على النسج من غير تعليم ولا تلقين ويخرج أولاده درداصغيرا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته (فائدة) قيل ان امرأة ولدت جارية ثم قالت لخادم لها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب سائلا فقال له ما ولدت سيدتك فقال بنتا فقال لا تموت حتى تبنى بألف رجل ويتزوجها خادمها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الخادم وأنا اصبر لهذا حتى يحصل منها ما يحصل فصبر حتى قامت أمها لتقضى بعض شؤنها وعمدت الى البنت فشق بطنها بسكين وهرب فلما جاءت أمها فوجدتها على تلك الحالة قدعت من يعالجها حتى شفيت فلما كبرت بغت قال ثم انها سافرت وأتت مدينة على ساحل من سواحل البحر فاقامت هناك تبغى قال وأما الرجل فانه صار من التجار وقدم لتلك المدينة ومعه مال كثير فقال لامرأة عجوز هناك اخطبى لى امرأة حسنة أتزوج بها قال فوصفتها له وقالت ليس هنا أحسن منها ولكنها تبغى فقال للعجوز ائتنى بها قال فذهبت وأخبرتها بالقصة فقالت لها حبا وكرامة فانى قد تبت عن البغى فتزوج الرجل بها وأحبها حبا شديدا وأقام معها أياما وكان يود أن يراها منجردة فلم يمكنه ذلك حتى اذا كان فى بعض الايام خرج على عادته لقضاء أشغاله ودخلت هى الحمام وعرضت له حاجة فرجع الى الدار وصعد الى قصرها فلم يرها فسأل عنها فقيل له هى فى الحمام فدخل عليها فرآها منجردة ورأى فى بطنها أثرا كالخياطة فقال ما هذا فقالت له لا أعلم الا أن أمى أخبرتنى انه كان لنا خادم وانه يوم ولادتى غافل أمى وشق بطنى بسكين وهرب وانها حين رأتنى كذلك دعت بعض الاطباء فخاط بطنى وعالجنى حتى اندمل جرحى وشفيت وبقى هذا الاثر فقال لها انا ذلك الخادم وحكى لها السبب وان ذلك السائل أخبره انها تموت بالعنكبوت ثم انه اهتم بأمرها وجمع مهندسى البلدة التى هم فيها وسألهم أن يبنوا له بناء لا ينسج عليه العنكبوت فقالوا كل بناء ينسج عليه الا أن يكون البلور لنعومته لا ينسج عليه فأمرهم أن يصنعوا لها قصرا من البلور وبذل لهم ما أرادوا فعملوه وفرشه وأمرها ان تقيم فيه ولا تخرج منه خوفا عليها من العنكبوت قال فبينما هى ذات يوم اذ رأى عنكبوتا قد نسج فى ذلك القصر فقام اليه فرماه وقال لها هذا الذى يكون موتك منه قال فداسته بأبهامها وقالت كالمستهزئة أهذا الذى يقتلنى فشدخته فتعلق بطرف ابهامها من مائه شئ فعمل بها حتى ورمت ساقها ثم وصل الورم الى قلبها فقتلها فما أفاده قصره ولا صرحه شيأ قال الله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة (فائدة) نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع على غار النبى صلى

الله عليه وسلم وعلى غار عبد الله بن أبيس لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لخالد الهذلي فقتله وحمل رأسه ودخل به في غار خوفا من أهله ونسج على عورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لما صلب عريانا وقيل انها نسجت مرتين على داود حين كان جالوت يطلبه (الخواص) نسجها ان وضع على الجراح الطرية يقطع دمها ويجلو الفضة اذا دلكت به والذي يوجد من نسجها في بيت الخلاء ينفع المحموم اذا تبخر به (ابن عرس) حيوان معروف وهو بأرض مصر كثير ويسمى العرسة وهو عدو للفار وعنده الحيل قيل انه عدا خلف فأر فصعد منه على شجرة فصعد خلفه وأمر أنثاه أن تقف تحت الشجرة ثم قطع الغصن الذي كان عليه الفأر فسقط فأخذته أنثاه ومما يحكى عنه انه يحب الذهب فيسرقه ويلد عليه (عجيبة) قيل ان رجلا صاد فرخا من أولاده وحبسه تحت طاسة فجاء أبوه فوجده فذهب وأتى بدينار فوضعه فلم يفلته ثم ذهب وأتى بآخر وما زال كذلك حتى أتى بخمسة دنانير فلم يفلته ثم أتى بخرقة فلم يفلته فأراد ابن عرس أن يأخذ ما بر طله به فلما علم الرجل ذلك فهم انه لم يبق عنده شئ فأفلته له

(حرف الغين)

(غراب) وكنيته أبو حاتم وله كنى غير ذلك وهو أنواع كثيرة منها الاكل وغراب الزرع والازرق وهذا النوع يحكى جميع ما سمعه والعرب تتفاءل بصياح الغراب فتقول اذا صاح مرتين فشر واذا صاح ثلاثة تغير وهو كالانسان عند الجماع وفي طبعه الاستتار عن الناس عند مجامعته والانثى تبيض ثلاثا أو أربعا أو خمسا وتحضن ذلك والاب يسعى في طعمتها الى أن تفرخ فاذا فرخت خرجت أفراخها قبيحة المنظر فتتفرق منها وتتركها وتغيب فيرسل الله لها البعوض فتتغذى به ثم لا تزال تتعاهدها حتى ينبت لها الريش فتأتيها ومنه قول الحريري يا رازق النعاب في عشه * وجابر العظم الكسير المهيض ومن طبعه انه لا يتعاطى الصيد بل ان وجد ميتة أكل منها ويقيم من الارض ما وجد ويسمى بالفاسق لانه لما أرسله نوح عليه السلام ليكشف عن الماء فوجد في طريقه ربقة فسقط عليها وترك ما أرسل اليه ويسمى بالبين لانه اذا رحل العرب من مكان نزل فيه وزعق في أثرهم ومن الغرائب ان بين الغراب وبين الذئب ألفة وذلك انه اذا رأى الذئب بقربطن شاة سقط وأكل منها معه والذئب لا يضره (الخواص) اذا غمس الغراب في الخل ثم جفف وسحق ريشه وطلي به الشعر سوده واذا علق منقاره على انسان زالت عنه العين وزيل الغراب الابقع ينفع الخوانيق والخنازير طلاء وان صر في خرقة على من به السعال زال (غرغر) دجاج بني اسرائيل يقال ان فرقة من بني اسرائيل كانت بتهامة فطفت وبغت وتجبرت وكفرت فعاقبهم الله تعالى بأن جعل رجالهم القردة وكلابهم الاسود وعنبهم الارانب وجوزهم المقل ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبشة فلا ينفع لحمه لرائحته الكريهة وهذا مشاهد في زماننا شذا الآن على ما نقل والله أعلم

(حرف الفاء)

(فاختة) طير أغبر من ذوات الاطواق بقدر الحمام لها حسن الصوت يحكى ان الحيات

تهرب من صوتها وفي طبعها الانس فمن أجل ذلك تتخذ بيتها في البيوت وهي من الحيوان الذي يعمر وقد ظهر منها ما عاش خمسا وعشرين سنة (الخواص) دمها ينفع من الآثار في العين من ضربة أو قرحة اذا قطر فيها (فارة) وكنيتها أم خراب وغير ذلك وتسمى بالفويسقة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم انتبه ليلة فوجدها قد جذبت الفتيلة وأحرقت طرف سجادته فقتلها وأمر بقتلها وهي التي قطعت حبل سفينة نوح واذاها لا يكاد ينحصر ومنه انها تأتي الى اناء الزيت فتشرب منه فاذا نقص صارت تشرب بذنبها فاذا لم تصل اليه ذهبت وأتت في فيها بماء وأفرغته فيه حتى يغلو لها الزيت فتشربه وربما وضعت فيه حجرا فكسرته ويقال انها من بقايا المسوخين الذين كانوا يهودا ومن أراد أن يعلم ذلك فليضع لها ابن ناقة في اناء فان لم تشربه فهي منهم (الخواص) عينه تشد على الماشي يسهل تعبه واذا بخر البيت بزبل الذئب أو الكلب ذهب منه الفار (فرس البحر) حيوان يوجد بالنيل أفطس الوجه ناصيته كالفرس ورجلاه كالبقر وذنبه قصير يشبه ذنب الخنزير وجلده غليظ ووجهه أوسع من وجه الفرس يصعد البر ويرعى الزرع وربما قتل الانسان وغيره (فهد) حيوان شرس الاخلاق قال ارسطو هو متولد من الاسد والنمر وفي طبعه مشابهة بطبع الكلب ونومه ثقيل وفي طبعه الحنو على اشباه وقيل أول من صاد به كليب بن وائل وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية وأكثر من اشتهر باللعب به أبو مسلم الخراساني (فيل) حيوان يوجد بأرض الهند وكنيته أبو الحجاج والانثى أم سبل وهو ينزو على اناثه اذا بلغ من العمر خمس سنين وتحمل اناثه سنتين ثم تضع ولا يقربها الذكر في مدة حملها ولا بعده ثلاث سنين ولا يلقح الا ببلاده واذا أرادت الوضع دخلت النهر لان رجليها لا يثنيان فتخاف عليه والذكر يحرسها خوفا على ولده من الحيات فانها تأكله وهو عند شدة غلمته كالجمل ويهيج في زمن الربيع وزعم أهل الهند أن لسانه مقلوب ولولا ذلك لكان يتكلم لشدة ذكائه وقيل ان ثديه في صدره كالانسان وهو أضخم الحيوان وأعظمه جرما وما ظنك بخلق ربما كان نابه أكثر من ثلثمائة من وهو مع ذلك أملح وأظرف من كل نحيف الجسم رشيق وربما مر الفيل مع عظم بدنه خلف القاعد فلا يشعر برجله ولا يحس بمروره لخفة همسه واحتمال بعض جسده لبعض وأهل الهند يزعمون ان أنياب الفيل قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقان وخرطوم الفيل أنفه ويده وبه يتناول الطعام الى جوفه وبه يقاتل وبه يصيح وصياحه ليس في مقدار جرمه وقيل ان الفيل جيد السباحة واذا سبح رفع خرطومه كما يفعل الجاموس جميع بدنه الا مخرجه ويقوم خرطومه مقام عنقه والخرق الذي في خرطومه لا ينفذ وانما هو وعاء اذا ملأه من طعام أو ماء أو بله في فيه لانه قصير العنق لا ينال ماءه ولا مرعى وأهل الهند تجعله في القتال وهو أيضا يقاتل مع جنسه فمن غلب دخلوا تحت أمره وقيل جعل الله في طبع الفيل الهرب من السنور (حكى) عن هرون مولى الازد أنه خبأ معه هرا ومضى بسيف الى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر في وجهه فادبر هاربا وكبر المسلمون وظنوا انه هرب منه قال أبو الشمقمق

ياقوم اني رأيت الفيل بعدكم * تبارك الله لي في رؤية الفيل

رأيت بيتا له شئ يحركه * فكدت أفعل شيأ في السراويل

وقيل اذا اغتسل الفيل لم يكن لسواسه هم الا الهرب بأنفسهم ويتركونه ومن عجيب أمره ان سوطه الذى به يحث ويضرب محجن حديد أحد طرفيه في جبهته والآخر في يده راكبه فاذا أراد شيأ غمزه به في جبهته وأول شئ يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك قيل خرج كسرى أبرويز لبعض الاعياد وقد صفوا له ألف فيل وأحدق به ثلاثون ألف فارس فلما رأته الفيلة سجدت له فارفعت رؤسها حتى جذبت بالمحاجن وراضتها الفيالون وتزعم أهل الهند ان جبهة الفيل تعرق كل عام عرقا غليظا سائلا طيب من رائحة المسك ولا يعرض ذلك العرق الا في بلادها خاصة وان عظام الفيل كلها عاج الا ان جوهر نابه اكرم واثمن ولولا شرف العاج وقدره لما فخر الاحنف بن قيس على أهل الكوفة في قوله نحن اكثر منكم عاجا وساجا وديباجا وخراجا وقيل ان الفيلة لا تتسافد في غير بلادها

(فائدة) من قرأ سورة الفيل الف مرة في كل يوم عشرة ايام متوالية ثم جلس على ما جار وقال اللهم أنت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر اللهم عز الظالم وقل الناصر وأنت المطلع العالم اللهم ان فلانا ظلمني وأساء في ولا يشهد بذلك غيرك أنت مالكه فأهلكه اللهم سربله سربال الهوان وقصه قيص الردى اللهم اقصمه مرات اللهم اخفضه مرتين فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فان الله يستجيب له ما لم يكن ظالما (الخواص) جلده اذا ضرب به بيت هرب بقه واذا سقي انسان دمه أذنه نام نومة طويلة واذا علق من نابه شئ على شجرة لم تثمر واذا عمل من جلده ترس يكون أصلب من كل ترس

(حرف القاف)

(قاقم) دويبة تشبه السنجاب الا انه أبرد منه مزاجا وهو أبيض يقق وجلده أعز قيمة من السنجاب (قاوند) طير يكون بساحل البحر بيض في الرمل ويحضن بيضه سبعة أيام ثم تخرج أفراخه بعد ذلك فيزقها بعد سبعة ايام ويقال ما يمسك الله البحر في هيجانه عن أن يفيض على الساحل الا اكراما له لانه يقال انه بر والديه (خواصه) انه يقيم المقعد ويحلل البلاغم المزمنة وينفع الامراض الباردة وأوجاع الاعصاب (قرد) حيوان معروف وكنيته أبو خالد وغير ذلك وهو قبيح المنظر مليح الذكاء سريع الفهم يتعلم الصنائع قيل انه أهدى للمتوكل قرد خياط وآخر صائغ وأهل اليمن يعلمون القردة البيع والجلوس في الدكاكين حتى قيل انه يخرز النعل ويصر القرطاس وهو ذو غيرة وعنده لواط حتى قيل انه يعد وخالف المليح من شدة المحبة والتفت ابن الرومي يوما الى أبي الحسن الاخفش وهو يحاكي مشية القرد فقال

هنيأ يا أبا الحسن المفدى * بلغت من الفضائل كل غايه
شركت القرد في قبح وخسف * وما قصرت عنه في الحكايه

(قنفذ) بالذال المعجمة وكنيته أبو سفيان ومن عجيب أمره انه يصعد الكروم فيرمي العنقود ثم ينزل فيأكل منه ما طاق فان كان له افراخ تمرغ في الباقي فيتعلق بشوكه

فيذهب

فيذهب به الى اولاده وهو مولع باكل الافاعى فاذا الدغته لا يؤثر فيه سمها لدفع ذلك بشوكه واذا تاذى منها ذهب فأكل السعتر البرى فيزول اذاها وهو من الحيوان الذى يسفد مباطنة كالرجل وله خمسة أرجل

(حرف الكاف)

(كركند) حيوان يوجد ببلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس وله قرن واحد عظيم لا يستطيع رفع رأسه منه لثقله وهو مصمت قوى يقاتل به الفيل فيغلبه ولا تعمل نابا مثله معه وعرض قرنه شبران وليس بطويل جدا وهو محدد الرأس شديد الملاسة واذا نشر قرنه ظهرت فى معاطفه صور عجيبة كالطواويس والغزلان وأنواع الطير والشجر وبنى آدم ولذلك يتخذ منه صفائح الاسرة والمناطق للملوك ويتغالون فى ثمنها بحيث تبلغ المنطقة اربعة آلاف او اكثر والانثى تحمل ثلاث سنين ويخرج ولدها نابت الاسنان والقرون قوى الخافر ويقال انها اذا قاربت الوضع اخرج الولد راسه من بطنها وصار يرعى اطراف الشجر فاذا شبع ادخل رأسه بطن امه ويزعم أهل الهند انه اذا كان ببلاد لم يدع فيها من الحيوان شيأ حتى يكون بينها وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له وهر بامنه ويسمى الحمار الهندى وهو شديد العداوة للانسان يتبعه اذا سمع صوته فيقتله ولا يأكل منه شيأ (كروان) طير معروف لا ينام غالب الليل خصوصا فى القمر وعنده ذكاء قيل انه يتكلم بجميع ما يسمعه ولا يحتمل المغابنة (كركى) طير محبوب للملوك وله مشتى ومصيف فمشتاه بارض مصر ومصيفه بارض العراق وهو من الحيوان الرئيس قيل انه اذا نزل بمكان اجتمع حلقة ونام وقام عليه واحد يحرسه وهو يصوت تصويتا لطيفا حتى يفهم انه يقظان فاذا تمت نوبته أيقظ غيره لنوبته قال القزوينى واذا مشى وطئ الارض باحدى رجليه وبالاخرى قليلا خوفا من أن يحس به واذا طار سار سطرا يقدمه واحد كهيئة الدليل ثم تتبعه البقية (كلب) معروف وهو نوعان أهلى وسلوقى وهذان النوعان سواء الا أن السلوقى أسرع فى التعلم من ذكره وهذا الحيوان حليم وعنده رياضة وفى طبعه اكرام الأجلاء من الناس (حكى) أن رجلا عزم جماعة فتخلف شخص منهم فى منزله ودخل على زوجة صاحب المنزل فضاجعها فوثب الكلب عليهما فقتلهما فرجع صاحب المنزل فوجدهما قتيلين فأنشد يقول

ومازال يرعى ذمتى ويحوطنى * ويحفظ عهدى والخليل يخون
فوا عجبا للنحل يهتك حرمتى * ووا عجبا للكلب كيف يصون

(وحكى) أبو عبيدة قال خرج رجل الى الجبانة ومعه أخوه وجاره لينظروا الى الناس فتبعه كلب له فضربه ورماه بحجر فلم يتبعه ولم يرجع فلما قعد ربض الكلب بين يديه فجاء عدو له فى طلبه فلما رآه خاف على نفسه فاذا بثر هناك قريبة القعر فنزل فيها وأمر أخاه وجاره أن يهيلا عليه التراب ثم ذهب أخوه وجاره الى سبيلهما وصار الكلب ينبح حوله فلما انصرف العدو أتاه الكلب فمازال يبحث فى التراب الى أن كشفه عن رأسه فتنفس الرجل ومر به الناس فتناولوه ورددوه الى أهله فلما مات ذلك الكلب عمل له قبرا ودفنه فيه وجعل عليه قبة

وسمى ذلك قبر الكلب وفى ذلك قيل

تفرق عنه جاره وشقيقه * وما حاد عنه كلبه وهو شاربه

(ومن ذلك ما حكى) أن رجلا قتل ودفن وكان معه كلب فصار يأتى كل يوم الى الموضع الذى دفن فيه وينبح وينبش ويتعلق برجل هناك فقال الناس ان لهذا الكلب شأنا فكشفوا عن ذلك وحفروا ذلك الموضع فوجدوا قتيلا فقبضوا على ذلك الرجل الذى ينبح عليه الكلب وضربوه فأقر بقتله فقتل وهو من الحيوان الذى يعرف الحسنة وقيل ان الانثى تحيض فى كل شهر سبعة أيام وأكثر ما تضع اثنا عشر جروا وذلك فى النادر والغالب خمسة أو ستة وربما ولدت واحدا ويعيش الكلب فى الغالب عشر سنين وربما بلغ عشرين سنة ووصف للمتوكل كلب بارمينية يفترس الاسد فأرسل من جاءه اليه فجوع أسدا وأطلقه عليه فتهارشا وتواثبا حتى وقعا ميتين وقيل كلب الصياد يشبه به الفقير المجاور للغنى لانه يرى من نعمته وبؤس نفسه ما يفتت كبده وقيل لرجل ما بال الكلب يرفع رجله اذا بال قال يخاف أن يلوث ذراعيه قيل أو للكلب ذراعان قال هو يتوهم ذلك

(فائدة) حكى أن الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه سمع أن شخصا من وراء النهر يروى أحاديث مثلثة فسار اليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الامام أحمد فأخذت فى نفسى وأضمرت ان أرجع اذ لم يلتفت الرجل الى ثم قال حدثنى أبو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة وان أرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدنى هذا الكلب فخشيت ان أقطع رجاءه قال فقال الامام أحمد رحمه الله هذا الحديث يكفينى ثم رجع قافلا الى أهله (فائدة أخرى) قال الترمذى لما أهبط الله تعالى آدم الى الارض سلط عليه ابليس السباع وكان أشدها الكلب قال فنزل عليه جبريل عليه السلام وأمره أن يضع يده عليه ففعل واطمأن اليه وألفه وصار يحرسه وبقيت الالفة فيه لاولاده الى يوم القيامة وقيل ان أول من اتخذ الكلب بعد آدم نوح عليهما السلام وذلك لان قومه كانوا يعبدون بالليل فيفسدون ما صنعه فى السفينة بالنهار فأمره الله أن يتخذ كلبا حارسا ففعل قال فكان الكلب اذا أتاه مفسد قام عليه فيتيقظ نوح عليه السلام فيدفعه (فائدة) قيل كان كلب أهل الكهف أحمر واسمه قطمير وقيل أصفر وقيل خلنجى اللون وليس فى الحيوان ما يدخل الجنة الا هو وكبش اسمعيل وناقة صالح وحمار العزير وبراق النبى صلى الله عليه وسلم (فائدة أخرى) اذا نبح عليك كلب وخفت منه فاقرأ يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وقل بعد ذلك لا اله الا الله فانك تكفاه

(حرف اللام)

(الغلغ) طير معروف قيل انه من طيور الفواخت ويأتى الى أرض مصر فى أيام الشتاء فيأكل ما قسم الله له من الرزق ويأكل منه من له فيه رزق ثم يرحل الى بلاده

(مالك)

(حرف الميم)

(مالك الحزين) طير يوجد بالخضاخ غذاؤه السمك وسمي بذلك لانه قيل انه لا يشرب حتى يروى خوفا من أن ينقص الماء واذا نشف الخضاخ حزن لانه لا يستطيع العوم ونظيره دويبة بأرض فارس معروفة عندهم يقال ان غذاءها التراب فاذا أكلت لا تشبع خوفا من أن يفرغ

(حرف النون)

(نمل) قال عليه الصلاة والسلام ألا تنظرون الى صغير ما خلق الله كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا الى النملة فى صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على الارض وسعت فى مناكبها وطلبت رزقها تنقل الحبة الى جحرها تجمع فى حرها لبردها وفى ورودها لصدرها لا يغفل عنها المنان ولا يحرمها الديان ولو فكرت فى مجارى أكلها فى علوها وسفلها وما فى الجوف من شراسيف بطنها وما فى الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا وللقيت من وصفها تعبا فتعالى الذى اقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه فى فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل اذا خافت على حبها أن يعفن أخرجته الى ظهر الارض ليجف وقيل انها تفلق الحبة نصفين خوفا من أن تنبت فتفسد الا الكزبرة فانها تفلقها أربعا لانها من دون الحب ينبت نصفها وليس كل أرباب الفلاحة يعرف هذا فسبحان من ألهمها ذلك وقيل انها تشم رائحة الشئ من بعيد ولو وضعته على أنفك لم تجد له رائحة واذا عجزت عن حمل شئ استعانت برفقتها فيحملونه جميعا الى باب جحرها وقيل اذا انفتح باب قرية النمل فجعلت فيه زرنيخا أو كبريتا هجرتها والله أعلم (نحل) حيوان ليس له نظر فى العواقب وله معرفة بفصول السنة وأوقاتها وأوقات المطر وفى طبعه الطاعة لأميره والانقياد له ومن شأنه فى تدبير معاشه انه يبنى له بيتا من الشمع شكلا مسدسا لا يوجد فيه اختلاف كالقطعة الواحدة واذا طار ارتفع فى الهواء وحط على الاماكن النظيفة وأكل نوار الزهر والاشياء الحلوة وشرب من الماء الصافى وأتى فأخرج ذلك فأول ما يخرج الشمع ليكون كالوعاء ثم العسل وقيل انه يقسم الاعمال فبعضه يعمل البيوت وبعضه يعمل الشمع وبعضه يعمل العسل وفى طبعه النظافة فيجعل رجيعه خارج الخلية وما مات منه أخرجه ورماه وعنده الطرب فيحب الاصوات اللذيذة وله آفات تقطعه كالظلمة والغيم والريح والمطر والدخان والنار وكذلك المؤمن له آفات تقطعه منها ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام ونار الهوى (فائدة) قيل مرض شخص فقال ائتونى بماء وعسل فأتوه بذلك فخلط الجميع وشربه فشفى وروى ان شخصا شكا للنبى صلى الله عليه وسلم بطن أخيه فأمره بشرب العسل فشربه ثم جاء ثانيا فأمره بشربه ثم جاء فى الثالثة فقال يا رسول الله ان بطنه لم يزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه الثالثة فشفى (نادرة) قيل ان بعضهم حضر مجلس المنصور فقال بعض الحاضرين المراد من قوله تعالى يخرج من بطونها شراب

مختلف ألوانه فيه شفاء للناس أهل البيت فانهم النحل والشراب القرآن فقال له بعض من حضر من الاطفاء جعل الله طعامك وشرابك مايخرج من بطون بني هاشم فنحن الحاضرون عليه وأبهته (الخواص) اذا خلط العسل الخالص بعسل خالص واكتحل به نفع من نزول الماء في العين والتلطيخ به يقتل القمل ولعقه علاج لعضة الكلب والمطبوخ منه نافع للسموم (نسر) هو سيد الطيور ويعمر طويلا قيل انه يعيش ألف سنة وله قوة على الطيران حتى قيل انه يقطع من المشرق الى المغرب في يوم وجثته عظيمة حتى قيل انه يحمل أولاد الفيلة وله قوة حاسة الشم حتى قيل انه يشم رائحة الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ واذا سقط على جيفة تباعدت عنها الطيور هيبة له حتى يفرغ من الاكل وعنده شره قيل انه يأكل حتى يضعف عن الحركة بحيث ان أضعف الناس لو أراد امساكه في تلك الحالة أمسكه واذا باض ذهب وأتى بورق الدلب فجعله في عشه خوفا من الخفاش أن يفسد بيضه وهو لا يحضن البيض وانما يبيض في الاماكن العالية ويلقيه في الشمس فتكون حرارتها له بمنزلة الحضن ومن طبعه انه لو شم الطيب مات وعنده الحزن على فراق الفه حتى قيل انه ليموت كمدا ويقال للانثى منه أم قشعم وفي الحديث أتاني جبريل عليه السلام فقال يا محمد لكل شئ سيد فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الطيور النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الايام الجمعة وسيد الكلام العربي وسيد العربي القرآن وسيد القرآن سورة البقرة (الخواص) اذا أخذ قلب النسر وجعل في جلد ذئب وعلق على شخص كان مهابا عند الناس مقضي الحاجة واذا عسر على المرأة الوضع جعل تحتها من ريشه يسهل وضعها (نعام) يذكر ويؤنث وتسمى الانثى بأم البيض والذكر بالظليم ومن عجيب أمرها انها تبيض بيضا طوالا متساوية القدر وتجعلها اثلاثا ثلثا للحضن وثلثا تأكله في حضنها وثلثا تكسره وتفتحه فيتعفن ويدود فيكون منه غذاء أولادها وعندها الحمق يقال انها تخرج من حضنها فتجد بيض غيرها فتحضنه وتترك بيض نفسها (فائدة) روى كعب الاحبار رضي الله عنه أن الله تعالى لما خلق القمح وأنزله على آدم كان على قدر بيض النعام وقال له هذا رزقك ورزق أولادك قم فاحرث وازرع قال ولم يزل الحب على ذلك مدة ثم نزل الى بيض الدجاجة ثم الحمامة ثم النبق وكان في زمن العزيز على قدر الحمص وقيل كل حيوان اذا كسرت رجله مشى بالاخرى الا النعام فانه يبرك الى أن يموت وخلق الله تعالى له قوة الشم البليغ حتى قيل انه يشم رائحة القناص من مسيرة نصف ميل وهي لا تشرب الماء كالضب ويقال ان القناص اذا أدركها أدخلت رأسها في شئ أما شعب أو بحر تظن انها قد استترت منه ولها معدة قوية تقطع الحديد والصوان والجمر وفي طبعها الاذى يقال انها تخطف الحلق من أذن الصغير وقيل ان الذئب لا يتعرض لبيض النعام وأفراخه مادام الابوان حاضرين لانهما اذا رأياه ركضه الذكر الى أن يسلمه الى الانثى فتركضه الى أن تسلمه الى الذكر ولا يزالان به حتى يقتلاه أو يعجزهما هربا وقيل أشد ما يكون عدوها اذا استقبلت الريح وتقول العرب صنفان من الحيوان أصمان لا يسمعان النعام والافاعي وسأل

أبو عمر والشيباني بعض العرب عن الظليم هل يسمع فقال يعرف بعينيه وأنفه ولا يحتاج معهما الى سمع (غمر) حيوان أغبر وكنيته أبو الصعب وهو صنفان صنف عظيم الجثة صغير الذنب والآخر بالعكس قال الجاحظ وهو يحب الشراب وعنده شراسة في خلقه ويقال ان اشاه لا تدع ولدها الا مطوقا بحيث لا يضره منهشها وذلك لاجل الصياد حتى لا يظفر به واذا مرض أكل الفأر فيبرأ وفي طبعه عداوة الأسد وعنده شرف في نفسه يقال انه لا يأكل جيفة ولا يأكل من صيد غيره ولا يملك نفسه عند الغضب وأدنى وثبته عشرون ذراعا وأكثرها أربعون (الخواص) من حمل من جلده مشيا صار مهابا عند الناس ومن كان به بواسير فجلس على جلده زالت بواسيره

(حرف الهاء)

(هدهد) طير معروف وهو من رسل سليمان عليه السلام وعنده حدة البصر حتى قيل انه يرى الماء تحت الارض وسبب غيابه عن خدمة سليمان عليه السلام حين سأل عنه ولم يجده هو أن هدهدا من سبا أخبره أن عرش بلقيس صفته كذا وكذا فذهب لينظره فدخلت الشمس من مكانه فرآها سليمان عليه السلام فتفقده وطلبه فلما حضر قال يا نبي الله انى رأيت كيت وكيت وقص عليه القصة ويقال انه قال لسليمان عليه السلام لما أراد تعذيبه يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدى الله تعالى فارتعد سليمان من هذا الكلام وأطلقه (الخواص) اذا بخر البيت بريشه طرد الهوام عنه وعينه اذا علقت على صاحب النسيان ذكر ما نسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حاجته وظفر بما يريد ولحمه اذا أكل مطبوخا نفع من القولنج وان بخر بمنه برئ حمام لم يقربه شئ يؤذيه ومن علق عليه سليه الاسفل أحبه الناس والله أعلم

(حرف الواو)

(ورشان) طير يتولد بين الحمام والفاختة وهو حسن شديد الحنق يقال انه يكاد يقتل نفسه اذا أمسك القناص أولاده من شدة حنقه قال بعضهم انه يقول في صياحه لد واللموت وابنوا للخراب * والهدهد يقول اذا نزل القضاء عمى البصر والفاختة تقول ليت هذا الخلق ما خلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وليتهم عملوا لما علموا والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه عند ربكم والحمامة تقول سبحان ربي الاعلى والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل لسان والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والعقاب يقول البعد عن الناس رحمة ومن الطيور من يقرأ الفاتحة كالدرة ويمد صوته في الضالين كالقارئ

(حرف الياء)

(يأجوج ومأجوج) سموا بذلك لكثرتهم وقيل بل هو اسم أعجمي غير مشتق قال مقاتل هم ولد يافث بن نوح عليه السلام وقول من قال ان آدم نام فاحتلم فالتقى منيه بالتراب فتولد منه هذا الحيوان مردود بعدم احتلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي الحديث يأجوج ومأجوج أمة عظيمة لا يموت أحدهم حتى يرى من صلبه ألف نسمة اه وهم أصناف منهم

ماطوله عشرون ذراعا وماطوله ذراع وأقل وأكثر وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ان لهم مخالب الطير وأنياب السباع وتداعى الحمام وتسافد البهائم ولهم شعور تقيهم الحر والبرد واذا مشوا في الارض كان أولهم بالشام وآخرهم بخراسان يشربون مياه المشرق الى بحيرة طبرية ويمنعهم الله تعالى من دخول مكة والمدينة وبيت المقدس ويأكلون كل شيء يمرون به ومن مات منهم أكلوه ويقال ان صنفا منهم له اذنان احداهما صلدة والأخرى وبرة فهو يلتحف باحداهما ويفترش الأخرى وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل بلغتهم الدعوة فقال عليه السلام دعوتهم ليلة أسري بي فلم يجيبوا فهم خلق النار وفي الحديث أيضا ان الله عز وجل اذا كان يوم القيامة قال يا آدم أرسل بعث النار فيقول يارب وما بعث النار فيقول الله تعالى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون للنار وواحد للجنة قال فاشتد الامر على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا فان من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم واحد وفي الحديث ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بالردم فقال صفه فقال يارسول الله انطلقت الى أرض ليس لاهلها الا الحديد يعملونه فدخلت في بيت فلما كان وقت الغروب سمعت ضجة عظيمة أفزعتني فارتعدت منها قال فقال صاحب البيت لا باس عليك ان هذه الضجة أصوات قوم يذهبون هذه الساعة من خلف هذا الردم أتريد أن تنظر اليه فاذا لبنه مثل الصخرة ومساميره مثل جذوع النخل كله من حديد كانه البرد المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر الى من رأى الردم فلينظر هذا الرجل قال المفسرون وهذا هو السد الذي بناه ذو القرنين وهذه الأمة خلفه تطلب المجيء الى هذه الجهة تنقبه كل يوم فيعيده الله كما كان الى أن يقضي الله أمره ثم يسلط الله عليهم بعد ذلك دودا يطلع في حلاقيمهم فيهلكهم الله به والاخبار في ذلك كثيرة (يحمور) دابة وحشية لها قرنان طويلان كأنهما منشاران تنشر بهما الشجر وقيل هو كالايل يلقي قرنيه في كل سنة وهما صامتان وقال الجوهري هو الحمار الوحشي (نادرة) قيل ترافق رجلان في طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال أحدهما للآخر قد صار لي عليك حق واني رجل من الجان ولي اليك حاجة قال وماهي قال اذا وصلت الى المكان الفلاني من هذه المدينة فهناك عجوز عندها ديك فاشتره منها واذبحه فقال له الآخر وأنا أيضا لي اليك حاجة قال وماهي قال اذا ركب الجني انسانا ما يعمل له قال تشد ابهاميه بسير من جلد اليحمور وتقطر في أذنيه من ماء السذاب في اليمنى أربعا وفي اليسرى ثلاثا فان الراكب له يموت ثم تفرقا ودخل الانسي ففعل ما أمره به الجني من شراء الديك وذبحه فلم يشعر بعد أيام الا وقد أحاط به أهل صبية من تلك البلدة وقالوا له أنت ساحر ومن حين ذبحت الديك سلبت من صبية عندنا عقلها فلا نفلتك الا الى صاحب المدينة قال فقلت لهم ائتوني بسير من جلد اليحمور وقليل من ماء السذاب ودخلت على الصبية فربطت ابهاميها وقطرت ماء السذاب في أذنيها فسمعت صوتا يقول آه علمتك على نفسي ثم مات من ساعته وشفى الله تلك الشابة

*(فصل

(فصل فى خواص الطير والحيوان على الاجمال) الضب والخنزير لا يلقيان شيأ من أسنانهما أبدا وكل حيوان يعوم بالطبع الا الانسان والقرد وكل ذى عين فان اهداب عينه فى الجهة العليا فقط الا الانسان فانه من الجهتين والفرس لاطحال له والبعير لا مرارة له والظليم لا مخ لعظمه والحيات لا ألسنة لها والسمكة لا رئة لها لانها تتنفس من كبدها وكل حيوان لا حافر له فله قرن وما لا قرن له فله حافر والحيوان المتهم باللواط القرد والخنزير والحمار والسنور والعيون التى تضىء بالليل عين الأسد والنمر والأفعى والسنور والذى يدخر القوت من الحيوان الانسان والفأر والغراب والنحل والنمل والذى يحيض من الحيوان الانسان والفرس والكلب والأرنب والضبع والخفاش ويقال أيضا الرعاد من السمك فتبارك الله أحسن الخالقين وهذا آخر ما قصدت ايراده فى هذا الباب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

(الباب الثالث والستون فى ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم)

ذكر المسعودى فى كتابه عن بعض العلماء أن الله سبحانه وتعالى خلق فى الارض قبل آدم ثمانى وعشرين أمة على خلق مختلفة وهى أنواع منها ذوات أجنحة وكلامهم قرقعة ومنها ما له أبدان كالأسود ورؤس كالطير ولهم شعور وأذناب وكلامهم دوى ومنها ما له وجهان واحد من قبله والآخر من خلفه وأرجل كثيرة ومنها ما يشبه نصف الانسان يبدو رجل وكلامهم مثل صياح الغرانيق ومنها ما وجهه كالآدمى وظهره كالسلحفاة وفى رأسه قرن وكلامهم مثل عى الكلاب ومنها ما له شعر أبيض وذنب كالبقر ومنها ما له أنياب بارزة كالخنازير وآذان طوال ويقال ان هذه الامم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشرين أمة ولم يخلق الله تعالى أفضل ولا أحسن ولا أجل من الانسان وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه خلق الله تعالى ألف أمة وعشرين أمة منها ستمائة فى البحر وأربعمائة وعشرون فى البر وفى الانسان من كل خلق فلذلك سخر الله له جميع الخلق واستجمعت له جميع اللذات وعمل بيده جميع الآلات وله النطق والضحك والبكاء والفكرة والفطنة واختراعات الاشياء واستنباط جميع العلوم واستخراج المعادن وعليه وقع الامر والنهى والوعد والوعيد والنعيم والعذاب واياه خاطب وله قرب وخلق الله تعالى اسرافيل عليه السلام على صورة الانسان وهو أقرب الملائكة اليه وفى الحديث لا تضربوا الوجوه فانها على صورة اسرافيل وآيات الله تعالى فى البشر أكثر من ان تحصر فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الشيخ عبد الله صاحب كتاب تحفة الالباب دخلت الى باشقرد فرأيت قبور عاد فوجدت ستة أحدهم طوله أربعة أشبار وعرضه شبران وكان عندى فى باشقرد نصف ثنية أخرجت لى من فك أحدهم الاسفل فكان نصف الثنية شبرين ووزنها ألفا ومائتى مثقال وكان دور فك ذلك العادى سبعة عشر ذراعا وطول عظم عضد أحدهم ثمانية أذرع وعرض كل ضلع من أضلاعهم ثلاثة أشبار كلوح الرخام قال ولقد رأيت فى بلغار سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل عاد رجلا طويلا طوله أكثر من سبعة وعشرين

ذراعا كان يسمى دنقى أو دبقى كان ياخذ الفرس تحت ابطه كما يأخذ الانسان الولد الصغير وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس ويقطع جلده وأعضاءه كما يقطع باقة البقل وكان صاحب بلغار قد اتخذ له درعا تحمل على عجلة وبيضة عادية لرأسه كأنها قطعة من جبل وكان ياخذ فى يده شجرة من البلوط كالعصا ويضرب بها الفيل لقتله وكان خيرا متواضعا كان اذا لقينى يسلم علىّ ويرحب بى ويكرمنى وكان رأسى لا يصل الى ركبته رحمة الله تعالى عليه ولم يكن فى بلغار حمام يمكنه دخولها الا حمام واحدة وكانت له أخت على طوله ورأيتها مرات فى بلغار وقال لى قاضى بلغار يعقوب بن النعمان ان هذه المرأة العادية قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان أقوى أهل بلغار قيل انها ضمته اليها فكسرت أضلاعه فمات من ساعته وروى عن وهب بن منبه فى عوج بن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجملهم الا أنه كان لا يوصف طوله قيل انه كان يخوض فى الطوفان فلم يبلغ ركبتيه ويقال ان الطوفان علا على رؤس الجبال أربعين ذراعا وكان يجتاز بالمدينة فيخطاها كما يتخطى أحدكم الجدول الصغير وعمره الله دهرا طويلا حتى أدرك موسى عليه السلام وكان جبارا فى أفعاله يسير فى الارض برا وبحرا ويفسد ما شاء ويقال انه لما حصر بنو اسرائيل فى التيه ذهب فأتى بقطعة من جبل على قدرهم واحتملها على رأسه ليلقيها عليهم فبعث الله طيرا فى منقاره حجر مدور فوضعه على الحجر الذى على رأسه فانثقب من وسطه وانخرق فى عنقه وأخبر الله عز وجل نبيه موسى عليه السلام بذلك فخرج اليه وضربه بعصاه فقتله ويقال ان موسى عليه السلام كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع وقفز فى الهواء عشرة أذرع وضربه فلم يصل الى عرقوبه فتبارك الله أحسن الخالقين ومن ذلك ما قيل عن أمه عنق بنت آدم عليه السلام وكانت مفردة بغير أخ وكانت مشوهة الخلقة لها رأسان وفى كل يد عشر أصابع ولكل اصبع ظفران كالمنجلين وقال علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه هى أول من بغى فى الارض وعمل الفجور وجاهر بالمعاصى واستخدم الشياطين وصرفهم فى وجوه السحر وكان قد أنزل الله تعالى على آدم عليه السلام أسماء عظيمة تطيعها الشياطين وأمره أن يدفعها الى حواء لتحترز بها فخافت عنق وسرقتها واستخدمت بها الشياطين وتكلمت بشئ من الكهانة فدعا عليها آدم وأمنت على ذلك حواء فارسل الله عليها أسدا أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها وذلك بعد ولادتها عوجا بسنتين ومن ذلك ما حكى عن بعض فقهاء الموصل انه شاهد ببلاد الاكراد الحميدية فى جبل من جبال الموصل انسانا طوله تسعة أذرع وهو صبى لم يبلغ الحلم وكان يأخذ بيده الرجل القوى ويرميه خلف ظهره فأراد صاحب الموصل استخدامه فقيل له فى عقله خبل فتركه وروى عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت بها انسانا من وسطه الى أسفله بدن واحد ومن وسطه الى أعلاه بدنان مفترقان برأسين ووجهين وأربع أيدوهما يأكلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان قال ثم غبت عنهما قليلا ورجعت فقيل لى أحسن الله عزاءك فى أحد الشقين فقلت وكيف صنع به فقيل ربط فى أسفله حبل وثيق وتركه حتى ذبل ثم قطع وتركه الجسد الآخر بالسوق ذاهبا وراجعا

ومنه ما أرسله بطارقة الارمن الى ناصر الدولة وهو رجلان فى جسد واحد فأحضر الاطباء وسألهم عن انفصال أحدهما عن الآخر فسألوهما هل تجوعان معا وتعطشان معا قالا نعم فقالوا له لا يمكن فصلهما ويقال انه أحضر أباهما فسأله عن حالهما فأخبر أنهما يختصمان فى بعض الاحيان وأنه يصلح بينهما ومن ذلك ما ذكر أنه أهدى الى أبى منصور الساماني فرس له قرنان وثعلب له جناحان اذا قرب منه انسان نشرهما واذا بعد ألصقهما وذكر القاضى عياض رحمة الله تعالى عليه انه ولد له مولود على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا لا يبعد فانه يوجد كثيرا فى السنور البرى وذكر أنه ولد بالقاهرة غلام له أربعة أرجل ومثلها أيد وذكر أنه كان ببعض ولاة مصر مملوك يدعى طقطو فولاه قوص من أعمال الصعيد فتزوج بها وولد له ولد ثم انقلب امرأة فتزوج بها وولدت ولدين وما كبش بأربعة قرون ودجاجة بأربع أرجل وحيوان برأسين والمخرج واحد فكثير وعجائب الله تعالى فى مصنوعاته غير متناهية فلله الحمد على ما أنعم به علينا لا نحصى ثناء عليه ومن ذلك انسان الماء وهو حيوان يشبه الآدمى وفى بعض الاوقات يطلع بحر الشأم شيخ بلحية بيضاء ويستبشر الناس برؤيته فى تلك السنة بالخصب ومن ذلك بنات الماء وهم أمة بحر الروم يشبهن النساء ذوات شعور وثدى وفروج وهن حسان ولهن كلام لا يفهم وضحك ولعب ولهن رجال من جنسهن ويقال ان الصيادين يصطادونهن ويجامعونهن فيجدون لذة عظيمة لا توجد فى غيرهن من النساء ثم يعيدونهن فى البحر ثانيا ويقال ان هذا الصنف يوجد بالبرلس ورشيد على ما ذكر (وحكى) عن الشيخ أبى العباس الحجازى قال حدثنى بعض التجار أنه فى سنة من السنين خرجت اليه سمكة عظيمة فنقبوا أذنها وجعلوا فيها الحبال وأخرجوها ففتحت أذنها فخرجت جارية حسناء جميلة بيضاء سوداء الشعر حمراء الخدين كحلاء العينين من أحسن ما يكون من النساء ومن سرتها الى نصف ساقيها شئ كالثوب يستر قبلها ودبرها وداثر عليها كالازار فأخذها الرجال الى البر فصارت تلطم وجهها وتنتف شعرها وتعض يدها وتصيح كما تصيح النساء حتى ماتت فى ايديهم فألقوها فى البحر فتبارك الله أحسن الخالقين (وحكى) القزوينى عن بعض البحريين أن الريح ألقتهم على جزيرة ذات أشجار وأنهار فأقاموا بها مدة وكانوا اذا جاء الليل يسمعون بها همهمة وأصواتا وضحكا ولعبا فخرج من المركب جماعة وكمنوا فى جانب البحر فلما جاء الليل خرج بنات الماء على عادتهن فوثبوا عليهن فأخذوا منهن ثنتين فتزوج بهما شخصان فأما أحدهما فوثق بصاحبته فأطلقها فوثبت فى البحر وأما الآخر فبقى مع صاحبته زمانا وهو يحرسها حتى ولدت له ولدا كأنه القمر فلما طاب الهواء وركبوا البحر وثق بها فأطلقها فأغفلته وألقت نفسها فى البحر فتأسف عليها تأسفا عظيما فلما كان بعد أيام ظهرت من البحر ودنت من المركب وألقت لصاحبها صدفا فيه درّ وجوهر فباعه وصار من التجار * ونظير هذه الحكاية ما ذكره ابن رزولاق فى تاريخه أن رجلا من الاندلس من الجزيرة الخضراء صاد جارية منهن حسناء الوجه سوداء الشعر حمراء الخدين كحلاء العينين كأنها البدر ليلة التمام كاملة الاوصاف فأقامت عنده سنين وأحبها حبا شديدا وأولدها ولدا

ذكرا وبلغ من العمر أربع سنين ثم انه أراد السفر فاستصحبها معه ووثق بها فلما توسطت البحر أخذت ولدها وألقت نفسها في البحر فكاد أن يلقى نفسه خلفها حسرة عليها فلم يمكنه أهل المركب من ذلك فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهرت له وألقت له صدفا كثيرا فيه درّ ثم سلمت عليه وتركته فكان ذلك آخر العهد بها فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه ومالم نشاهده ونسمع به أكثر فسبحان القادر على كل شيء لا اله الا هو ولا معبود سواه فالعاقل يعرف الجائز والمستحيل ويعلم أن كل مقدور بالاضافة الى قدرة الله تعالى قليل واذا سمع عجبا جائزا استحسنه ولم يكذب قائله والجاهل اذا سمع مالم يشاهده قطع بتكذيب قائله وتزييف ناقله وذلك لقلة عقله وقد وصف الله تعالى الجاهل بعدم العقل بقوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون وقد أودع الله تعالى من عجائب المصنوعات في الآفاق والسموات مايدل عليه قوله تعالى وكاين من آية في السموات والارض يمرّون عليها وهم عنها معرضون فلا تكن منكر العجائب فكل الاشياء من آياته

فيا عجبا كيف يعصى الاله ... أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه الواحد

ومن شاهد حجر المغناطيس وجذبه للحديد وكذلك حجر الماس الذي يعجز عن كسره الحديد ويكسره الرصاص ويثقب الياقوت والفولاذ ولا يقدر على ثقب الرصاص يعلم أن الذي أودعه هذا السرّ قادر على كل شيء فلا تكن مكذبا بما لا تعلم وجه حكمته فان الله تعالى قال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله قال صاحب تحفة الالباب ان في بلاد السودان أمة لا رؤس لهم وقد ذكرهم الشعبي في كتاب سير الملوك وذكر أن في بلاد المغرب أمة من ولد آدم كلهم نساء ولا يعيش في أرضهم ذكر وان هؤلاء النساء يدخلن في ماء عندهن فيحبلن من ذلك الماء وتلد كل امرأة منهن بنتا ولا يلدن ذكرا أبدا وقيل ان ولد تبع اليماني وصل اليهم لما أراد أن يصل الى الظلمات التي دخلها ذو القرنين وأن ولد تبع هذا كان اسمه افريقش وهو الذي بنى افريقية وسماها باسمه وانه وصل الى وادي السبت وهو واد يجري فيه الرمل كما يجري السيل لا يمكن أن يدخل فيه حيوان الا هلك فلما رآه استعجل الرجوع وذو القرنين لما وصل اليه أقام الى يوم السبت فسكن جريانه فعبره الى أن وصل الى الظلمات فيما يقال والله تعالى أعلم وتلك الامة التي لا رؤس لهم أعينهم في مناكبهم وأفواههم في صدورهم وهم كثيرون كالبهائم يتناسلون ولا مضرة على أحد منهم وأما الملك العظيم والعدل الكثير والنعم الجزيلة والسياسة الحسنة والرخاء والامن الذي لا خوف معه ففي بلاد الهند وبلاد الصين وأهل الهند أعلم الناس بعلم الطب وعلم النجوم والهندسة والصناعات العجيبة التي لا يقدر أحد سواهم على أمثالها وفي بلادهم وبزاتهم ينبت العود وشجر الكافور وجميع أنواع الطيب كالقرنفل والسنبل والدارصيني والكبابة والبسباسة وأنواع العقاقير والادوية وعندهم حيوان المسك وهو حيوان كالغزال يجتمع المسك في سرّته وعندهم حيوان الزباد وهو حيوان كالسنور يخرج منه عرق كالقطران أسود ثخين يسيل من جسده وتزيد رائحته بالتغرب بحيث تكون أذكى

من المسك الأذفر ويخرج من بلادهم أنواع الياقيت وأكثرها في جزيرة سرنديب وعلى جبلها نزل آدم عليه السلام من الجنة فيما يقال (وحكى) أنه كان ببابل سبع مدائن كل مدينة فيها أعجوبة كان في احداها تمثال الارض فاذا التوى على الملك بعض أهل مملكته وامتنعوا عن القيام بالخراج خرق أنهارها عليهم في التمثال فلا يطيق أهل تلك الناحية سد الماء حتى يعتدلوا وما لم يسد في التمثال لا يسد في ذلك البلد وفي الثانية حوض اذا أراد الملك أن يجمعهم لطعامه أتى كل واحد بما أحب من الشراب فصبه في ذلك الحوض فاختلطت الاشربة فكل من سقى من ذلك الحوض كان شرابه الذي جاء به وفي الثالثة طبل اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب عن أهله قرعوه فان كان حيا سمع له صوت وان كان ميتا لم يسمع له صوت وفي الرابعة مرآة اذا أرادوا أن يعلموا حال الغائب نظروا فيها فأبصروه على أي حالة هو عليها كأنهم يشاهدونه وفي الخامسة اوزة من نحاس فاذا دخل الغريب صوتت الاوزة صوتا يسمعه أهل المدينة وفي السادسة قاضيان جالسان على الماء فيأتي الخصمان فيمشي المحق على الماء حتى يجلس مع القاضيين ويقع المبطل في الماء وفي السابعة شجرة ضخمة لا تظل الا ساقها فان جلس تحتها أحد أظلته الى ألف شخص فاذا زادوا على الالف واحدا جلسوا في الشمس كلهم ولو بسطت المقال في ذلك لاتسع المجال وقد اقتصرت في ذلك على ما ذكرت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والستون في خلق الجان وصفاتهم)

روى عن الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب أنه قال قرأت في بعض الكتب المتقدمة المأثورة عن العلماء رحمهم الله تعالى أن الله تعالى لما أراد أن يخلق الجان خلق نار السموم وخلق من مارجها خلقا سماه جانا كما قال الله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال تعالى في موضع آخر وخلق الجان من مارج من نار وقيل ان الله تعالى خلق الملائكة من نور النار والجان من لهبها والشياطين من دخانها وقد جاء في بعض الاخبار ان نوعا من الجن في قديم الزمان قبل خلق آدم عليه السلام كانوا سكانا في الارض قد طبقوها برا وبحرا سهلا وجبلا وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة وكانوا يطرون الى السماء ويسلمون على الملائكة ويستعلمون منهم خبر ما في السماء وكثرت نعم الله عليهم الى أن بغوا وطغوا وتركوا وصايا أنبيائهم فأرسل الله تعالى عليهم جندا من الملائكة فحصل بينهم مقتلة عظيمة وغلبوا الجن وطردوهم الى أطراف البحار وأسروا منهم أمما كثيرة وذكر المسعودي أن الفرس واليونان قالوا كان الجن بالارض قبائل منهم من يسترق السمع ومنهم من يخطف مع لهب النار ومنهم من يطير وكل قبيلة ملك وكان من جملتهم ابليس لعنه الله ثم بعد خمسة آلاف سنة افترقوا وملكوا عليهم ملوكا وأقاموا على ذلك مدة طويلة ثم تحاسدوا على الملك وأغار بعضهم على بعض وجرت بينهم وقائع وحروب وكان ابليس لعنه الله يصعد الى السماء ويختلط بالملائكة فبعثه الله تعالى بجيوش من الملائكة فهزم الجن وقتلهم وخلت الارض مدة طويلة الى أن خلق آدم عليه السلام واتفق له معه ما اتفق وأهبط آدم الى

الارض وعظم شأنه فعند ذلك انتقل ابليس الى البحر المحيط وسكن هنالك ثم ألقى عليه قوة شهوة السفاد فهو لا يلد لكنه يلقح كالطير ويبيض وينفرخ قيل انه يخرج من كل بيضة ستون ألف شيطان فيسلطهم على الخلق وأقربهم اليه وأدناهم منه ومن مجلسه أكثرهم ايذاء للخلق وفي الحديث ان ابليس لعنه الله قال يارب أنزلتني الى الارض وطردتني وجعلتني رجيما فاجعل لي مسكنا قال مسكنك الاسواق قال فاجعل لي طعاما قال مالم يذكر اسمي عليه قال فاجعل لي شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لي مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لي صيدا أو قال مصايد قال النساء

(فصل في مكايده لعنه الله) منها أنه كان في بني اسرائيل عابد يدعى برصيصا وله جار له بنت فحصل لها مرض فقال له جيرانه لو حملتها الى جارك برصيصا يدعو لها قال فجاء ابليس الى العابد وقال ان لجارك عليك حق الجوار وان له بنتا مريضة فلو مررت لو جعلتها عندك في جانب البيت ودعوت الله لها عقب عبادتك فعسى أن تشفى من مرضها قال فلما أتاه جاره بالبنت قال له العابد دعها وانصرف قال فتركها عنده مدة حتى شفيت فجاء لها ابليس ووسوس له حتى وطئها فحملت منه فلما حملت جاء لها ابليس لعنه الله فقال له اقتلها لئلا تفتضح قال فقتلها ودفنها قال فعند ذلك ذهب الشيطان الى أهلها وأعلمهم بذلك فجاؤا الى العابد وكشفوا عن قضيته ثم أخذوه ومضوا به ليقتلوه فعارضهم ابليس اللعين في الطريق فقال له ان سجدت لي خلصتك منهم فسجد له فعند ذلك تبرأ منه ومات الرجل كافرا اللهم اعصمنا من مكايد الشيطان برحمتك يا أرحم الراحمين ومن ذلك ما اتفق أن بني اسرائيل اتخذوا شجرة وصاروا يعبدونها فجاء بعض عبادهم بناس ليقطعها فعارضهم ابليس لعنه الله وقال له تركت عبادتك وجئت اشيء لا يعود عليك نفعه ولم يزل به حتى تقاتل معه فصرعه العابد وجلس على صدره ثم رجع ولم يزل يعمل معه ذلك في كل يوم الى ثلاثة أيام فلما رآه لا يرجع قال له اترك قطعها وأنا أجعل لك في كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك وعبادتك وعاهده على ذلك فرجع فجعل له تحت وسادته دينارين ثم دينارين ثم دينارين ثم قطع ذلك عنه فأخذ العابد الفأس وذهب الى قطع الشجرة فعارضه ابليس في الطريق وتجاولا ومعه وتجاذبا فصرعه ابليس وجلس على صدره وقال له ان لم ترجع عن قطعها والا ذبحتك فقال له العابد خل عني وأخبرني كيف غلبتني فقال له لما غضبت لله غلبتني ولما غضبت لنفسك غلبتك ومنها أشياء كثيرة ليس هذا محل استيفائها قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا

(فصل في المتشيطنة وهم أنواع كثيرة) منها الولهان يوجد في جزائر البحار على صورة الانسان (حكي) بعض المسافرين أنه عرض لمركب وهو راكب على نعامة يريد أخذ المركب وصاح بهم صيحة عظيمة خروا منها على وجوههم وأخذ بعض من في المركب ومنها السعلاة يحكى أن صنفا منها يتزيا بزي النساء ويتراءى للرجال (وحكي) أن بعضهم تزوج امرأة منهن وهو لا يعلم فأقامت معه مدة وولدت منه أولادا ذكورا واناثا فلما

كان ذات ليلة صعدت معه السطح فنظرت فرأيت نارا من بعد عند الجبانة فاضطربت وقالت ألم تر نيران السعالى وتغيرلونها وقالت بنولك وبنانك أوصيك بهم خيرا ثم طارت ولم تعد اليه ومنها نوع يقال له المذهب يخدم العباد ومقصوده بذلك أن يحبوا بأنفسهم (حكى) أن بعض العباد نزل صومعة يتعبد فيها فأتاه شخص بسراج وطعام فتعجب العابد من ذلك فقال له شخص بالصومعة انه المذهب يريد أن يخيل لك أن ذلك من كرامتى والله انى لاعلم انه شيطان وقال بعض الصوفية المذهب أصناف منهم من يحمل الفانوس بين يدى الشيخ ومنهم من يأتيه بالطعام والشراب وغير ذلك ومنهم من ينشد الشعر وقال بعض المسافرين أبق لى غلام فخرجت فى اثره فاذا أنا بأربعة يتناشدون شعر الفرزدق وجرير قال فدنوت منهم وسلمت عليهم فقالوا ألك حاجة قلت لا فقال بعضهم تريد غلامك قلت وما أعمال غلامى قال كعملى بجهلك قلت أرجاهل أنا قال نعم وأحمق قال ثم غاب وأتانى بالغلام مقيدا فلما رأيته غشى على فلما أفقت قال انفخ فى يده ففعلت فانفرج القيد عنه وصرت لا أنفخ فى شئ من ذلك ولا فى وجع من الاوجاع الا برئ وخلص صاحبه ومنها نوع يقال له العفريت يختطف النساء يقال ان رجلا اختطفت ابنته فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال بعض المسافرين بينما نحن سائرون ذات ليلة اذ عرض لى قضاء الحاجة فانفردت عن رفقتى وضللت عنهم فبينما أنا سائر فى اثرهم اذ رأيت نارا عظيمة وخيمة فجئت الى جانبها واذا أنا بجارية جميلة جالسة فيها فسألتها عن حالها فقالت أنا من فزارة اختطفنى عفريت يقال له ظليم وجعلنى ههنا فهو يغيب عنى بالليل ويأتينى بالنهار فقلت لها امضى معى فقالت أهلك أنا وأنت فانه يتبعنا ويأتينا فيأخذنى ويقتلك فقلت لا يستطيع أخذك ولا قتلى ومازلت أردد ها الحديث حتى رضيت فانخت لها ناقتى فركبتها وسرت بها حتى طلع الفجر فالتفت فاذا أنا بشخص عظيم مهول قد أقبل ورجلاه تخطان فى الارض فقالت هاهو قد أتانا فأنخت ناقتى وخططت حولها خطا وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله العظيم فتقدم وأنشأ يقول

ياذا الذى للعين يدعوه القدر * خل عن الحسناء رسلا ثم سر
وان تكن ذا خبرة فينا اصطبر

قال فأجبته

ياذا الذى للعين يدعوه الحمق * خل عن الحسناء رسلا وانطلق
ما أنت فى الجن بأول من عشق

قال فقتدى لى فى صورة أسد وجاذبنى وجاذبته ساعة فلم يظفر أحدنا بصاحبه فلما أيس منى قال هل لك فى جزناصيتى أو احدى ثلاث خصال قلت وما هن قال مائتان من الابل أو أخدمك أيام حياتى أو ألف دينار الساعة وخل بينى وبين الجارية فقلت لا أبيع دينى بدنياى ولا حاجة لى بخدمتك فاذهب من حيث أتيت قال فانطلق وهو يتكلم بكلام لا أفهمه وسرت بالجارية الى أهلها وتزوجت بها وجاءتنى منها أولاد وقيل لما سخر الله تعالى الجن لسليمان عليه السلام نادى جبريل عليه السلام أيها الجن والشياطين اجيبوا نبى الله سليمان بن دود باذن الله تعالى قال فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف

والغيران والأودية والفلوات والآجام وهم يقولون لبيك لبيك والملائكة تسوقهم سوق الراعي للغنم حتى حشرت بين يدي سليمان عليه السلام طائعة ذليلة وكانوا اذذاك أربعا وعشرين فرقة فنظر الى ألوانها فاذا هي سود وشقر ورقط وبيض وصفر وحضر وعلى صور جميع الحيوانات ومنهم من رأسه رأس الأسد وبدنه بدن الفيل ومنهم من له خرطوم وذنب ومنهم من له قرون وحوافر وغير ذلك من الانواع قال فعند ذلك تعجب نبي الله سليمان عليه السلام من هذه الاشكال وسجد شكرا لله تعالى وقال الهي ألبسني هيبة من عندك وجعل يسألهم عن طباعهم وعن طعامهم وشرابهم وهم يجيبونه ثم فرقهم في الصنائع من قطع الصخور والأحجار والأشجار والغوص في البحار وأبنية الحصون وفي استخراج المعادن والجواهر قال الله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ونكتفي من ذلك بهذا القدر اليسير والله المسؤل في تيسير كل عسير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخامس والستون في ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والآبار وفيه فصول

(الفصل الاول في ذكر البحار) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما أراد الله تعالى أن يخلق الماء خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها الا الله سبحانه وتعالى ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت وصارت ماء فاضطرب الماء فخلق الريح ووضع عليها الماء ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء وعليه قوله تعالى وكان عرشه على الماء واعلم أن بحر الظلمات لا يدخله شمس ولا قمر وأن بحر الهند خليج منه وبحر اللاذقية خليج منه وبحر الصين خليج منه وبحر الروم خليج منه وبحر فارس خليج منه وكل هذه البحار التي ذكرتها أصلها من البحر الاسود الذي يقال له البحر المحيط وأما بحر الخزر وبحر خوارزم وبحر أرمينية والبحر الذي عند مدينة النحاس وغير ذلك من البحار الصغار فهي منقطعة عن البحر الاسود ولذلك ليس فيها جزر ولا مد وقيل سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجزر والمد فقال هو ملك عال قائم بين البحرين ان وضع رجله في البحر حصل له المد واذا رفعها حصل له الجزر وقيل انما سمي البحر الاسود لان ماءه في رأي العين كالحبر الأسود فان أخذ منه الانسان في يده شيأ رآه أبيض صافيا الا أنه أمر من الصبر مالح شديد الملوحة فاذا صار ذلك الماء في بحر الروم تراه أخضر كالزنجار والله تعالى يعلم لاي شئ ذلك وكذلك يرى في بحر الهند خليج أحمر كالدم وبحر أصفر كالذهب وخليج أبيض كاللبن تتغير هذه الالوان في هذه المواضع والماء في نفسه أبيض صاف وقيل ان تغير الماء بلون الارض * وأما ما يخرج من البحر من السمك وغيره فقد روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ساحل البحر وأمر علينا أبا عبيدة رضي الله عنه نتلقى عير قريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل فأشرفنا على ساحل البحر فرأينا شيأ كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فاذا هو دابة من دواب البحر تدعى العنبر فأقمنا شهرا نأكل منها

ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من الدهن الذى فى وقب عينها بالقلال ونقطع منه القطعة كالثور ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى وقب عينها وأخذ ضلعا من أضلاعها فأقامها ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمها فلما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شئ من لحمها فتطعمونا فأرسلنا له منه فأكله وقيل يخرج من البحر سمكة عظيمة فتتبعها سمكة أخرى أعظم منها تأكلها فتهرب منها الى مجمع البحرين فتتبعها فيضيق عليها مجمع البحرين لعظمها وكبرها فترجع الى البحر الاسود وعرض مجمع البحرين مائة فرسخ فتبارك الله رب العالمين وقال صاحب تحفة الالباب ركبت فى سفينة مع جماعة فدخلنا الى مجمع البحرين فخرجت سمكة عظيمة مثل الجبل العظيم فصاحت صيحة عظيمة لم أسمع قط أهول منها ولا أقوى فكاد قلبى ينخلع وسقطت على وجهى أنا وغيرى ثم ألقت السمكة نفسها فى البحر فاضطرب البحر اضطرابا شديدا وعظمت أمواجه وخفنا الغرق فنجانا الله بفضله وسمعت الملاحين يقولون هذه سمكة تعرف بالبغل قال ورأيت فى البحر سمكة كالجبل العظيم ومن رأسها الى ذنبها عظام سود كالسنان المنشار كل عظم أطول من ذراعين وكان بيننا وبينها فى البحر أكثر من فرسخ فسمعت الملاحين يقولون هذه السمكة تعرف بالمنشار اذا صادفت أسفل السفينة قصمتها نصفين ولقد سمعت أنا من يقول ان جماعة ركبوا سفينة فى البحر فأرسوا على جزيرة فخرجوا الى تلك الجزيرة فغسلوا ثيابهم واستراحوا ثم أوقدوا نارا ليطبخوا فتحركت الجزيرة وطلبت البحر واذا بها سمكة فسبحان القادر على كل شئ لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل ان فى البحر سمكة تعرف بالمنارة لطولها يقال انها تخرج من البحر الى جانب السفينة فتلقى نفسها عليها فتحطمها وتهلك من فيها فاذا أحس بها أهل السفينة صاحوا وكبروا وضجوا وضربوا الطبول ونقروا الطسوت والسطول والاخشاب لانها اذا سمعت تلك الاصوات رجعت فهذا الله تعالى عنهم بفضله ورحمته وقال الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب كنت يوما فى البحر على صخرة فاذا أنا بذنب حية صفراء منقطة بسواد طولها مقدار باع فطلبت أن تقبض على رجلى فتباعدت عنها فاخرجت رأسها كأنه رأس أرنب من تحت تلك الصخرة فسللت خنجرا كبيرا كان معى فطعنت به رأسها فغار فيه فلم أقدر على خلاصه منها فأمسكت نصابه بيدى جميعا وجعلت أجره حتى ألصقتها بباب الجر فتحركت الجر وخرجت من تحت الصخرة فاذا هى خمس حيات فى رأس واحد فتعجبت من ذلك وسألت من كان هناك عن اسم هذه الحية فقال هذه تعرف بأم الحيات وذكروا أنها تقبض على الآدمى فى الماء فتمسكه حتى يموت وتأكله وأنها تعظم حتى تكون كل حية أكثر من عشرين ذراعا وانها تقلب الزوارق وتأكل من قدرت عليه من أصحابها وان جلدها أرق من جلد البصل ولا يؤثر فيها الحديد شيأ قال ورأيت مرة فى البحر صخرة عليها شئ كثير من النارنج الاحمر الطرى الذى كأنه قطع من شجره فقلت فى نفسى هذا قد وقع من بعض السفن فذهبت اليه فقبضت منه نارنجة فاذا هى ملتصقة بالحجر فجذبتها فاذا هى حيوان يتحرك ويضرب فى يدى فلففت يدى بكم ثوبى

وقبضت عليه وعصرته فخرج من فيه مياه كثيرة وضمر فلم أقدر أن أقلعه من مكانه فتركته عجزا عنه وهو من عجائب خلق الله تعالى وليس له عين ولا جارحة الا الفم والله سبحانه وتعالى أعلم لاى شئ يصلح ذلك قال ولقد رأيت يوما على جانب البحر عنقود عنب أسود كبير الحب أخضر العرجون كانما قطف من كرمه فاخذته وكان ذلك فى أيام الشتاء وليس فى تلك الارض التى كنت فيها عنب فرمت ان آكل منه فقبضت على حبة منه وجذبتها فلم أقدر أن أقلعها من العنقود حتى كانها من الحديد قوة وصلابة فجذبتها جذبة أقوى من الاولى فانقشرت قشرة من تلك الحبة كقشر العنب وفى داخلها عجم كعجم العنب فسألت عن ذلك فقيل لى هذا من عنب البحر ورائحته كرائحة السمك وفى البحر أيضا حيوان رأسه يشبه رأس العجل وله أنياب كانياب السباع وجلده له شعر كشعر العجل وله عنق وصدر وبطن وله رجلان كرجلى الضفدع وليس له يدان يعرف بالسمك اليهودى وذلك انه اذا غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر ويلقى نفسه فى البر ولا يتحرك ولا يأكل ولو قتل ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الاحد فحينئذ يدخل البحر ولا تلحقه السفن لخفته وقوته وجلده يتخذ منه نعل لصاحب النقرس فلا يجد له ألما مادام ذلك الجلد عليه وهو من العجائب وقيل ان فى بحر الروم سمكا طويلا طول السمكة مائة ذراع وأكثر وله أنياب كانياب الفيل تؤخذ وتباع فى بلاد الروم وتحمل الى سائر البلاد وهى أحسن وأقوى من أنياب الفيل واذا شق الناب منها يظهر فيه نقوش عجيبة ويسمونه الجوهر ويتخذون منه نصبا للسكاكين وهو مع قوته وحسن لونه ثقيل الوزن كالرصاص وفى البحر أيضا سمك يسمى الرعاد اذا دخل فى شبكة فكل من جر تلك الشبكة أو وضع يده عليها أو على حبل من حبالها تأخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه شيأ كما يرعد صاحب الحمى فاذا رفع يده زالت عنه الرعدة فان أعادها عادت اليه الرعدة وهذا أيضا من العجائب فسبحان الله جلت قدرته وقال صاحب تحفة الالباب حدثنى الشيخ أبو العباس الحجازى قال حدثنى رجل يعرف بالهارونى من ولد هرون الرشيد أنه ركب سفينة فى بحر الهند فرأى طاوسا قد خرج من البحر احسن من طاوس البر وأجمل ألوانا قال فكبرنا لحسنه فجعل يسبح وينظر لنفسه وينشر أجنحته وينظر الى ذنبه ساعة ثم غاص فى البحر وفى البحر دابة يقال لها الدرفين تنجى الغريق لانها تدنو منه حتى يضع يده على ظهرها فيستعين بالاتكاء عليها ويتعلق بها فتسبح به حتى ينجيه الله بقدرته فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف واحكم هذه الحكمة البالغة وزعموا ان السمك يتجه نحو الغناء والصوت الحسن ويصبو لسماعه وربما قيل ان بعض الصيادين يحفرون فى البحر حفائر ثم يجلسون فيضربون بالمعازف وآلات الطرب فيجتمع السمك ويقع فى تلك الحفائر وقيل ان الدرفين وانواع السمك اذا سمعت صوت الرعد هربت الى قعر البحر وقيل ان خيل البحر توجد بنيل مصر وهى صفة خيل البر وقيل انها تأكل التماسيح وربما خرجت فرعت الزرع واذا رأى أهل مصر أثر حوافرها حكموا ان ماء النيل ينتهى فى طلوعه الى ذلك المكان وقيل ان فى البحر المحيط شيأ يتراءى كالحصون فيرتفع على وجه الماء ويظهر منه صور كثيرة ويغيب ومن عجيب ما حكى ان فيه جزيرة فيها ثلاث مدن عامرة وهى

كثيرة الامطار وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم ويجففونه
في بيت ويوقدون حوله النيران حتى يجف وعجائبه لا تحصى ولا يمكن حصرها ويقال ان
الاسكندر لما سار الى بحر الظلمات مر بجزيرة بها أمة رؤسهم مثل رؤس الكلاب يخرج من
أفواههم مثل لهب النار وخرجوا الى مراكبه وحاربوه ثم تخلص منهم وسار فرأى صورا
متلونة بألوان شتى وسمكا طوله مائة ذراع وأكثر وأقل فسبحان الله تعالى ما أكثر عجائب
خلقه ويقال انه مر في بعض الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها
قناديل لا تطفأ ومن جزائر البحر جزيرة القمر يقال ان بها شجرا طول الشجرة مائتا ذراع ودور
ساقها مائة وعشرون ذراعا وبها طوائف من السودان عرايا الابدان يلتحفون بورق الشجر
وهو ورق يشبه ورق الموز لكنه أسمك وأعرض وأنعم ويقال ان هذه الجزيرة بالقرب من
نيل مصر وان هذه الامة التي بها يتمذهبون بمذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وهم في غاية
اللطافة من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالقرب منهم معدن الذهب والياقوت وبها
الفيل الابيض وحيوانات مختلفة الاشكال من الوحوش وغيرها وبها العود والقماري
والابنوس والطواويس وبها مدن كثيرة ومنها جزيرة الواق خلف جبل يقال له اصطفيون
داخل البحر الجنوبي ويقال ان هذه الجزيرة كانت ملكتها امرأة وان بعض المسافرين
وصل اليها ودخلها ورأى هذه الملكة وهي جالسة على سرير وعلى رأسها تاج من ذهب
وحولها أربعمائة وصيفة كلهن أبكار وفي هذه الجزيرة من العجائب شجر يشبه شجر الجوز
وخيار الشنبر ويحمل حلاكهيئة الانسان فاذا انتهى سمع له تصويت يفهم منه واق واق ثم يسقط
وهذه الجزيرة كثيرة الذهب حتى قيل ان سلاسل خيلهم ومقاود كلابهم وأطواقها من الذهب
ومنها جزيرة الصين يقال ان بها ثلثمائة مدينة وفيما سوى القرى والاطراف وأبوابها اثنا عشر
بابا وهي جبال في البحر بين كل جبلين فرجة وهذه الجبال تمر بها المراكب مسيرة سبعة أيام
واذا جاوزت السفينة الابواب سارت في ماء عذب حتى تصل الى الموضع الذي تريده وفيها من
الاودية والاشجار والانهار ما لا يمكن وصفه فتبارك الله رب العالمين وقيل ان الاسكندر لما
فرغ من بناء سده حمد الله تعالى واثنى عليه ثم نام واذا بحيوان عظيم صعد من البحر الى أن علا
وسد الافق فظن من حول الملك انه يريد ابتلاعهم ففزعوا فانتبه فقال ما لكم فقالوا له انظر
ما حل بنا فقال ما كان الله ليأخذ نفسا قبل انقضاء أجلها وقد منعني من العدو فلا يسلط علي
حيوانا من البحر قال فاذا بالحيوان قد دنا من الملك وقال أيها الملك أنا حيوان من هذا البحر
وقد رأيت هذا السد بني وخرب سبع مرات ولم يزد على ذلك ثم غاب في البحر فتبارك من له
هذا الملك العظيم لا اله الا هو العزيز الحكيم وقيل ان بجزيرة الفسناس باليمن مدينة بين
جبلين وليس لها ماء يدخل فيها الا من المطر وطولها ستة فراسخ وهي حصينة ذات
كروم ونخيل وأشجار وغير ذلك واذا أراد انسان الدخول فيها حثى في وجهه التراب فان
أبى الا الدخول خنق أو صرع وقيل انها معمورة بالجان وقيل بخلق من الفسناس ويقال
انهم من بقايا عاد الذين أهلكهم الله بالريح العقيم وكل واحد منهم شق انسان ونقل

عن بعض المسافرين انه قال بينما نحن سائرون اذ أقبل علينا الليل فبتنا بواد فلما أصبح الصباح سمعنا قائلا يقول من الشجرة يا أبا بحير الصبح قد أسفر والليل قد أدبر والقناص قد حضر فالحذر الحذر قال فلما ارتفع النهار أرسلنا كلبين كانا معنا نحو الشجرة فسمعت صوتا يقول ناشدتك قال فقلت لرفيقي دعهما قال فلما وثقا منا نزلا هاربين فتبعهما الكلبان وجدا في الجرى فأمسكا شخصا منهما قال فأدركناه وهو يقول

الويل لي مما به دهاني * دهري من الهموم والاحزان

قتا قليلا أيها الكلبان * الى متى الى تجريان *

قال فأخذناه وذبحناه فذبحه رفيقي وسواه فعفته ولم آكل منه شيأ فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثاني في ذكر الانهار والآبار والعيون) قال الله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض قال المفسرون هو المطر ومعنى سلكه أدخله في الارض وجعله عيونا ومسايل ومجاري كالعروق في الجسد فمن الانهار ما هو من الامطار المجتمعة ولهذا ينقطع عند فراغ مادته ومنها ما ينبع من الارض وأطول ما يكون من الانهار ألف فرسخ وأقصره عشرة فراسخ الى اثنين وثلاثة وبين ذلك وكلها تبتدئ من الجبال وتنتهي الى البحار والبطائح وفي عمرها تسقي المدن والقرى وما فضل منها ينصب في البحر الملح ويختلط به ولا يمكن استيفاء عددها لكثرتها الى بعضها فنقول * النيل المبارك ليس في الانهار أطول منه لانه مسيرة شهرين في بلاد الاسلام وشهرين في بلاد النوبة وأربعة في الخراب وقيل ان مسافته من منبعه الى أن ينصب في البحر الرومي ألف وسبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا قال ذلك صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر واختلف في زيادته فقيل ان الانهار والعيون تمده في الوقت الذي يريده الله تعالى وفي الحديث انه من أنهار الجنة وقال أهل الاثر ان الانهار التي من الجنة تخرج من أصل واحد من قبة في أرض الذهب ثم تمر بالبحر المحيط وتشق فيه قالوا ولولا ذلك لكانت أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور * نهر الفرات يوجد بأرض أرمينية فضائله كثيرة والنيل أصدق حلاوة منه وبه من السمك الابيض ما تكون الواحدة قنطارا بالدمشقي وطول هذا النهر من حين يخرج من عند ملطية الى أن يأتي الى بغداد سبعمائة وثلاثون فرسخا وفي وسطه مدن وجزائر تعد من أعمال الفرات * جيحون نهر عظيم تتصل به أنهار كثيرة ويمر على مدن كثيرة حتى يصل الى خوارزم ولا ينتفع به شيء من البلاد سوى خوارزم لانها متصلة عنه ثم ينصب في بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام وهو يجمد في الشتاء خمسة أشهر والماء يجري من تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم منه لهم أماكن ليستقوا منها واذا اشتد جموده مروا عليه بالقوافل والعجل المحملة ولا يبقى بينه وبين الارض فرق ويعلوه التراب ويبقى على ذلك شهرين * سيحون نهر عظيم قيل ان مبدأه من حدود الترك ويجري حتى يتصل ببلاد الفرغانة وربما يجتمع مع جيحون في بعض الاماكن * الدجلة نهر بغداد وله أسماء غير ذلك وماؤه أعذب المياه بعد النيل وأكثرها نفعا قيل مقداره ثلثمائة فرسخ وفي بعض

الاوقات يفيض حتى قيل انه يخشى على بغداد الغرق منه وهو نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقه (حكى) أنه وجد به غريق فيه الروح فلما أفاق سألوه عن حاله فأخبرهم أنه لما غلب على نفسه رأى كأن أحدا يحمله ويصعد به وروى فى الاثر أن الله تعالى أمر دانيال عليه السلام أن يحفر لعباده ما يستقون منه وينتفعون به فكان كلما مر بأرض ناشده أهلها أن يحفر ذلك عندهم الى أن حفر دجلة والفرات * وأما الانهار الصغار فكثيرة ولكنا نذكر منها طرفا فنقول * نهر حصن المهدى قال صاحب تحفة الالباب انه بين البصرة والاهواز وانه يرتفع منه فى بعض الاوقات شئ يشبه صورة الفيل ولا يعرف أحد شأنه * نهر اذربيجان قيل ان بالقرب منه نهرا يجرى فيه الماء سنة ثم ينقطع ثمان سنين ثم يعود فى التاسعة وقيل انه ينعقد حجرا ويستعمل منه اللبن ويبنى به وقيل ان فى تلك الارض بحيرة تجف فلا يوجد فيها ماء ولا سمك ولا طين سبع سنين ثم يعود الماء والسمك والطين فتبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير * نهر صقلاب يجرى فيه الماء يوما واحدا فى كل أسبوع ثم ينقطع ستة أيام * نهر العاصى بأرض حماة وقيل بحمص وهو نهر معروف وفيه يقول بعضهم

مدينة حمص كعبة القصف أصبحت * يطوف بها الدانى ويسعى لها القاصى
بها روضة من حسنها سندسية * تعلق فى أكناف أذيالها العاصى

* نهر العمود بأرض الهند عليه شجرة نابتة من حديد وقيل من نحاس وتحتها عمود من نحاس وقيل من حديد طوله من فوق الماء نحو عشرة أذرع وعرضه ذراع وعلى رأسه ثلاث شعب مسنونة محدودة وعنده رجل يقرأ كتاب الله ويقول يا عظيم البركة طوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى بنفسه على هذا العمود فيدخل الجنة وقال أهل تلك الناحية من يريد ذلك فيصعد على تلك الشجرة ويلقى نفسه فيتقطع * نهر باليمن قال صاحب تحفة الالباب انه عند طلوع الشمس يجرى من المشرق الى المغرب وعند غروبها يجرى من المغرب الى المشرق * نهر بلاد الحبشة والسودان يجرى الى المشرق يشبه النيل فى زيادته ونقصانه وأرضه بها الخصب والبركة وبها شجر كالارز يحمل ثمرا كالبطيخ داخله شئ يشبه القند فى الحلاوة لكن فيه بعض حموضة وهذا النهر يجرى فى بلادهم ثمانية أشهر ثم ينصب فى البحر المحيط فسبحان من دبر هذا التدبير وأحكم هذه الصنعة لا اله الا هو الحكيم الخبير

*(الفصل الثالث فى ذكر الآبار) * قال مجاهد كنت أحب أن أرى كل شئ غريب فسمعت أن ببابل بئر هاروت وماروت فسرت اليها فلما وصلت الى ذلك المكان وجدت عنده بيوتا فدخلت فى بعضها فوجدت شخصا فسلمت عليه فرحب بى وسألنى عن حاجتى فذكرت له غرضى فأمر يهوديا يذهب معى فيوقفنى على البئر ويطلعنى على الملكين قال فسرنا الى البئر ففتح سردابا ونزلنا فأمرنى أن لا أذكر اسم الله تعالى قال فلما رأيت الملكين رأيت شيأ كالجبلين العظيمين منكسين على رؤسهما وعليهما الحديد من أعناقهما الى ركبهما قال مجاهد فلما رأيت ذلك ذكرت الله تعالى قال فاخذ طرفا اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان السلاسل قال ففر اليهودى فتعلقت به فقال أما أمرتك أن لا تذكر اسم الله تعالى كدنا والله نهلك * بئر برهوت بقرب حضرموت وهى التى قال النبى صلى الله عليه وسلم انها مجمع أرواح الكفار

قال علي كرم الله وجهه أبغض البقاع الى الله تعالى بئر برهوت ماؤها أسود منتن تأوى اليها أرواح الكفار والموكل بها مالك يسمى دومة * بئر عسفان ماؤها يستشفى به قبل ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما كنا نغسل المريض منها فيعافى وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منها * بئر معروفة بأرض حلب خاصيتها أنها اذا شرب منها المكاوب زال كلبه مالم يجاوز الاربعين * وبنيسابور آبار كثيرة وهي معادن الفيروزج وانما يمنع الناس عنها كثرة عقاربها * وبأرض فارس بئر ينبع منها ماء في وقت من السنة فيرتفع على وجه الارض لمحة واحدة ويجري فينتفع به في سقي الزرع ثم يعود الى ما كان وعجائب الله كثيرة لا تكاد تحصر لا اله الا هو ولا معبود سواه

الباب السادس والستون في ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان وفيه فصول

(الفصل الاول في ذكر الارض وما فيها من العمران والخراب) روى وهب بن منبه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب الا كخردلة في كف أحدكم وقال رواة الاثر ان لله عز وجل دابة في هرج من هروجه في غامض علمه رزقها في كل يوم بقدر رزق العالم بأسره وجميع مدائن الدنيا أربعة آلاف مدينة وخمسمائة وست وخمسون مدينة وقيل غير ذلك وأقاليم الارض سبعة الاقليم الاول الهند الثاني الحجاز الثالث اقليم مصر الرابع اقليم بابل الخامس اقليم الروم والشام السادس اقليم الترك السابع اقليم الصين وأوسط الاقاليم اقليم بابل وهو أعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذي هو سرة الدنيا وبغداد في وسط هذا الاقليم فلاعتداله اعتدلت ألوان أهله فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبشة وغلظ الترك وجفاء أهل الجبال ودمامة أهل الصين والممالك المشهورة التي ضبطت عدتها في زمن المأمون ثلثمائة وثلاث وأربعون مملكة أوسعها ثلاثة أشهر وأضيقها ثلاثة أيام وقال أهل الهيئة انه يكون عند خط الاستواء ربيعان وصيفان وخريفان وشتاآن في سنة واحدة وانه يكون في بعض البلاد ستة أشهر ليل وستة أشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد فسبحان من خلق كل شئ فأتقنه لا اله الا هو ولا معبود سواه

(الفصل الثاني في ذكر الجبال) قيل ان الله تعالى لما خلق الارض ماجت واضطربت فخلق الجبال وأرساها بها فاستقرت ومجموع ما عرف بالاقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا فمنها ما طوله عشرون فرسخا ومنها ما طوله مائة فرسخ الى ألف فرسخ ولنذكر منها ما هو مشهور معروف بين الناس فمن أعجبها (جبل سرنديب) وطوله مائتان وثلاث وستون ميلا وفيه أثر قدم آدم عليه السلام حين أهبط وحوله الياقوت وفي أوديته الماس الذي يقطع به الصخور ويثقب به اللؤلؤ وفيه العود والفلفل ودابة المسك ودابة الزباد (جبل الروم) الذي فيه السد طوله سبعمائة فرسخ وينتهي الى بحر الظلمات (جبل أبي قبيس) سمي بذلك لان آدم عليه السلام كان بذلك حين اقتبس

منه النار التى بين أيدى الناس وقيل غير ذلك (جبل القدس) جبل شريف مبارك فيه غار يضىء بالليل من غير سراج ويزوره الناس (جبل اروند) بهمذان برأسه عين تخرج من صخرة أياما معدودة فى السنة تقصد من كل وجه يستشفى بها (جبل بالشام) لونه أسود كالفحم وتراب أبيض تبيض به الثياب (جبل الاندلس) فيه غار اذا دهنت فتيلة وأدخلتها فيه أوقدت وبها جبل به عينان احداهما باردة والأخرى حارة والمسافة التى بينهما مقدار شبر وجبل به معدن الكبريت والزئبق والزنجفر (جبل سمرقند) يقطر منه ماء فى الصيف يصير جلدا وفى الشتاء يحرق من حرارته (جبل الصور) بكرمان يكسر حجره فيخرج منه كصور الآدميين قائمين وقاعدين ومضطجعين واذا سحق وطرح فى الماء يرى كذلك (جبل الأرجان) بطبرستان يقطر منه ماء كل قطرة تصير حجرا مستساً ومنها (جبل هرمز) ينزل منه ماء الى وهدة فان صاح انسان صيحة وقف فان شئ جرى (جبل الطير) باقليم الصعيد يجتمع عنده الطير فى كل سنة مرة ويدخل فى كوة هناك فتمسك الكوة على واحدة وتطير البقية ويكون ذلك علامة الخصب فى تلك السنة ولنقتصر على ذلك ومن أراد الوقوف على جميعها فعليه بتاريخ مرآة الزمان

(الفصل الثالث فى ذكر المبانى العظيمة وغرائبها وعجائبها) قال أهل التواريخ ونقلة الاخبار ان أول بناء بنى على وجه الارض الصرح الذى بناه نمروذ الاكبر بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام وبقيته بكوثى من أرض بابل وبه الى عصرنا أثر ذلك البناء كأنه جبال شاهقات قالوا وكان طوله خمسة آلاف ذراع بناه بالجارة والرصاص والشمع واللبان ليمتنع هو وقومه من طوفان ثان فأخرب الله تعالى ذلك الصرح فى ليلة واحدة بصيحة فتبلبلت بها ألسنة الناس فسميت أرض بابل (ارم ذات العماد) التى لم يخلق مثلها فى البلاد (حكى) الشعبى فى كتاب سير الملوك أن شداد بن عاد ملك جميع الدنيا وكان قومه قوم عاد الاولى زادهم الله بسطة فى الاجسام وقوة حتى قالوا من أشد منا قوة قال الله تعالى أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وأن الله تعالى بعث اليهم هودا نبيا عليه السلام فدعاهم الى الله تعالى فقال لشداد ان آمنت بآلهك فاذا الى عنده قال يعطيك فى الآخرة جنة مبنية من ذهب ويواقيت ولؤلؤ وجميع أنواع الجواهر قال شداد أنا أبنى مثل هذه الجنة ولا أحتاج الى ما تعدنى به قال فأمر شداد ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يخرجوا ويطلبوا أرضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة من الجبال ليبنى فيها مدينة من ذهب قال فخرج أولئك الامراء ومع كل أمير ألف رجل من خدمه وحشمه فساروا فى الارض حتى وصلوا الى جبل عدن فرأوا هنالك أرضا واسعة طيبة الهواء فأعجبتهم تلك الارض فأمروا المهندسين والبناءين فخطوا مدينة مربعة الجوانب دورها أربعون فرسخا من كل جهة شعرة فراسخ فحفروا الاساس الى الماء وبنوا الجدران بحجارة الجزع اليمانى حتى ظهر على وجه الارض ثم أحاطوا به سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشوه بصفائح الفضة المموهة بالذهب فلا يكاد يدركه البصر اذا أشرقت الشمس وكان شداد قد بعث الى جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب واتخذه لبنا ولم يترك فى يد أحد من الناس فى جميع الدنيا شيأ

من الذهب الاحمر واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة مائة ألف قصر بعدد رؤساء مملكته كل قصر على عمد من أنواع الزبرجد واليواقيت معقودة بالذهب طول كل عمود مائة ذراع وأجرى فى وسطها أنهارا وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل حصاها من الذهب والجواهر واليواقيت وحلى قصورها بصفائح الذهب والفضة وجعل على حافات الانهار أنواع الاشجار جذوعها من الذهب وأوراقها وثمرها من أنواع الزبرجد واليواقيت واللآلى وطلى حيطانها بالمسك والعنبر وجعل فيها جنة مزخرفة له وجعل أشجارها الزمرذ واليواقيت وسائر أنواع المعادن ونصب عليها أنواع الطيور المسموعة الصادح والمغرد وغير ذلك ثم بنى حول المدينة مائة ألف منارة برسم الحراس الذين يحرسون المدينة فلما كمل بناؤها أمر فى مشارق الارض ومغاربها أن يتخذ وا فى البلاد بسطا وستورا وفرشا من أنواع الحرير لتلك القصور والغرف وأمر باتخاذ أوانى الذهب والفضة فاتخذ وا جميع ما أمر به فلما فرغوا من ذلك جميعه خرج شداد من حضرموت فى أهل مملكته وقصد مدينة ارم ذات العماد فلما أشرف عليها ورآها قال قد وصلت الى ما كان هو وعدنى به بعد الموت وقد حصلت عليه فى الدنيا فلما أراد دخولها أمر الله تعالى ملكا فصاح بهم صيحة الغضب وقبض ملك الموت أرواحهم فى طرفة عين فخروا على وجوههم صرعى قال الله تعالى وأنه أهلك عادا الاولى وذلك قبل هلاك عاد بالريح العقيم وأخفى الله تعالى تلك المدينة عن أعين الناس فكانوا يرون بالليل فى تلك البرية التى بنيت فيها معادن الذهب والفضة واليواقيت تضىء كالمصابيح فاذا وصلوا اليها لم يجدوا هناك شيأ وقد نقل أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى دخل اليها وذلك أنه ضلت له ابل فخرج فى طلبها فوصل اليها فلما رآها دهش وبهت ورأى ما أذهله وحيره وقال فى نفسه هذه تشبه الجنة التى وعد الله بها عباده المتقين فى الآخرة فقصد بابا من أبوابها فلما وصل اليه أناخ راحلته ودخل المدينة فرأى تلك القصور والانهار والاشجار ولم ير فى المدينة أحدا فقال أرجع الى معاوية وأخبره بهذه المدينة وما فيها ثم حمل معه شيأ من تلك الجواهر واليواقيت فى وعاء وجعله على راحلته وعلم على المدينة علامة وقال قربها من جبل عدن كذا ومن الجهة الفلانية كذا ثم انصرف عنها بعد ما ظفر بابله ثم دخل على معاوية رضى الله تعالى عنه بدمشق وأخبره بجميع ما رآه فقال له معاوية فى اليقظة رأيتها أم فى المنام قال بل فى اليقظة وقد حملت معى من حصبائها وأخرج له شيأ مما حمله من الجواهر واليواقيت فتعجب معاوية من ذلك ثم أرسل الى كعب الاحبار رضى الله عنه فلما دخل عليه قال له معاوية يا أبا اسحق هل بلغك ان فى الدنيا مدينة من ذهب قال نعم يا أمير المؤمنين وقد ذكرها الله عز وجل فى القرآن لنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله عز من قائل ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس وسيدخلها رجل من هذه الامة يقال له عبد الله بن قلابة الانصارى ثم التفت فرأى عبد الله بن قلابة فقال ها هو يا أمير المؤمنين وصفته واسمه فى التوراة ولا يدخلها أحد بعده الى يوم

القيامة وقيل ان ذلك كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وان الرجل الذى دخلها حكى ذلك لعمر بن الخطاب فلم ينكره ولا من كان حاضرا بل قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخلها بعض أمتى والله تعالى أعلم (ومن المبانى العجيبة الخورنق) الذى بناه النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الاكبر بناه فى عشرين سنة فلما انتهى أعجبه فخشى أن يبنى لغيره مثله فأمر أن يلقى بانيه من اعلاه فألقوه فتقطع واسم بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل يقولون جزاه جزاء سنمار قال الشاعر

جازى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمار

ومن المبانى العجيبة (حائط المجوز) واسمها دلوكة القبطية وسبب بنائها لذلك أنها ولدت ولدا فأخذت له الرصد فقيل لها يخشى عليه من التمساح فلما شب الغلام خافت عليه فبنت الحائط وجعلته من العريش الى أسوان شاملا لكورة مصر من الجانب الشرقى وقيل بنته خوفا على مصر وأهلها بعد غرق فرعون أن يطمع الملوك فيها وقد قيل انها أرادت أن تخوف ولدها من التمساح حتى لا ينزل البحر فصورت له صورة التمساح فرآه شكلا مهولا فأذهله وأخذه الفزع والهم فضعف وانسل الى أن مات لا مفر من قضاء الله تعالى ومن المبانى العجيبة (الاهرام) وهى بالجانب الغربى من مصر مشاهدة فى زماننا هذا قيل ان دور الهرم الاكبر من الثلاثة ألف ذراع من كل جهة خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وقد ذهب المأمون الى مصر حتى شاهدها على ما ذكر وفتح منها هرما وتعجب من بنيانها وصفتها قيل ان كل حجر من حجارتها ثلاثون ذراعا فى عرض عشرة أذرع وقد أحكم الصاقه ونحته وتسويته ولا يقدر النجار الصانع أن يتخذ من خشب صندوقا صغيرا على احكامه وهى من عجائب الدنيا قال بعضهم

أين الذى الهرمان من بنيانه * ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن سكانها * حينا ويدركها الفناء فتصرع

وزعم قوم أن الاهرام الموجودة بمصر قبور لملوك عظام أرادوا أن يتميزوا بها عن الناس بعد مماتهم كما تميزوا عنهم فى حياتهم ورجوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخى العصور ولما وصل المأمون الى مصر أمر بنقبها فنقب أحدها بعد جهد شديد وعناء طويل فوجد داخله مزالق ومهاوى يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ووجد فى أعلاه بيت وفى وسطه حوض من رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يوجد فيه الا رمة بالية فعند ذلك أمر المأمون بالكف عما سواه ويقال ان الذى بناها اسمه سوريد بن سهراق بن سريا قال رؤيا رآها وهى آفة تنزل من السماء وهى الطوفان فقالوا انه بناها فى ستة أشهر وقال قل لمن يأتى بعدنا يهدمها فى سبعمائة سنة والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصرا والحصر أهون من الديباج والامر فيها عجيب جدا والله تعالى أعلم ومن المبانى العجيبة (منارة الاسكندرية) التى بناها ذو القرنين قيل انها كانت مبنية بحجارة مهندمة مغموسة فى الرصاص فيها نحو من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها الى كل بيت وللبيوت طاقات تطل على البحر ويقال ان طولها كان ألف ذراع وفى أعلاها

تماثيل من نحاس منها تمثال رجل قد أشار بيده الى البحر فاذا صار العدو على نحو ليلة منه صوت له تصويت يعلم به أهل المدينة بمجيء العدو فيستعدون له ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوت صوتا مطربا ويقال انه كان بأعلاها مرآة من الحديد الصيني عرضها سبعة أذرع كانوا يرون فيها المراكب بجزيرة قبرس وقيل كانوا يرون فيها من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم فان كانوا أعداء تركوهم حتى يقربوا من المدينة فاذا مالت الشمس للغروب أداروا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا بها السفن فيقع شعاعها بضوء الشمس على السفن فتحرق في البحر ويهلك كل من فيها وكانت الروم تؤدي الخراج ليأمنوا بذلك من احراق السفن ولم تزل كذلك الى زمن الوليد بن عبد الملك قال المسعودي قيل ان ملكا من الروم تحيل على الوليد وأظهر أنه يريد الاسلام وأرسل اليه تحفا وهدايا وأظهر له بواسطة حكماء كانوا عنده أن ببلاده دفائن وأرسل له بذلك قسيسين من خواصه وأرسل معهم اموالا قيل انهم حفروا بقرب المنارة ودفنوا تلك الاموال وقالوا للوليد ان تحت المنارة كنوزا لا تنفد وبازائها خبيئة بها كذا كذا ألف دينار فأمرهم باستخراج ما بالقرب من المنارة فان كان ذلك حقا استخرجوا ما تحت المنارة بعد هدمها فحفروا واستخرجوا ما دفنوه بأيديهم فعند ذلك أمر الوليد بهدم المنارة واستخراج ما تحتها فهدموها فلم يجدوا تحتها شيأ وهرب أولئك القسيسون فعلم الوليد أنها مكيدة عليه فندم على ذلك غاية الندم ثم أمر ببنائها بالآجر ولم يقدروا أن يرفعوا اليها تلك الحجارة فلما أتموها نصبوا عليها المرآة كما كانت فصدئت ولم يروا فيها شيأ مثل ما كانوا يرون أولا وبطل احراقها فندموا على ما فعلوا وفاتهم من جهلهم وطمعهم نفع عظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد عملت الجن لسليمان بن داود عليهما السلام في الاسكندرية مجلسا على أعمدة من الجزع اليماني المصقول كالمرآة اذا نظر الانسان اليها يرى من يمشي خلفه أصفائها وفي وسط ذلك المجلس عمود من الرخام طوله مائة واحدى عشرة ذراعا وفي تلك الاعمدة عمود واحد يتحرك شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها يشاهد الناس ذلك ولا يعلمون ما سببه وفي مدينة حمص مدينة اخرى تحت المدينة المسكونة العليا فيها من عجائب البنيان والبيوت والغرف والماء الجاري في كل طريق من طرقها ما لا يعلمه الا الله تعالى وعند حوران مدينة عظيمة يقال لها اللجاة فيها من البنيان ما يعجز عن وصفه ألسنة العقلاء كل دار منها مبنية من الصخر المنحوت ليس في الدار خشبة واحدة بل أبوابها وغرفها وسقوفها وبيوتها من الصخر المنحوت الذي لا يستطيع أحد أن يعمله من الخشب وفي كل دار بئر وطاحون وكل دار مفردة لا يلاصقها دار أخرى وكل دار كالقلعة الحصينة اذا خاف أهل تلك النواحي من العدو دخلوا الى تلك المدينة فينزل كل انسان في دار بجميع عياله وخيله وغنمه وبقره ويغلق بابه ويجعل خلف الباب حصاة فلا يقدر أحد على فتح ذلك الباب لاحكامه وفي هذه المدينة أكثر من مائتي ألف دار فيما يقال ولا يعلم أحد من بناها وسمتها العرب اللجاة لانهم يلجؤن اليها عند الخوف (ومن المباني العجيبة ايوان كسرى أنوشروان) بناه سابور ذو الاكتاف في نيف وعشرين سنة وطوله مائة ذراع في عرض خمسين بناه بالآجر والجص وجعل طول

كل شرافة من شراريفه خمس عشرة ذراعا ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الايوان فأخرجوا منه ألف ألف دينار ذهبا (وحكى) أن المنصور لما أراد بناء بغداد عزم على هدمه وأن يجعل آلته فى بنائه فقيل له ان نقضه يتكلف بقدر العمارة فلم يسمح وهدم شرافة وحسب ما أنفق عليها فوجد الامر كذلك وقيل ان بعض رؤساء مملكته قال له لما أراد هدمه هو آية الاسلام فلا تهدمه (وحكى) انه كان بمدينة قيسارية كنيسة بها مرآة اذا اتهم الرجل امرأته بزنا نظر فى تلك المرآة فيرى صورة الزانى فاتفق أن بعض الناس قتل غريمه فعمد أهله اليها فكسروها والله أعلم وقد اقتصرت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والستون فى ذكر المعادن والاحجار وخواصها)

المعادن لا تكاد تحصى لكن منها ما يعرفه الناس ومنها ما لا يعرفونه وهى مقسومة الى ما يذوب والى ما لا يذوب والذى اشتهر بين الناس من المعادن سبعة وهى الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والاسرب والخارصينى ولنبدأ أولا بذكر الذهب فقيل طبعه حار لطيف واشدة اختلاط أجزائه المائية بالترابية قبل ان النار لا تقدر على تفريق أجزائه فلا يحترق ولا يبلى ولا يصدأ وهو لين براق حلو الطعم أصفر اللون فالصفرة من ناريته واللونة من دهنيته والبراقة من صفاء مائه خواصه يقوى القلب ويدفع الصرع تعليقا ويمنع الفزع والخفقان ويقوى العين كحلا ويجلوها اذا كان ميلا ويحسن نظرها واذا ثقب به الاذن لم تلتحم واذا كوى به لم يقفط ويبرأ سريعا وامساكه فى الفم يزيل البخر (الفضة) قريبة منه وتصدأ وتحترق وتبلى بالتراب واذا أصابتها رائحة الرصاص والزئبق تكسرت أو رائحة الكبريت اسودت ومن خواصها أنها تزيل البخر من الفم اذا وضعت فيه واذا أذيبت مع الزئبق وطلى بها البدن نفع ذلك من الحكة والجرب وعسر البول (النحاس) قريب منها لكنه أيبس وأغلظ فى الطبع ومن خواصه اذا صدئ وطلى بالحامض زال صدؤه والاكل فى آنيته يولد أمراضا لا دواء لها (الحديد) كثير الفائدة اذ ما من صنعة الا وله فيها مدخل ومن خواصه أنه يمنع غطيط النائم اذا علق عليه وجعل يقوى القلب ويزيل الخوف والافكار والاحلام الرديئة ويسر النفس وصدؤه ينفع أمراض العين كحلا والبواسير تحملا (القصدير) صنف من الفضة دخل عليه آفات من الارض ومن خواصه انه اذا ألقى فى قدر لم ينضج ما فيها (الاسرب) هو الرصاص ومن خواصه أنه يكسر الماس ومن خواص الماس الدخول فى كل شئ واذا اشتد من الرصاص قطعة على الخنازير والغدد أبرأتها (الخارصينى) حجر لونه أسود يعطى حمرة ومن خواصه اذا عمل منه مرآة ونظر فيها فى الظلمة نفعت لتقوية واذا نتف الشعر بملقاط منه لم ينبت

(الاحجار الجوهرية) أصل الجوهر وهو الدر على ما قيل ان حيوانا يصعد من البحر على ساحله وقت المطر ويفتح أذنه يلتقط بها المطر ويضمها ويرجع الى البحر فينزل الى قراره ولا يزال طابقا أذنه على ما فيها خوفا أن يختلط بأجزاء البحر حتى ينضج ما فيه ويصير درا فان كانت القطرة صغيرة كانت الدرة صغيرة وان كانت كبيرة فكبيرة

فان كان فى بطن هذا الحيوان شئ من الماء المر كانت الدرة كدرة وان لم يكن كانت صافية وقيل غير ذلك والدر نوعان كبير وصغير قيل انه تصل الواحدة الى مثقال خواصه أنه يفرح القلب ويبسط النفس ويحسن الوجه ويصفى دم القلب واذا خلط مع الكحل شد عصب العين (الياقوت) سيد الاحجار وأصول ألوانه أربعة الاحمر والاصفر والازرق والاسمانجونى ويتولد منها ألوان كثيرة وأعدلها الاحمر الخالص الرمانى الشبيه بحب الرمان الاحمر ودونه الاحمر المشرب ببياض ثم الوردى ثم الخمرى ثم العصفرى وأردؤه الازرق الذى لونه يشبه زهر السوسن وأقل قيمة الابيض خواصه أنه لايعمل فيه النولا ذو لا يحجر الماس ولا تدنسه النار ويورث لابسه مهابة ووقارا ويسهل قضاء الحوائج ويدر الريق فى الفم ويقطع العطش ويدفع السم ويقوى القلب وجميعه ينفع للمصروع تعليقا والابيض منه يبسط النفس ويوجد من الاصفر ما وزنه ثلاثون مثقالا على ما قيل (البلخش) هو مقارب للياقوت فى القيمة ودونه فى الشرف ومن خواصه أنه يورث قبض النفس وسوء الخلق والحزن وهو ألوان أحمر وأخضر وأصفر (البنفش) أصناف أحمر مفتوح اللون صاف وأحمر قوى الحمرة وأسود يعلوه حمرة مطوسة بزرقة خفيفة ثم أصفر مفتوح اللون (عين الهر) حجر يتكون من معدن الياقوت والغالب عليه البياض الناصع باشراق منزط وما ئيته رقيقة شفافة وفى ما ئيته سراذا حرك يمينا تحرك يسارا وبالعكس ومن خواصه اذا علق على العين أمن عليها من الجدرى على ما قيل (الماس) يوجد بوادبا لهند يقال انه مشحون بالحيات فيأتى من يريد استخراجه من ذلك الوادى فيضع فى الوادى مرآة كبيرة فتأتى الحيات فتنظر الى خيالها فى المرآة فتفترس من ذلك الجانب فينزل فيأخذ ماله فيه رزق وقيل انهم يضربون الجزر ويلقون لحمها فى ذلك الوادى فيلتصق الماس وغيره باللحم فتأتى الطير فتختطف اللحم وتصعد به الى الجبال فتأكل اللحم وتترك الحجر فيأخذه صاحب اللحم وقيل ان الحيات لها مشتى ستة أشهر فى مكان ومصيف ستة أشهر فى مكان آخر فاذا ذهبت الى مشتاها ومصيفها أخذ الحجر فى غيبتها والله أعلم بصحة ذلك ومن عجيب أمره انه اذا أريد كسره جعل فى انبوبة قصب وضرب فانه يتفتت وكذا اذا جعل فى شمع أو قار واذا جعل عليه دم تيس وتراب من النارذاب ومن خواصه أن الملوك يتخذونه عندهم لشرفه وهو من السموم القاتلة القطعة الصغيرة منه اذا حصلت فى الجوف ولو بقدر السمسمة خرقت الامعاء ومن خواصه الجليلة أنه يعرق عند وجود السم أو الطعام المسموم (الزمرد) ويسمى الزبرجد وهو ألوان أخضر وزنجارى وصابونى ويكون الحجر منه خمسة مثاقيل واقل ومن خواصه أنه يدفع العين ويفرح القلب ويقوى البصر ويصفى الذهن وينشط النفس (الفيروزج) نوعان اسحاقى وخلنجى وأجوده الاسحاقى الازرق الصافى خواصه النظر فيه يجلو البصر ويقويه وينشط النفس ولا يصيب المتختم به آفة من قتل أو غرق وقال جعفر الصادق رضى الله عنه ما افتقرت يد تختمت بفيروزج واذا مضى له بعد خروجه من معدنه عشرون سنة نقص لونه ولا يزال كذلك حتى ينطفئ (العقيق) معدن بأرض صنعاء باليمن وهو ألوان ويوجد عليه غشاوة ويحمى عليه بعر الابل ثم يبرد ويكسر وقيل يوجد

بالهند ولكن اليمنى أجود خواصه التختم به وحمله يورث الحلم والاناة وتصويب الرأى ويسر النفس ويكسب حامله وقارا وحسن خلق ويسكن الحدة عند الخصومة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تختم بالعقيق لم يزل فى بركة (الجزع) هو حجر أيضا يؤتى به من اليمن والصين والوانه كثيرة والناس يكرهونه لانه يورث الهم والاحلام الرديئة وسوء الخلق وتعسر قضاء الحوائج ويكثر بكاء الصبى وسيلان لعابه ويثقل اللسان اذا سحق وشرب ماؤه واذا وضع بين قوم لا علم لهم به حصلت بينهم العداوة لكنه يسهل الولادة تعليقا (البلور) هو صنف من الزجاج يحكى أن ببلاد كيسان جبلين أحدهما بلور واذا أريد قطع البلور فى ذلك الموضع قطع فى الليل لانه فى النهار يكون له شعاع عظيم خواصه النظر فيه يشرح القلب ويبسط النفس ويسكن وجع الضرس (المرجان) هو واسطة بين النبات والمعدن لانه بتشجره يشبه النبات وبتحجره يشبه المعدن ولا يزال لينا فى معدنه فاذا فارقه تحجر وبيس خواصه النظر فيه يشرح الصدر ويبسط النفس ويفرح القلب ويذهب بالداء المحتبس فى العين ويسكن الرمد وسحاقته المخلوطة بالخل تجلو قلح الاسنان واذا وضع على الجرح منعه من الانتفاخ وانواعه كثيرة أحمر وأزرق وأبيض وأصله من البحر قيل انه شجر ينبت وقيل انه من حيوانه (حجر الماطيس) هو حجر هندى لا يعمل فيه الحديد والبيت الذى يكون فيه لا يدخله السحر ولا الجن ولاجل ذلك كان الاسكندر يجعله فى عسكره (الحجر الماهانى) من تختم به أمن من الروع والهم والحزن والغم ولونه أبيض وأصفر ويوجد بأرض خراسان (حجر مراد) يوجد بناحية الجنوب وخاصيته أن الجن تتبع حامله وتعمل له ما أراد (الدهنج) خاصيته انه اذا سقى انسان من حكه يفعل فعل السم واذا سقى شارب السم منه نفعه واذا مسح به موضع اللدغ سكن وينفع من خفقان القلب واذا طلى بحكاكته بياض البرص أزاله وان علق على انسان غلب عليه الماء (السيج) خواصه انه يقوى النظر الضعيف من الكبر أو نزول الماء وبسببه ينفع عسر البول وادمان النظر فيه يحد البصر وسحاقته تجلو البصر واذا علق على من به صداع زال عنه (المغناطيس) يوجد فى بحر الهند وهناك لا يتخذ فى السفن حديد ويوجد ببلاد الاندلس أيضا وأجود أنواعه ما كان أسود يضرب الى حمرة خواصه الاكتحال بسحاقته يورث ألفة بين المكتحل وبين من يحبه ويسهل الولادة تعليقا ومن تختم به كانت حاجته مقضية وتعليقه فى العنق يزيد فى الذهن واذا سحق وشرب من سحاقته من به سم بطل سمه واذا أصابته رائحة الثوم بطلت خاصيته واذا غسل بالخل عاد الى حالته وأجوده ما جذب نصف مثقال من الحديد (حجر الخطاف) الخطاف يوجد فى عشه حجران أحدهما أحمر والآخر أبيض فالاحمر اذا علق على من يفزع فى نومه زال فزعه والابيض اذا علق على من به صرع زال عنه (حجر الزاج) اذا دخن البيت بسحاقته هرب منه الفأر والذباب (حجر الزنجفر) أصله من الزئبق واستعماله وخاصيته انه يدمل الجراحات وينبت اللحم (حجر الملح) هو أنواع وأجوده ما يوجد بأرض سدوم بالقرب من بحر لوط وقد جعله الله قواما للدنيا ومن خاصيته انه يحسن الذهب ويزيد فى صفرته وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ياعلى ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء من سبعين داء (حجر القطرون) قال ارسطو ينفع الارحام التى غلبت عليها الرطوبة ينشفها ويقويها واذا ألقى

فى الجبين طيبه وبينه وشفه وهو نوعان أبيض وأحمر (حجر اللازورد) مشهور قال ارسطو من تختم به عظم فى أعين الناس وينفع من السهر والله أعلم ومن أراد التعمق فى ذلك فعليه بالكتب الموضوعة له ولكن قد ذكرنا ما هو معروف والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثامن والستون فى الاصوات والالحان وذكر الغناء واختلاف الناس فيه ومن كرهه ومن استحسنه

وما ذكرت ذلك الا لانى كرهت أن يكون كتابى هذا بعد اشتماله على فنون الادب والتحف والنوادر والامثال عاطلا من هذه الصناعة التى هى مراد السمع ومرتع النفس وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وأنس الوحيد وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس

(فصل فى الصوت الحسن) قال بعض أهل التفسير فى قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء هو الصوت الحسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أتدرون متى كان الحداء قالوا لا أبا بينا أنت وأمنا يا رسول الله قال ان أباكم مضر خرج فى طلب مال له فوجد غلاما له قد تفرقت ابله فضربه على يده بالعصا فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح وايداه فسمعت الابل صوته فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق من الكلام مثل هذا الكان كلاما تجتمع عليه الابل فاشتق الحداء وقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى موسى الاشعرى رضى الله عنه لما أعجبه حسن صوته لقد أوتيت مزمارا من مزامير ال داود وقيل ان داود عليه السلام كان يخرج الى صحراء بيت المقدس يوما فى الاسبوع وتجتمع عليه الخلق فيقرأ الزبور بتلك القراءة الرخيمة وكان له جاريتان موصوفتان بالقوة والشدة فكانتا يضبطان جسده ضبطا شديدا خيفة أن تنخلع أوصاله مما كان يتحب وكانت الوحوش والطير تجتمع لاستماع قراءته قال مالك بن دينار رؤى ربه تعالى بلغنا أن الله تعالى يقيم داود عليه السلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول يا داود مجدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم وقال سلام الحادى للمنصور وكان يضرب المثل بحدائه مر يا أمير المؤمنين بان يظمئوا ابلا ثم يوردوها الماء فانى آخذ فى الحداء فترفع رؤسها وتترك الشرب وزعم أهل الطب أن الصوت الحسن يجرى فى الجسم مجرى الدم فى العروق فتصفو له الدم وتنمو له النفس ويرتاح له القلب وتهتز له الجوارح وتخف له الحركات ولهذا ذكروا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب وزعمت الفلاسفة أن النغم فضل بقى من النطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحنت اليه الروح ألا ترى الى أهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالالحان واستراحت اليها أنفسهم وليس من أحد كائنا من كان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن الا أنه ليس فى الارض لذة تكتسب من مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا نكاح ولا صيد الا وفيها معاياة على البدن وتعب على الجوارح ما خلا السماع فانه لا معاياة فيه على البدن ولا تعب على الجوارح

وقد

وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خيري الدنيا والآخرة فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الارحام والذب عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكي الرجل بها على خطيئته ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله في ضميره ولاهل الرهبانية نغمات وألحان شجية يمجدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكرون نعيم الآخرة وكان أبو يوسف القاضي يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كأنه يتذكر نعيم الآخرة وقد تحن القلوب الى حسن الصوت حتى الطير والبهائم وكان صاحب الفلاحات يقول ان النحل أطرب الحيوان كله على الغناء قال الشاعر

والطير قد يسوقه للموت * اصغاؤه الى حنين الصوت

وزعموا أن في البحر دواب ربما سمعت أصواتا مطربة وألحانا مستلذة يأخذ السامعين الغشي من حلاوتها فاعتنى بها واضعة الالحان بأن شبهوا بها أغانيهم فلم يبلغوا وربما يغشى على سامع الصوت الحسن للطافة وصوله الى الدماغ وممازجته للقلب ألا ترى الى الام كيف تناغي ولدها فيقبل بسمعه على مناغاتها ويتلهى عن البكاء والابل تزداد في نشاطها وقوتها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمنة ويسرة وتتبختر في مشيتها وزعموا أن السماكين بنواحي العراق يبنون في جوف الماء حفائر ثم يضربون عندها بأصوات شجية فيجتمع السمك في الحفائر فيصيدونه وقد نبهت على ذلك في باب ذكر البحار وما فيها من العجائب والراعي اذا رفع صوته ونفخ في يراعته تلقفته الغنم بآذانها وجدت في رعيها والدابة تعاف الماء فاذا سمعت الصفير بالغت في الشرب وليس شيء مما يستلذه أخف مؤنة من السماع قال افلاطون من حزن فليسمع الاصوات الحسنة فان النفس اذا حزنت خمدت نارها فاذا سمعت ما يطربها ويسرها اشتعل منها ما خمد وما زالت ملوك فارس تلهى المحزون بالسماع وتعلل به المريض وتشغله عن التفكر ومنهم أخذت العرب حتى قال ابن غيلة الشيباني

وسماع مسمعة يعللنا * حتى تنام تناوم النجم

(وحكى) أن البعلبكي مؤذن المنصور رجع في اذانه ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الابريق من يدها فقال له المنصور خذ هذه الجارية فهي لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمارة في قينة

ألم ترها لا أبعد الله دارها * اذا رجعت في صوتها كيف تسنع

تدير نظام القول ثم ترده * الى صلصل من صوتها يترجع

وبعد فهل خلق الله شيأ أوقع بالقلوب وأشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لاسيما اذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر

رب سماع حسن * سمعته من حسن

مقرب من فرح * مبعد من حزن

لا فارقاني أبدا * في صحة من بدن

وهل على الارض من جبان مستطار الفؤاد يغنى بقول جرير

قل للجبان اذا اتاخر سربه * هل أنت من شرك المنية ناجى

الاشاش وشجعت نفسه وقوى قلبه أم هل على الارض من بخيل قد انقبضت أطرافه يوما يغنى بقول حاتم الطائى

يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى فى ماله سبلا

الا انبسطت أنامله وربحت أطرافه واختلف الناس فى الغناء فأجازه عامة أهل الحجاز وكرهه عامة أهل العراق فمن حجة من أجازه ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لحسان شن الغطاريف على بنى عبد مناف فوالله لشعرك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام واحتجوا فى اباحة الغناء واستحسانه بقول النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها أهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغنى قالت لم نفعل قال أوما علمت أن الانصار قوم يعجبهم القول ألا بعثتم معها من يقول

أتيناكم اتيناكم * فحيونا نحييكم * ولولا الحبة السمرا * لما حللنا بواديكم

ولا بأس بالغناء اذا لم يكن فيه أمر محرم ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها فان فيه تحريكا لزيادة سرور مباح أو مندوب ويدل عليه ماروى من انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم حيث قلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

ويدل عليه ماروى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسترنى بردائه وأنا أنظر الى الحبشة يلعبون فى المسجد الحرام حتى أكون أنا التى أسأمه ويدل عليه أيضا ماروى فى الصحيحين من حديث عقيل عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ان أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى يدففان ويضربان والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد وعن قرة بن خالد بن عبد الله بن يحيى قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للنابغة الجعدى أسمعنى بعض ما غناك الله عنه من هناتك فأسمعه كلمة فقال له وانك لقائلها قال نعم قال طالما غنيت بها خلف جمال الخطاب وعن عبد الله بن عوف قال أتيت باب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسمعته يغنى بالركابية يقول

فكيف ثوائى بالمدينة بعدما * قضى وطرا منها جميل بن معمر

وكان جميل بن معمر من أخصاء عمر قال فلما استأذنت عليه قال لى اسمعت ما قلت قلت نعم قال انا اذا خلونا قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم وقد أجازوا تحسين الصوت فى القراءة والاذان فان كانت الالحان مكروهة فالقراءة والاذان أحق بالتنزيه عنها وان كانت غير مكروهة فالشعر أحوج اليها لاقامة الوزن وما جعلت العرب الشعر موزونا الا لمد

الصوت

الصوت والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور ومن حجة من كره الغناء أنه قال انه ينفر القلوب ويستفز العقول ويبعث على اللهو ويحض على الطرب وهذا باطل فى أصله وتأولوا فى ذلك قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزؤا وأخطأ من أول هذا التاويل انما نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السير والاحاديث القديمة ويضاهون بها القرآن ويقولون انها أفضل منه وليس من سمع الغناء يتخذ آيات الله هزؤا وقال رجل للحسن البصرى ما تقول فى الغناء يا أبا سعيد فقال نعم العون على طاعة الله تعالى يصل الرجل به رحمه ويواسى به صديقه قال ليس عن هذا أسألك قال وعم سألتنى قال أن يغنى الرجل قال وكيف يغنى فجعل الرجل يلوى شدقيه ويفتح منخريه فقال الحسن والله يا ابن أخى ما ظننت أن عاقلا يفعل بنفسه هذا أبدا فلم ينكر الحسن عليه الاتشويه وجهه وتقويحه وسمع ابن المبارك سكران يغنى هذا البيت

أدلى الهوى فأنا الذليل * وليس الى الذى أهوى سبيل

قال فأخرج دواة وقرطاسا وكتب البيت فقيل له أتكتب بيت شعر سمعته من رجل سكران فقال أما سمعتم المثل رب جوهرة فى منزلة وكان لابى حنيفة جار من الكيالين مغرم بالشراب وكان يغنى على شرابه بقول العربى

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

قال فاخذه العسس ليلة وحبسه فافتقد أبو حنيفة صوته واستوحش له فقال لاهله ما فعل جارنا الكيال قالوا أخذه العسس وهو فى الحبس فلما أصبح أبو حنيفة توجه الى عيسى بن موسى فاستأذن عليه فأسرع اذنه وكان أبو حنيفة قليلا ما يأتى أبواب الملوك فأقبل عليه عيسى ابن موسى وسأله عما جاء بسببه فقال أصلح الله الامير ان لى جارا من الكيالين أخذه عسس الامير ليلة كذا فوقع فى حبسه فامر عيسى بن موسى باطلاق كل من فى الحبس اكراما لابى حنيفة فاقبل الكيال على أبى حنيفة يشكره فلما رآه أبو حنيفة قال له هل أضعناك يا فتى يعرض له بشعره الذى ينشده قال لا والله ولكنك بررت وحفظت وكان عروة بن أذينة ثقة فى الحديث روى عنه مالك بن أنس وكان شاعرا مجيدا البقاء غزلا وكان يصوغ ألحان الغناء على شعره وينحلها للمغنين قيل انه وقفت عليه امرأة يوما وحوله التلامذة فقالت له أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح وأنت تقول

اذا وجدت أوار الحب فى كبدى * عمدت نحو سقاء القوم أبترد

هبنى بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تتقد

وكان عبد الملك الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبى رباح فى العبادة قيل انه مر يوما بسلامة وهى تغنى فأقام يسمع غناءها فرآه مولاها فقال له هل لك أن تدخل وتسمع فأبى فلم يزل به حتى دخل فغنته فأعجبته ولم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها فلما شعرت بلحظه اياها غنته

رب رسولين لنا بلغا * رسالة من قبل أن نبرحا

الطرف للطرف بمعناهما * فقضيا حاجا وما صرحا

قال فأغمى عليه وكاد يهلك فقالت له انى والله أحبك قال وأنا والله أحبك قالت وأحب أن أضع فمى على فمك قال وأنا والله كذلك قالت فما يمنعك من ذلك قال أخشى أن تكون صداقة ما بينى وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ثم نهض وعاد الى طريقته التى كان عليها وأنشأ يقول

قد كنت أعذل فى السفاهة أهلها * فاعجب لما تأتى به الايام

فاليوم أعذرهم وأعلم انما * سبل الضلالة والهدى أقسام

وقدم عبد الله بن جعفر على معاوية بالشأم فأنزله فى دار عماله وأظهر من اكرامه ما يستحقه فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة زوج معاوية فسمعت ذات ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر فجاءت الى معاوية فقالت هل سمع ما فى منزل الذى جعلته من حلك ودمك وأنزلته بين حرمك فجاء معاوية فسمع شيأ حركه وأطربه فقال والله انى لاسمع شيأ تكاد الجبال أن تحركه ثم انصرف فلما كان فى آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر وهو قائم يصلى فنبه فاختة وقال لها اسمعى مكان ما أسمعتنى هؤلاء قومى ملوك بالنهار ورهبان بالليل ثم ان معاوية أرق ذات ليلة فقال لخادمه اذهب فانظر من عند عبد الله بن جعفر وأخبره انى قادم عليه فذهب وأخبره فأقام عبد الله كل من كان عنده فلما جاء معاوية لم ير فى المجلس غير عبد الله فقال مجلس من هذا قال عبد الله هذا مجلس فلان يا أمير المؤمنين فقال معاوية هره فلير جع الى مجلسه حتى لم يبق الا مجلس رجل واحد قال مجلس من هذا قال مجلس رجل يداوى الآذان يا أمير المؤمنين قال ان أذنى عليلة فره ان يرجع الى مجلسه وكان مجلس بديع المغنى فأمره عبد الله بن جعفر فرجع الى موضعه فقال له معاوية داو أذنى من علتها فتناول العود وغنى وقال

ودع سعادا فان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

قال فخر لعبد الله بن جعفر رأسه فقال له معاوية لم حركت رأسك يا ابن جعفر قال أريحية أجدها يا أمير المؤمنين لو لقيت لا بليت ولو سئلت لاعطيت وكان معاوية قد خضب قال فقال ابن جعفر لبديع هات غير هذا وكان عند معاوية جارية أعز جواريه عليه وكانت تتولى خضابه ففنى بديع وقال

أليس عندك شكر للتى جعلت * مابيض من قادمات الرأس كالهم

وجددت منك ما قد كان أخلقه * صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال له ابن جعفر يا أمير المؤمنين انك سألتنى عن تحريك رأسى فأجبتك واخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك فقال كل كريم طروب ثم قام وقال لا يبرح احد منكم حتى يأتى له اذنى ثم ذهب فبعث الى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته والى كل رجل منهم بالف دينار وعشرة أثواب وحدث ابن الكلبى والهيثم بن عدى قالا بينما عبد الله بن جعفر فى بعض أزقة المدينة اذ سمع غناء فأصغى اليه فاذا بصوت رقيق لقينة تغنى وتقول

قل للكرام بيابنا يلجوا * ما فى التصابى على الفتى حرج

فنزل عبد الله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن فلما رأوه قاموا اجلالا له ورفعوا مجلسه فاقبل عليه صاحب المجلس وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدخل مجلسنا بلا اذن وليس هذا من شأنك فقال عبد الله لم أدخل الا باذن قال ومن أذن لك قال قينتك هذه سمعتها تقول قل للكرام بيابنا يلجوا * فولجنا فان كاكراما فقد أذن لنا وان كاكاما فخرجنا منهم فقابل صاحب المنزل يده وقال جعلت فداك والله ما أنت الا من أكرم الناس فبعث عبد الله الى جارية من جواريه فحضرت ودعا بثياب وطيب فكسا القوم وطيبهم ووهب الجارية لصاحب المنزل وقال هذه أحذق بالغناء من جاريتك وسمع سليمان بن عبد الملك مغنيا في عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أعد علي ما غنيت به فغنى واحتفل وكان سليمان أغير الناس فقال لاصحابه كأنها والله جرة الفحل في الشول وما أظن أنثى تسمع هذا الا صبت اليه ثم أمر به فنحي

(أصل الغناء ومعدنه) قال أبو المنذر هشام الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج فأما النصب فغناء الفتيان والركبان وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذي يستفز القلوب ويهيج الحليم وقيل كان أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى فاشياظاهرا وهي المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع أسواق العرب ويقال ان أول من صنع العود لامك بن قاين ابن آدم وبكى به على ولده ويقال ان صانعه بطليموس صاحب الموسيقى وهو كتاب اللحون الثمانية والله أعلم بحقيقة ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب التاسع والستون في ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادر الجلساء في مجالس الرؤساء

قيل ان أول من غنى في العرب قينتان للنعمان يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما

ألا ياقين ويحك قمن فهينم * لعل الله يسقينا غماما

وانما غنتا هذا حين حبس الله عنهم المطر وقيل أول من غنى في الاسلام الغناء الرقيق طويس وهو الذي علم ابن سريج والدلال نوبة الضحى وكان يكنى أبا عبد النعيم ومن غنائه وهو أول صوت غنى به في الاسلام هذا البيت

قد برانى الشوق حتى * كدت من وجدى أذوب

ثم نجم بعد طويس ابن طنبور وأصله من اليمن وكان أهزج الناس وأخفهم غناء ومن غنائه

وفتيان على شرب جميعا * دلفت لهم بياطية هدور
فلا تشرب بلا طرب فانى * رأيت الخيل تشرب بالصفير

ومنهم حكم الوادي ومن غنائه

امدح الكاس ومن أعملها * واهج قوما قتلونا بالعطش
انما الراح ربيع باكر * فاذا ما وافت المرء انتعش

وكان لهرون الرشيد جماعة من المغنين منهم ابراهيم الموصلي وابن جامع السهمي

وغيرهما وكان له زامر يقال له برصوما وكان ابراهيم أشدهم تصرفا فى الغناء وابن جامع أحلاهم بغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ما تقول فى ابن جامع قال يا أمير المؤمنين وما أقول فى العسل الذى من حيث ما ذقته فهو طيب قال فلابراهيم الموصلى قال بستان فيه جميع الازهار والرياحين وكان ابن محرز يغنى كل انسان بما يشتهيه كانه خلق من قلب كل انسان وغنى رجل بحضرة الرشيد بهذه الابيات

واذكر أيام الحمى ثم أثنى * على كبدى من خشية أن تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عينى اليسرى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

قال فاستخف الرشيد الطرب فأمر له بمائة ألف درهم وحدث ابن الكلبى عن أبيه قال كان ابن عائشة من أحسن الناس غناء وأنبههم فيه وكان من أضيق الناس خلقا اذا قيل له غن قال لمثلى يقال غن على عتق رقبة ان غنيت يومى هذا فلما كان فى بعض الايام سال وادى العقيق فلم يبق فى المدينة مخبأة ولا مخدرة ولا شاب ولا كهل الا خرج ينظره وكان فيمن خرج ابن عائشة المغنى وهو معتجر بفضل ردائه فنظر اليه الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وكان الحسن فيمن خرج الى العقيق وبين يديه عبدان أسودان كأنهما ساريتان عبشميان أمام دابته فقال لهما أقسم بالله ان لم تفعلا ما آمركما به لأنكلن بكما فقالا يا مولانا قل ما تأمرنا به فلو أمرتنا أن نقتحم النار فعلنا قال اذهبا الى ذلك الرجل المعتجر بفضل ردائه فامسكاه فان لم يفعل ما آمره به والا فاقذفاه فى العقيق قال فمضيا والحسن يقفوهما فلم يشعر ابن عائشة الا وهما اخذان بمنكبيه فقال من هذا فقال له الحسن أنا هذا يا ابن عائشة فقال لبيك وسعديك بأبى أنت وأمى قال اسمع منى ما أقول لك واعلم أنك مأسور فى أيديهما وقد أقسمت ان لم تغن مائة صوت لمطرحانك فى العقيق قال فصاح ابن عائشة واويلاه واعظم مصيبتاه فقال له الحسن دعنا من صياحك وخذ فيما ينفعنا قال اقترح واقم من يحصى ثم أقبل يغنى فترك الناس العقيق وأقبلوا عليه فلما تمت أصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرة ارتجت لها أقطار الارض وقالوا للحسن صلى الله على جدك حيا وميتا فما اجتمع لاحد من أهل المدينة سرور قط الا بكم أهل البيت فقال له الحسن ما فعلت هذا بك يا ابن عائشة الا خلاقك الشريفة فقال ابن عائشة والله ما مرت بى شدة أعظم من هذه لقد بلغت أطراف أصابعى فكان ابن عائشة بعد ذلك اذا قيل له ما أشد يوم مر عليك يقول يوم العقيق وحدث أبو جعفر البغدادى قال حدثنى عبد الله بن محمد كاتب بغداد عن أبى عكرمة قال خرجت يوما الى المسجد الجامع فررت بباب أبى عيسى بن المتوكل فاذا على بابه المشدود وهو أحذق خلق الله تعالى بالغناء فقال أين تريد يا أبا عكرمة قلت المسجد الجامع لعلى أستفيد حكمة أكتبها فقال ادخل بنا الى أبى عيسى قلت أمثل أبى عيسى فى قدره وجلالته يدخل عليه بلا اذن فقال للحاجب أعلم أمير المؤمنين بمكان أبى عكرمة فما لبث الا ساعة حتى خرج الغلمان الىّ فحملونى حملا فدخلت الى دار ما رأيت أحسن منها بناء ولا أطرف منها هيئة فلما نظرت الى أبى عيسى قال لى ما يعيش من يحتشم اجلس

فجلست

فجلست فأتينا بطعام كثير فلما انقضى أتينا بشراب وقامت جارية تسقينا شرابا كالشعاع في زجاجة كأنها كوكب درّي فقلت أصلح الله الامير وأتم عليه نعمه ولا سلبه ما وهبه قال فدعا أبو عيسى بالمغنين وهم المشدود ديس ورقيق ولم يكن في ذلك الزمان أحذق من هؤلاء الثلاثة بالغناء فابتدأ المشدود وغنى يقول

لما استقلّ بأرداف تجاذبه * واخضرّ فوق بياض الدرّ شاربه
وأشرق الورد من نسرين وجنته * واهتزّ أعلاه وارتجت حقائبه
كلمته بجفون غير ناطقة * فكان من ردّه ما قال حاجبه

ثم سكت وغنى ديس

الحبّ حلو أمرّته عواقبه * وصاحب الحب صبّ القلب ذائبه
أستودع الله من بالطرف ودّعني * يوم الفراق ودمع العين ساكبه
ثم انصرفت وداعي الشوق يهتف بي * ارفق بقلبك قد عزّت مطالبه

ثم سكت وغنى رقيق

بدر من الانس حفّته كواكبه * قد لاح عارضه واخضرّ شاربه
ان يوعد الوعد يوما فهو مخلفه * أو ينطق القول يوما فهو كاذبه
عاطيته كدم الاوداج صافية * فقام يشدو وقد مالت جوانبه

ثم سكت وابتدأ المشدود يقول

يا درّ حنة من ذات الاكيراح * من يصح عنك فاني لست بالصاحي

ثم سكت وغنى ديس

دع البساتين من آس وتفاح * واعدل هديت الى شيخ الاكيراح
واعدل الى فتية ذابت حلومهم * من العبادة الانضو أشباح
وخمرة عتقت في دنها حقبا * كأنها دمعة في جفن سياح

ثم سكت وغنى رقيق

لا تحفلنّ بقول اللائم اللاحي * واشرب على الورد من مشمولة الراح
كأسا اذا انحدرت في حلق شاربها * أغناه لألأؤها عن كل مصباح
ما زلت أسقى نديمي ثم ألثمه * والليل ملتحف في ثوب أمساح
فقام يشدو وقد مالت سوالفه * يا درّ حنة من ذات الاكيراح

ثم أقبل أبو عيسى على المشدود وقال له غنّ لي شعري فغناه

يا لجة الدمع هل للغمض مرجوع * أم الكرى من جفون العين ممنوع
ما حيلتي وفؤادي هائم دنف * بعقرب الصدغ من مولاي ملسوع
لا والذي تلفت نفسي بفرقته * فالقلب من فرق الاحزان مصدوع
ما أرّق العين الاحب مبتدع * ثوب الجمال على خدّيه مخلوع

قال أبو عكرمة فوالله لقد حضرت من المجالس ما لا يحصى عدده الا الله تعالى فما حضرت مثل ذلك المجلس ولولا أن أبا عيسى قطعهم ما انقطعوا (وحكى) عن الرشيد انه قال يوما

للفضل بن الربيع من بالباب من الندماء قال جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بني أمية وأمير المؤمنين يشتهي سماعه قال فأذن له وحده فدخل فقال هات يا هاشم ففناه من شعر جميل حيث يقول

اذا ما تراجعنا الذي كان بيننا * جرى الدمع من عيني بثينة بالكحل
فيا ويح نفسي حسب نفسي الذي بها * ويا ويح عقلي ما اصبت به أهلي
خليلي فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

قال فطرب الرشيد طربا شديدا وقال أحسنت لله أبوك ثم قلده عقدا نفيسا فلما رآه هاشم ترقرقت عيناه بالدموع فقال له الرشيد ما يبكيك يا هاشم فقال يا أمير المؤمنين ان لهذا العقد حديثا عجيبا ان أذن لي أمير المؤمنين حدثته به قال قد أذنت لك قال يا أمير المؤمنين قدمت يوما على الوليد وهو على بحيرة طبرية ومعه قينتان لم ير مثلهما جمالا وحسنا فلما وقعت عينه علي قال هذا أعرابي قد ظهر من البوادي ادعوا به لنسخر به فدعاني فصرت اليه ولم يعرفني ففنت احدى الجاريتين بصوت هولي فأخطأته الجارية فقلت لها اخطأت يا جارية فضحكت ثم قالت يا أمير المؤمنين ألم تسمع ما يقول هذا الاعرابي يعيب علينا غناءنا فنظر الي كالمنكر فقلت يا أمير المؤمنين أتأذن لك الخطأ فلتصلح وتركذا ووتركذا ففعلت وغنت شيأ ما سمع منها الا في هذا اليوم فقامت الجارية مكبة علي وقالت أستاذي هاشم ورب الكعبة فقال الوليد أهاشم بن سليمان أنت قلت نعم يا أمير المؤمنين وكشفت عن وجهي وأقمت معه بقية يومنا فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقالت الجارية يا أمير المؤمنين أتأذن لي في بر أستاذي فقال الوليد ذلك اليك فحلت يا أمير المؤمنين هذا العقد من عنقها ووضعته في عنقي وقالت هو لك ثم قربوا اليه السفينة ليرجع الى موضعه فركب في السفينة وطلعت معه احدى الجاريتين واتبعتها صاحبتي فأرادت أن ترفع رجلها وتطلع السفينة فسقطت في الماء فغرقت لوقتها وطلبت فلم يقدر عليها فاشتد جزع الوليد عليها وبكى بكاء شديدا وبكيت أنا عليها أيضا بكاء شديدا فقال لي يا هاشم ما نرجع عليك بما وهبناه لك ولكن نحب أن يكون هذا العقد عندنا لنذكرها به فبعني اياه فعوضني عنه ثلاثين ألف درهم فلما وهبتني العقد يا أمير المؤمنين تذكرت قصتها وهذا سبب بكائي فقال الرشيد لا تجب فان الله كما ورثنا مكانهم ورثنا أموالهم وقال علي بن سليمان النوفلي غنى دحمان الاشقر عند الرشيد يوما فأنشده

اذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا * كفى لمطايانا بروقك هاديا
ذكرتك بالديرين يوما فأشرقت * بنات الهوى حتى بلغن التراقيا
اذا ما طوالي الدهر يا أم مالك * فشأن المنايا القاضيات وشانيا

قال فطرب الرشيد طربا شديدا واستعاده منه مرات ثم قال له تمن علي قال أتمنى الهنيء والمريء وهما ضيعتان غلتهما أربعون ألف دينار في كل سنة فأمر له بهما فقيل له يا أمير المؤمنين ان هاتين الضيعتين من جلالتهما يجب أن لا يسمح بمثلهما فقال الرشيد لا سبيل الى استرداد ما أعطيت ولكن احتالوا في شرائهما منه فساوموه فيهما حتى وقفوا

معه على مائة ألف دينار فرضى بذلك فقال الرشيد ادفعوها له فقالوا يا أمير المؤمنين فى اخراج مائة ألف دينار من بيت المال طعن ولكن نقطعها له فكان يوصل بخمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى استوفاها ومن ذلك ما حكى اسحق الموصلى قال كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء وكان يضع الالحان العجيبة ويغنى بها شعره وشعر غيره فقال له يوما يا أبا محمد لقد فقت أهل العصر فى كل شئ فغنى شعرا أرتاح اليه وأطرب عليه يومى هذا قال اسحق فغنيته هذه الابيات

ما كنت أعلم ما فى البين من حرق * حتى تنادوا بأن قد جئ بالسفن
قامت تودعنى والدمع يغلبها * فهمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت الىّ وضمتنى لترشفنى * كما يميل نسيم الريح بالغصن
وأعرضت ثم قالت وهى باكية * ياليت معرفتى اياك لم تكن

قال فخلع علىّ خلعة كانت عليه وأمر لى بمائة ألف درهم قال وغنيته يوما

قفى ودعينا ياسعاد بنظرة * فقد حان منا ياسعاد رحيل
فياجنة الدنيا وياغاية المنى * وياسول نفسى هل اليك سبيل
وكنت اذا ما جئت جئت لعلة * فأفنيت علاتى فكيف أقول
فما كل يوم لى بأرضك حاجة * ولا كل يوم لى اليك وصول

فقال والله لاسمعت يومى غيره وألقى علىّ خلعة من ثيابه وأمر لى بصلة مثل ما أمر لى قبلها بمثلها

(ومن حكايات الخلفاء ومكارم أخلاقهم) ما حكى عن ابراهيم بن المهدى قال قال جعفر ابن يحيى يوما لبعض ندمائه انى قد استأذنت أمير المؤمنين فى الخلوة غدا فهل من مساعد فقلت جعلت فداءك أنا أسعد بمساعدتك وأسر بمشاهدتك فقال بكر بكورا لغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشموع قد أوقدت بين يديه وهو ينتظرنى فى الميعاد فما زلنا فى أطيب عيش الى وقت الضحى فقدمت الينا سوائد الاطعمة عليها من أنفر الطعام وأطيبه فأكلنا وغسلنا أيدينا ثم خلعت علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وانتقلنا الى مجلس الطرب ومدت الستائر وغنت القينات فظللنا يومنا ثم انه دخله الطرب فدعا بالحاجب وقال له اذا أتى أحد يطلبنا فأذن له ولو كان عبد الملك بن صالح بنفسه فاتفق بالامر المقدر أن عم الرشيد عبد الملك بن صالح قدم علينا فى ذلك الوقت وكان صاحب جلالة وهيبة ورفعة وعنده من الورع والزهد والعبادة ما لا مزيد عليه وكان الرشيد اذا جلس مجلس لهو لا يطلعه على ذلك لشدة ورعه فلما قدم دخل به الحاجب علينا فلما رأيناه رمينا ما فى أيدينا وقمنا اجلالا له نقبل يده وقد ارتعنا ذلك وخجلنا وزادنا الحياء فقال لا بأس عليكم كونوا على ما أنتم عليه ثم صاح بغلام فدفع له ثيابه ثم أقبل علينا وقال اصنعوا بنا ما صنعتم بانفسكم قال فما كان بأسرع من أن طرحت علينا ثياب خز معلم وقدمت اليه موائد الطعام والشراب فطعم وشرب الشراب لساعته ثم قال خفقوا عنى فانه شئ والله ما فعلته قط قال فتهلل وجه جعفر ثم التفت الى عبد الملك فقال له جعلت فداءك قد علوت علينا وتفضلت فهل من حاجة تبلغها مقدرتى وتحيط بها نعمتى فأقضيها لك مكافاة لك

على ما صنعت قال بلى ان فى قلب أمير المؤمنين بعض تغير على فقال له الرضا عنى فقال جعفر قد رضى عنك أمير المؤمنين قال وعلى عشرة آلاف دينار فقال جعفر هى حاضرة لك من مالى ولك من مال أمير المؤمنين مثلها قال وأريد أن أشد ظهر ابنى ابراهيم بمصاهرة من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال وأحب أن تحفق الالوية على رأسه قال وقد ولاه أمير المؤمنين مصر فانصرف عبد الملك بن صالح وبقيت متعجبا من اقدام جعفر على ذلك من غير استئذان وقلت عسى أن يجيبه أمير المؤمنين الى ما سأله من الولاية والمال والرضا عنه الا المصاهرة قال فلما كان من الغد بكرت الى باب الرشيد لانظر ما يكون من أمرهم فدخل جعفر فلم يلبث أن دعى بأبى يوسف القاضى ثم بابراهيم بن عبد الملك بن صالح فخرج ابراهيم وقد عقد نكاحه بالغالية بنت الرشيد وعقد له على مصر والرايات والالوية تخفق على رأسه وخرج كل من فى القصر معه الى بيت عبد الملك بن صالح قال ثم بعد ذلك خرج الينا جعفر وقال أظن أن قلوبكم تعلقت بحديث عبد الملك بن صالح وأحببتم سماع ذلك قلنا هو كما ظننت قال لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه قال كيف كان يومك يا جعفر بالامس فقصصت عليه القصة حتى بلغت الى دخول عبد الملك بن صالح فكان متكئا فاستوى جالسا وقال لله أبوك ما سألك قلت سألنى رضاك عنه يا أمير المؤمنين قال بم أجبته قلت قد رضى عنك أمير المؤمنين قال قد رضيت عنه ثم ماذا قلت وذكر أن عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته قلت قد قضاها عنك أمير المؤمنين قال وقد قضيتها عنه ثم ماذا قلت ورغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده ابراهيم بمصاهرة منه قال فبم أجبته قلت قد زوجه أمير المؤمنين بابنته الغالية قال قد أجبته الى ذلك ثم ماذا قلت قال وأحب أن تحفق الالوية على رأسه قال فبم أجبته قلت قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال قد وليته اياها ثم نجزله جميع ذلك من ساعته قال ابراهيم بن المهدى فوالله ما أدرى أى الثلاثة أكرم وأعجب فعلا ما ابتدأ عبد الملك بن صالح من المنادمة ولم يكن فعل ذلك قط أم اقدام جعفر على الرشيد أم امضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر فهكذا تكون مكارم الاخلاق (وحكى) أبو العباس عن عمر الرازى قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير فى جد من الارض فسمعت غناء لم أسمع مثله فقلت والله لاتوصلن اليه فاذا هو عبد أسود فقلت له أعد على ما سمعت فقال والله لو كان عندى قرى أقريكه لفعلت ولكنى أجعله قراك فانى والله ربما غنيت بهذا الصوت وأنا جائع فأشبع وربما غنيته وأنا كسلان فأنشط أو عطشان فأروى ثم اندفع يغنى ويقول

وكنت اذا ما جئت سعدى أزورها * ارى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

قال عمر فحفظته منه ثم تغنيت به على الحالات التى وصفها فاذا هى كما ذكر والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السبعون فى ذكر القينات والاغانى)

(حكى) على بن الجهم قال لما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين المتوكل أهدى اليه عبد الله

ابن طاهر من خراسان جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف فبرعت فى الجمال والادب وأجادت قول الشعر وحذاقة الغناء فشغف بها أمير المؤمنين المتوكل حتى كانت لا تفارق مجلسه ساعة واحدة ثم انه حصل منه عليها بعد ذلك جفاء فهجرها قال على بن الجهم فبينما أنا نائم عنده ذات ليلة اذ أيقظنى فقال يا على قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال قد رأيت الليلة فى منامى كأنى رضيت على محبوبة وصالحتها فقلت خيرا رأيت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك انما هى جاريتك والرضا والجفاء بيدك فوالله انا لفى حديثها اذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال قم بنا يا على ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فاذا هى تضرب بالعود وتقول

ادور فى القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمنى
كأننى قد أتيت معصية * ليس لها توبة تخلصنى
فهل شفيع لنا الى ملك * قد زارنى فى الكرى وصالحنى
حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره وصار منى

قال فصاح أمير المؤمنين فلما سمعته تلقته وأكبت على رجليه تقبلهما فقال ما هذا قالت يا مولاى رأيت فى منامى هذه الليلة كأنك قد رضيت عنى فانشدت ما سمعت قال وأنا والله رأيت مثل ذلك ثم قال يا على هل رأيت أعجب من هذا الاتفاق ثم أخذ بيدها ومضى الى حجرتها وكان من أمرهما ما كان قيل وكان أمير المؤمنين الواثق اذا شرب رقد فى موضعه الذى شرب فيه ومن كان معه من ندمائه وشرب رقد ولم يخرج فشرب يوما وخرج من كان عنده الا مغنيا واحدا أظهر التراقد فترك وكانت مغنية من حظايا الخليفة نائمة فلما خلا المجلس كتب المغنى رقعة ورمى بها اليها فاذا فيها

انى رأيتك فى المنام ضجيعتى * مسترشفا من ريق فيك البارد
وكأن كفك فى يدى وكأننا * بتناجمعا فى لحاف واحد
ثم انتبهت ومنكبك كلاهما * فى راحتى وتحت خدك ساعدى
فقطعت يومى كله متراقدا * لا أرالك فى نومى ولست براقد

فكتبت اليه على ظهرها تقول

خيرا رأيت وكل ما أمّلته * ستناله منى برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلى ودماجلى * وتحل بين مراشفى ونواهدى
ونكون أنعم عاشقين تعاطيا * ملح الحديث بلا مخافة راصد

فلما مدت يدها الترمى اليه بالرقعة رفع الواثق رأسه فأخذها من يدها وقال ما هذا فحلفا له انهما لم يجر بينهما قبل ذلك كلام ولا كتاب ولا رسول الا الآن العشق قد خامرهما قال فاعتقها من وقتها وزوجها به وقال خذها ولا تقربنا بعد اليوم وكان لاسماء بنت المهدى جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهد ابنت ثلاث عشرة سنة قال فتلاعب عليها أبو نواس فتمنعت فوقع فى قلبه منها ما وقع وأحبته هى ايضا فجعل ابو نواس كلما امسكها تمنعت فظفر بها ليلة من الليالى فى ناحية من القصر فامسكها فبكت وقالت له يا سيدى الموت

دون ذلك فقال أبو نواس هذا جزع الابكار فاتفق انه خرج يوما من القصر وقد ترقرق الدجا فوجدها نائمة فى سدلة وهى سكرى لاتفيق فتقرب منها وحل سراويلها ورقع عليها فاذا هى خالية من البكارة فارتاع وظن أن يكون أتاها دم فلم يجد فقام عنها وندم على ما كان منه وأنشد يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر * هى قرقة الخدين ليلة الشهر
كافت بها دهرا على حسن وجهها * طويلا وماحب الكواعب من أمرى
فمازلت بالاشعار حتى خدعتها * وروضتها والشعر من خدع السحر
أطالبها شيأ فقالت بعبرة * أموت ولاهذا ودمعتها تجرى
فلما تعارضنا توسطت لجة * غرقت بها ياقوم فى لجج البحر
فصحت أغثنى ياغلام فجاءنى * وقد زلقت رجلى وصرت الى الصدر
ولولا صياحى بالغلام وانه * تداركنى بالحبل صرت الى القعر
فأقسمت عمرى لاركبت سفينة * ولا سرت طول الدهر الاعلى ظهر

*ومن ذلك ماحدث الشيبانى قال كان عند رجل بالعراق قينة وكان أبو نواس يختلف اليها وكانت تظهر له أنها لاتحب غيره وكان كلما دخل اليها وجد عندها شابا يجالسها ويحادثها فقال فيها هذه الابيات

ومظهرة لخلق الله ودا * وتلقى بالتحية والسلام
أتيت لبابها أشكو اليها * فلم أخلص اليه من الزحام
فيامن ليس يكفيها خليل * ولا ألفا خليل كل عام
أرالبقية من قوم موسى * فهم لايصبرون على طعام

وقال أبو سويد حدثنى أبو زيد الاسدى قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس فى ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر فى وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الاشجار فتمايلت فقلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا فرفع رأسه وقال أبا زيد فى مثل هذا الحين تصاحبنا فقلت أصلح الله الامير أو قامت القيامة قال نعم على أهل المحبة ثم اطرق مليا ورفع رأسه وقال ابا زيد ما يطيب فى يومنا هذا قلت اصلح الله الامير قهوة حمراء فى زجاجة بيضاء تناولها غادة هيفاء مضمومة لفاء أشر بهامن كفها وأمسح فى بخدها فأطرق سليمان مليا لايرد جوابا تنحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما رأت الوصائف ذلك تنحين عنه ثم رفع رأسه فقال أبا زيد حضرت فى يومى فيه انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لاضربن عنقك أولتخبرنى ما أثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم أصلح الله الامير كنت جالسا عند دار أخيك سعيد بن عبد الملك فاذا أنا بجارية قد خرجت من باب القصر كأنها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندرانى يبين منه بياض بدنها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفى رجليها نعلان صراران قد أشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بذؤابتين

تضربان الى حقويها الهاصدغان كأنهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر عينيها وعينان عملوءتان سحرا وأنف كأنه قصبة بلور وفم كأنه جرح يقطر دما وهي تقول عباد الله من لي بدواء ما لا يشتكى وعلاج ما لا يسمى طال العتاب وأبطأ الجواب والقلب طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة أو الى ترك الغرام سبيل لكان أمرا جميلا ثم اطرقت طويلا ورفعت رأسها فقلت لها أيتها الجارية انسية أنت ام جنية سماوية أنت أم أرضية فقد أعجبني ذكاء عقلك وأذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترني ثم قالت اعذر أيها المتكلم فما أوحش الساعد بلا مساعد والمقام ذا نصب معاند ثم انصرفت فوالله ما أكلت طعاما طيبا الا غصصت به لذكرها ولا رايت حسنا الا سمج في عيني لحسنها فقال سليمان ابا يزيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني لشجو ما سمعت اعلم يا ابا يزيد ان تلك التي رايتها هي الذلفاء التي قيل فيها

انما الذلفاء ياقوتة * اخرجت من كيس دهقان

شراؤها على اخي الف الف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله ان مات ما يموت الا بجبها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت تنهية قم ابا يزيد في دعة الله تعالى ثم قال يا غلام نقله بيدرة فاخذتها وانصرفت قال فلما افضت الخلافة اليه صارت الذلفاء اليه فامر بفسطاط فاخرج على دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة تحتها انواع الزهر ما بين اصفر فاقع وأحمر ساطع وابيض ناصع وكان لسليمان مغنّ يقال له سنان به يأنس واليه يسكن فامره ان يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت الذلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المتنزه فلم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان في اكل سرور واتم حبور الى ان انصرف من الليل الى فسطاطه فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له نريد قرانا اصلحك الله قال وما قراكم قالوا اكل وشرب وسماع قال اما الاكل والشرب فمباحان لكم وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة امير المؤمنين ونهيه عنه الا ما كان في مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك ان لم نسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا اغنيكموه قالوا غنّنا صوت كذا فرفع صوته يغني بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتي فارقها * من آخر الليل لما نبه السحر
في ليلة البدر ما يدري مضاجعها * اوجهها عند ها ابهى ام القمر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق * فدمعها لطروق الصوت مندر
لو مكنت لمشت نحوي على قدم * تكاد من لينها في المشي تنفطر

قال فسمعت الذلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط تسمع فجعلت لا تسمع شيأ من حسن خلق ولطافة قد الا رات ذلك كله في نفسها وهيئتها فخرّ لذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ما هذا يا ذلفاء فقالت

الا رب صوت رائع من مشوه * قبيح المحيا واضع الاب واللد

يروعك منه صوته ولعله * الى امة يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعني من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر ثم قال يا غلام علي بسنان فدعت الداية خادما لها فقالت له ان سبقت رسول امير المؤمنين الى سنان فخذ رقبته فلك عشرة آلاف درهم وانت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول امير المؤمنين سليمان فلما اتى به قال يا سنان الم انهك عن مثل هذا قال يا امير المؤمنين حملني على ذلك حلمك وانا عبد امير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى امير المؤمنين ان يعفو عن عبده فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن اما علمت ان النرس اذا صهل ودقت له الجرة وان الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل اذا تغنى اصغت له المرأة ايالة ايالة والعود الى ما كان منك فيطول غمك (وحكي) أن الرشيد فصد يوما فارسلت اليه بعض حظاياه قدحا فيه شراب مع وصيفة لها حسنة الوجه جميلة الطلعة بديعة المحيا وغطته بمنديل مكتوب عليه هذه الابيات

فصدت عرقا تبتغي صحة * البسك الله به العافية
فاشرب بهذا الكاس يا سيدي * واهنأ به من كف ذي الجاريه
* واجعل لمن انفذه خلوة * تحظى بها في الليلة الآتيه

قال فنظر الرشيد الى الوصيفة التي جاءت بالقدح فاستحسنها فاقتضها ثم ارسلها فعلمت مولاتها بذلك فكتبت اليه رقعة تقول فيها هذه الابيات

بعثت الرسول فابطا قليلا * على الرغم مني فصبرا جميلا
وكنت الخليل وكان الرسول * فصرت الرسول وصار الخليلا
كذا من يوجه في حاجة * الى من يحب رسولا جميلا

قال فاستحسن الرشيد ذلك منها وارسل اليها انا عندك الليلة واهدى داود بن روح المهلبي الى المهدي جارية فحظيت عنده فواعدته المبيت عنده ليلة فمنعها الحيض فكتب اليها يقول

لاهجرنك حبيبا خان موعده * وكان منه لصفو العيش تكدير

فارسلت اليه تجيبه

لا تهجرن حبيبا خان موعده * ولا تذمن وعدا فيه تأخير
ما كان حبسي الا من حدوث اذى * لا يستطاع له بالقول تفسير

وقال محمد بن مروان يصف جارية له

امست تباع ولو تباع بوزنها * درا بكى اسفا عليها البائع

وكان للمأمون جويرية من احسن الناس واسبقهم الى كل نادرة فحظيت عنده فصدها الجواري وقلن لا حسب لها فنقشت على خاتمها حسبي حسني فازدادت بها المأمون عجبا فسمتها الجواري فماتت فجزع عليها المأمون جزعا شديدا وقال

اختلست ريحانتي من يدي * ابكي عليها آخر الأبد
كانت هي الانس اذا استوحشت * نفسي من الاقرب والابعد

وروضة كان بها مرتعي * ومنهل كان بها موردي
كانت يدي كان بها قوتي * فاختلس الدهر يدي من يدي

وللمتوكل في قينة

أما زجرها فتغضب ثم ترضى * فكل فعالها حسن جميل
فان غضبت فأحسن ذي دلال * وان رضيت فليس لها عديل

وحدث أبو عبد الله بن عبد البر قال حدثني اسحق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدي قال كان في المدينة رجل من بني هاشم وكان له قينتان يقال لاحداهما رشا وللاخرى جؤذر وكان بالمدينة رجل مضحك لا يكاد يغيب عن مجلس المستظرفين فأرسل الهاشمي اليه ذات يوم ليسخر به فلما اتاه قال له اصلحك الله انك لفي لذتك ولا لذة لي قال وما لذتك قال تحضر لي نبيذا فانه لا يطيب لي عيش الا به فأمر الهاشمي باحضار نبيذ وأمر أن يطرح فيه سكر العشر فلما شربه المضحك تحرك عليه بطنه فتناوم الهاشمي وغمز جاريتيه عليه فلما ضاق عليه الامر واضطر الى التبرز قال في نفسه ما أظن هاتين المغنيتين الا يمانيتين وأهل اليمن يسمون الكنف بالمراحيض فقال لهما يا حبيبتي أين المراحيض فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

رحضت فؤادي فليتني * أهيم من الحب في كل واد

فاندفعتا تغنيانه فقال في نفسه والله ما أظنهما فهمتا عني وما أظنهما الا مكيتين وأهل مكة يسمونها الخوارج فقال يا حبيبتي أين الخرج فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خرجت لها من بطن مكة بعدما * أقام المنادي بالعشي فأعتما

فاندفعتا يغنيانه فقال في نفسه لم يفهما عني وما أظنهما الا شاميتين وأهل الشام يسمونها المذاهب فقال يا حبيبتي أين المذهب فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول حبيبنا قالت يقول غنيانى

ذهبت من الهجران في كل مذهب * ولم يك حقا كل هذا التجنب

فغشاه الصوت فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لم يفهما عني وما أظن القحبتين الا مدنيتين وأهل المدينة يسمونها بيت الخلاء فقال يا حبيبتي أين بيت الخلاء فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

خلا لي بقاع الارض اذ ظعنوا * من بطن مكة واسترعاني الحزن

قال فغشاه فقال انا لله وانا اليه راجعون ما أظن الفاسقتين الا بصريتين وأهل البصرة يسمونها الحشوش فقال يا حبيبتي أين الحشوش فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيانى

أوحشوني وعز صبري فيهم * ما احتيالي وما يكون فعالي

قال فاندفعتا تغنيانه فقال ما أراهما الا كوفيتين وأهل الكوفة يسمونها الكنف فقال لهما يا حبيبتي أين الكنيف فقالت احداهما لصاحبتها بعيش سيدنا ما رأيت أكثر اقترا حا من هذا

الرجل قالت ما يقول قالت يسأل أن تغني له

تكنفني الهوى طفلا * فشيبني وما اكتهلا

فقال واويلاه واعظم مصيبتاه هذا والهاشمي يتقطع ضحكا فقال لها ما يازانيتان ان لم تعلماني به أنا أعلمكما ثم رفع ثيابه وسلح عليهما وعلى الفراش فانتبه الهاشمي وقد غشي عليه من شدة الضحك وقال ويلك ما هذا تسلح على وطائي فقال الرجل حياة نفسي أعز علي من وطائك وقيل انه لما قيل له ويلك ما هذا قال المضحك هذه الابيات

تكنفني الملاح وأضجروني * على مابي بنيات الزواني

فلما قل عن ذاك اصطباري * قذفت به على وجه الغواني

قال فانبسط الهاشمي ودفع اليه مالا ومضى الى سبيله * وقال علي بن الجهم قلت لقينة

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فان الحب أقصاني

فالت تاتي من باب الذهب وأنشدت

اجعل شفيعك منة وشا تقدمه * فلم ينل مدنيا من ليس بالداني

وكان أشعث يختلف الى قينة بالمدينة فجلس عندها يوما يطارحها الغناء فلما أراد الخروج قال لها ناوليني خاتمك أذكرك به قالت انه ذهب وأخاف أن تذهب ولكن خذ هذا العود فلعلك أن تعود وناولته عودا من الارض وكان بعض القينات من الجمال والحسن بجانب ثم أصابتها علة فتغير حالها فكانت تنشد

ولي كبد مقروحة من يبيعني * بها كبدا ليست بذات قروح

اباها علي الناس لا يشترونها * ومن يشتري ذا علة بصحيح

وكان المعتصم يحب قينة من حظاياه فاتفق انه خرج الى مصر وتركها فذكرها في بعض الطريق فاشتاق اليها فغلبه الوجد فدعا مغنيا له وقال ويحك قد ذكرت جاريتي فلانة فقلقني الشوق اليها فعسى أن تغنيني شيأ في معنى ما ذكرته لك فأطرق مليا ثم غناه شعرا

وددت من الشوق المبرح انني * أعار جناحي طائر فأطير

فالنعيم ليس فيه بشاشة * وما السرور ليس فيه سرور

وان امرأ في بلدة نصف قلبه * ونصف بأخرى غيرها لصبور

والحكايات في معنى ذلك كثيرة ولو أردت بسطها لاحتجت الى مجلدات ولكن ما قل ودل خير من كثير ملل وفيما ذكرته كفاية والله المسؤل أن يمن علينا منه باللطف والعناية ونسأله التوفيق والهداية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الحادي والسبعون في ذكر العشق ومن بلي به والافتخار بالعفاف وأخبار من مات بالعشق وما في معنى ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول في وصف العشق) قال الجاحظ العشق اسم لما فضل عن المحبة كما أن السرف اسم لما جاوز الجود وقال أعرابي العشق خفي أن يرى وجلي أن يخفى فهو كامن كمون النار في الحجران قدحته أورى وان تركته توارى وقيل أول العشق النظر وأول الحريق الشرر وكان العشاق فيما مضى يشق الرجل برقع حبيبته والمرأة تشق

رداء حبيبها ويقولون انهما اذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما وقال عبد بني الحسحاس

وكم قد شققنا من رداء محبر * ومن برقع عن طفلة غير عانس
اذا شق برد شق بالبرد برقع * من الحب حتى كلنا غير لابس

وقيل لاعرابي ما بلغ من حبك لفلانة قال اني لاذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها رائحة المسك وقيل رأى شبيب أخو بثينة جميلا عندها فوثب عليه وآذاه ثم ان شبيبا أتى مكة وجميل فيها فقيل لجميل دونك شبيبا فخذ بثارك منه فقال

وقالوا يا جميل أتى أخوها * فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

وأنشد الاخفش الحداد يقول

مطارق الشوق منها في الحشى أثر * يطرقن سندان قلب حشوه الفكر
ونار كور الهوى في الجسم موقدة * ومبرد الحب لا يفنى ولا يذر *

وفي الجليس الانيس لابي العالية الشامي قال سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن اكثم عن العشق ما هو فقال هو سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه وقال غمامة العشق جليس ممتنع وأليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه ضيقة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة ملك الابدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها وأعطى عنان طاعتها وقوة تصريفها توارى عن الابصار مدخله وخفي في القلوب مسلكه وكان شيخ بخراسان له أدب وحسن معرفة بالامور قال لسليمان بن عمرو ومن معه أنتم ادباء وقد سمعتم الحكمة ولكم حداء ونغم فهل فيكم عاشق قالوا لا قال اعشقوا فان العشق يطلق اللسان ويفتح جبلة البليد والبخيل ويبعث على التلطف وتحسين اللباس وتطييب المطعم ويدعو الى الحركة والذكاء وتشريف الهمة وقال المجنون

قالت جننت على ذكرى فقلت لها * الحب اعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون في الحين

قال ذو الرياستين ان بهرام جور كان له ابن وكان قد رشحه للامر من بعده فنشأ الفتى ناقص الهمة ساقط المروأة خامل النفس سيء الادب فغمه ذلك فوكل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يلازمه ويعلمه وكان يسألهم عنه فيحكون له ما يغمه من سوء فهمه وقلة ادبه الى ان سأل بعض مؤدبيه يوما فقال له المؤدب قد كنا نخاف سوء ادبه فحدث من أمره ما صيرنا الى الرجاء في فلاحه قال وما ذاك الذي حدث قال رأى ابنة فلان المرزبان فعشقها فغلبت عليه فهو لا يهدأ الا بها ولا يتشاغل الا بها فقال بهرام الآن رجوت فلاحه ثم دعا بأبي الجارية فقال له اني مسر اليك سرا فلا يعدونك فضمن له ستره فاعلمه ان ابنه قد عشق ابنته وانه يريد ان ينكحها اياه وامره ان يأمرها باطماعه في نفسها ومراسلته من غير ان يراها وتقع عينه عليها فاذا استحكم طمعه فيها تجتنبه وتهجره فان استعلمها اعلمته انها لا تصلح الا للملك ثم لتعلمني خبرها وخبره ولا تطلعهما على ما أسره اليك فقبل ابو هاذ ذلك منه ثم قال للمؤدب الموكل بأدبه حضه وشجعه على مراسلة المرأة ففعل ذلك وفعلت المرأة كما

امرها ابوها فلما انتهت الى التجنى عليه وعلم الفتى السبب الذى كرهته لاجله اخذ فى الادب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية وضرب الصولجان حتى مهر فى ذلك ثم رفع الى ابيه انه محتاج الى الدواب والآلات والمطاعم والملابس والندماء وما أشبه ذلك فسرّ الملك بذلك وامر له بما طلب ثم دعا مؤدّبه فقال له ان الموضع الذى وضع به ابنى نفسه من خبر هذه المرأة لا يدرى به فتقدم اليه ومره أن يرفع امرها الىّ ويسألنى ان ازوّجه اياها ففعل المؤدّب ذلك فرفع الفتى ذلك لابيه فدعا بأبيها وزوّجه اياها وامر بتعجيلها اليه وقال له اذا اجتمعت انت وهى فلا تحدث شيأ حتى اصير اليك فلما اجتمعا صار اليه فقال يا بنىّ لا يضعن قدرها عندك مراسلتها اياك وليست فى خبائك فانى امرتها بذلك وهى اعظم الناس منة عليك بما دعتك اليه من طلب الحكمة والتخلق بأخلاق الملوك حتى بلغت الحد الذى تصلح معه للملك من بعدى فزدها من التشريف والاكرام بقدر ما تستحق منك ففعل الفتى وعاش مسرورا بالجارية وعاش ابوه مسرورا به واحسن ثواب ابيها ورفع منزلته لصيانة سره واحسن جائزة المؤدّب لامتثال ما امره به وكان عبد الله بن عبيدة الريحانى يهوى جارية فزارته يوما فأقام يحدثها ويشكو اليها الم الفراق فحان وقت الظهر فناداه انسان الصلاة يا ابا الحسن فقال له رويدك حتى تزول الشمس اى حتى تقوم الجارية وقالت ليلى العامرية فى قيسها

لم يكن المجنون فى حالة * الا وقد كنت كما كانا
لكنه باح بسرّ الهوى * وانى قد ذبت كتمانا

وقال احمد بن عثمان الكاتب

وانى ليرضينى الممرّ ببابها * واقنع منها بالشتيمة والزجر

وقال الفتح بن خاقان صاحب المتوكل

ايها العاشق المعذب صبرا * فخطايا اخى الهوى مغفوره
زفرة فى الهوى احط لذنب * من غزاة وحجة مبروره

وقال عمر بن أبى ربيعة كنت بين امرأتين هذه تساررنى وهذه تعضنى فما شعرت بعضة هذه من لذة هذه وانشد شيبان العذرى يقول

لو حز بالسيف راسى فى محبتها * لطار يهوى سريعا نحوها راسى

وقال يحيى بن معاذ الرازى لو امرنى الله ان اقسم العذاب بين الخلق ما قسمت للعاشقين عذابا

(الفصل الثانى من هذا الباب فيمن عشق وعف والافتخار بالعفاف) روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات فهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم عفوا تعف نساؤكم وقال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت فى غاية الضعف والنحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل من حاجة فقالت حاجتى ان تنادى فى الموقف بقولى

تزوّد كل الناس زادا يقيهم * ومالى زاد والسلام على نفسى

فناديت

فنادت كما أمرتني واذا بقتى نحيل الجسم قد اقبل الى فقال انا الزاد فمضيت به اليها فازداد على النظر والبكاء ثم قالت له انصرف بسلام فقلت ما علمت ان لقاء كما يقتصر على هذا فقالت أمسك باهذا أما علمت ان ركوب العار ودخول النار شديد قال ابراهيم بن محمد المهلبي

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن اهوى فيقنعني * منه الفكاهة والتأنيس والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن اجالسهم * وليس لي في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير في لذة من بعدها سقر

وقال بعض بني كلاب

ان اكن طامح اللحاظ فاني * والذي يملك الفؤاد عفيف

ونحو ذلك قول القائل

فقالت بحق الله الا أتيتنا * اذا كان لون الليل شبه الطيالس
فجئت وما في القوم يقظان غيرها * وقد نام عنها كل واش وحارس
فبتنا بليل طيب نستلذه * جميعا ولم أقلب لها كف لامس

ونزل رجل على صديق له مستترا خائفا من عدو له فأنزله في منزله وتركه فيه وسافر لبعض حوائجه وقال لامرأته أوصيك بضيفي هذا خيرا فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا قالت ما أشغله بالعمى عن كل شئ وكان الضيف قد أطبق عينيه فلم ينظر الى امرأة صاحبه ولا الى منزله الى أن عاد من سفره وكان عمر بن أبي ربيعة عفيفا يصف ويعف ويحوم ولا يرد ودخلت ثبينة على عبد الملك بن مروان فقال لها يا ثبينة ما أرى فيك شيأ مما كان يقوله جميل فقالت يا أمير المؤمنين انه كان يرنو الي بعينين ليستا في رأسك قال فكيف رأيته في عشقه قالت كان كما قال الشاعر

لا والذي تسجد الجباه له * مالي بما تحت ذيلها خبر
ولا بفيها ولا هممت بها * ما كان الا الحديث والنظر

وقد قدمت هذين البيتين في الجزء الاول فيما جاء في الكناية على سبيل الرمز وعن أبي سهل الساعدي قال دخلت على جميل وبوجهه آثار الموت فقال لي يا أبا سهل ان رجلا يلقى الله ولم يسفك دما ولم يشرب خمرا ولم يأت فاحشة أفترجوله الجنة قلت اي والله فمن هو قال انى لأرجو أن أكون ذلك فذكرت له بثينة فقال انى لفي آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لانالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان كنت حدثت نفسي بريبة قط وعن عبد الله بن عبد المطلب أبي النبي صلى الله عليه وسلم انه دعته بغي الى نفسها وبذلت له مالا وكانت تكهن وتسمع باتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت جميلة فأرادت أن تخدع عبد الله رجاء أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم منها للنور الذي رأته بين عينيه فأبى وقال

أما الحرام فالحمام دونه * والحل لا أبى ويستبينه

فكيف بالامر الذى تبغينه * يحامى الكريم عرضه ودينه

وقال آخر

وأحور مخضوب البنان محجب * دعانى فلم أعرف الى مادعا وجها
بخلت بنفسى عن مقام يشينها * ولست صريدا للطوع ولا كرها

وراود شاب ليلى الاخيلية عن نفسها فاشمأزت وقالت

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغى أن نخونه * وأنت لاخرى صاحب وخليل

وقال ابن صيادة

موانع لا يعطين حبة خردل * وهن دوان فى الحديث أوانس
ويكرهن أن يسمعن فى اللهو ريبة * كما كرهت صوت اللجام الشوامس

وقال آخر

حور حرائر ما هممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواسقا * ويصدهن عن الخنى الاسلام

وكان الاصمعى يستحسن بيتى العباس بن الاحنف

أتأذنون لصب فى زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يظهر الشوق ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

واختفى ابراهيم بن المهدى فى هربه من المأمون عند عمته زينب بنت أبى جعفر فوكلت بخدمته جارية لها اسمها ملك وكانت واحدة زمانها فى الحسن والادب طلبت منها بخمسمائة ألف درهم فهويها ابراهيم وكره أن يراودها عن نفسها ففنى يوما وهى قائمة على رأسه

ياغزالا لى اليه * شافع من مقلتيه
أنا ضيف وجزاء الضيف احسان اليه

ففهمت الجارية ما أراد فحكت ذلك لمولاتها فقالت اذهبى اليه فأعلميه انى قد وهبتك له فعادت اليه فلما رآها أعاد البيتين فأكبت عليه فقال لها كفى فلست بخائن فقالت قد وهبتنى لك مولاتى وانا الرسول فقال أما الآن فنعم وأنشد المبرد

ما ان دعانى الهوى لفاحشة * الا نهانى الحياء والكرم
فلا الى فاحش مددت يدى * ولا مشت بى لزلة قدم

وقال آخر

* يقولون لا تنظر فدا لك بلية * بلى كل ذى عينين لا بد ناظر
وهل باكتحال العين بالعين ريبة * اذا عف فيما بينهن السرائر

وكان بعض الخلفاء قد نذر على نفسه أن لا ينشد شعرا ومتى أنشد بيت شعر فعليه عتق رقبة قال فبينما هو فى الطواف يوما اذ نظر الى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال له ياهذا اتق الله أفى مثل هذا المكان فقال يا أمير المؤمنين والله ماذا التى بخنى ولكنها ابنة عمى وأعز الناس

على وان أباها منعني من تزوجها الفقري وفاقتي وطلب مني مائة ناقة ومائة أوقية من الذهب ولم أقدر على ذلك قال فطلب الخليفة أباها ودفع اليه ما اشترطه على ابن أخيه ولم يتم من مقامه حتى عقد له عليها ثم دخل الخليفة الى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت له جارية من حظاياه ارالك اليوم يا مولاي تنشد الشعر أفنسيت ما نذرت ام نراك قد هويت فأنشد هذه الابيات يقول

تقول وليدتي لما رأتني * طربت وكنت قد اسليت حينا
ارالك اليوم قد احدثت عهدا * وأورثك الهوى داء دفينا
بحقك هل سمعت لها حديثا * فشاقك او رأيت لها جحينا
فقلت شكا الى اخ محب * كمثل زماننا اذ تعلمينا
وذو الشجو القديم وان تعزى * محب حين يلقى العاشقينا

ثم عد الابيات فاذا هي خمسة ابيات فأعتق خمس رقاب ثم قال لله در ذلك من خمسة اعتقت خمسة وجمعت بين رأسين في الحلال وروى عن عثمان الضحاك قال خرجت اريد الحج فنزلت بخيمة بالابواء فاذا بجارية جالسة على باب الخيمة فأعجبني حسنها فتمثلت بقول نصيب

بزينب ألم قبل أن يرحل الركب * وقل لا تقلينا فما لك القلب

فقالت يا هذا اتعرف قائل هذا البيت قلت بلى هو نصيب فقالت اتعرف زينبه قلت لا قالت انا زينبه قلت حيالك الله وحيالك قالت اما والله ان اليوم موعده وعدني العام الاول بالاجتماع في هذا اليوم فلعلك ان لا تبرح حتى تراه قال فبينما هي تكلمني اذا انا براكب قالت ترى ذلك الراكب قلت نعم قالت اني لاحسبه اياه فأقبل فاذا هو نصيب فنزل قريبا من الخيمة ثم اقبل فسلم ثم جلس قريبا منها فسألته ان ينشدها فأنشدها فقلت في نفسي سجان قد طال التنائي بينهما فلا بد ان يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة فقمت الى بعيري لأشد عليه فقال على رسلك اني معك فجلست حتى نهض معي فسرنا وتسامرنا فقال لي اقلت في نفسك سجان التقيا بعد طول تناء فلا بد ان يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة قلت نعم قد كان ذلك قال ورب هذا البيت منذ احببتها ما جلست منها مجلسا هو اقرب من مجلسي هذا فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هي العفة في المحبة وعن محمد بن يحيى المدني قال سمعت بعض المدنيين يقول كان الرجل اذا احب الفتاة يطوف حول دارها حولا يفرح أن يرى من يراها فان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار واليوم هو يشير اليها وتشير اليه ويعدها ويعدها فان التقيا لم يتشاكيا جميعا ولم يتناشدا اشعارا بل يقوم اليها ويجلس بين شعبتيها كأنه أشهد على نكاحها ابا هريرة وقال الاصمعي قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت الضمة والغمزة والقبلة ثم انشأت تقول

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد
ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

ثم قالت كيف تعدون أنتم العشق قالت غسل بقربها وتفرق بين رجليها قالت لست بعاشق انت طالب ولد ثم أنشأت تقول

قد فسد العشق وهان الهوى * وصار من يعشق مستعجلا

* يريد ان ينكح احبابه * من قبل أن يشهد أو ينحلا

وقيل لرجل وقد زفت عشيقته على ابن عم لها أيسرك أن تظفر بها الليلة قال نعم والذى اتقى بحبها وأشقانى بطلبها قيل فما كنت صانعا بها قال كنت أطيع الحب فى اتمامها وأعصى الشيطان فى اتمامها ولا أفسد عشق عشرين سنة بما يتى ذميم عاره وينشر قبيح أخباره انى اذن للئيم لم يلدنى كريم ومر سيدنا عمر رضى الله عنه ليلة فى بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول

ألا طال هذا الليل وازور جانبه * وليس الى جنبى خليل ألاعبه

فوالله لولا الله تخشى عواقبه * لحرك من هذا السرير جوانبه

مخافة ربى والحياء يعفنى * واكرام بعلى أن تنال مراتبه

قال فسأل عمر رضى الله عنه عنها فقيل له انها امرأة فلان وله فى الغزاة ثمانية أشهر فأمر عمر رضى الله عنه أن لا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزى فى كتاب تلقيح فهوم الاثر عن محمد بن عثمان بن أبى خيثمة السلمى عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف ذات ليلة فى سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

هل من سبيل الى خمر فأشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج

الى فتى ماجد الاعراق مقتبل * سهل المحيا كريم غير ملجاج

تمنيه اعراق صدق حين تنسبه * اخى وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضى الله عنه لا أرى معى بالمدينة رجلا تهتف به العواتق فى خدورهن على بنصر ابن حجاج فلما أصبح أتى بنصر بن حجاج فاذا هو من أحسن الناس وجها وأحسنهم شعرا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قر فقال له اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينه فقال له عمر والله لا تساكننى فى بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ماذنبى قال هو ما أقول لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التى سمع منها عمر ما سمع أن يبدر من عمر الهاشمى فدست اليه المرأة أبياتا وهى

قل للامام الذى تخشى بوادره * مالى وللخمر أو نصر بن حجاج

لا تجعل الظن حقا أن تبينه * ان السبيل سبيل الخائف الراجى

ان الهوى زم بالتقوى فحبسه * حتى يقر بالجام واسراج

قال فبكى عمر رضى الله عنه وقال الحمد لله الذى زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر فاذا هو قد

خرج فى ازاوردائه وبيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لأقفن أنا وانت بين يدى الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيت عبد الله وعاصم الى جنبيك وبيني وبين ابنى القيافى والاودية فقال لها ان ابنى لم تهتف بهما العواتق فى خدورهن ثم أرسل عمر الى البصرة بريدا الى عتبة ابن غزوان فأقام أياما ثم نادى عتبة من أراد ان يكتب الى أمير المؤمنين فليكتب فان البريد خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع منى هذه الابيات

لعمرى لئن سيرتنى أو حرمتنى * ومانلت من عرضى عليك حرام
فأصبحت منفيا على غير ريبة * وقد كان لى بالمكتين مقام
لئن غنت الذلفاء يوما بمنية * وبعض أمانى النساء غرام
ظننت بى الظن الذى ليس بعده * بقاء ومالى جرمة فالام
فيمنعنى مما تقول تكرمى * وآباء صدق سالفون كرام
ويمنعها مما تقول صلاتها * وحال لها فى قومها وصيام
فهاتان حالا فهل أنت راجعى * فقد جب منى كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر رضى الله عنه هذه الابيات قال أما ولى السلطان فلا وأقطعه دارا بالبصرة فى سوقها فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة والله تعالى أعلم

(الفصل الثالث من هذا الباب فى ذكر من مات بالحب والعشق) حدث أبو القاسم بن اسمعيل بن عبد الله المأمون قال حدثنى أبى قال كانت بالمدينة قينة من أحسن الناس وجها وأكملهم عقلا وأكثرهم أدبا قد قرأت القرآن وروت الاشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك فأخذت بمجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أما لك قرابة أو أحد تحبين أن أضيفه وأسدى اليه معروفا قالت يا أمير المؤمنين اما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلاثة نفر كانوا اصدقاء مولاى واحب أن يناله خير مما صرت اليه فكتب الى عامله بالمدينة فى احضارهم اليه وان يدفع الى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا الى باب يزيد استؤذن لهم فى الدخول عليه فأذن لهم وأكرمهم غاية الاكرام وسألهم عن حوائجهم فأما اثنان منهم فذكرا حوائجهما فقضاها وأما الثالث فسأله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين مالى حاجة قال ويحك أولست أقدر على حوائجك قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتى ما أظنك تقضيها فقال ويحك فاسألنى فانك لا تسألنى حاجة أقدر عليها الا قضيتها قال فلى الامان يا أمير المؤمنين قال نعم قال ان رأيت يا أمير المؤمنين أن تأمر جاريتك فلانة التى اكرمتنا بسببها ان تغنى ثلاثة اصوات أشرب عليها ثلاثة ارطال فافعل قال فتغير وجه يزيد ثم قام من مجلسه فدخل على الجارية فأعلمها فقالت وما عليك يا أمير المؤمنين فأمر بالفتى فأحضروا مر بثلاثة كراسى من ذهب فنصبت فقعد يزيد على احدها والجارية على الاخر والفتى على الثالث ثم دعا بصنوف الرياحين والطيب فوضعت ثم امر بثلاثة ارطال فلئت ثم قال للفتى سل حاجتك فقال تأمرها يا أمير المؤمنين ان تغنى بهذا

الشعر

لا أستطيع سلوا عن مودتها * او يصنع الحب بي فوق الذي صنعا
ادعو الى هجرها قلبي فيسعدني * حتى اذا قلت هذا صادق نزعا

فأمرها ففعلت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم امر بالارطال فلثت وقال للفتى سل حاجتك فقال مرها يا امير المؤمنين ان تغني بهذا الشعر

تخيرت من نعمان عودا اراكة * لهند ولكن من يبلغه هندا
الا عرجا يا رسل الله فيكما * وان لم تكن هند لارضكما قصدا

فأمرها ففعلت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم امر بالارطال فلثت ثم قال للفتى سل حاجتك قال تأمرها يا امير المؤمنين ان تغني بهذا الشعر

مني الوصال ومنكم الهجر * حتى يفرق بيننا الدهر
والله لا سلوكم ابدا * ما لاح بدر أو بدا فجر

فأمرها ففعلت قال فلم تتم الابيات حتى خر الفتى مغشيا عليه فقال يزيد للجارية قومي انظري ما حاله فقامت اليه فحركته فاذا هو ميت فقال لها يزيد ابكيه فقالت لا ابكيه يا أمير المؤمنين وانت حي فقال لها ابكيه فوالله لو عاش ما انصرف الا بك فبكت الجارية وبكى أمير المؤمنين وامر بالفتى فجهز ودفن واما الجارية فلم تمكث بعده الا اياما قلائل وماتت (وحكى) عن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه انه قدم على عبد الملك بن مروان فجلس ذات ليلة يسامره فتذاكرا الغناء والجواري المغنيات والعشق فقال عبد الملك لعبد الله حدثني بأمر ما مر لك في هذه الاغاني وما رأيت من الجواري قال نعم يا أمير المؤمنين اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت حاذقة مطبوعة فوصفت ليزيد بن معاوية فكتب الي في شأنها فكتبت اليه والله لا تخرج مني ببيع ولا هبة فأمسك عني فكانت عندي على تلك الحالة لا ازداد فيها الا حبا فبينما انا ذات ليلة اذا تنتي عجوز من عجائزنا فذكرت لي ان بعض اعراب المدينة يحبها ويحبه ويراها ويتراءاه وانه يجيء كل ليلة متنكرا فيقف بالباب فيسمع غناءها ويبكي شفقا وحبا فراعيت ذلك الوقت الذي قالت عليه العجوز فاذا به قد اقبل مقنعا رأسه وقعد مستخفيا فلم ادع بها في تلك الليلة وجعلت اتأمل موضعها وموضعه فاذا بها تكلمه ويكلمها ولم ار بينهما الا عتابا ولم يزالا كذلك حتى ابيض الصبح فدعوت بها وقلت لقيمة الجواري اصلحي فلانة بما يمكنك فأصلحتها وزينتها فلما جاءت بها قبضت على يديها وفتحت الباب وخرجت فجئت الى الفتى فحركته فاذا به مذعورا فقلت لا بأس عليك ولا خوف هي هبة مني اليك فدهش الفتى ولم يجبني فدنوت الى اذنه وقلت قد اظفرك الله تعالى ببغيتك فقم وانصرف بها الى منزلك فلم يرد جوابا فحركته فاذا هو ميت فلم أر شيأ قط كان اعجب من امره قال عبد الملك لقد حدثتني بعجب فما صنعت الجارية قلت ماتت والله بعده بايام بعد تحول عظيم وتعليل وماتت كمدا ووجدا على الفلام وقيل ان عبد الله ابن عجلان النهدي رأى اثر كف عشيقته في ثوب زوجها فمات وذكر محمد بن واسع الهيتي ان عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف الثقفي يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم

من عند عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما بعد اذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته فسير لي ثلاث جوار مولدات ابكارا يكون البهن المنتهى في الجمال واكتب لي بصفة كل جارية منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين وأمرهم بما أمره به أمير المؤمنين وأمرهم أن يسيروا الى أقصى البلاد حتى يقعوا بالفرض وأعطاهم المال وكتب لهم كتبا الى كل الجهات فساروا يطلبون ما أراد أمير المؤمنين فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقعوا بالغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار مولدات ليس لهن مثيل قال وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها فوجدهن لا يقام لهن بقيمة وأن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب أمير المؤمنين أمتعني الله تعالى ببقائه يذكر فيه اني أشتري له ثلاث جوار مولدات أبكارا وأن أكتب له صفة كل واحدة منهن وثمنها فأما الجارية الاولى أطال الله تعالى بقاء أمير المؤمنين فانها جارية عيطاء السوالف عظمة الروادف كحلاء العينين حمراء الوجنتين قد أنهدت نهداها والتفت فخذاها كأنها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضاء فيها اذا استقبلتها دعج * كأنها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا أمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم وأما الثانية فانها جارية فائقة في الجمال معتدلة القد والكمال تشفي السقيم بكلامها الرخيم وثمنها يا امير المؤمنين ستون ألف درهم وأما الثالثة فانها جارية فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كأنها خشف الغزال وثمنها يا أمير المؤمنين ثمانون ألف درهم ثم أطنب في الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا النخاسين فقال لهم تجهزوا للسفر بهؤلاء الجواري الى أمير المؤمنين فقال أحد النخاسين أيد الله الامير اني رجل كبير ضعيف عن السفر ولي ولد نجيب عني أفتأذن لي في ذلك قال نعم فتجهزوا وخرجوا في بعض مسيرهم نزلوا يوما ليستريحوا في بعض الاماكن فنامت الجواري فهبت الريح فانكشف بطن احداهن وهي الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها لساعته فأتاها على غفلة من أصحابه وجعل يقول

أمكتوم عيني لا تمل من البكا * وقلبي بأسهام الأسى يترشق
أمكتوم كم من عاشق قتل الهوى * وقلبي رهين كيف لا أتعشق

فاجابته تقول

لو كان حقا ما تقول لرثتنا * ليلا اذا هجعت عيون الحسد

قال فلما جن الليل انتضى الفتى ابن النخاس سيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنظر قدومه فأخذها وأراد أن يهرب فظن به أصحابه فأخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم الى أن قدموا على عبد الملك بن مروان فلما مثلوا بالجواري بين يديه أخذ

الكتاب ففتحه وقرأه فوجد الصفة ووافقت اثنتين من الجواري ولم توافق الثالثة ورأى في وجهها صفرة وهي الجارية الكوفية فقال للنخاسين مابال هذه الجارية لم توافق حليتها التي ذكرها الحجاج في كتابه وماهذا الاصفرار الذي بها والانتحال فقالوا ياأمير المؤمنين نقول ولنا الامان قال ان صدقتم أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدي أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأنشأ يقول بالعذاب ثم

أمير المؤمنين أتيت رغما * وقد شدت الى عنقي يديا
مقرا بالقبيح وسوء فعلي * ولست بمارميت به بريا
فان تقتل فنحن الفتل ذنبي * وان تعفو فمن جود عليا

فقال عبد الملك يافتى ماحملك على ماصنعت آستخفاف بنا أم هوى الجارية قال وحق رأسك ياأمير المؤمنين وعظم قدرك ماهو الاهوى الجارية فقال هي لك بما أعددته لها فأخذها الغلام بكل ماأعده لها أمير المؤمنين من الحلي والحلل وسار بها فرحا مسرورا الى نحو أهله حتى اذا كان ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا فتعانقا وناما فلما أصبح الصباح وأراد الناس السير نهضوا فوجدوهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما بالطريق ووصل خبرهما الى عبد الملك فبكى عليهما وتعجب من ذلك ومن ذلك ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخرج خالد بن الوليد المخزومي رضي الله عنه الى مشركي خزاعة قال خالد فأخرجني اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والبأس قال فجدنا السير اليهم فسبق اليهم الخبر فخرجوا الينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى تعالى النهار وطار الشرار وهاجت الفرسان وتلاحمت الاقران فلولا أن الله تعالى أيدنا بنصره لكادت الدائرة أن تكون علينا ولكن تدراكنا الله برحمة منه فهزمناهم وقتلناهم قتلا ذريعا ولم ندع لهم فارسا الا قتلناه ثم طلبنا البيوت فنهبنا وسبينا فلما هدأ القتال والنهب أمرت أصحابي بجمع السبايا لنقدم بهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرجنا وأحصيناهم خرج منهم غلام لم يراهق الحلم ولم يجر عليه القلم وهو ماسك بشابة جميلة فقلنا له ياغلام انعزل عن النساء فصاح صيحة مزعجة وهجم علينا فوالله لقد قتل منا في بقية نهارنا مائة رجل قال خالد فرأيت أصحابي قد كرهوا قتاله وتأخروا عنه فملك منهم جوادا وعلا على ظهره ونادى البراز ياخالد قال فبرزت اليه بنفسي بعد أن أنشدت شعرا فوالله لم يهلني حتى أتم شعري بل حمل علي فتطاعنا حتى تكسرت القنا وتضاربنا بالسيوف حتى تفللت فوالله لقد اقتحمت الاهوال وماريست الابطال فما رأيت أشد من حملاته ولا أسرع من هجماته فبينما نحن نعترك اذ كبا به فرسه فصار بين قوائمه فوثبت عليه وعلوت على صدره وقلت له افد نفسك بقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأنا أردك من حيث جئت قال ياخالد ما أنصفتني اتركني حتى أجد من نفسي القوة قال خالد فتركته وقلت لعله أن يسلم ثم شددته وثاقا وصفدته بالحديد وأنا ابكي اشفاقا على حسن شبابه ثم أوثقته على بعيري فلما علم أن لا خلاص له قال ياخالد سألتك بحق الهك الا ماشددت ابنة عمي على ناقة أخرى الى جانبي قال خالد فأخذتها وشددتها على ناقة

أخرى الى جانبه ووكلت بهما جماعة من أشد القوم بالقواضب والرماح وسرنا فلما استقامت مطايا هما جعل الغلام والجارية يتناشدان الاشعار ويبكيان الى آخر الليل فسمعته يذكر قصيدة يسب فيها الاسلام ويذكر أن لا يسلم أبدا فأخذت السيف وضربته فرميت رأسه فصاحت الجارية وأكبت صارخة فحركتها فوجدتها ميتة فأبركنا الاباعر وحفرنا ودفنا هما فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلنا نحدثه بعجيب ما رأينا مع الغلام فقال لا تحدثوني شيأ أنا أحدثكم به فقلنا من أعلمك به يا رسول الله قال أخبرني جبريل عليه السلام وتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من موافقتهما وموافقة أجلهما ومن ذلك ما حكاه الثوري قال حدثني جبلة بن الاسود وما رأيت شيخا أصح ولا أوضح منه قال خرجت في طلب ابل لي ضلت فمازلت في طلبها الى أن أظلم الظلام وخفيت الطريق فصرت أطوف وأطلب الجادة فلا أجدها فبينما أنا كذلك اذ سمعت صوتا حسنا بعيدا وبكاء شديدا فشجاني حتى كدت أسقط عن فرسي فقلت لأطلبن الصوت ولو تلفت نفسي فمازلت أقرب اليه الى أن هبطت واديا فاذا راع قد ضم غنمه الى شجرة وهو ينشد ويترنم

وكنت اذا ما جئت سعدى ازورها * أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ودّ جليسها * اذا ما انقضت احدوثة لو تعيدها

قال فدنوت منه وسلمت عليه فردّ عليّ السلام وقال من الرجل فقلت منقطع به المسالك أتاك يستجيرك ويستعينك قال مرحبا وأهلا انزل على الرحب والسعة فعندي وطاء وطعام غير بطيء فنزلت فنزع شملته وبسطها تحتي ثم أتاني بتمر وزبد ولبن وخبز ثم قال اعذرني في هذا الوقت فقلت والله ان هذا الخير كثير فمال الى فرسي فربطه وسقاه وعلفه فلما أكلت توضأت وصليت واتكأت فاني لبين النائم واليقظان اذ سمعت حس شئ واذا بجارية قد أقبلت من كبد الوادي فضحت الشمس حسنا فوثب قائما اليها ومازال يقبل الارض حتى وصل اليها وجعلا يتحادثان فقلت هذا رجل عربي ولعلها حرمة له فنمت ومابي نوم فمازالا في أحسن حديث ولذة مع شكوى وزفرات الا أنهما لا يهم أحدهما لصاحبه بقبيح فلما طلع الفجر عانقها وتنفسا الصعداء وبكى وبكت ثم قال لها يا ابنة العم سألتك بالله لا تبطئي عني كما ابطأت الليلة قالت يا ابن العم أما علمت اني انتظر الواشين والرقباء حتى يناموا ثم ودعته وسارت وكل واحد منهما يلتفت نحو الآخر ويبكي فبكيت رحمة لهما وقلت في نفسي والله لا أنصرف حتى استضيفه الليلة وأنظر ما يكون من أمرهما فلما أصبحنا قلت له جعلني الله فداءك الاعمال بخواتيمها وقد انا اني أمس تعب شديد فأحب الراحة عندك اليوم فقال على الرحب والسعة لو أقمت عندي بقية عمرك ما وجدتني الا كما تحب ثم عمد الى شاة فذبحها وقام الى نار فأججها وشواها وقدمها اليّ فأكلت وأكل معي الا أنه أكل أكل من لا يريد الا كل فلم أزل معه نهاري ذلك ولم أر أشفق منه على غنمه ولا ألين جانبا ولا أحلى كلاما الا انه كالولهان ولم أعلمه بشئ مما رأيت فلما أقبل الليل وطأت وطائي فصليت وأعلمته اني أريد الهجوع لما مر بي من التعب بالامس فقال لي نم هنيأ فأظهرت النوم ولم أنم فأقام ينتظرها الى هنيهة من الليل فأبطأت عليه فلما حان وقت مجيئها قلق قلقا شديدا وزاد عليه الامر فبكى ثم

جاء تحوى فحركنى فأوهمته انى كنت نائما فقال يا أخى هل رأيت الجارية التى كانت تتعهدنى وجاءتنى البارحة قلت قد رأيتها قال فتلك ابنة عمى وأعز الناس على وانى لها محب ولها عاشق وهى أيضا محبة لى أكثر من محبتى لها وقد منعنى أبوها من تزويجها لى لفقرى وفاقتى وتكبر على فصرت راعيا بسببها فكانت تزورنى فى كل ليلة وقد حان وقتها التى تأتى فيه واشتغل قلبى عليها وتحدثنى نفسى أن الاسد قد افترسها ثم أنشأ يقول

ما بال سيدة لا تأتى كعادتها * أعاقها طرب أم صدها شغل

نفسى فداؤك قد أحلت بى سقما * تكاد من حره الاعضاء تنفصل

قال ثم انطلق فغاب عنى ساعة وأتى بشئ فطرحه بين يدى فاذا هى الجارية قد قتلها الاسد وأكل أعضاءها وشوه خلقتها ثم أخذ السيف وانطلق فأبطأ هنيهة وأتى ومعه رأس الاسد فطرحه ثم أنشأ يقول

ألا أيها الليث المدل بنفسه * هلكت لقد جرّيت حقا لك الشرّا

وخلفتنى فردا وقد كنت آنسا * وقد عادت الايام من بعدها عبرا

ثم قال بالله يا أخى الا ما قبلت ما أقول لك فانى أعلم أن المنية قد حضرت لا محالة فاذا أنا مت فخذ عباءتى هذه فكفنى فيها وضم هذا الجسد الذى بقى منها معى وادفنا فى قبر واحد وخذ ثوبيها تى هذه وجعل يشير اليها فسوف تأتيك امرأة عجوز هى والدتى فأعطها عصاى هذه وثيابى وثوبيها تى وقل لها مات ولدك كمدا بالحب فانها تموت عند ذلك فادفنها الى جانب قبرنا وعلى الدنيا منى السلام قال فوالله ما كان الا قليل حتى صاح صيحة ووضع يده على صدره ومات لساعته فقلت والله لأصنعن له ما أوصانى به فغسلته وكفنته فى عباءته وصليت عليه ودفنته ودفنت باقى جسدها الى جانبه وبت تلك الليلة باكيا حزينا فلما كان الصباح أقبلت امرأة عجوز وهى كالولهانة فقالت لى هل رأيت شابا يرعى غنما فقلت لها نعم وجعلت أتلطف بها ثم حدثتها بحديثه وما كان من خبره فأخذت تصيح وتبكى وانا ألاطفها الى أن أقبل الليل وما زالت تبكى بحرقة الى أن مضى من الليل برهة فقصدت نحوها فاذا هى مكبة على وجهها وليس لها نفس يصعد ولا جارحة تتحرك فحركتها فاذا هى ميتة فغسلتها وصليت عليها ودفنتها الى جانب قبر ولدها وبت الليلة الرابعة فلما كان الفجر قمت فشددت فرسى وجمعت الغنم وسقتها فاذا أنا بصوت هاتف يقول

كنا على ظهرها والدهر يجمعنا * والشمل مجتمع والدار والوطن

فرق الدهر بالتفريق ألفتنا * وصار يجمعنا فى بطنها الكفن

قال فأخذت الغنم ومضيت الى الحى لبنى عمهم فأعطيتهم الغنم وذكرت لهم القصة فبكى عليهم أهل الحى بكاء شديدا ثم مضيت الى أهلى وأنا متعجب مما رأيت فى طريقى ومن ذلك ما حكى أن زوج عزة أراد أن يحج بها فسمع كثيرا الخبر فقال والله لأحجن لعلى أفوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس فى الطواف اذ نظر كثير لعزة وقد مضت الى جمله فحيته ومسحت بين عينيه وقالت له حييت يا جمل فبادر ليلحقها فغاته فوقف على الجمل وقال

حييت عزة بعد الحج وانصرفت * فحى ويحك من حيا ك يا جمل

لو كنت حيتها ما كنت ذا سرف * عندى ولا مسك الادلاح والعمل

قال فسمعه الفرزدق فتبسم وقال له من تكون يرحمك الله قال أنا كثير عزة فمن أنت يرحمك الله قال أنا الفرزدق بن غالب التميمى قال أنت القائل

رحلت جمالهم بكل أسيلة * تركت فؤادى هائما مخبولا
لو كنت أملكهم اذا لم يرحلوا * حتى أودع قلبى المتبولا
ساروا بقلبى فى الحدوج وغادروا * جسمى يعالج زفرة وعويلا

فقال الفرزدق نعم فقال كثير والله لولا أنى بالبيت الحرام لأصيحن صيحة أفزع هشام بن عبد الملك وهو على سرير ملكه فقال الفرزدق والله لأعرفن ذلك هشاما ثم تواعدا وافترقا فلما وصل الفرزدق الى دمشق دخل الى هشام بن عبد الملك فعرفه بما اتفق له مع كثير فقال له اكتب اليه بالحضور عندنا لنطلق عزة من زوجها ونزوجها اياها فكتب اليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة وهو يفلى نفسه وريشه يتساقط فاصفر لونه وارتاع من ذلك وجد فى السير ثم انه مال ليستقى راحلته من حق بنى فهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الحى فقال يا ابن أخى أرأيت فى طريقك شيأ فراعك قال نعم يا عم رأيت غرابا على بانة يتفلى وينتف ريشه فقال له الشيخ أما الغراب فانه اغتراب والبانة بين والتفلى فرقة فازداد كثير حزنا على حزنه لما سمع من الشيخ هذا الكلام وجد فى السير الى أن وصل الى دمشق ودخل من أحد أبوابها فرأى الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما قضيت الصلاة صاح صائح لا اله الا الله ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ما هذا اليوم يا سيدى فقال ان هذه عزة قد ماتت وهذه جنازتها فخر مغشيا عليه فلما أفاق أنشأ يقول

فما أعرف الفهدى لا در درّه * وأزجره للطير لا عز ناصره
رأيت غرابا قد علا فوق بانة * ينتف أعلى ريشه وبطايره
فقال غراب اغتراب من النوى * وبانة بين من حبيب تعاشره

ثم شهق شهقة فارقت روحه الدنيا ومات من ساعته ودفن مع عزة فى يوم واحد (وحكى) الاصمعى قال بينما أنا أسير فى البادية اذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

أيا معشر العشاق بالله خبروا * اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته

يدارى هواه ثم يكتم سره * ويخشع فى كل الامور ويخضع

ثم عدت فى اليوم الثانى فوجدت مكتوبا تحته

فكيف يدارى والهوى قاتل الفتى * وفى كل يوم قلبه يتقطع

فكتبت تحته

اذا لم يجد صبر الكتمان سره * فليس له شئ سوى الموت أنفع

ثم عدت فى اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقد كتب قبل موته

سمعنا أطعنا ثم مشافهلعوا * سلامى على من كان للوصل يمنع

(وحكى) أيضا عن الاصمعى رحمه الله تعالى أنه قال بينما أنا نائم فى بعض مقابر البصرة اذ رأيت جارية على قبر تندب وتقول

بروحى فتى أوفى البرية كلها * وأقواهم فى الحب صبرا على الحب

قال فقلت لها يا جارية ثم كان أوفى البرية وثم كان أقواها فقالت ياهذا انه ابن عمى هو بنى فهويته فكان ان أباح عنفوه وان كتم لاموه فأنشدت بيتى شعر ومازال يكررهما الى أن مات والله لاندبنه حتى أصير مثله فى قبر الى جانبه فقلت لها يا جارية فما البيتان قالت

يقولون لى ان بحت قد غرك الهوى * وان لم أبح بالحب قالوا اصبرا

فما الامر الا فيهما وبكم أمره * من الحب الا أن يموت فيعذرا

ثم انها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا رحمة الله تعالى عليها والحكايات فى ذلك كثيرة وفى الكتب مشهورة ولولا الاطالة والخوف من الملالة لجمعنا فى هذا المعنى أشياء كثيرة ولكن اقتصرنا على هذه النبذة اليسيرة والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثانى والسبعون فى ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت وكان وكان والموشحات والزجل والحماق والقومة والالغاز ومدح الاسماء والصفات وما أشبه ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول فى الشعر) قد قسم الناس الشعر خمسة أقسام

مرقص كقول أبى جعفر طلحة وزير سلطان الاندلس

والشمس لاتشرب خمر الندى * فى الروض الامن كؤس الشقيق

ومطرب كقول زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

ومقبول كقول طرفة بن العبد

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وممنوع مما يقام به الوزن دون أن يعيبه الطبع كقول ابن المعتز

سقى المطيرة ذات الظل والشجر * ودر عبدون هطال من المطر

ومتروك وهو ما كان كلا على السمع والطبع كقول الشاعر

تقلقلت بالهم الذى قلقل الحشى * قلاقل هم كلهن قلاقل

وقد قسم الناس فنون الشعر الى عشرة أبواب حسما بوب أبو تمام فى الحماسة وقال عبد العزيز بن أبى الاصبع الذى وقع لى أن فنون الشعر ثمانية عشر فنا وهى غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وأدب وزهد وخمريات ومراث وبشارة وتهانى ووعيد وتحذير وتحريض وملح وباب مفرد للسؤال والجواب والمذكر ان شاء الله تعالى من ذلك ما تيسر على سبيل الاختصار ونبدأ من ذلك بذكر (الغزل المذكر) ابن نباتة

أ أغصان بان ما أرى أم شمائل * وأقمار تم ما تضم الغلائل

وبيض رقاق أم جفون فواتر * وسمر دقاق أم قدود قواتل
وتلك نبال أم لحاظ رواشق * لها هدف منى الحشى والمقاتل
بروحى أفدى شادنا قد ألفته * غدوت وبى شغل من الوجد شاغل
أمير جمال والملاح جنوده * يجور علينا قده وهو عادل
له حاجب عن مقلتى حجب الكرى * وناظره الفتان فى القلب عامل
رفعت اليه قصة الدمع شاكيا * فوقع يجرى فهو فى الخد سائل
شكوت فما ألوى وقلت فما صغى * وجد بقلبى حبه وهو هازل
طويل التوانى دله متواتر * مديد التجنى وافر الحسن كامل
أطارحه بالنحو يوما تعللا * فيبدو وللاعراب فيه دلائل
ويرفع وصلى وهو مفعول فى الهوى * وينصب هجرى عامدا وهو فاعل
تفقهت فى عشقى له مثل ما غدا * خبيرا بأحكام الخلاف يجادل
فيا مالكى ماضر لو كنت شافعى * بوصلك فافعل بى كما أنت فاعل
فانى حنيفى الهوى متحنبل * بعشقك لا أصغى وان قال قائل

كمال الدين بن النبيه

الله أكبر كل الحسن فى العرب * كم تحت لمة ذا التركى من عجب
صبح الجبين بليل الشعر منعقد * والخد يجمع بين الماء واللهب
تنقبت عن عبير الراح ريقته * وافترّ مبسمه الشهدى عن حبب
لا فى العذيب ولا فى بارق غزلى * بل فى جنى فمه أو ريقه الشنب
كأنه حين يرمى عن حنيته * بدر يرمى عن هلال الافق بالشهب
ياجاذب القوس تقريبا لوجنته * والهائم الصب منها غير مقترب
أليس من نكد الايام يحرمها * فمى ويلثمها سهم من الخشب
من لى بأغيد قاسى القلب مبتسم * لا عن رضا معرض عنى بلا غضب
فكم له فى وجود الذنب من سبب * وليس لى فى قيام العذر من سبب
تميل أعطافه تيها بطرته * كما تميل رماح الخط بالعذب
أشار نحوى وجنح الليل معتكر * بمعصم بشعاع الكأس مختضب
بكر جلاها أبوها قبل ما جليت * فى جرة الدن أو فى قشرة العنب

البهاء زهير

يهاهدنى لا ثانى ثم بنكث * وأحلف لا كلمته ثم أحنث
وذلك دأبى لا يزال ودأبه * فيا معشر العشاق عنا تحدثوا
أقول له صلنى يقول نعم غدا * ويكسر حقنا هازئا بى ويعبث
وما ضر بعض الناس لو كان زارنى * وكنا خلونا ساعة نتحدث
أمولاى انى فى هواك معذب * وحسبك ابقى فى الغرام وأمكث
فخذ مهجة روحى ترحنى ولا أرى * أموت مرارا فى النهار وأبعث

فانى لهذا الضيم منك لحامل * ومنتظر لطفا من الله يحدث
أعندك من هذا الجفاء الذى بدا * خلائقك الحسنى أرق وأدمث
تردد ظنّ الناس فى فأكثروا * أحاديث فيها ما يطيب ويخبث
وقد كرمت فى الحب منى شمائل * ويسأل عنى من أراد ويبحث

النابلسى

ما كنت أعلم والضمائر تصدق * أن المسامع كالنواظر تعشق
حتى سمعت بذكركم فهويتكم * وكذاك أسباب المحبة تعلق
ولقد قنعت من اللقاء بساعة * ان لم يكن لى للدوام تطرّق
قد يغمش العطشان بالريقه * ويغص بالماء الكثير ويشرق
فعسى عيونى أن ترى للسيدى * وجها يكاد الحسن فيه ينطق

أبو الحسن الجزار

فى خدّه من بقايا اللثم تخميش * وبى لتشويش ذاك الصدغ تشويش
ظبى من الترك أغنته لواحظه * عما حوته من النبل التراكيش
اذا تثنى فقلب الغصن منكسر * وان تبدّى فطرف البدر مدهوش
ياعاذلى ان تكن عن حسن صورته * أعمى فانى عما قلت اطروش
كم ليلة بات يسقينى المدام على * روض له بثياب الغيم ترقيش
والغيث كالجيش يرتج الوجود له * والبرق رايته والرعد جاويش
فى مجلس ضحكت أرجاؤه طربا * لانه بيديع الزهد مفروش

سيدى أبو الفضل بن أبى الوفاء

ترى متى من فتور اللحظ ينقشط * من قلبه بحبال الشعر مرتبط
قد رق لى خصره المضنى فناسبنى * فقلت خير الامور الانسب الوسط
وقد خفى الردف عنى من تثاقله * فقلت هذا على ضعفى هو الشطط
وصدره الرحب قد عانقته سحرا * والقلب منبعث الآمال منبسط
وفيه تلك النهود المشتهاة ترى * رمّانها فيه قلبى أمره فرط
ان الصواب لتعجيل السرور فقم * قبل الفوات فأوقات الهنا غلط

القاضى مجد الدين بن مكانس

اهدى تحيته وجاد بوعده * أفديه من قمر بدا فى سعده
بدر جرى ماء الحياة بثغره * وتردّدت فضلاته فى خدّه
اسكنته قلبى فأعدت خدّه * نيران أحشائى عليه ووجده
من لى به حلو الشمائل أهيف * روت العوالى عن مضقف قدّه
ياعاذلى فى حبه لو أبصرت * عيناك فوق الردف مسبل جعده
لعذرت كل متيم فى حبه * وعلمت أن ضلاله فى رشده
فوحق موتى فى هواه صبابة * وحياة مبسمه الشهى وبرده

ماجادغيث الدمع الاعن هوى * خلع القلوب ببرقه وبرعده
قم يارسول وابلغ العشاق ما * ألقاه من جور الحبيب وبعده
واذا سألتك أن تؤدى فى الهوى * خبرى فصف فعل الغرام وأبده

عزالدين الموصلى

نفس عن الحب ما أغفت وماغفلت * بأى ذنب وهالك الله قد قتلت
دعها ومدمعها الجارى لقد لقيت * ماقد مت من أسى قلبى وماعملت
أفديك من ناشط الاجفان فى تلفى * والسحر يوهم طرفى انها كسلت
وأوضح الحسن لوشاءت ذوائبه * فى الافق وصل دجا الظلماء لاتصلت
معسل بنعاس فى لواحظه * أماتراها الى كل القلوب حلت
من لى بألحاظ ظبى يدعى كسلا * وكم ثياب ضنى حاكت وكم غزلت
وحرة فوق خديه ومرشفه * هذى محاسنها تزهو وذى ذبلت
أما كفانى تكحيل الجفون أسى * حتى المراشف منه باللمى كحلت
أستودع الله اعطافا شوت كبدى * وكلما رمت تجديد الوصال قلت
وصهبة لى كم ألقت بسمعها * الى الملام ولا والله ماقبلت

غيره للفاضل

شرخ الشباب بحبكم أفنيته * والعمر فى كف بكم قضيته
وأنا الذى لو مر بى من نحوكم * داع وكنت بحفرتى لبيته
كيف التعرض للسلو وحبكم * حب بأيام الشباب شريته
لله داء فى الفؤاد أجنه * يزداد نكسا كلما داويته
قالوا حبيبك فى التجنى مسرف * قاس على العشاق قلت فديته
أأروم من كافى عليه تخلصا * لا والذى بطحاء مكة بيته
ولو استطعت بكل اسم فى الورى * من لذة الذكرى به سميته

للشيخ بدرالدين الدماميني

سل سيفا من الجفون صقيلا * مذ تصدى جلاه رحت قتيلا
صح عن جفنه حديث فتور * وهو مازال من قديم عليلا
مر أبدى لنا من الخصر ردفا * وأرانا مع الخفيف ثقيلا
ذو قوام كأنه الغصن لكن * بالهوى نحو وصلنا لن يميلا
كامل الحسن وافر ظل وجدى * فيه ياعاذلى مديدا طويلا
فاتك الجفن ذو جمال كثير * أتلف العاشقين الا قليلا
قلت اذ لاح طرفه ولماه * فاتر اللحظ بكرة وأصيلا
كيف حالى وهل لصب اليه * من سبيل فقال لى سل سبيلا

وقال آخر

لو أن قلبك لى يرق ويرحم * مابت من ألم الجوى أتألم

ومن العجائب انني لاسهم لي * من ناظريك وفي فؤادي أسهم
ياجامع الضدين في وجناته * ماء يرق عليه نار تضرم
عجبي لطرفك وهو ماض لم يزل * فعلام يكسر عند ما تتكلم
ومن المروأة أن تواصل مدنفا * والدهر سمح والحوادث نوم

وقال آخر

تصدق بوعدان دمعي سائل * وزود فؤادي نظرة فهو راحل
نفدتك موجوديه التبر دائما * وحسنك معدوم لديه المماثل
أياقمرا من شمس طلعة وجهه * وظل عذاريه الدجا والاصائل
تنقلت من طرف لقلب مع الهوى * وهاتيك للبدر المنير منازل
جعلتك للتمييز نصبا لخاطري * فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

وقال ابن صابر

قبلت وجنته فألفت جيده * خجلا ومال بعطفه المماس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرق يحاكي الطل فوق الآس
فكأنني استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من أنفاسي

وقال آخر

وغزال كل من شبهه * بهلال أو بدر ظلمه
قال اذ قبلت وهما فيه * قد تعديت وأسرفت فيه

وقال آخر

بأبي غلام لست غير غلامه * مذ جاد لي بسلامه وكلامه
ذو حاجب ما ان رأيت كنونه * أبدا وصدغ ما رأيت كلامه

وقال جمال الدين بن مطروح

ذكر الحمى فصبا وكان قد ارعوى * صب على عرش الغرام قد استوى
تجري مدامعه ويخفق قلبه * مهما جرى ذكر الحقيق مع اللوى
* واذا تألق بارق من بارق * فهنالك ينشر من هواه ما انطوى
نفذوا أحاديث الهوى عن صادق * ماضل في شرع الغرام وماغوى
وبهجتي رشأ اطال عذلي * فيه الملام وقد حوى ما قد حوى
قالوا أفيه سوى رشاقة قده * وفتور عينيه وهل موتى سوى
ما أبصرته الشمس الا واكتست * خجلا ولا غصن النقا الا التوى
يروى الاراك محاسنا عن ثغره * ياطيب ما نقل الاراك وما روى

وقال آخر

عبث النسيم بقده فتأودا * وسرى الحياء بخده فتوردا
رشأ تفرد فيه قلبي بالهوى * لما غدا بجماله متفردا
قاسوه بالغصن الرطيب جهالة * تالله قد ظلم المشبه واعتدى

حسن الغصون اذا اكتست أوراقها * وتراه أحسن ما يكون مجردا

وقال غيره

ياحسنا مالك لم تحسن * الى قلوب فى الهوى متعبه
رقت بالورد وبالسوسن * صفحة خدبالسنا مذهبه
وقد أبى خدك أن أجتنى * منه وقد ألسعنى عقربه
ياحسنه اذ قال ما أحسنى * وياذاك اللفظ ما أعذبه
قلت له كلك عندى سنا * وكل ألفاظك مستعذبه
ففوق السهم ولم يخطنى * ومذ رآنى ميتا أعجبه
وقال كم من عاشق حبنى * وحبه اياى قد أتعبه
يرحمه الله على أننى * قتلى له لم أدر ما أوجبه

وقال آخر

ملح بغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه
فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شئ بارد غير ريقه

وقال يحيى بن أكثم

دنا هاجرى نحوى بعقلته الكحلا * فلما رأى ذلى ثنى عطفه دلا
فتيمنى شوقا وأنحلنى أسى * وأفقدنى صبرا وأعدمنى عقلا
شكوت فما ألوى وولى ومالوى * وأعرض مزورا فسل الحشى سلا
اذا ما دعاه فرط سقمى لزورة * ينادبه فرط العجب من عطفه كلا

وقال أيضا

بأبى غزال الغاز لته مقلتى * بين العذيب وبين شطى بارق
وسألت منه زورة تشفى الجوى * فأجابنى عنها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجا فى خيمة * ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الذكى لناشق
وضممته ضم الكمى لسيفه * وذؤابتاه حمائل فى عاتقى
حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته عنى وكان معانقى
أبعدته عن أضلعى نشتاقه * كى لا ينام على فراش خافق
لما رأيت الليل آخر عمره * قد شاب فى لمم له ومفارق
ودعت من أهوى وقلت تأسفا * صعب على بأن أرا لك مفارقى

وقال ابن نباتة

بدا ورنت لواحظه دلالا * فما أبهى الغزالة والغزالا
وأسفر عن سنا قمر منير * ولكن قد وجدت به الضلالا
صقيل الخد أبصر من رآه * سواد العين فيه فخال خالا
وممنوع الوصال اذا تبدى * وجدت له من الألفاظ لالا

عجبت لثغره البسام أبدى * لنا درا وقد سكن الزلالا
شهدت بشهد ريقته لاني * رأيت على سوالفه نمالا
فيا عجبا لحسن قد حواه * وقد أهدى الى قلبي الوبالا
سأشكو الحسن ما بقيت حياتي * واشكر من صنائعه الجمالا

القاضي فخر الدين بن مكانس

ياغصنا في الرياض مالا * حلمتني في هواك مالا
يارائحا بعد أن سباني * حسبك رب السما تعالى

وله أيضا

أجارك الله قد رثت لي * مما ألاقي عداو حسد
وعاذلي مذ رأى ضلوعي * تعد سقما بكى وعدد

ابن رفاعة

يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنا كم المطلوب قلنا لهم منا
فقالوا لنا غوصوا على قده وما * يحاكي اذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

الشيخ برهان الدين القيراطي

ووردي خد نرجسي لواحظ * مشايخ علم السحر عن لحظه رووا
وواوات صدغه حكين عقاربا * من المسك فوق الجلنار قد التووا
ووجنته الحمراء لوح بحمرة * عليها قلوب العاشقين قد اكتووا
ووردي له باق ولست بسامع * لقول حسود والعواذل اذ عووا
ووالله ما أسلو ولو صرت رمة * فكيف واحشائي على حبه انطووا

وللشيخ برهان الدين القيراطي أيضا

شبه السيف والسنان لعيني * من لقتلى بين الانام استحلا
فأبى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذاك حاشى وكلا

وله ايضا

بابي أهيف المعاطف لدن * حسد الاسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمت منها كلاما * كلمتني سيوفهن خده

وقال آخر

تملك رقي شادن قد هويته * من الهند معسول اللمى أهيف القد
أقول لصحبي حين يرنو بطرفه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندي

ومما قيل في الغزل المؤنث للشيخ شمس الدين بن البديري

خيال سلمى عن الاجفان لم يغب * وطيفها عن عياني غير محتجب
وذكرها أنس روحي وهي نائية * والقلب ما زال عنها غير منقلب
لم أصغ فيها للاح راح يعذلني * ولا لواش خلي بات يلعب بي
عذابها في الهوى عذب ألذبه * ومر هجرانها أحلى من الضرب

فان نلت أودنت وجدى كما علمت * تشيب فيه الليالى وهو لم يشب
دعها فأمر هوى المحبوب متبع * وغير طاعته فى الحب لم يجب

وقال عفا الله عنه

سقى طلا لحلته سلمى معاهد * وحياه من دمعى مذاب وجامد
فربع به سلمى مصيف ومربع * وأرض نأت عنها قفار جلامد
وحيث ثوت أرضا فأعذب مورد * ولو كدرت منها على الموارد
رعى الله دهرا سالمتنى صروفه * وظلت لياليه بسلمى تساعد
وقد غفل الواشون عنى ولم أزل * ويقظان طرف البين عنى راقد
وأيامنا بالقرب بيض أزاهر * وأوقاتنا بالوصل خضر أمالد
وأرواحنا ممزوجة وقلوبنا * ونحن كأنا فى الحقيقة واحد
وكم قد مرجنا فى مروح صبابة * ولم يطرد فينا من البين طارد
نجر ذيول اللهو فى قص الهوى * تلوح علينا للغرام شواهد
ولم يخطر التفريق منا بخاطر * ولم نحسب الايام فينا تعاند
فهل أنت ياسلمى وقد حكم الهوى * كما كنت لى أم حاد بالقلب حائد
وهل ودنا باق والا تغيرت * على عادة الايام منك العوائد
وهل حميت آثار رسم حديثنا * وأنسالك حفظ الود هذا التباعد
وهل تذكرين العهد اذ نحن بالحوى * وقولك لا عاش الحزين المعاهد
وهل أنت غيرت الذى أنا حافظ * وهل أنت أحللت الذى أنا عاقد
وهل بدلت منك المودة بالجفا * وفيك يقينى بالوفا منك شاهد
وانى ما بدلت عهدك فى الهوى * ولا اختلفت فيما علمت العوائد
ولا بت مسرورا وعيشك لذة * وكيف سلوى والحبيب مباعد
فان كنت حبل الود صرمت طرفه * فودى طريف فى هواك وتالد
وان قلت ان الحب غيره الهوى * لعمرى وجدى بالحشاشة واقد
وان أوردوا يوما صبابة عاشق * فبى يضرب الامثال من هو وارد
فعشت كونى انى بك مدنف * صبور على البلوى شكور وحامد
ومنك تساوى عندى الوصل والجفا * وفيك لقد هانت على الشدائد
ولو رمت ألوى عن هواك أعنتى * لقاد زمامى نحو حبك قائد
نصبت شراك الحب صدت حشاشتى * فكيف خلاصى والهوى منك صائد
بعدت وقلت البين يسلى أخا الهوى * وهل يسلى ذا الاشجان هذا التباعد
وما غير التفريق ما تعهدينه * وسوف سلوى فى المحبين كامد
وجل منال القرب منك وانما * اذا عظم المطلوب قل المساعد

وقال عفا الله عنه

تهددنى بتبريح وبين * وتوعدنى بتفريق وصد

وتحلف لى لتلبسنى سقاما * تهى جلدى به وتذيب جلدى
وترمينى بنبل من جفون * فتضنينى وتصمينى وتردى
وتحرقنى بنار الصد حتى * تذيب حشاشتى كمدا وكبدى
فقلت لها ودمعى فى انسكاب * يفيض دما على صفحات خدى
ومن لى أن يقال قتيل وجد * واذكر فى هوالك ولو بصد

وقال عفا الله عنه

ساوى عنك شئ ليس يروى * وحبى فيك سار مع الركاب
ولم يمر رسوالك على ضميرى * ووجدى فيك أيسره عذابى
ومالك عن سواد العين يوما * ومالسواد قلبى من جواب
وما اخضرت دواعى الشوق الا * هززت اليك أغصان التصابى

وقال عفا الله عنه

قفا نبك دار اشط عنا مزارها * وانحلنا بعد البعاد اذكارها
وعوجا باطلال محتها يد النوى * فأظلم بالناى المشت نهارها
فقدنا بها ريما من الانس ان رنت * بمقلتها يصمى القلوب احورارها
تصد قلوب العاشقين أنيسة * ويحسن منها صدها ونفارها
ويهزأ بالاغصان لين قوامها * اذا مال فوق القضن منها خمارها
وليس لبدر التم قامة قدها * وماهو الا حجلها وسوارها
منازلها منى الفؤاد وان نأى * عن العين مثواها ففى القلب دارها
يمثلها بالوهم فكرى لناظرى * وأكثر ما يضنى النفوس افتكارها
وهيج دمعى حر نار صبابتى * وما خمدت بالدمع منى نارها
وساعدنى بالايك ليلا حمائم * تهاتف شجوا لا يقر قرارها
بكين ولم تسفح لهن مدامع * وعينى فاضت بالدموع بحارها

ولمؤلفه رحمه الله تعالى وهو قول ضعيف على قدر حاله لكنه يسأل الواقف عليه من افضاله ستر ما يراه من عيوبه وأن يدعو له بمغفرة ذنوبه

نسيم الصبا بلغ سلمى رسائلى * بلطف وقل عن حال صبك سائلى
فقد صار بالاسقام صبا معذبا * قريح جفون من دموع هوامل
صبورا على حر الغرام وبرده * حليف الضنى لم يصغ يوما لعاذل
يبيت على جمر الغضى متقلبا * يئن غراما فارحميه وواصلى
الا يا سلمى قد أضر بى الهوى * وهاجت بتبريح الغرام بلابلى
رميت بسهم من لحاظك قاتل * فلم يخط قلبى والحشى ومقاتلى
كتمت غرامى فى هواك ولم أبح * بسر فباحت أدمعى برسائلى
سلمى سلى ماقد جرى لى من النوى * فقد عادلى حال له رق عاذلى
لعل تجودى للكئيب وتسعفى * بوعد وبعد الوعد ان شئت ماطلى

عسى تنطفى بالوعد ناری وأشتفى * فبالسقم اعضائی وهت ومفاصلی
خفيت عن العوّاد لولا تأوهی * وعظم أنينی لا يرانی مسائل
فرقی فقد رقت عدای لذلتی * وفاضت علی حالی عيون عواذلی
قطعت زمانی فی عسی ولعلها * ومافزت فی الايام منك بطائل
فما آن أن ترضی علیّ وترحمی * ضنی جسدی فالوجد لاشك قاتلی
توسلت بالمختار فی جمع شملنا * نبیّ له فضل علی کل فاضل

وله رحمه الله تعالى

یاربة الحسن من بالصد اوصاکی * حتی قتلت بفرط الهجر مضناکی
* ویافتاة بفتان القوام سبت * من فی الوری یاتری بالقتل أفتاکی
لقد جننت غراما مذرأی نظری * فی النوم طیف خیال من محیاکی
ومذرآه جفا طیب المنام وقد * أضحی علیلا حزینا لم یزل باکی
عذبتنی بالتجنی وهو یعذب لی * فهل تری تسمحی یوما برؤیاکی
ان کنت لم تذکرینا بعد فرقتنا * فالله یعلم أنا ما نسیناکی
ما آن ان تعطفی جودا علیّ فقد * أضحی فؤادی أسیر الحظ عیناکی
ما کنت أحسب ان العشق فیه ضنی * ولا عذاب نفوس قبل اهواکی
حتی تولع قلبی بالغرام فما * أمسی أسیرا سوی فی حسن معناکی
رقی لعبدك جودا واعطفی وذری * ولا تطیلی بحق الله جفواکی
یاهند رفقا بقلب ذاب فیك أسی * ومهجة تلفت یاهند ما أقساکی
رق العذول لحالی فی الهوی ورثا * وانت یاهند لا ترثی لمضناکی
والله لو مت ما سلاك یاأملی * ولو فنیت غراما لست أنساکی

وقال آخر

کأن فؤادی یوم سرت دلیل * یسیر أمام العیس وهو ذلیل
فصرت عقیب الظاعنین لکی أری * فؤادی سری فی الرکب وهو عجول
وقائلة لی کیف حالك بعدنا * لتعلم ما هذا الیه یؤول
فقلت لها قدمت قبل ترحلی * فمن باب أولی أن یحث رحیل
وقلت فلیلی طال هما فانشدت * ومازال لیل العاشقین طویل
فقلت وجسمی لم یزل متر جفا * فقالت وجسم العاشقین نحیل
فقلت لها لو کنت أدری فراقنا * بیوم وداع ما الیه سبیل *
قلعت لعینی فی هواك باصبعی * لکی لا أری یوما علیّ ثقیل

وقال الوأواء الدمشقی عفا الله عنه

یامن نفت عنی لذیذ رقادی * مالی ومالك قد أطلت سهادی
فبأیّ ذنب أم بأیة حالة * أبعدتنی ولقد سکنت فؤادی
وصددت عنی حین قد ملك الهوی * روحی وقلبی والحشی وقیادی

ملكت لحاظك مهجتي حتى غدا * قلبي أسيرا ماله من فادي
لاغرو أن قتلت عيونك مغرما * فلكم صرعت بها من الآساد
يامن حوت كل المحاسن في الورى * والحسن منها عاكف في بادي
رفقا بمن أسرت عيونك قلبه * ودعي السيوف تقر في الاغماد
وتعطفي جودا علي بقبلة * فبهم مبسمكي شفاء الصادي
ماتت أطال الله عمرك سلوتي * ولقد فني صبري وعاش سهادي
ومن المنى لو دام لي فيك الضنى * ياحبذا لاأرتئي من عوادي
وأجيل منك نواظري في ناضر * من خدك المترقرق الوقاد
وأقول ماشئت اصنعي يامنيتي * مالي سوالك ولو حرمت مرادي
الامديح المصطفى هو عمدتي * وبه سألقى الله يوم معادي

وقال البهاء زهير

اذا جن ليلى هام قلبي بذكركم * أنوح كما ناح الحمام المطوق
وفوق سحاب يطرد الهم والاسى * وتحتي بحار بالجوى تتدفق
سلوا ام عمرو كيف بات اسيرها * تفك الاسارى دونه وهو موثق
فلا انا مقتول ففي القتل راحة * ولا انا ممنون عليه فيعتق

مجنون ليلى

وقد خبروني أن تيماء منزل * لليلى اذا ما الليل ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا استقضى * فما للنوى يرمي بليلى المراميا
أعد الليالي ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لاأعد الليالي
وأخرج من بين البيوت لعلني * أحدث عنك النفس بالليل خاليا
ألا أيها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد أمسى هوانا يمانيا
يمينا اذا كانت يمينا فان تكن * شمالا ينازعني الهوى عن شماليا
أصلي فما أدري اذا ما ذكرتها * أثنتين صليت الضحى أم ثمانيا
خليلي لا والله لاأملك الهوى * اذا علم من أرض ليلى بدا ليا
خليلي لا والله لاأملك الذي * قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيري وابتلاني بحبها * فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا
ولو أن واش باليمامة داره * ودارى بأعلى حضرموت اهتدى ليا
وددت على حبي الحياة ولو أنه * يزاد لها في عمرها من حياتيا
على انني راض بان أحمل الهوى * وأخلص منه لا علي ولا ليا
اذا ما شكوت الحب قالت كذبتني * فما لي أرى الاعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشى * وتخرس حتى لا تجيب المناديا

وقال آخر

قالت لطيف خيال زارني ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقال خلفته لومات من ظمأ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت عهدت الوفا والصدق سيمته * يا برد ذاك الذى قالت على كبدى

كمال الدين بن النبيه

أما وبياض مبسمك النقى * وسمرة مسكة اللعس الشهى
ورمان من الكافور تعلو * عليه طوالع النهد الندى
وقد كالقضب اذا تثنى * خشيت عليه من ثقل الحلى
لقد أسقمت بالهجران جسمى * وأعطشنى وصالك بعد ريى
الى كم أكتم البلوى ودمعى * يبوح بعضمر السر الخفى
وكم أشكو للاهية غرامى * فويل للشجى من الخلى

صفى الدين الحلى

أبت الوصال مخافة الرقباء * وأتتك تحت مدارع الظلماء
أصفتك من بعد الصدود مودة * وكذا الدواء يكون بعد الداء
أحييت بزورتها النفوس وطالما * ضنت بها فقضت على الاحياء
أتت بليل والنجوم كأنها * درر بباطن خيمة زرقاء
أمست تعاطينى المدام وبيننا * عتب عنيت به عن الصهباء
آبت الى جدى انتظرما انثنت * من بعدها فيه يد البرحاء
ألفت به وقع الصفاح فراعها * جزعا وما نظرت جراح حشائى
أصيبة منا بنبل لحاظها * ما أخطأته أسنة الاعداء
أعجبت مما قد رأيت وفى الحشا * أضعاف ما عاينت فى الاعضاء
أمسى ولست بسالم من طعنة * نجلاء أو من مقلة نجلاء

وله رحمه الله تعالى

قفى ودعينا قبل وشك التفرق * فما أنا من يحيا الى حين نلتقى
قضيت وما أودى الحمام بمهجتى * وشبت وما حل البياض بمفرقى
قنعت أنا بالذل فى مذهب الهوى * ولم تقنعى بين المنعم والشقى
قرنت الرضا بالسخط والقرب بالنوى * ومزقت شمل الوصل كل ممزق
قبلت وصايا الهجر من غير ناصح * وأحببت قول الهجر من غير مشفق
قطعت زمانى بالصدود وزرتنى * عشية زمت للترحل أينقى
قضى الدهر بالتفريق فاصطبرى له * ولا تذعى أفعاله وترفقى *

وقال عفا الله عنه

جاءت لتنظر ما أبقت من المهج * فعطرت سائر الارجاء بالارج
جلت علينا محيا لو جلته لنا * فى ظلمة الليل أغنتنا عن السرج
سورية الخد تحمى ورد وجنتها * بحارس من نبال الغنج والدعج
جرت اساءة أفعالى بمغفرة * فكان غفرانها يغنى عن الحجج

جادت لعرفانها الى المريض بها * فما عدى اذا أذنبت من حرج
جسست يدى لترى مابى فقلت لها * كفى قذالك جوى لولاك لم يهج
جفونى فرأيت الصبر أجمل بى * والصمت فى الحب أولى بى من اللهج
جارت لحاظك فينا غير راحمة * ولذة الحب جور الناظر الغنج

وقال ابن نباتة

رقت لنا حين هم السفر بالسفر * وأقبلت فى الدجى تسعى على حذر
راض الهوى قلبها القاسى فجاد لنا * وكان أبخل من تموز بالمطر
رات غداة الفوى نار الكليم وقد * شبت فلم تبق من قلبى ولم تذر
ريشة لو تراها عند ما سفرت * والبدر ساه اليها وهو معتذر
رأيت بدرين من وجه ومن قمر * فى ظل جنحين من ليل ومن شعر
رشفت درا لميا من مقبلها * اذ نبهتنى اليها نسمة السحر
رنت نجوم الدجى نحوى فحاظرت * من يرشف الراح قبلى من فم القمر
راق العتاب وأبدت لى سرائرها * فى ليلة الوصل بل فى غرة القمر

وقال ابن الساعاتى

قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة فى كوثر
ودخلت جنة وجهها فأباحنى * رضوانها المرجو شرب المسكر

وقال آخر

بكت للفراق وقد راعها * بكاء المحب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها * بقية طل على جلنار

الواوا الدمشقى تضمين

قالت متى الظعن ياهذا فقلت لها * اما غدا زعموا أولا فبعد غد
فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

لابن نباتة

هذولى لست أسمع منه قولا * على غيدا مثل البدر تما
فطرف ضر برعن سناها * ولى أذن عن الفحشاء صما

وقال آخر

ورب ليال فى هواها سهرتها * أراعى نجوم الليل فيها الى الفجر
حديثى عال فى السهاد لانى * رويت أحاديث السهاد عن الزهر

السراج الوراق

يالائمى فى هواها * أسرفت فى اللوم جهلا
مايعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

وقال آخر

وعدت أن تزورليلا فألوت * وأتت فى النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت فى الوعد قالت * كيف صدقت أن ترى الشمس ليلا

لعز الدين الموصلى

قد سلونا عن الغزال بخود * ذات وجه بها الجمال تفتن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتى هى أحسن

وقال آخر

قالت وناولتها سواكا * سادبفيها على الاراك
سواى ماذاق طعم ريقى * قلت لها ذاقه سواكى

وقال آخر

سألتها أن تعيد لفظا * قالت حب دعوه يعذر
حديثها سكر شهى * وأحسن السكر المكرر

ابن نباتة

وماولة فى السلب لما أن رأت * أثر السقام بجسمى المنهاض
قالت تغيرنا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

وقال أبو الطيب المتنبى

بأبى الشموس الجانحات غوارب * اللابسات من الحرير جلابيا
النا هبات عيوننا وقلوبنا * وجناتهن النا هبات النا هبا
النا عمات القا تلات المحييا * ت المبديات من الدلال غرائبا
حاولن تفديتى وخفن مراقبا * فوضعن أيديهن فوق ترائبا
وبسمن عن برد خشيت أذيبه * من حر أنفاسى فكنت الذائبا
ياحبذا المتجاورون وحبذا * وادلثت به الغزالة كاعبا
كيف الرجاء من الخطوب تخلصا * من بعد أن انشبن فى مخالبا

وله أيضا من جملة قصيدة

ولما التقينا والنوى ورقيبنا * غفولان عنا ظلت أبكى وتبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم تر قبلى ميتا يتكلم

الشريف الرضى

وتميس بين مزعفر ومعصفر * ومعنبر ومسك ومصندل
هيفاء ان قال الشباب لها انهضى * قالت روادفها اقعدى وتمهلى
واذا سألت الوصل قال جمالها * جودى وقال دلالها لا تفعلى

ابن اسرائيل

وعدت بوصل والزمان مسوف * حوراء ناظرها حسام مرهف
نشوانة نضحباه منهل ثغرها * درر وريقتها سلاف قرقف

وتحال بين البدر منها والنقا * غصن ناعيس به الكثيب مهفهف
لا تحسبن الخلف شيمة مثلها * وعدت ولكن الزمان يسوف
يا بانة قد أطلعت أغصانها * وردا جنيا باللواحظ يقطف
وغزالة يحكي الغزالة وجهها * ويعير ناظرها الحسام الاوطف
ما تأمرين لمغرم تسطو به * أجفانك المرضى ولا تستعطف
قسما بوجهك وهو صبح مشرق * وسواد شعرك وهو ليل مسدف
وبهز غصن البان منك على النقا * مالي الى أحد سواك تشوف

ولنذكر ان شاء الله تعالى في هذا الباب نبذة من ملح النظم ورقائق الشعر من غير تبويب ولا ترتيب

للشيخ شمس الدين بن المديوي

ولما أتت سلمى وشط بها النوى * وأيقنت أني بالغرام أذوب
علقت بأخرى غيرها متلاهيا * ليطفي ضرام في الحشا ولهيب
وكان هيامي والهوى وصبابتي * لمن هو في الاولى الي حبيب

وله في المعنى

تلاهيت عنها في الغرام بغيرها * وقلت لقلبي هذه هي زينب
وقبلت فاها مبردا لصبابتي * فأضرمت نارا في الحشى تتلهب
فكنت كمن أضحى غريقا بلجة * تمسك بالموج الذي يتقلب

وقال أيضا

سألت القلب هل ميل للي * وهل عند الفؤاد لها التفات
فقال الآن لا لكن تأنى * فقلت الحب فيه تقلبات
فان الحب يهجم بعد يأس * ويعتاد المحب تغيرات
فلا تظهر لها يوما مللا * فتفضحك التصابي الواردات
وترمي بالصدود وبالتجني * وتخلك الوعود الكاذبات
فكن جلدا ولا تك ذا الجاج * فما يغنيك ان فات الفوات

وقال البيطار

يقولون هذي أم عمرو قريبة * دنت بك أرض نحوها وسماء
الا انما قرب الحبيب وبعده * اذا هو لم يوصل اليه سواء

وقال غيره

وقالوا بع حبيبك وابغ عنه * حبيبا آخرا تحيا سعيدا
اذا كان القديم هو الصافي * وخان فكيف آتمن الجديدا

وقال آخر

لم انس اذ قلت من وجدي لها غلطا * ووجهها مشرق في حندس الظلم
سلوت عنك فقالت وهي ضاحكة * لتقرعن علي السن من ندم

وقال

وقال آخر

أمن المروأة أن أبيت مسهدا * قلقا أبل ملابسي بدموعي
وتبيت ريان الجفون من الكرى * وأبيت منك بليلة الملسوع

وقال آخر

الى الله أشكو جور أهيف شادن * وقعت فمالي من يديه خلاص
جرحت بعيني خده وهو جارح * بعينيه قلبي والجروح قصاص

وقال آخر

قد كنت أسمع بالهوى فأكذب * وأرى المحب وما يقول فأعجب
حتى رميت بحلوه وبمره * من كان يتهم الهوى فيجرب

وقال آخر

سألتها التقبيل من خدها * عشرا وما زاد يكون احتساب
فمذ تلاقينا وقبلتها * غلطت في العد وضاع الحساب

وقال آخر

يا من سقامي من سقام جفونه * وسواد حظي من سواد عيونه
قد كنت لا أرضى الوصال وفوقه * واليوم أقنع بالخيال ودونه

وقال آخر

صبحته عند المساء فقال لي * تهزا بقدري او تريد مزاحا
فأجبته اشراق وجهك غرني * حتى توهمت المساء صباحا

أبو عبد الله الغوّاص

من عذيري من عذول في رشا * قامر القلب هواه فقمر
قمر لم يبق مني حسنه * وهواه غير مقلوب قمر

وقال آخر

جاذبتها والريح تجذب برقعا * من فوق خد مثل قلب العقرب
وطفقت ألثم ثغرها فتحجبت * وتسترت عني بقلب العقرب

وقال آخر

لومت من كثرة الاشواق وانبدلت * مدامعي بدم من كثرة السهر
ما اخترت عنك سلوا الا ولا نظرت * عيني لغير محيا وجهك القمر

ابراهيم بن العباس

تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضى * ويصرع قلبي اذ يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

وقال النوفلي

اذا اختلجت عيني رأت من تحبه * فدام لعيني ما حييت اختلاجها
وما ذقت كاسا مذ علقت بحبها * فأشربه الا ودمعي مزاجها

وقال آخر رحمه الله تعالى

ياذا الذى زار ومازارا * كأنه مقتبس نارا
قام بباب الدار من تيهه * ماضره لو دخل الدارا

وقال آخر

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وأبحت منى ظاهرى لجليسى
فالكل منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

ابن نباتة

أناشده الرحمن فى جمع شملنا * فيقسم هذا لايكون الى الحشر
اذا ماغدا مثل الحديد فؤاده * فوا العصران العاشقين فى خسر

أمين الدين بن أبى الوفاء

يانازلا منى فؤادا راحلا * ومن العجائب نازلا فى زاحل
أضرمت قلب متيم أهلكته * وسكنته والنار مثوى القاتل

وقال آخر

ياعاذلى فى هواه * اذا بدا كيف اسلو
يسرنى كل وقت * وكلما مر يحلو

الحاجبى

ملأت فؤادى من محبة فاتن * أميل اليه وهو كالظبى رائغ
وقلت لقلبى قم لتعشق شادنا * سواه فقال القلب ما أنا فارغ

وقال ديك الجن

ولى كبد حرى ونفس كأنها * بكف عدو مايريد سراحها
كأن على قلبى قطاة تذكرت * على ظما وردا فهزت جناحها

وقال عبد الله بن طاهر

أقام ببلدة ورحلت عنه * كلانا بعد صاحبه غريب
أقل الناس فى الدنيا سرورا * محب قد نأى عنه الحبيب

وقال آخر

ما اخترت ترك وداعكم يوم النوى * والله لاملا ولا تجنب
لكن خشيت بأن أموت صبابة * فيقال أنت قتلته فتقادبى

وقال ابن المعتز

هب لعينى رقادها * وانف عنها سهادها
وارحم المقلة التى * كنت فيها سوادها
كن صلاحا لها كما * كنت دهرا فسادها

وقال آخر

وقالوا دع مراقبة الثريا * ونم فالليل مسود الجناح

فقلت وهل أفاق القلب حتى * أفرق بين ليلى والصباح

وقال آخر

ولي فؤاد اذا طال النزاع به * طار اشتياقا الى لقياه معذبه
يفديك بالنفس صب لو يكون له * أعز من نفسه شيء فداك به

وقال آخر

وما هجرتك النفس يا مي أنها * قلتك ولا أن قل منك نصيبها
ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا * بقول اذا ما جئت هذا حبيبها

وقال المحاربي

اذا أنت لم توقن بما صنع الهوى * بأهل الهوى فافقد حبيبا وجرب
ترى حرقات يلدغ القلب حرها * بأنضج من كي القضي المتلهب

وقال الاقرع بن معاذ

أقول لفت ذات يوم لقيته * بمكة والانضاء ملقى رحالها
بحقك أخبرني أماتأثم التي * أضر بجسمي منذ مر خيالها
فقال بلى والله أوسيصيبها * من الله بلوى في الزمان تنالها
فقلت ولم أملك سوابق عبرة * سريع على جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها كل ذنب ولقيت * مناها وان كانت قليلا نوالها

وقال آخر

بالله ربكما عوجا على سكني * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في حديثكما * ما ضر لو بوصال منك تسعفه
فان تبسم قولا عن ملاطفة * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
وان بدا لكما من سيدي غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقال عبد الله بن أبي الشيص

ومعرضة تظن الهجر فرضا * تخال لحاظها للضعف مرضى
كأني قد قتلت لها قتيلا * فمامني بغير الهجر ترضى

وقال الحسين بن الضحاك

بعضي بنار الهجر مات حريقا * والبعض أضحى بالدموع غريقا
لم يشك عشقا عاشق فسمعته * الا ظننتك ذلك المعشوقا

وقال آخر

وأجيل فكري في هوا * ك بلا لسان ناطق
ادعو عليك بحرقة * من غير قلب صادق

وقال آخر

يا ويح من خبل الاحبة قلبه * حتى اذا ظفروا به قتلوه
عزوا ومال به الهوى فأذله * ان العزيز على الذليل يتيه

انظر الى جسد أضر به الهوى * لولا تقلب طرفه دفنوه
من كان خلوا من تباريح الهوى * فانا الهوى وخليفه وأخوه

وقال أحمد بن طاهر

تقول العاذلات تسل عنها * وداوعليل صبرك بالسلو
فكيف ونظرة منها اختلاسا * ألذ من الشماتة بالعدو

وقال اسحق موصلي المهلب

هبيني يامعذبتي أسأت * وبالهجران قبلكم بدأت
فأين الفضل منك فدتك نفسي * على اذا أسأت كما أسأت

وقال أبو العتاهية

يقول أناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما أدري لهم كيف أنعت
ستام على جسمي كثير موسع * ونوم على عيني قليل مفوت
اذا اشتد ما بي كان أفضل حيلتي * له وضع كفي فوق خدي وأسكت

وقال بشار

ياقرة العين اني لا أسميكي * أكني بأخرى أسميها وأعنيك
أخشى عليك من الجارات حاسدة * أوسهم عيران يرميني ويرميك
لولا الرقيبان اذ ودعت غادية * قبلت قالة وقلت النفس تفديك
ياأطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرة في الدهر واحدة * بالله لا تجعليها بيضة الديك

وقال آخر

ألم تعلمي ياأحسن الناس أنني * أحبك حبا مستكنا وباديا
أحبك مالو كان بين قبائلي * من الناس أعداء لجرا القصافيا

وقال آخر

أقول لشادن في الحسن أضحى * يصيد بطرفه قلب الكمي
ملكت الحسن أجمع في نصاب * فأدز كاة منظرك البهي
وذلك بأن تجود لمستهام * برشف من مقبلك الشهي
فقال أبو حنيفة لي امام * يرى أن لا زكاة على الصبي

وقال آخر

سقى الله ربعا كنت أخلو بوجهكم * وثغر الهنى في روضة الحسن ضاحك
أقمنا زمانا والعيون قريرة * وأصبحت يوما والجفون سوافك

وقال آخر

ألم تعلمي ياعذبة الماء أنني * أظل اذا لم أسق ماءك صاديا
ومازلت بي ياابنة حتى لو أنني * من الوجد أستبكي الحمام بكى ليا

أبو العباس الشهير بالنفيس

يا راحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما أنصفتك جفوني وهي دامية * ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

الوزير ظهير الدين الملقب بابي شجاع

لا عذبن العين غير مفكر * فيها بكت بالدمع او فاضت دما
ولا هجرن من الرقاد لذيذه * حتى يعود على الجفون محرما
هي اوقعتني في حبائل فتنة * لو لم تكن نظرت لكنت مسلما
سفكت دمي فلا سفحن دموعها * وهي التي بدأت فكانت أظلما

وقال العتبي

أضحت بخدي للدموع رسوم * أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

الرفاء الاندلسي

ومهفهف كالغصن الا أنه * تحير الالباب عند لقائه
أضحى يشام وقد تكلل خده * عرقا فقلت الورد روش بمائه

وقال آخر

اخضر واصفر لاعتلال * فصار كالنرجس المضعف
كأن نسرين وجنتيه * بشعر أصداغه مغلف
يرشح منه الجبين ماء * كأنه اؤلؤ منصف

وقال آخر

مازال ينهل من صرف الطلا قرمي * حتى غدت وجنتاه البيض كالشفق
وقام يخطر والأرداف تقعده * طورا وحاول أن يسعى فلم يطق
فعائل فعلت فعل الشمول به * فعل النسيم بغصن البانة الورق
جاذبته لعناق فانثنى بخلا * وكالت وجنتاه الحمر بالعرق
وقال لي بفتور من لواحظه * ان العناق حرام قلت في عنقي

وقال آخر

بارك ان هذا البيت انى لطائف * وفي الكون اسرار وفيه لطائف
رعى الله أياما وناسا عهدتهم * جيادا ولكن الليالي صيارف
وبي ذهبي اللون صيغ لمحنتي * يريد امتحانا تي وما أنا زائف
يذيب فؤادا وهو لا غش عنده * فيا ذهبي اللون انك حائف

وقال آخر

أسى لي الى الدهر عندي ليلة * لم أحل فيها الكاس من اعمالي
فرقت فيها بين جفني والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال

ومما قيل في الرقباء

لو أن لي في الحب أمرا نافذا * وملكت بسط الأمر في التعذيب

لقطعت ألسنة العواذل كلها * ولكنت أقلع عين كل رقيب

وقال أعرابي

بسهم الحب كم فى فؤادى * ولا كالكلم من عين الرقيب
تكمن ناظراه به وأخفى * مكان الكاتبين من الذنوب
ومن حذر الرقيب اذا التقينا * نسلم كالغريبة على الغريب
ولولاه تشاكينا جميعا * كما يشكو المحب الى الحبيب

وقال آخر

من عاش فى الدنيا بغير حبيب * فحياته فيها حياة غريب
عين الرقيب غرقت فى بحر العمى * لا أنت لا بل عين كل رقيب

وقال أحمد بن أبى سلمة

يعذلنى فيه جميع الورى * كأننى جئت بأمر عجيب
أظن نفسى لو تعشقتها * بليت فيها بملام الرقيب
وأنا الغريب فلا ألام على البكا * ان البكا حسن بكل غريب

وقال اخر

وما فارقت سعدى عن قلاها * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل الف * اذا بانت حبيبته بكاها

وقال آخر

وقائله ما بال دمعك أبيض * فقلت لها ياعاوه هذا الذى بقى
ألم تعلمى أن البكا طال عمره * فشابت دموعى عند ما شاب مفرقى
وعما قليل لا دموع ولا دما * ولم يبق الا لوعتى وتحرقى

وقال آخر

ولم أر مثلى غار من طول ليله * عليه لان الليل يعشقه معى
ومازلت أبكى فى دجا الليل صبوة * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعى

وقال آخر

ربوت طيف خيال * وكيف لى بهجوع
والذاريات جفونى * والمرسلات دموعى

وقال آخر

يا نازح الطيف من نومى يعاودنى * فقد بكيت لفرط النازحين دما
أوجبت غسلا على عينى بأدمعها * فكيف وهى التى لم تبلغ الحلما

وقال آخر

ارحم رجت للوعتى * وابعث خيالك فى الكرى
ودموع عينى لا تسل * عن حالها يا ما جرى

وقال اخر

أسئلت أن تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم مالا أرى
وعلمت أن فراقكم لابد أن * يجرى به دمعى دما وكذا جرى

وقال آخر

ان عينى مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى * لاتسل ما جرى على الخد منها

وقال آخر

يقولون لى والدمع قرح مقلتى * بنار أسى من حبة القلب تقدح
أدمعك جر قلت لاتعجبوا * فكل وعاء بالذى فيه يضمح

وقال البدر الذهبى

قالوا بنا كى بالدموع وما بكى * بدم على عيش تصرم وانقضى
فأجبتهم هو من دمى لكنه * لما تصاعد صار يقطر أبيضا

وقال ابن مطروح فى الغيرة

ولو أمسى على تلفى مصرا * لقلت معذبى بالله زدنى
ولا تسمح بوصلك لى فانى * أغار عليك منك فكيف منى

وقال آخر

أغار عليك من نظرى ومنى * ومنك ومن مكانك والزمان
ولو أنى خبأتك فى جفونى * الى يوم القيامة ما كفانى

المظفر بن عمر الآمدى

قلت للذين جفونى اذ لهجت بهم * دون الانام وخير القول أصدقه
أحببتكم وهلا كى فى محبتكم * كعابد النار يهواها وتحرقه

وقال غيره

لم أنس أيام الصبا والهوى * لله أيام النجا والنجاح
ذاك زمان مر حلو الجنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

الشريف الرضى

علاانى بذكركم واسقانى * وامن جالى دمعى بكأس دهاق
وخذا النوم من جفونى فانى * قد خلعت الكرى على العشاق

وقال آخر

قالوا أترقد مذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعى على بصرى
ما حق طرف هدانى نحو مسكنكم * أنى اعذبه بالدمع والسهر

عز الدين الموصلى

فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعدا الجفون بزورة * ياحبذا ان صحت الاحلام

وعما قيل فى السهر وطول الليل ونحو ذلك قال الشاعر

ورب ليل سهرناه وقد طلعت * بقية البدر في أولى تباريه
كأنما أدهم الظلماء حين نجا * من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

وقال آخر

ليل المحبين مطوى بجوانبه * مشمر الذيل منسوب الى القصر
ماذاك الا الان الصبح تم بنا * فأطلع الشمس من غيظ على القمر

وقال غيره

فلم أر مثل ليل ذوى التصابى * وكل يشتكيه بكل حال
فيشكو طوله أهل التجافى * ويشكو قصره أهل الوصال

وقال آخر

ليلى وليلى سواء في اختلافهما * قد صيراني جميعا في الهوى مثلا
يجود بالطول ليلى كلما بخلت * بالطول ليلى وان جادت به بخلا

وقال آخر

ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وقال غيره

رب ليل لم أذق فيه الكرى * حظ عيني فيه دمع وسهر
كلما هيج ليلى حرقى * صحت يا ليلى أما فيك سحر

وقال آخر

يا ليل طل أو لا تطل * لا بد لى من سهرك
لو بات عندى قرى * ما بت أرعى قرك

وقال بشار بن برد

خليلي ما بال الدجى لا يزحزح * وما بال ضوء الصبح لا يتوضح
أضل اليها المستنير طريقه * أم الدهر ليل كله ليس يبرح

وقال آخر

كأن الثريا راحة تشبر الدجى * ليعلم طال الليل أم قد تعرضا
فليلى تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

وقال ابن منقذ

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش في الحداد سوافر * أيقنت أن صباحهم قد ماتا

وقال آخر في ليلة ممطرة

أقول والليل في امتداد * وأدمع الغيث في انسفاح
أظن ليلى بغير شك * قد بات يبكى على الصباح

وعما جاء في الاشعار الخمرية قول صفى الدين الحلى

بدت لنا الراح فى تاج من الحبب * فخرقت حلة الظلماء باللهب
بكر اذا زوجت بالماء أولدها * أطفال درّ على مهد من الذهب
بقية من بقايا قوم نوح اذا * لاحت بدت ظلم الاحزان والكرب
بعيدة العهد بالمعصار لو نطقت * لحدثتنا بما فى سالف الحقب
باكرتها برفاق قد زهت بهم * قبل السلاف سلاف العلم والأدب
بكل متشح بالفضل مؤتزر * كأن فى لفظه ضربا من الضرب
بل رب ليل غدا فى الاهاب غدت * تنقض فيه كؤس الراح كالشهب
بذات عقلى صداقا حين بت به * أزوج ابن سحاب بابنة العنب
بتنا بكاساتها صرعى ومطربنا * يعيد أرواحنا من شدة الطرب
يبث ألما فلم نعلم لفرحتنا * من نفخة الصور أم من نفخة النصب
بروضة طل فيها الطل أدمعه * والزهر مبتسم عن ثغره الشنب

وقال أيضا

تاب الزمان من الذنوب فوات * واغنم لذيذ العيش قبل فوات
تم السرور فقم بنا يا صاحبى * نستدرك الماضى بنهب الآتى
توج بكاسات الطلا هام الربا * فى روضة مطاولة الزهرات
تغدو سلاف القطر دائرة بها * والكاس دائرة بكف سقاة
تلف النضار على العقار غنيمتى * وفراغ راحاتى على الراحات
تركى لأكياس النضار جهالة * من ذا أحق بها من الكاسات
تبت يدا من تاب عن رشف الطلا * والكاس متقد كخد فتاة
تابع الى أوقاتها داعى الصبا * واعجب لما فيها من الآيات
تم بها نقص السرور فانها * عند الكرام تتمة اللذات

وقال أيضا

حى الرفاق وطف بكاس الراح * واطرز بكاسك حلة الافراح
حث الكؤس على جسوم أصبحت * فيها المدام شريكة الارواح
حاشى الانام وعاطنى مشمولة * ظنت فسادى وهى عين صلاحى
حمراء لو ترك الستاة مزاجها * أغنى تلألؤها عن المصباح
حبب تظل به الكؤس كأنها * خصر الفتاة تحفه بوشاح
حجب الحباب شعاعها فكأنه * شفق تلهب تحت ذيل صباح
حكم الزمان وغض عنا طرفه * ياصاح لا تقنع بأنك صاح

وقال آخر

قد قلت اذ أضحى يعبس كلما * دارت عليه بالمدام الاكؤس
تالله ما أنصفتها يا سيدى * تأتيك باسمة وأنت تعبس

عز الدين الموصلي

لئن شبه الساقي المدام بمسجد * فقد مال بالتشبيه عن صيغة الادب
ولكن رآها جوهرا سبيت طلا * فيزما قد حملت الكاس بالذهب

يزيد بن معاوية

وخمسة كرم برجها قهرتنها * وطلعتها الساقي ومغربها فمي
مدام كتبر في اناء كنفسة * وساق كبدر مع ندامى كأنجم

وقال آخر

كان الندامى والسقاة ودتنا * وكاساتنا في الروض تعلى وتشرب
شموس وأقمار وفلك وأنجم * ونور ونوار وشرق ومغرب

وقال آخر

فكانها وكان حامل كأسها * اذ قام يجلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها * بدر الدجا بكواكب الجوزاء

وقال كشاجم

صدح الديك في الدجى فاسقنيها * خمرة تترك الحليم سفيها
است أدري من رقة وصفاء * هي في الكاس أم هو الكاس فيها

كمال الدين بن النبيه

قم يا غلام ودع مقالة من نصح * فالديك قد صدع الدجى لما صدح
خفيت تباشير الصباح فاسقني * ماضل في الظلماء من قدح القدح
صهباء ما لمعت بكف مديرها * لمقطب الا تهلل وانشرح
تالله ما مزج المدام بمائها * لكنه مزج المسرة بالفرح
هي صفوة الكرم الكريم فاسرت * سراتها في باخل الا سمح
من كف فتان اللحاظ بوجهه * عذران خلع العذار أو اقتضح

وقال غيره

وليلة أوسعتني * حسنا وله وأنسا
ما زلت ألثم بدرا * بها وأشهد شمسا

عبد الله بن محمد العطار وقيل يزيد بن معاوية

وكاس يرينا آية الصبح في الدجى * فاولها شمس وآخرها بدر
مقطبة ما لم يزرها مزاجها * فان جاءها جاء التبسم والبشر
فيا عجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

وقال ابن تميم

وليلة بت أسقى من غياهبها * راحا تسل شبابي من يد الهرم

مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

ابن مكانس

نزل الطل بكرة * وتوالى تجـــددا
والندامى تجمعوا * فاجل كاسى على الندا

الشيخ شهاب الدين الحجازى

كاسنا ياصاح صرفا * جليت بين الندامى
لم نجد ماء لمزج * فقنعنا بالندامى

صفى الدين الحلى

كيف لاتخضع العقول لديها * وهى سلطان سائر المسكرات
ألفوا فى الكؤس اذ مزجوها * بين ماء الحيا وماء المـلام

غيره

صبها فى الكاس صرفا * غلبت ضوء السراج
ظنها فى الكاس نارا * فطفاها بالمزاج

مجد الدين بن تميم

نديمى لاتسقنى * سوى الصرف فهو الهنى
ودع كاسها أطلسا * ولا تسقنى مع دنى

تقى الدين بن حجة

حيابها عاصرها فى كسها * مشرقة باسمة كالثغر
وقال هذى تحفة فى عصرنا * قلت اسقنيها يا امام العصر

أبو الطيب المتنبى

ياصاحبى امزجا كاس المدام لنا * كما يضىء لنا من افقها الغسق
خمرا اذا نديمى هم يشربها * أخشى عليه من اللألاء يحترق
لو راح يحلف أن الشمس ماغربت * فى فيه كذبه فى وجهه الشفق

وقال آخر

بنت كرم يتموها أمها * وأهانوها بدوس بالقدم
ثم داروا حكموها فيهم * ويلهم من جور مظلوم حكم

وقال آخر

عناقيد على قضب تدلت * حكى منظومها عقدا اللآلى
اذا عصرت بدا فى الكاس منها * دوالى قد تربت فى دوالى

برهان الدين بن المعمار

باكر لكرم العنب المجتنى * واستجنه من عند عنابه
واعصره واستخرج لنا ماءه * لكى تزيل الهم عنا بابه

جولان العاذلى

اذا ما الخمر فى الكاسات صبت * رأيت لها شموسا فى بروج
وان جليت على الندمان يوما * تزاحمت الهموم على الخروج

وقال فى الشراب المطبوخ

يا من يعذب ماء الكرم يحرقه * بالنار فى أى شئ تظلم العنبا
ان التى طبختها الشمس أنفع لى * ولست أخسر لا قدرا ولا حطبا

وقال أيضا

وعتيقة رقت وراق مزاجها * لطفا وأخملها الزمان الغابر
لم يبق منها غير نور ساطع * لا يستطيع يحول فيه الناظر
ترنو اليك من الحباب بأعين * خلقت ولم يخلق لهن محاجر

وقال غيره

لا تعصرن زبيبا واعتصر عنبا * فبين هذين فرقنا بتصريح
هذا من الحى للاحياء معتصر * وذاك يعصر من جسم بلا روح

وقال غيره

عابوا علىّ مداما * أخرتها الصبوحى
واستنكروها وقالوا * تخللت قلت روحى

وقال آخر فى الشراب على الرعد والبرق

أما ترى الرعد بكى فاشتكى * والبرق قد أومض فاستضحكا
فاشرب على غيم كصبغ الدجى * أضحك وجه الروض لما بكا
وانظر لماء النيل فى مده * كأنه صندل أو مصطكا

وقال آخر

يا ليلة جمعت لنا الاحبابا * لو شئت دام لنا النعيم وطابا
بتنا بها نسقى سلافا رقرقا * بذر الصحيح بعقله مرتابا
من كف غانية كأن بنانها * من فضة قد قعت عنابا

وقال آخر

أما ترى الغيث كالباكى بادمعه * والارض تضحك والازهار فى فرح
فقم فدينك نشكو ما نكابده * من الزمان وما نلقى الى القدح

ابن نباتة

اما ترى الليل قد وات غياهبه * وعارض الفجر بالاشراق قد طلعا
فاشرب على وردة وردية قدمت * كأنها خد ريم رام فامتنعا

ومن شعر عضد الدولة

طربت الى الصبوح مع الصباح * وشرب الراح والغرر الملاح

وكان الثلج كالكافور نثرا * وناري بين نارنجي وراحي
فشمومي ومشمولي وناري * وثلجي والصباح مع الصباح
لهيب في لهيب في لهيب * صباح في صباح في صباح

ابن وكيع

وصفراء من ماء الكروم كأنها * قراق عدو أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير يطوقها * كواكب درّ في سماء عقيق
صببت عليها الماء حتى تعوضت * قميص بها من قميص شقيق

وقال آخر

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

وقال آخر

اذا الكروان صاح على الرمال * وحل البدر في برج الكمال
وجد وجه بركتناه هبوب * تمرّ به الجنوب مع الشمال
وحرّكت الغصون فشابهتها * قدود ساقيات في كل حال
فهات الكاس مترعة ودعني * أبادر لذتي قبل ارتحالي
فكل جماعة لا شك يوما * يفرّق بينهم صرف الليالي

وقال آخر في الشراب على الغيم

أرى غيما تؤلفه جنوب * ويوشك أن يوافقنا بطل
فوجه الرأي أن تدعو برطل * فتشربه وتدعو لي برطل

وقال آخر

فيا بكرا باكر بكرة بكر كرمة * تفز بي كورا باكرتك بها بكر
وداوي خمار الخمر بالخمر انما * دواء خمار الخمر من دائها الخمر

الصنوبري

لا تبكين على الاطلال والدمن * ولا على منزل أقوى من السكن
وقم بنا نصطبح صهباء صافية * تنفي الهموم ولا تبقي على الحزن
بكرا مشعشعة عذراء واضحة * تبدو فتخبرنا عن سالف الزمن
حمرا مروّقة صفراء فاقعة * كأنما مزجت من طرفك الوسني
يسعى بها غنج في خده ضرج * في ثغره فلج يفضي الى اليمن
في ريقه عسل قلبي به خبل * في مشيه ميل أربى على الغصن
كأنه قمر ما مثله بشر * في طرفه حور يرنو فيجرحني
سبحان خالقه يا ويح عاشقه * يهدي لرامقه صنفا من الشجن
في روضة زهرت بالنبت قد حسنت * كأنها فرشت من وجهه الحسن

باطيب مجلسنا والطير يطربنا * والعود يسعدنا مع منشد لسن

كمال الدين بن النبيه

طاب الصبوح لنا فهات الأكؤس * واشرب هنيئا يا أخا اللذات
كم ذا التوانى والزمان مساعد * والدهر مسمح والحبيب مواتى
قم واغتبق من شمس كاسك واصطبح * بكواكب طلعت من الكاسات
حمراء صافية توقد نورها * فحجبت للنيران فى الجنبات
ينسل فى قار الظروف حبابها * والدر مجتلب من الظلمات
عذراء واقعها المزاج أماترى * منديل عذرتها بكف ساقى
يسعى بها عبل الروادف أهيف * خنث الشمائل شاطر الحركات
بهوى فتسبقه ذوائب شعره * ملتفة كأساود الحيات
لو قسمت أرزاقنا بيمينه * عدل الزمان على ذوى الحاجات

وقال أيضا

باكر صبوحك أهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الأيك طائره
والليل تجرى الدرارى فى مجرته * كالروض تطفو على نهر أزاهره
وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره
فانهض الى ذوب ياقوت لها حبب * تنوب عن ثغر من تهوى جواهره
حمراء من وجنة الساقى لها شبه * فهل جناها مع العنقود عاصره
ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره
بيض سوالفه لعس مراشفه * نعس نواظره خرس أساوره
مفلج الثغر معسول اللمى غنج * مؤنث اللفظ فحل اللحظ شاطره
مهفهف القد يبدى جسمه ترفا * مخصر الخصر عبل الردف وافره
تعلمت بانة الوادى شمائله * وزورت سحر عينيه جآذره
كأنه بسواد اللحظ مكتحل * وركبت فوق صدغيه محاجره
فلو رأت مقلتاها روت آيته الكبرى لآمن بعد الكفر ساحره
خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكاس تستحلى أوائله * لكنه ربما مرت أواخره
واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره

وقال آخر

شربنا بالبواطى ثم رحنا * نعلل بالكؤس وبالقنانى
ولولا ضيقة الاجرام قلنا * لساقيها أدرها بالدنان

برهان الدين القيراطى

أرى جرار الخمر تغلو وقد * عزت وبالافلاس حالى عجيب

جئنا نخمار وقلنا له * اجعل الينا جرة كى نطيب
قال زبيبا تريدون أم * خمرا فان الكل منى قريب
قلنا له خمرا فنادى زنوا * فى جرة عشرين قلنا الزبيب

وقال أيضا

صرف الزبيب لصرف همى * نص على نفسه طبيبى
آها على سكرة لعلى * أن أخلط الهم بالزبيب

وقال

قالوا اترك الخمر واجتنبها * لا تعتد الحرام حدا
قلت أراها للروح قوتا * وطالب القوت ما تعدى

ومما قيل فى شرب الفقهاء

يحمون بالفقه عرض الدين من سفه * علما بتصريف احوال وتحقيق
وبعضهم يكرع الصهباء مغتنما * تحت الظلام بأفواه الأباريق

فمن يطيل الحديث والكاس فى يده

وشادن نطقه جار اذا شفعت * فى مجلس الشرب كاسات بطاسات
يظل يحكى وكاس الراح فى يده * حكاية عرضها عرض السموات

ومما قيل فى كريم السكر لئيم الصحو

اذا هز اللئيم السكر يوما * بدا فى بذل مال فيه ضنا
يجود بماله فى الشرب سكرا * ويأكل كفه فى الصحو حزنا

وقيل فى شجاع السكر

اذا شرب الجبان الخمر يوما * أعارته الشجاعة باللسان
وعند الصحو تلقاه جزوعا * اذا اشتد اللقا يوم الطعان

وفيه أيضا

يقول جبان القوم فى حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الاعوجيات فى الوغى * أناقل فيها كل ليث مناهز
ومن لى بحرب ليس يخمد نارها * لعمرى انى لست فيها بعاجز
فمن السكر قيس وابن معدى وعامر * وفى الصحو تلقاه كبعض العجائز

وقال فى شرب الثلاثة

ثلاثة فى مجلس طيب * وعيشهم ما فيه تكدير
هذا يغنى ذا وهذا الذا * يسقى وذا بالشرب مسرور

وقيل فى شرب الاربعة

الا انما خير المجالس مجلس * به وله صفو الزمان مساعد
فتاة وساق والمغنى وصاحب * وخامسهم هم على الكل زائد

وقيل فى شرب الستة

خير المجالس خمسة أو ستة * أو سبعة وعلى الكثير ثمانيه
فاذا تعدّى صار شغلا شاغلا * وتكسرت بين الرجال الآنيه
فاهرب اذا ما كنت تاسع مجلس * ولئن أتيت به فاملك زانيه

ومما قيل فى الشرب مع التجار

شربت مع التجار وكان يوما * جعلت حضورنا فيه وداعا
فذا لك يقول كم أطلقت بيعا * ووفيت الذى بعت الذراعا
وهذا قال عندى كل شئ * ولكن لا أبيع ولا أباعا
فلا تجعلهم أبدا ندامى * فتكسب من مجالسهم صداعا

فيمن أكل على الشراب

وندمان اذا ما الكاس دارت * بغير الاكل إرتعدت يداه
نديم دأبه فى السكر أكل * فلا يبقى على شئ يراه

وقيل فى قدح

غرامى ووجدى بالذى كان فى الثرى * مهانا وأضحى فى المجالس حاكما
قضى ما عليه من رود جهنم * فصار بجنات النعيم ملازما

محمد بن جعفر الانصارى يستدعى بعض أصدقائه الى الشراب

بساط الارض مسك أو عبير * وزهر الروض وشى أو حرير
وقد صفى الدنان الخمر حتى * لقد عادت لدينا وهى نور
ومن يرد السرور يعش هنيئا * اذا العيش الهنى هو السرور
وعندى اليوم قينان كرام * وجوههم شموس أو بدور
وقطب الامر أنت وهل لأمر * يغير القطب فيه رحى تدور
فرأيك فى الحضور فحق يومى * عليك وقد دعاك له الحضور

وقال آخر

باكر صبوحك واشربها مشعشعة * واهنأ بعيش جميل غير مذموم
حمراء من بعد ما احمرت موردة * طافت علينا فسرت كل مهموم
كأن فى كاسها والماء يقرعها * أكارع النمل أو نقش الخواتيم
لاصا حبتنى يد لم تغسل ألف يد * ولم ترد القنا حمر الخياشيم
بادر بجودك بادر قبل عائقه * فان خلف الفتى عندى من اللوم

سيف الدولة بن حمدان فى ساق

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفى أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كانجم * فما بين منقض علينا ومنقض
وقد نشرت أيدى النجوم مطارفا * على الجود كنا والحواشى على الارض
يطرزها قوس السماء بأصفر * على أحمر فى أخضر تحت مبيض

كأذيال خود أقبلت فى غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

ابن نباتة

سقى وواعدنى وصلا ألذبه * عند المنام ولا والله ما وصلا
قبيله الله من ساق مواعده * كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

وقال آخر فى ساق

وساق كالهلال سقى بكاس * لريه تريحس فسقى وحيا
فقلت تأملوا بدرا منيرا * سقى شمسا وحيا بالثريا

وفيه لابن النبيه

ساق صحيفة خده ماسودت * عبثا بلام عذاره ونونه
جعد الذى بيمينه فى خده * وجرى الذى فى خده بيمينه

فى جارية ساقية

نديمى جارية ساقيه * ونزهتى ساقية جاريه
جارية أعينها جنة * وجنة أعينها جاريه

فيمن حبس الكاس فى يده

قالوا الذى تهواه يحبس كاسه * فى كفه من غير ذنب موجب
فاجبتهم كفوا الملام فانه * قرينه طرفه فى كوكب

وقال آخر فى مجلس أنس

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
ما فيه ساع سوى الساقى وليس له * على الندامى سوى الريحان نمام

صفى الدين الحلى فى عود

وعود به عاد السرور لانه * سوى اللهو قدماوهو ريان ناعم
يغرب فى تغريده فكأنه * يعيد لنا ما قصته الحمائم

وقال آخر فى زامرة

وناطقة بالنفخ عن روح ربها * تعبر عما دوننا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومما قيل فى فانوس لابن تميم

انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب جسمه لنحوله * وتعقد من تحت القميص ضلوعه

وفيه لابن قزل

وكأنما الفانوس فى غسق الدجى * ذنب يراه شوقه وسهاده
أضلاعه خفيت ورق أديمه * وبرت مدامعه وذاب فؤاده

ولبعضهم فى شمعة

حكتني وقد أودى بي السقم شمعة * وان كنت صبادونها متوجعا
ضنى وسهادا واصفرارا ورقة * وصبرا وصمتا واحتراقا وأدمعا

ومما قيل في الربيع والرياض والبساتين والمياه والنواعير ونحو ذلك قال الشاعر

هذا الربيع وهذه أزهاره * متجاوب في أيكه أطياره
وبدا البنفسج والشقائق مونق * والورد يضحك بينها وبهاره
فاشرب على وجه الحبيب وغن لي * هذا هوالك وهذه آثاره

وقال غيره

غدونا على الروض الذي طله الندى * سحيرا وأوداج الابارين تسنك
فلم نر شيأ كان أحسن منظرا * من النور يجري دمعه وهو يضحك

وقال آخر

أما ترى الارض قد أعطتك زهرتها * بخضرة واكتسى بالنور عاريها
فللسماء بكاء في جوانبها * وللربيع ابتسام في نواحيها

غيره

ان السماء اذا لم تبك مقلتها * لم تضحك الارض عن شيء من الزهر
والارض لا تقبل أنوارها أبدا * الا اذا رمدت من شدة المطر

وقال ابن قرناص

أيا حسنها من رياض غدا * جنوني فنونا بافنانها
مشى الماء فيها على رأسه * لتقبيل أقدام أغصانها

وقال آخر

انظر الى الاغصان كيف تعانقت * وتفارقت بعد التعانق رجعا
كالصب حاول قبلة من الفه * فرأى المراقب فانثنى متوجعا

وقال ابن تميم

وحديقة ينساب فيها جدول * طرفي برونق حسنها مدهوش
يبدو خيال غصونها في مائه * فكأنما هو معصم منقوش

وقال أيضا عفا الله عنه

لم لا أهيم الى الرياض وحسنها * واظل منها تحت ظل ضافي
والزهر حيانى بثغر باسم * والماء وافاني بقلب صافي

وقال آخر

قد سعينا نبغي زيارة روح * قد حبانا بالطف والاكرام
ناولتنا أيدي الغصون ثمارا * أخرجتها لنا من الاكمام

ومما قيل في الازهار والثمار قال بعضهم في الورد

يا راقدا ونسيم الصبح منتبه * في روضة القصف والاطيار تنتحب

الورد ضيف فلا تجهل كرامته * فهاتها قهوة فى الكاس تلتهب
سقياله زائرا تحيا النفوس به * يجود بالوصل شهرا ثم يحتجب

وقال آخر فيه

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحا * مادام للورد أنوار وازهار
واستقبلا عيشنا بالكاس مترعة * لاطوّلت للئام الناس أعمار

وقال آخر

اشرب على الورد من حمراء صافية * شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا
واستوف بالكاس من لهو ومن طرب * فلست تأمن صرف الحادثات غدا

وقال آخر

اشرب على ورد الخدود فانها * أيام ورد والصبوح يطيب
ما الورد أحسن منظرا من وجنة * حمراء جاد بها عليك حبيب

وقال بعضهم

ولقد رأيت الورد يلطم خدّه * ويقول وهو على البنفسج يحنق
لاتقربوه وان تضوّع نشره * من بينكم فهو العدو الازرق

ومما قيل فى البنفسج قال ابن المعتز

ولازوردية وافت بزورتها * بين الرياض على زرق اليواقيت
كأنها فوق طاقات صففن بها * أوائل النار فى أطراف كبريت

وقال آخر

اشرب على زهر البنفسج قهوة * تهدى السرور لكل صب مكمد
فكأنه قرص بخدّ مهفهف * أو أعين زرق كحلن باثمد

ولبعضهم فى الورد

للورد فضل على زهر الربيع سوى * أن البنفسج أزكى منه فى المهج
كأنه وعيون الناس ترمقه * آثار قرص يد فى خدّ ذى غنج

وقال آخر

يامهديا لى بنفسجا أرجا * يرتاح صدرى له وينشرح
بشرنى عاجلا مصحفه * بأن ضيق الامور ينفسح

وقال غيره فى النرجس

وقضب زمرد تعلو عليها * عيون لم تذق طعم الغماض
توهمت الغمام لها رقيبا * فنكست الرؤس الى الرياض

وقال آخر فيه

أنت يانرجس روض * لزهور الارض ست
ودليل القول فيك * أن أوراقك ست

وقال آخر فيه

أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الىّ وللنمام حولى المام
أيارب حتى فى الحدائق أعين * علينا وحتى فى الرياحين نمام

وقال أيضا فيه

لما تمادى الورد فى زهره * وراح من اعجابه برأس
تلوّن المنثور مما به * واصفرّ من غيظ به النرجس

ومما قيل فى النيوفر لابن المعز المصرى

وبركة تزهو بلينوفر * نسيمه يشبه نشر الحبيب
مفتح الاجفان فى نومه * حتى اذا الشمس دنت للمغيب
أطبق جفنيه على خده * وغاص فى البركة خوف الرقيب

وقال تميم بن المعز المصرى

رأيت فى البركة لينوفرا * فقلت ما شأنك وسط البرك
فقال لى غرقت فى أدمعى * وصادنى ظبى الفلا بالشرك
فقلت مالك اصفر اربدا * فيك وما هذا الذى غيرك
فقال لى ألوان أهل الهوى * صفر ولو ذقت الهوى صفرك

ومما قيل فى الباب

قد أقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل تسأم الحرّا
أما ترى البان بأغصانه * قد قلب الفرو الى برّا

وقال آخر فيه

أما ترى البان الذى يزهو على * كل الغصون بقده المياس
وافى يبشر بالربيع وقربه * يختال فى السنجاب والبرطاس

وقال فى الشقيق

حييته بشقائق فى مجلس * ورأى الرقيب فشق ذا لحسده
فاحمرّ من خجل فأثبت خده * اضعاف ما حملت يداى اليه

وقال آخر

لولم أعانق من أحب بروضة * أحداق نرجسها اليّ تنظر
ما انشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثر

وقيل ان ابن الرومى الشاعر زار قبر أخيه يوما فوجد الشقائق قد نبتت على قبره فأنشد يقول

قالت شقائق قبره * ولرب أخرس ناطق
فارقته ولزمته * فانا الشقيق الصادق

ومما قيل فى المنثور

تخال منثورها فى الروح منتثرا * كأنما صيغ من درّ وعقيان

والطير ينشد فى أغصانه سحرا * هذا هو العيش الا انه فانى

وقال آخر

قد أقبل المنثور يا سيدى * كالدر والياقوت فى نظمه
ثنالك لازال كأنفاسه * ومن يشتهالك مثل اسمه

ولبعضهم فيه

ولقد خلوت مع الاحبة مرة * فى روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور أقام ونرجس * مع اخوان وصفه لا يدرك
هذا يشير باصبع وعيون ذا * ترنو اليه وثغر هذا يضحك

ومما قيل فى الياسمين

والارض تبسم عن ثغور رياضها * والافق يسفر تارة ويقطب
وكأن مخضر الرياض ملاءة * والياسمين لها طراز مذهب

وقال آخر

رأيت الفأل بشرنى بخير * وقد أهدى الى الياسمين
فلا تحزن فان الحزن شين * ولا تيأس فان اليأس مين

ومما قيل فى السوسن للاخطل الاهوازى

سقيا لارض اذا ما مت تبهى * بعد الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها فى كل شارقة * على الميادين أذناب الطواويس

ومما قيل فى الاقحوان لعبد القادر بن مهنا المغربى

أفدى الذى زارنى سرا فأتحفنى * بأقحوان يحاكى ثغر مبتسم
فبت من فرحى أفنى مقبله * لثما وأرشف من ريق له شبم

ولبعضهم فيه

ان فاه ثغر الاقاحى فى تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عند ما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

ومما قيل فى الجلنار

وجلنار مشرق * على أعالى شجره
كأنه فى غصنه * أحمره وأصفره
قراضة من ذهب * فى خرقة معصفره

ومما قيل فى الآس

أهديت مشبه قذلك المباس * غصنا نضيرا ناعما من آس
فكأنما يحكيك فى حركاته * وكأنما تحكيه فى الانفاس

ومما قيل فى الريحان

وغصن من الريحان أخضر ناضر * نما بين غصنى نرجس وشقائق

يريك اذا كف الصبا عبثت به * شمائل معشوق وذلة عاشق

وفيه أيضا

وريحان يمس بحسن قد * يلذ بشمه شرب الكؤس
كسودان لبسن ثياب خز * وقد قاموا مكاشيف الرؤس

وقال آخر

قضيب من الريحان شاكل لونه * اذا ما بدا للعين لون الزبرجد
فشبهته لما بدا متجعدا * عذارا تبدى فى سوالف أغيد

(وما قيل فى الفواكه والثمار على اختلافهما) فى الاترج قال ابن الرومى

كل الخلال التى فيكم محاسنكم * تشابهت منكم الاخلاق والخلق
كأنكم شجر الاترج طاب معا * جلا ونشرا وطاب العود والورق

ولبعضهم فيه

حبالك من تهوى بأترجة * ناعمة مقدودة غضه
فجلدها من ذهب أصفر * وجسمها الناعم من فضه

وقال آخر

يا حبذا أترجة * تحدث للنفس الطرب
كأنها كافورة * لها غشاء من ذهب

فى الليمون قول أبى الحسن رئيس الرؤساء

يا حسن ليمونة حبا بها القمر * حلو المقبل ألمى بارد الشنب
كأنها أكرة من فضة خرطت * واستودعوها غلافا صيغ من ذهب

وفيه أيضا

وصاحب ناديته * والطير لم يغرد
انهض الى الراح ولا * ترضى بعيش نكد
واشرب سلافا قرقفا * من كف ساق اغيد
قد اكتست تلهبا * من خده المورد
ولا تدع مجتهدا * لذة يوم لغد
أما ترى الليمون فى * غصن من الزبرجد
كأكرة من فضة * مملوأة من عسجد

فى النارنج لعبد الله بن المعتز

نظرت الى نارنجة فى يمينه * بكمرة نارو هى باردة اللمس
فقربها من خده فتألفت * فشبهتها المريخ فى دارة الشمس

وقال آخر

ونارنجة بين الرياض نظرتها * على غصن رطب كقامة أغيد

اذا مسها الريح مالت كأكرة * بدت ذهبا فى صوبلان زبرجد

وقال آخر

ونارنج يلوح على غصون * ومنه ماترى كالصوبلان
أشبهها ثديا ناهدات * غلاتها صبغن بزعفران

وقال آخر

وأنجار نارنج كأن ثمارها * حقاق عقيق قد ملئن من الدر
نطالعها بين الغصون كأنها * قدود عذارى فى ملاحفها الخضر
أتت كل مشتاق بما حبيبه * فما جت له الاتجان من حيث لايدرى

فى التفاح لبعضهم

ولما بدا التفاح احمر مشرقا * دعوت بكاسى وهى ملأى من الشفق
وقلت لساقيها أدرها فعندنا * خدود الاغانى قد جمعن على طبق

وقال آخر فى تفاحة

وتفاحة من سندس صيغ نصفها * ومن جلنار نصفها وشقائق
كأن الهوى قد ضمهم من بعد فرقة * بها خد معشوق الى خد عاشق

ولبعضهم فيه

تفاحة كسيت لونين خلتهما * خدا محب ومحبوب قد التصقا
تعانقا فبدا واش فراعهما * فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

وقال آخر

وتفاحة وردية ذهبية * تجلى عن المهموم ليل همومه
كأن سلاف الخمر روى أديمها * بخمر فجاءت باحمرار أديمه
تذكرنى شكل الحبيب وحسنه * وتوريد خديه وطيب نسيمه

وقال آخر

حمرة التفاح فى خضرته * أشبه الالوان من قوس قزح
فعلى التفاح فاشرب قهوة * واسقنيها بنشاط وفرح

وفيه أيضا

أهدى لنا التفاح من كفه * من لم يزل يجنيه من خده
وخط بالمسك على بعضها * قد عطف المولى على عبده

وقيل فى السفرجل

حاز السفرجل لذات الورى فغدا * على الفواكه بالتفضيل مشهورا
كالراح طعما وشم المسك رائحة * والتبر لونا وشكل البدر تدويرا

وقال آخر

سفرجلة صفراء تحكى بلونها * محيا شجاه للحبيب فراق

اذا شمها المشتاق شبه ريحها * بريح حبيب لذ منه عناق
وطيبة عند المذاق فطعمها * كريق حبيب طاب منه مذاق

وقال آخر

سفرجلة جمعت أربعا * فكان لها كل معنى عجيب
صفار النضار وطعم العقار * ولون المحب وريح الطيب

وقيل في الكمثرى

وكمثرى لذيذ الطعم حلو * شهي جاء من روح الجنان
مناقير الطيور اذا اقتلنا * مغبرة بلون الزعفران

ابن برغش متغزلا

وكمثرى سباني منه طعم * كطعم الشهد شيب بماء ورد
لذيذ خلقه لما اتانا * شهود السمر في معنى وقد

ومما قيل في المشمش

يا مشمش الاشجار يذكو شهابه * على غصن اغصان من الروض ميد
حكى وحكت أشجاره في اخضراره * جلاجل تبر في قباب زبرجد

ما قيل في الاجاص

انظر الى شجر الاجاص قد حملت * أغصانه ثمرا ناهيك من ثمر
تراه في أخضر الاوراق مستترا * كما اختبى الزنج في خضر من الازر

ما قيل في الخوخ

أهدى الى الصديق خوخا * منظره منظر أنيق
من كل مخصوصة بحسن * معناه في مثلها دقيق
حمراء صفراء مستعير * بهجتها التبر والعقيق
كوجنة مسها خلوق * فزال عن بعضها الخلوق

ما قيل في الفستق

تفكرت في معنى الثمار فلم أجد * لها ثمرا يبدو بحسن مجرد
سوى الفستق الرطب الجنى فانه * زها بمعان زينت بتجرد
غلالة مرجان على جسم فضة * واحشاء ياقوت وقلب زبرجد

ما قيل في البندق

ولقد شربت مع الحبيب مدامة * حمراء صافية بغير مزاج
فتفضل الظبي البهي ببندق * شبهته ببنادق من ساج
فكسرته فوجدت ثوبا احمرا * قد لف فيه بنادق من عاج

ومما قيل في النبق

وسدرة كل يوم * من حسنها في فنون
كأنما النبق فيها * وقد حلا في العيون

جلا جل من نضار * قد علقت فى الغصون

ومما قيل فى اللوز

ومهد المنا لوزة قد تضمنت * لمبصرها قلبين فيها تلاصقا
كأنهما حبان فازا بخلوة * على رقبة فى مجلس قبلا نقا

فى العنب لبعضهم

هدية شرفتنا من أخ ثقة * نعم الهدية اذ وافتك من يده
نوعان من عنب جا على طبق * كان طيبهما من طيب محتده
فأبيض العين يحكى لون أبيضه * وأسود العين يحكى لون أسوده

فى قصب السكر

ورماح لغير طعن وضرب * بل لاكل ومص لب ورشف
كملت فى استوائها واستقامت * باعتدال وحسن قد واطف

ومما قيل فى البطيخ الاصفر

أنا ناغلام فاق حسنا على الورى * ببطيخة صفراء فى لون عاشق
فشبهته بدرا يقـــد أهلة * من الشمس ما بين النجوم يبارق

وقال آخر

وبطيخة وافى بها فوق كفه * الينا غلام فاق كل غلام
تخيل لى شمس الاصيل أهلة * يقطعها بالبرق بدر تمام

ومما قيل فى البطيخ الاخضر

وظبى أتى فى الكف منه بمدية * وقد لاح فى خديه شبه شقيق
فمال الى بطيخة ثم شقها * وفرقها ما بين كل صديق
فشبهتها لما بدت فى أكفهم * وقد عملت فيهم كؤس رحيق
صفائح بلور بدت فى زبرجد * مرصعة فيها فصوص عقيق

وقال آخر

وبطيخة خضراء فى كف أغيد * أتانا بها فارتاح ذو الهم وابتهج
وأقبل يقربها بمدية وقـــد * فرى طرفه الساجى القلوب مع المهج

ومما قيل فى القثاء

انظر اليها أنا بيا منضدة * من الزمرد خضرا مالها ورق
اذا قلبت اسمها بانت ملاحتها * وصار فى عكسه انى بكم أثق

ومما قيل فى الباذنجان

وكأنما الابذنج سود حمائم * أوكاره خجل الربيع المبكر
نقرت مناقره الزمرد سمسما * فاستودعته حواصلا من عنبر

ومما قيل فى الانهار والبرك والنواعير

أما ترى البركة الغراء قد كسيت * نورا من الشمس في صفاتها طلعا
والنهر من فوقه يلهيك منظره * شهب سماوية فارتج والتمعا
كأنه السيف مصقولا يقلبه * كف الكمي الى ضرب الكماة سعى

وقال آخر في بركة

يا من يرى البركة الحسناء رؤيتها * والآنسات اذا لاحت معانيها
فلو غررتها بلقيس عن عرض * قالت هي الصرح تمثيلا وتشبيها
كأنما الفضة البيضاء سائلة * من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حبكا * مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها * ورونق الغيث احيانا يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها * لا حسبت سماء ركبت فيها

وقال آخر

وبركة للعيون تبدو * في غاية الحسن والصفاء
كأنها اذ صفت وراقت * في الارض جزء من السماء

وقال محمد بن سارة المغربي

النهر قد رقت غلالة صبغه * وعليه من صبغ الاصيل طراز
تتقرقف الامواج فيه كأنها * عكن الخصور تهزها الاعجاز

وقال آخر

يوم لقانا النيل مختصر * ولكل وقت مسرة قصر
فكأنما أمواجه عكن * وكأنما دارانه سرر

وقال آخر في نهر يسبح فيه الغلمان

خليج كالحسام له صقال * ولكن فيه للرائي مسرة
رأيت به الملاح تجيد عوما * كأنهم نجوم في المجرة

وقال آخر في النيل

النيل قال وقوله * اذ قال مل مسامعي
في غيظ من طلب الغلا * عم البلاد منافعي
وعيونهم بعد الوفا * قلعتها بأصابعي

وقال آخر

كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبذو لعين الناس منه
فيأتي عند حاجتهم اليه * ويمضي حين يستغنون عنه

وقال آخر فيه

وفت أصابع نيلنا * وطفت وطافت في البلاد
وأتت بكل مسرة * ماذى أصابع ذى أياد

وقال

وقال آخر

سدّ الخليج بكسره جبر الورى * طرّا فكل قد غدا مسرورا
والماء سلطان فكيف تواثرت * عنه البشائر اذ غدا مكسورا

وقال آخر

ونهر خالف الاهواء حتى * غدت طوعاله في كل أمر
اذا عصفت على الاغصان الفت * اليه بها فيأخذها ويجرى

وقال آخر في ناعورة

وكريمة سقت الرياض بدرّها * فغدت تنوب عن الغمام الهامع
بلسان محزون ومدمع عاشق * ومسير مشتاق وانة جازع

وقال آخر

وناعورة قالت وقد سال لونها * وأضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبي لاني فقدته * وأما دموعي فهي تجرى على جسمي

وفيها أيضا

وحنانة من غير شوق ولا وجد * يفيض لها دمع كثير العقد
أحن اذا حنت وأبكي اذا بكت * فليس لنا من ذلك الفعل من بد
ولكنها تبكي بغير صبابة * وابكي بافراد الصبابة والوجد
وأدمعها من جدول مستعارة * ودمعي من عيني يفيض على خدّي

وفيها أيضا قال الخطيري

رب ناعورة كأن حنينا * فارقته فقد غدت لي تحكي
أبدا هكذا تئن بشجو * وعلى الفها تدور وتبكي

ابن تميم

تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غدير
كأن نسيم الجو قد ضاع منهما * فأصبح ذا يجرى وذا يدور

(فصل في ذكر أرباب الصنائع والحرف والاسماء وما أشبه ذلك)

لابن عفيف في قاضي مليح

ورب قاض لنا مليح * يعرب عن منطق لذيذ
اذا رنا لي بسهم لحظ * قلنا له دائم النفوذ

وقال في فقيه مليح

وبهجتي ظبي اغدا متفقها * وهو المهذب في الرشاقة والحور
أمسى بسيط الشعر منه ممطولا * لكن وجيز اللفظ منه المختصر

وقال في محدث مليح

علقته محدثا * شرد عن جفني الوسن

حديثه ووجهه * كلاهما عندى حسن

وقال فى امام

جاء يسعى الى الصلاة بوجه * يخجل البدر فى ليالى السعود
فتمنيت أن وجهى أرض * حين يومى بوجهه للسجود

ابن الرومى واجاد

بى عروضى مليح * موتتى فيه حياة
عاذلاتى فى هواه * فاعلات فاعلات

فى مؤذن مليح

ومؤذن أضحى كريما وجهه * لكنه بالوصل أى شحيح
أبدا أموت بهجره لكننى * من بعد ذا أعيش بالتسبيح

لابن عربى

وبنفسى مؤذن قد سبانى * لم يفدنى شكوى الغرام اليه
كيف أصغى لما يقول حبيب * واضع اصبعيه فى أذنيه

وقال آخر فى مريد

مراد قلبى مريد * مخبأ فى الزوايا
وليس ذا بعجيب * ففى الزوايا خبايا

وفى فقير مليح

بى فقير يغنى * بسنا وجه منير
لا تلمنى فى اقتضاحى * فغرامى بالفقير

فى أمير شكار لابن دانيال

بى من أمير شكار * وجديذيب الجوارح
لما حكى الظبى حسنا * حنت اليه الجوارح

فى مليح مغنّ

أضحى يخز لوجهه قرا الدجى * وغدا يلين لحسنه الجلمود
فاذا بدا فكأنما هو يوسف * واذا شدا فكأنه داود

فى مليح عوّاد

غنى على العود ظبى سهم ناظره * أمسى به قلبى المضنى على خطر
دنا الىّ وجست كفه وترا * فراحت الروح بين السهم والوتر

فى مليح كاتب

بروحى كاتبا كالبدر حسنا * بديعا ما رأينا مثله أجمل
على ريحان عارضه المفدى * بوجنته غدا دمعى مسلسل

غيره

وراقنا ذا المفدى * فيه تزايد عشقي
فلو يجود بوصل * لكان مالك رقي

وفيه أيضا

ياحسن ورّاق أرى خطه * قد راق في التقبيل عندي ورق
قيل في الدكان أعطافه * ما أحسن الاغصان بين الورق

للسيد الشريف صلاح الدين الاسيوطي فيه أيضا

فديتك أيها الورّاق قلبي * لمطلك بالوصال يكاد يبلى
وقد طلب الوفاء وغير بدع * محب يسأل الورّاق وصلا

في مليح صيرفي

ياسائلا عن حالتي ما حال من * أمسى بهيد الدار فاقد الفه
بي صيرفيّ لا يرق لحالتي * قد مت من جور الزمان وصرفه

في مليح بحاتي

تسلطن في الملاح بحاتيّ * ولا يرضى بيدر الستم نائب
وقد صفت له الاتراك جندا * وأصبح راكبا تحت العصائب

في مليح فرّاء

قلت لفرّاء فرى أديمي * وزاد صدّا وطال هجرا
قد فرّ نومي وفرّ صبري * فقال لما عشقت فرّا

سيدي أبو الفضل بن أبي الوفاء في مزين

حبي المزين وافى * بعد البعاد بنشطه
ومص دمل قلبي * بكأس راح وبطه

في مليح قصاص

أشكو الى الله قصاصا يجرّعني * بالهجر والصدّ أنواعا من الغصص
ان تحسن القص بماه فقلته * أيضا تقص علينا أحسن القصص

في مليح صياد

ومولع بصناخ * يمدها وشراك
قالت له العين ماذا * تصيد قال كراكي

في مليح رامي بندق

وأهيف القدّ ذي دلال * طائر قلبي عليه واجب
كالشمس في كفه هلال * يرمي الى البدر بالكواكب

وقال آخر في راع

أفديه من راع كبدر الدجى * قوامه فاق الغصون الرشاق
ضعيف بالجدّ ناديته * ما القصد يا مولاي الا العناق

القيراطى فى مليح طحان

حسن طحان سبانى * بلحاظ وبقامه
خاف من واش فاضحى * يجعل الغمز علامه

القاضى بدر الدين البلقينى فى تراب

رب تراب مليح * أورث القلب عذابا
قلت لما أن بدالى * ليتنى كنت ترابا

وقال آخر فى مليح عوام

ياحسن عوام كغصن النقا * يخجل بالوصل لمن هاما
وتقنع العشاق منه بان * يريهم الارداف ان عاما

ابن نباتة فى مليح حبشى

بروحى مشروطا على الخلد أسمرا * دنا ووفى بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

وله أيضا

ومن عجب تدعى للطفك سنبلا * ونشرك كافور وذكرك عنبر
وسعدك اقبال وحسنك مرشد * وخلقك ريحان ولفظك جوهر

وقال آخر فيمن به صفرة

قالوا به صفرة شانت محاسنه * فقلت ماذا الذى من عيب به نزلا
عيناه مطلوبة فى ثأر من قتلت * فلست تلقاه الا خائفا وجلا

للشيخ شهاب الدين بن حجر فى مليح اسمه زائد

وزائر قال قلبى * للطرف ياطرف شاهد
مدحته فتجنى * تيها على بزائد

وقال آخر فى مليح أرمد

شكا رمدا فقلت الآن كانت * لواحظه من الفتكات فينا
وقالوا سيف مقلته تصدى * فقلت نعم لقتل العاشقينا

لمجد الدين بن مكانس فيه

تورمت مقلة المحبوب من رمد * وبات يشكو لهيب القلب والألما
وبات يرمى محبيه بأسهمه * فيا له من حبيب قد شكا ورما

لابن أبى حجلة فى أعور

ماشان من أهواه عين أصبحت * مقلوعة بمحاسن متزايده
لولا استخف العالمين بأسرهم * ماظل ينظرهم بعين واحده

وقال آخر فى مليح راهب

رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم البدر ضربا بالنواقيس

وقلت للنفس أيّ الضرب يؤلمكي * ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسي

القيراطي في مليح اسمه بدر

سموه بدرا وذاك لما * أن فاق في حسنه وتما
وأجمع الناس اذ رأوه * بأنه اسم على مسمى

آخر في مليح اسمه حمزة

متى يبدو لحمزة ما بقلبي * ويرثي لي وينظر في بلائي
وأشفي بالمبرّد من لماه * وأجمع بين حمزة والكسائي

وقال آخر

كلفت به ولم أبلغ مرادي * غزال قد تحكم في قيادي
فتصحيف اسمه في وجنتيه * وفي معسول فيه وفي فؤادي

في مليح سروجي

فتنت به سروجيا بديعا * به قد ذبت وجدا من ضجيجي
اذا جذب الغرام له عناني * يلذ لي الركوب على السروج

وقال آخر في مليح محموم

قالوا حبيبك محموم فقلت لهم * أنا الذي كنت في حمائه السببا
عانقته ولهيب النار في كبدي * فأثرت فيه تلك النار فالتهبا

لابي نواس في مليح ألثغ

ومهفهف دنف الصبا ذي لثغة * تصبو اليه ذوو العقول الرجح
* قبلت فاه فقال لي متخوّفا * من كاشح متدللا بالثا ائتحي

وقال في مليح خباز

ان خبازنا المليح المفدّى * في حشا الصب من جفاه كلوم
خلت دكانه البديع سماء * وهو بدر والخبز فيه نجوم

وقال في مليح حائك

وحائك يا صاح أبصرته * كالبدر في كفيه ماسوره
فلم أرح الا وروحي لما * عاينت في كفيه ماسوره

وقال في مليح لاعب شطرنج

لعبت بالشطرنج مع أهيف * رشاقة الاغصان من قدّه
أحلّ عقد البند من خصره * وألثم الشامات من خدّه

وفيه أيضا قال

تلاعبت بالشطرنج مع من أحبه * فنادمني حتى سكرت من الوجد
وانشدني مالي أراك مفكرا * تدور على الشامات وهي على الخدّ

في مليح خياط

خياطنا الفاتن المفدى * بديع حسن فريد شكل
فصل للبسم ثوب سقم * لما جفاني وكف وصلي

وقال غيره

فتنت بخياط بديع ملاحة * له طلعة أبهى ضياء من الشمس
تراه على الكرسي للثوب خائطا * فتقسم حقا انه آية الكرسي

الصفي الحلي في مليح قلع ضرسه

لله الطبيب لقد تعدى * وجاء لقلع ضرسك بالمحال
أعاق الطبي في كتابيه * وسلط كلبتين على غزال

وقال في مليح سلم عليه

تنبه قلبي فاستراب * به قوم وعمهم الضلال
وصدهم الهوى أن يؤمنوا بي * وقالوا ان معجزه محال
ومذ سلمت سلمت البرايا * الي وقيل كله الغزال

وقال في مليح يرمي بالسهام

وظبي بشر فوق طرف مفوق * بقوس رمى في النقع وحشا بأسهم
كبدر بأفق فوق برق بكفه * هلال رمى في الليل جنحا بانجم

وقال في مليح يضرب بالعود

فتن الانام بعوده وبشدوه * شاد تجمعت المحاسن فيه
حتى كأن لسانه بيمينه * وكأن ما بيمينه في فيه

وقال أيضا فيه

وأغن قد أبدى لنا من عوده * نغما أصح به القلوب وأمرضا
يبدو اذا سخطت على أوتاره * نال الرفاق بسخطها عين الرضا

وقال في مليح مشبب

يا نافخ الصور بل يا باعث الصور * من رقدة السكر لا من رقدة السفر
قرنت حسنك بالاحسان فيه لنا * فكان فيك مراد السمع والبصر
ضمنت للصب اقبال السرور كما * ضمنت نابك نأى الهم والفكر
صوت بسيط به أرواحنا انبسطت * اذ جئت في اللفظ والمعنى على قدر

وقال في مليح ساق

وساق من بني الاتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق
أملكه قيادي وهو رقي * وأفديه بعيني وهو ساقي

وقال أيضا في رسول مليح أتاه من عند من يحبه

من كنت أنت رسوله * كان الجواب قبوله
يا طلعة الشمس التي * جاء الصباح دليله

لم يبد وجهك قبله * الا ارتقبت وصوله
فلذاك اذ واجهتني * بل الفؤاد عليله

فى مليح قارئ

نفسى الفداء لشادن شاهدته * يوم الزيارة قارئا فى المصحف
فتن الانام بهجة وبهجة * تسبى وتضنى كل صب مدنف
فتلا مليا جل سورة يوسف * وجلا محيا مثل صورة يوسف

وقال آخر فى مليح مكتمل العذار

وكامل العارض قبلته * فصدنى وازور من قبلتى
وقال كم أنهاك عن مثل ذا * وأنت ما تفكر فى طيبتى

وقال آخر فى مليح حجام

كافت بحجام تحكم طرفه * فغدا على سفك الدماء يواظبى
أضحى كثير الاشتطاط ولم تكن * منه اللحاظ كليلة المشراط

(فصل فى الالفاز)

فى غزال

اسم من قد هويته * ظاهر فى صروفه
فاذا زال ربعه * زال باقى حروفه

فى كوز فقاع

ومحبوس بلا ذنب جناه * له فى السجن ثوب من رصاص
اذا أطلقته وثب ارتفاعا * يقبل فاك من فرح الخلاص

فى زرموزة

مطية فارسها راجل * تحمله وهو لها حامل
واقفة بالباب من بولة * لا تشرب الدهر ولا تاكل

وقال فى طاحون

ومسرعة فى سيرها طول دهرها * تراها مدى الايام تمشى ولا تعب
وفى سيرها ما تقطع الاكل ساعة * وتأكل مع طول المدى وهى لا تشرب
وما قطعت فى السير خمسة أذرع * ولا ثلث ثمن من ذراع ولا أقرب

فى دواة

ومرضعة أولادها بعد ذبحهم * لها لبن ما لذ قط لشارب
وفى بطنها السكين والشدى رأسها * وأولادها مدخورة للنوائب

فى دواة أيضا

وما أتيحا معها بنسوها * وليس عليهم تجب الحدود
كأنهم اذا وبلوا حشاها * أفاعى فى أماكنها رقود

في قلم

وأهيف مذبوح على صدر غيره * يترجم عن ذي منطق وهو أبكم
تراه قصيرا كلما طال عمره * وينمحي بليغا وهو لا يتكلم

وفيه أيضا

بصير بما يوحي اليه وماله * لسان ولا قلب ولا هو سامع
كأن ضمير القلب ياح بسره * اليه اذا ما حركته الاصابع

وفيه أيضا

وأصفر عار أنحل السقم جسمه * يشتت شمل الخطب وهو مجموع
حمى ابليس منطوما كما كان تحتمى * به الاسد في الغابات وهو رضيع

وفيه أيضا

وذي نحول راكع ساجد * أعمى بصير دمعه جاري
ملازم الخمس لاوقاتها * مجتهد في طاعة الباري

في مرملة

معشوقة لذوات العز قد صنعت * جزيئة ما تراها قط تبتسم
كأنها من صروف الدهر خائفة * تبكي دما على ما سطر القلم

في كتاب

وذي أوجه لكنه غير بائح * بسر وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالاسرار أسرار وجهه * فتسمعها بالعين ما دمت تبصر

في سلطان حسن لابن أبي حجلة

ما اسم محبب للقلوب لانه * حسن الحروف يجود بالاحسان
تصحيفه أمسي حبيا كلما * صحفت أحرفه بحسن بيان
لو جادلي يوما برؤية وجهه * نلت المراد وعشت بالسلطان

في شبابة

وما صفراء شاحبة ولكن * تزينها الفضارة والشباب
* مكتبة وليس لها بنان * منقبة وليس لها نقاب *
تصيح لها اذا اقبلت فاها * أحاديث تلذ وتستطاب
ويحلو المدح والتشبيب فيها * وليست لاسعاد ولا الرباب

وفيها أيضا

وصقروحة الاجفان مثلي شجية * تناءت عن الاهلين أسقمها البعد
* ترقبها عشر وذاك محرم * ولاحج كلا ولا وجب الحد
اذا ما وطئها القوم تصرخ صرخة * يلين اليها القلب لو أنه صلد

وفيها أيضا

منقبة مهما خلت مع محبها * يزودها الثمار وينظرها شزرا

وتصحيفها

وتصحيفها في كف حاملها فقل * اذا شئت في اليمنى وان شئت في اليسرى

في دملج

الى النساء يلتجي * وعندهن يوجد
الجسم منه فضة * والقلب منه جلد

في خلخال

أيا عجبا من صابر صامت ولم * يفه بكلام قط في ساعة الضرب
أقام ولم يبرح مكانا ثوى به * على أنه أضحى يدور على الكعب

في شعر اللحية

وذي عدد كالرمل سام محله * جميل على كل الملاح له حق
يحاذر من موسى ويرهب باسمه * وفي قلب هرون له الهلك والحمق

في التين

أي شئ لذ طعما * ناعم اللمس ولين
كيف لا يبدو وضوحا * وهو في التصحيف بين

في الموز

ما اسم لشئ حسن شكله * تلقاه عند الناس موزونا
تراه معدودا فان زدته * واوا ونونا صار موزونا

في حمزة

من لي بمعتدل القوام مهفهف * أزرى بغصن البان لينة قده
في فيه تصحيف اسمه وبخده * وبقلب عاشقه لشدة صده

وفيه أيضا

اسم الذي أنا اهواه وأعشقه * وطول دهري أخشى من تجنيه
تصحيفه في فؤادي دائما أبدا * يبدو وفي خده أيضا وفي فيه

في ساقية

وجارية لولا الطواف ما جرت * أشاهدها تجري وليس لها رجل
وترضع أطفالا ولا هي امهم * وليس لها ثدي وليس لها بعل

وفيها ايضا

وجارية تبكي اذا الليل جنها * بلا ألم فيها ولا ضرب ضارب
عليها رجال شنقوا بعد حرقهم * وما كان شنق القوم الا واجب

في زر وعروة

وما أخت يجامعها أخوها * وليس عليهما فيه جناح
ترى بجوازه الحكام طرا * وفي أعناقهم ذاك النكاح

في راوية

وسوداء تشرب من رأسها * وان شئت تسقيك من فرديد
ولون لها مثل لون أختها * وشاهما واحد فى العدد
وتحبل فى الوقت هى وأختها * وفى ساعة يضمان الولد

فى شطرنج

ياذا النهى ما اسم له حالة * يحار فيها الذهن والفكر
له حروف خمسة انما * ثلاثة منها له شطر

فى فيل

أى اسم تركيبه من ثلاث * وهو ذو أربع تعالى الاله
حيوان والقلب منه نبات * لم يكن عند جوعه يرعاه
فيل تصحيفه ولكن اذا ما * رمت عكسا يكون لى ثلثاه

فى بجع

ما طائر فى قلبه * يلوح للناس عجب
منقاره فى بطنه * والعين منه فى الذنب

فى نار

وما اسم ثلاثى به النفع والضرر * له طلعة تغنى عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا * وليس له سمع وليس له بصر
يستدل لسانا يحتشى الرمح باسه * ويهز أيوم الضرب بالصارم الذكر
يموت اذا ما قت تسقيه عامدا * ويا كل ما يلقى من النبت والشجر
فيا قارئ الابيات دونك شرحها * والا فنم عنها ونبه لها عمر

وفيها أيضا

وآكلة تغير فم وبطن * لها الاشجار والحيوان قوت
اذا أطعمتها انتعشت وعاشت * وان أسقيتها ماء تموت

فى يد الهاون

قل لى فماشئ يرى ناعما * منتصب القامة طول الزمان
أطول من شبر له حزة * مفيشل الرأس قوى الجنان
يسمع فى القعر له رنة * ويظهر الصفق باعلى مكان

وفيه أيضا

خبرونى أى شئ * أوسع ما فيه فمه
وابنه فى بطنه * يرفسه ويلكمه
وقد علا صياحه * ولم يجد من يرحمه

فى خشخاش

وفاقبة مبنية فوق ساهق * لها علم يحكى الملاحة بالطرف

وأولادها في بطنها في جماعة * يكونون ألفا أو يزيدون عن ألف
ويأخذها الطفل الصغير بجهله * ويقلبها عسفا على راحة الكف

في كوز زير

وذي أذن بلا سمع * له قلب بلا لب
اذا استولى على صب * فقل ما شئت في الصب

في اسم علي

اسم الذي أعشقه * أوله في ناظره
ان فاتني أوله * فان لي في آخره

في موسى للصفدي

* وما شئ له حد وخد * يكلم من يلامسه بحقه
وكل حلقه من تحت راس * وهذا الرأس صارت تحت حلقه

في حلب لابن الفارض

ما بلدنا الشام قلب اسمها * تصحيفه أخرى بارض العجم
وثلثه ان زال من قلبه * وجدته طيرا شجي النغم

وقال في سمرقند

وما اسم سداسي اذا ما لحنته * ترى فيه أجزاء تذم وتشكر
له ثلث يأتي به الموت فجأة * وثلث مع الكتاب يطوى وينشر
وثلث وعالك الله يا صاحبي له * على مدد الايام نشر معطر
وفي نصفه لما تحرك بعضه * حديث شهي في الليالي يذكر
وفي نصفه الثاني اذا ما أعدته * الى النار للتحليل والعقد سكر
ففسر لنا اذا اللغز ان كنت ذا حجى * فليس على ذي العقل لغزه معسر

وقال في كون

يا أيها العطار أعرب لنا * عن اسم شئ قل في سوقك
تراه بالعين في يقظة * كما ترى بالقلب في نومك

وقال في قالب الطوب

وما آكل في قعدة ألف لقمة * ولقمته أضعاف أضعاف وزنه
اذا نزل المأكول جنبيه لم يقم * سوى لحظة أو لحظتين ببطنه

في العين

وباسطة بلا عصب جناحا * وتسبق ما يطير ولا تطير
اذا ألقمتها الجمر اطمأنت * وتجزع أن يباشرها الحرير

ويكفي من ذلك ما أشرت اليه وما نبهت من هذا الفن عليه وقد مضى القول من الفنون السبعة على فن الشعر القريض وما فيه من الفنون المتقدم ذكرها ولنذكر ان شاء الله تعالى

بقية الفنون السبعة على وجه الاختصار والفنون السبعة المذكورة عند الناس هي الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليا والكان وكان والقوما ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفي ذلك اختلاف وعند جميع المحققين أن هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة أبدا لا يغتفر اللحن فيها وهي الشعر القريض والموشح والدوبيت ومنها ثلاثة ملحونة أبدا وهي الزجل والكان وكان والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينهما يحتمل الاعراب واللحن وهو المواليا وقيل لا يكون البيت منه بعض ألفاظه معربة وبعضها ملحونة فان هذا من أقبح العيوب التي لا تجوز وانما يكون المعرب منه نوعا بمفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الاعراب وقد أوضح قاعدة الجميع وأمثلتها صفي الدين أبو المحاسن الحلي في ديوانه وسماه بالعاطل الحالي * والمرخص الغالي ولو بسطت المقال لاتسع المجال وكثر القال ولكن الاختصار يذهب الاوجال والحمد لله رب العالمين على كل حال

فصل في بيان الفن الثاني وهو الموشح

لابن المبارك

قد أخجل الجسم أسمر أكحل * وأوحل القلب فيه مذحل

دور

أميل له فلا يميل
يحول وعنه لا أحول
أقول اذا زادني النحول
أما حل عقد الصدر ينحل * ويرحل عن نجم المزحل

دور

كم أبعد وكم أبيت مكمد
ويسعد بجره لا أفقد
وأجهد لارتصاد من قد
تحمل والحاسدون رحل * تحمل والوعد منه ماحل

دور

متوج بالحسن هذا الابلج
مديج عذاره البنفسج
مفلج وطرفه ذا الادعج
مكحل ونغره منجل * مخلخل بعنبر مجدل

دور

برغمي من يستحل ظلمي
ويرمي بجره لسلمي
وجسمي من التزام سقمي

منحل وقد غدا مرحل * فمن حل سفك دمى وما حل

دور

قلانى واشتط ذا الفلانى
غزانى بطرفه اليمانى
ترانى أنشد لمن يرانى
قد أنحل الجسم أسمرا كحل * واوحل القلب فيه مذحل

لابن سناء الملك

كللى ياسحب تيجان الربا بالحلى * واجعلى سوارك المنعطف الجدول

دور

ياسما فيك وفى الارض نجوم وما
كلما أخفيت نجما أظهرت أنجما
وهى ما تهطل الا بالطلى والدما
فاهطلى على قطوف الكرم كى تمتلى * وانقلى للدن طعم الشهد والقرنفل

دور

تتقد كالكوكب الدرى للمرتصد
يعتقد فيها المجوسى بما يعتقد
فاتئد ياساقى الراح بها واعتمد
وامل لى حتى ترانى عنك فى معزل * قل لى فالراح كالعشق ان يزد يقتل

دور

لا أليم فى شرب صهبا وفى عشق ريم
فالنعيم عيش جديد ومدام قديم
لا اهيم الا بهذين فقم يانديم
واجل لى من أكؤس صيرت من فوفل * ألذ لى من نكهة العنبر والمندل

دور

خذهنى واعطنى كاسى مثل كاسك هنى
واسقنى على رضاب الفطن الملسن
والهنى ببعض ماصيغ من الالسن
لو تلى مدح سناه مع رشا أكحل * لذلى على سنا الصهباء والسلسل

دور

أزهرت ليلتنا بالوصل مذ أسفرت
أصدرت بزورة المحبوب اذ بشرت
أخرت فقلت للظلماء مذ قصرت

طولى ياليلة الوصل ولا تجلى * واسبلى ستراً فالمحبوب فى منزلى

دور

من ظلم فى دولة الحسن اذا ما حكم
فالالم يجول فى باطنه والندم
والقلم يكتب فيه عن لسان الامم
من ولى فى دولة الحسن ولم يعدل * يعزى لالحاظ الرشا الاكحل

وله ايضا

ترى هل يشتفى منك الغليل * ويشفى من صبابته العليل

دور

لقد أسرفت فى هجرى وصدى
بلا سبب سوى كلفى ووجدى
وماذا فى سلوى عنك يجدى
خضاب الوجد ليس له نصول * وأسياف الهوى فينا تصول

دور

لئن شحيت عنى بالسلام
وطيفك قد جفا جفنا المنام
فقد جادت بأربعة سجام
جفون بالبكا كادت تحول * على خدٍ أسف به الذهول

دور

لقد أرسلت فى طى النسيم
حديث هوى عن الوجد القديم
فعادت وهى عاطرة الشميم
تخبر أن ظعنهم نزول * بدار لا يلم لها نزيل

دور

تلقته الموالى والموالى
بألحاظ وزرق من نصال
وأعطاف وسمر من عوالى
فكم بطل هناك وكم قتيل * بسيف من لواحظه قتيل

وله أيضا

شمس الضحا أم القمر * أم بارق الثغر يا بشر
أم البها عفه الخفر * بطرز خديك مستطر

سلسلة

قم تباها بمائها ولاتلاها

قفلة

فكل أحبابنا حضروا * والعود يشجيك والوتر

الدور

أفديك بالسمع والبصر * ياأهيف وصله وطرى
بدر بدا فى دجى الشعر * قد لذ فى حبه سهرى

سلسلة

اذا تجلى وقد تحلى عليك يجلى

قفلة

تحير فى وصفه الفكر * والعقل والسمع والنظر

الدور

فهاك حدث عن الطرب * وعن سلاف ابنة العنب
اذا سقاها مع الضرب * بدر بأفق الجمال رب

سلسلة

فى ظل بان على المثانى من غير ثانى

قفلة

الا الندامى اذا سكروا * والروض والماء والشجر

وقال رحمه الله تعالى

وانسيم السحر هل لك خبر * عن عريب هم بالمنعرج
فارقونى ولم أقض الوطر * من لقاهم ولا نلت المنى
قلت ياقلب صبرا ما صبر * والنبى ما الهوى الا عنا
ما كتمت الهوى الا ظهر * من شهود المدامع والضنى

دور

ليس تمنع وصالك ياحبيب * عن محبك ولا يعشق سواك
راقب الله وارجع من قريب * قبل يبلى جسمه فى هواك
لست ألقى لدائى من طبيب * غير رشفى حبيبى من لماك
لو رأى حالى العاذل عذر * حينما ينظر جمالك والسنا

دور

يا قرفوق غصن من نقا * أنخنتنا مطالك والصدود
يارعى الله لو بلات الثنا * ليتها ياخل يومالى تعود
ليلة السعد ما فيها شقا * كيف تشقى وطالعها سعود
صفوها لا يمازجه كدر * بالمسرات أوقات الهنا

غيره

حملت مذ سارت الحمول * وجدا مضى العمر وهو باق

دور

ساروا وسار الفؤاد لكن
جسمي مقيم على المساكن
وعيني الحب صار ظاعن
مالي الى وصله وصول * لو سرت بالبرق والبراق

دور

وغادة كالقضيب قدا
والورد والياسمين خدا
كأنها البدر اذ تبدا
وشعرها الأسود طويل * كأنه ليلة الفراق

دور

هونا أتتنا تميل ميلا
سحابة كالسحاب ذيلا
فقلت شمس تزور ليلا
وما درى كاشح عذول * فذا الثمن أعجب اتفاق

دور

وصدتها ساعدي لسعدى
وبت أرعى رياض ورد
وخمر ريق كذوب شهد
لو ذاقها مدنف عليل * لعاش والروح في التراق

دور

لما رأتني أذوب سقما
ومن ورود الرضاب أظما
قالت كملت الحسن دائما
ما يشتفي منك ذا الغليل * بغير نومي وثيل ساق

فصل في الفن الثالث وهو التوبيت
لسيدي شرف الدين بن الفارض رحمه الله

أهوى قمر الله المعاني رق * من صح جبينه أضاء الشرق
تدري بالله ما يقول البرق * ما بين ثناياه وبيني فرق

وقال ايضا

أهوى رشا كل الاسى لى بعثا * مذ عاينته تصبرى ما البثا
ناديت وقد فكرت فى خلقته * سبحانك ما خلقت هذا عبثا

وقال ايضا

عرج بطويلع فلى ثم هوى * واذكر خبر الغرام واسنده الى
واقصص قصصى عليهم وابك على * قل مات ولم يحظ من الوصل بشى

وقال ايضا

روحى لك يا زائرا فى الليل فدا * يا مؤنسى وحدتى اذا الليل هدا
ان كان فراقنا مع الصبح بدا * لا أسفر بعد ذاك صبح أبدا

وقال آخر

يا شمس ضحى جبينه وضاح * ساعات وصالك كلها أفراح
عشاقك لو فعلت ما شئت بهم * ماتوا كمدا وبالهوى ماباحوا

وقال آخر

أهواه مهفهفا ثقيل الردف * كالبدر يجل حسنه عن وصف
ما أحسن واصد غه حين بدت * يارب عسى تكون واو العطف

وقال التلعفرى

قلبى ذهبت لبعدكم راحته * ما الصبر على بعادكم عادته
بنتم فرثى لما به شامته * لا كان فراقكم ولا ساعته

وقال المنشد

احسانك طول الدهر لا أنساه * لا أذكر بعدك خالقى الاهو
ان أبعدك الزمان عنى حسدا * مولاى خليفتى عليك الله

وقال آخر

ان جئت ربا الحمى ولاحت نجد * فاذكر ولهى وما جناه البعد
قد كنت أقاسى الصد حتى رحلوا * ياليتهم عادوا وعاد الصد

فصل فى الفن الرابع وهو الزجل

حمل للغبارى

قل لغزلان وادى مصر والشام يقصروا اذا النفار
لهم أجعل حشاشتى مرعى وفؤادى قفار

دور

مصر والشام فيها ملاح أقمار بالمحاسن تسود
ذا أبيض وذا أحمر وذا مليح أسمر لو عيون نجل سود
وذا غزال صار يفوق على الغزلان ويصيد الاسود
وذا غصن بان أهيف قوام قد لو قد الاغصان جهار

وذا بدر الكمال قد ظهر في الليل وذا شمس النهار

دور

تدر بالله ايش قالت ملیح الشام بعد ذاك الصدود
قد سمينا بصحة الابدان واعتدال القدود
وتخضب تفاحنا الاحمر فوق بياض الخدود
وأنتم يا عشاق الكم قلنا والسود راح بنار
أنتم التفاح وما نقصد منكم الا الخيار

دور

وملاح مصر قالت احنا أصحاب الوجوه الملاح
والحلاوه وطيبة الاخلاق في الخلائق مباح
احنا أقمار واحنا بدور الليل وشموس الصباح
وفي الالفاظ والظرف والمعنى ليس لنا احتصار
وورثنا الحسن من يوسف واكتسبنا الفخار

دور

حسن حي القرا رجى فرحه بدر في السعد لاح
فرخ ناجب خرج من القشره فاق ملاح الملاح
كلما أعمل على رضاه يفسد بجفاه الصلاح
ومن البيضه قد خرج نافر رد جفني بنار
وجفاني وخد بياض جسمي خلطو بالصفار

دور

وقع الطل خط بالابيض في اخضرار الطروس
قم يا ساقي على بساط زهري تحت ظل الغروس
هاتها شمس راح شمول قرقف بكر عذرا عروس
عروس لها صفو النسيم ولطف الما وابتهاج الثمار
قد جلوها في كاس زجاج أبيض فاكتسى باحمرار

دور

خرفيه سر لو جعل اشياف رد الاعمى بصير
اقطع القطف أسود يحاكي الليل شفق احمر يصير
ياترى ذا السر في كرمه أو يكون في العصير
وترى النور داعليه يلمع ذا لمن ايش استنار
وكذا الكاس يحاكي ياسمير من كساه جلنار

دور

فهو عطار عند وشراب هندى وبرانى جفناه
كل من مص من لسانو ريقو يلتقى فيه شفاه
وردخدو وحبتو سودا شبه خال فى صفاه
جبل آس عارضو أسر قلبى والكبار والصغار
فى الحبا غاروا على حسنو وكل من حب غار

دور

دوروني الملاح على كعبى ونصوا نصوص
بلادعوى التف لف اليسير فى هوا هم خصوص
وعلياصار نقشهم قاعد مثل نقش الفصوص
والبساط انطوى وحين مارأوا خاف له همه ولواصطبار
قروني فى عشق هذا القمر والمحبه فار

دور

لحبيبى ثغر من جوهر والشفيفات عقيق
وعوارض ماضرهم عارض غير نبات الشقيق
وخدود وردمن غير غش ووصفنا عن حقيق
يحرس الوردخال عنبر تحت اهداب غزار
فى صفا وجهو أزهطرفى عند خلع العذار

دور

فى رياض صفوف من الازهار قابلتها صفوف
كيف لاترقص والنسيم بها موصول وورقها دفوف
وأعجب من النهر اذصفق لومن الموج كفوف
والغيوم نقطت وحين جا النسيم طار أ على مطار
باختلاف الالحان سحر فى الروض صاح على عود وطار

دور

أشرف الخلق بين الاسلام والهدى والضلال
والشرايع والحق والباطل والحرام والحلال
نبى من بين أصابعه تحقيق نبع الماء الزلال
ولوأن النبات جمعه أقلام والمداد البحار
والخلايق تكتب مديحوتاه كل كاتب وحار

دور

خاف استاد فى الفن ما ينطاق ذاق عداه المنون
مايعيبو فى الفن غير ناقص عقل زايد جنون

شيخ مصدر لبيب قيم في جميع الفنون
باتضاعو مع الصغار مرفوع فوق رؤس الكبار
واهل الفنون تجري وما تلحق للغباري غبار

غيره لناصر الغيطي

كنز روضي طالبو يسعد ياخليع قم في دجى الاسحار
تلتقي درّ الندى يرهج فوق فصوص غرائب النوّار

دور

* كنز روضي نزهة الطالب جوهر وبين الندى يرهج
* ولجين المايتكسر ياخليع هياتعا اتفرّج
* بين عنابر تلتقي الخلع كل حدّ مع الفو يدّرج
وامش في عرض الرياض وارتع بين اغصان وما واطيار
فوق بساط زمر ذو قضبان كل ورده احكت لنا دينار

دور

* وترى الياسمين بحال فضه ضربت لاهل النزه صلبان
* والشحارير لابسين اسود وقلانس كنهم رهبان
* وكذا الكتان وهو أصفر بعمائم زرق للناس بان
وانجلت بين القسوس في الحان وعلينا دارها الخمار
والقطيع الراهبي يحكي لشماس لابس الزنار

دور

الفراق نار والوصال جنه والخلائق بعضهم يعشق
داحبيب قلبو عليه راضي ودا محبوبو عليه يشفق
ولهيب الهجر يتوقد والوصال من الملاح يشتق
والمليح عندي وانا مطمن وسط روضا زهرها معطار
في نعيم مع حور ومع ولدان والعذول مسكين صبح في نار

دور

وعمل في الروض سماع باكر بين الاغصان والزهور انقام
والنسيم شبب والغدير صفق والخليع من كتر وجد وهام
والنخيل بأكمامها ترقص واقبل الريحان بحال اعجام
والعصافير شيخهم زيق لو طريق بين الازاهر طار
والبلبل بالغنا يشجي فكأنو ناي أو مزمار

دور

ناصر الغيطي يا اخلا يا صحبت انسان انكر الصحبه وعاداني

وبغضني حين بقيت مسمى والاله بالفضل أسماني
في بلاد قبلي وارض الشام يشكرونني سايراقراني
والشجيع الشاطر المذكور في جميع الارض لو تذكار
والبلطيو قع لو تعلق مايحصل شيء مع الشطار

للغبارى

جار حبيبي فقلت ذا الحجاج جايجور أويزيد
لو عدل عشت بوم سرور ويكون الرشيد

دور

أقلع القلب في هوى العشاق والدموع في انحدار
وبحور الهوى اذا هاجت ليس لها من قرار
كنت أحسب قلبي معوريس غرقوا ذا البحار
صحت لما وحلت ياحبوب بحر عشقك يزيد
خفت فيه الغرق فقال افرح من غرق مات شهيد

دور

انا يوم في الغبوق باتفرج على شط الغدير
اذ رأيت عالشط واحد واقف شب صياد صغير
نظرت مقلتي الى منظر ماالحسن نظير
قلت ياعين ان غزلك الصياد بالجمال المصيد
يوقعك في فخاخ شبالك عشقو وكراكي يصيد

دور

من نحبو جديد حبيب قلبي يوم صد فتو صدف
قلت لين يا قاسي لمن دمعو سال وحالو وقف
داروقال لي ما الاسم بالانجيل قلت اسمي خلف
قال علينا يكتب ومن يسمع دا الكلام يستفيد
في الحقيقه من لايكون داود مايلين لو الحديد

دور

لك عوارض في الخد مرقومه ليس لها من مثال
وجفالك صار حماق وباب وصلك كان وكان ياغزال
وأنت دويت موشح القاما ياعزيز الدلال
ولك الفاظ صارت موالينا بالزجل والنشيد
وبشعرك متوج القاما وأنت بيت القصيد

دور

* عن محرم شرابنا صمنا ونفطر بالخمار
* حين وجدنا سفر جل البستان يذهب الاصفرار
* وغنا الطير به الجادي طرب وكذا الجلنار
* في ربيع حين رأى الثمر قاعد فيه تعاليق عقيد
حسب الروض النضر سن شعبان صار يقيد فيه وقيد

دور

من لهيب مدمعي جرى الطوفان للهيب ماطفى
وانا هو الغباري في العشاق ماجرى لي كفى
حين علينا بالصدو الهجران والبعاد وابلينا
* جار حبيبي فقات ذا الحجاج جايجور أويزيد
* لو عدل عشت بوسرور ويكون الرشيد

غيره

حين سكنت القلب ياعيني اسي من بعدك الحزين فرحان
وتقدس بك ولكنو ماجرت فيه يا ابن عين سلوان

دور

عارضو لما عشق خدو غرت من وجدي بقيت حاير
جيت الى طرفو ونا ديت لو احرسو وكون عليه ناظر
بعد حين نظرت في خدو النقي العارض وهو داير
وعليه قد دب بالسرقه جيت لطرفو قلت يا كسلان
هكذا في عادة الحراس قال لي اعذرني انا نعسان

دور

* بدر شعبان منيتي لما في بروج السعد لاح فجمو
* قلت لو أقضي بفيض دمعي اطلقو واجراه على رسمو
* قلت لو دام الله اطلاقك فالحزين قلبو المشوم قسمو
ايش قد اذنب حين قطرتو داء غاط قول بالبهتان
قال لي صوم عن الوصال ناديت ليش أصوم يا بدر في شعبان

دور

حين تدبج احمرار خدو باخضرار العارض اسباني
ضحك فايض وانبسم واسود ادشعري وأبكاني
وحين أضحمت باصفرار لوني أشعث اغبر في هواه عاني
قال لي لونك قد صبح حايل وقد ابصر مدمعي طوفان
ذقت تبريح الغرام ناديت في هوالك ذقت الهوان الوان

دور

قلت لو حين عني تخلف لله كن لي يا رشيد مهدي
قد تلون دمعي من بعدك وتجرى اليوم على خدي
دار الى انسان مقلتي قال لو أنت ما عندك نظر بعدي
ماترى ما قد جرى منك على الخدود قال يا فتان
جرى المالحت من بعدك راقب الله فيا يا انسان

دور

ذا الغزال النافر الانسي للغزاله قد اعار النور
كسر قلبي كسير جفنو فاجعبوا الكاسر المكسور
وبخمر الدن قد عربد وادعى اني انا الخمور
وا بتسم لي عن ثغائر و وخطر والبشر فيا بان
صحت يا قلبي صفا ورد ك أنت ما بين الثغا والبان

للصفي الحلي

أنت يا قبلة الكرام زينة المال والبنين
الله يعطيك فوق ذا المقام ويعيدك على السنين

دور

أنت شامًا بين الانام الله يحرس شمائلك
ويزيدك يا لد وام كي نعيش في فواضلك
ما ينطوي ذكر الكرام لما تنشر فضايلك
وتهنيك لكل عام والخلائق تقول آمين
قد بقينا بك في امان الله يحييك طول السنين

دور

ما رأينا تحت ذا الفلك من ندى كفك أعم
كل من جا يسألك ليس تقول له سوى نعم
أملك أنت أو ملك ضاعف الله لك النعم
أنت في الجود كالغمام وسمالك فوق ماردين
درغيثك في انسجام عم كل السائلين

دور

لا عدمنا كل صوم ذا السحور فيك والهنا
كل ليلة وكل يوم ينشر الذكر والثنا
الله يحييك من خير قوم بالغ القصد والمنى

حتى تقضى ذا الصيام ويليه باقى السنين
وتعيش ياذا الهمام بين ولدان وعين

غيره

قال عبد الرحيم نقطة حبر من غير قاف ولام وميم
ثغر معشوقى الفتان نون وعين وميم
شال السعد فوق راسو عين ولام وميم
دا اللى قد هواه قلبى صاد وبا و يا
مليح ما رأيت مثله ظا وبا و يا
ما احلاه عند ما يلبس قاف وبا و يا
ذقت من صدود حبى غين وصاد وصاد
لما رأيت صبرى نون وقاف وصاد
النوم من جفون عينى خاء ولام وصاد
واصبحت وجود فكرى عين ودال وميم
قلت يوم لمن كان لى سين ونون ودال
اعدل فى الذى صبرو نون وفا ودال
ولا تهجر العشاق با وعين ودال
ما أقلع قط ياناس من ظا ولام وميم

حل فى الالغاز

المطلع فى العين

وما طير أكلوا لحم يا كرام * وجوهر حبابه يفسد أهل الصلاح
ولبس الحرير يؤذيه وريش النعام * يصول بين جناحين سود كبيض الصفاح

دور فى السراج

وما بحر ماهو ما وفى الليل يزيد * وينقص ولاهو خوض ولاهو غريق
وفيه شئ صفات حيه بلا وكر استفيد * لها جوهره فى فمها يارفيق
بلا شك ينظره القريب والبعيد * ويخفى ويظهر كل يوم عن حقيق
يغيب فى النهار لكن اذا ما الظلام * تشوفو يضى بين الوجوه الصباح
ويسهر بجمال عاشق حليف الغرام * قتيل الهوى بين الربا والبطاح

دور فى جوزة الكتافة

وما هى التى تركب على ستين ألف * وما مثل ذالك فسر لنا يا خبير
مليحه وقصيفه وتلبس ترف * وتحمل وتوضع كل يوم فى السعير
لها عشرة أعوان حالهم مختلف * يشيلوا أودها الكبير والصغير

لها فحل يخدمها عليه السلام * يحادى سراها فى المجى والرواح
وأكثر تعبها فى ليالى الصيام * وذا اللغز قلته ومن غير مزاح

دور فى الغربال

وماهو الذى ياسعد كله عيون * ولا يعتلم ضوء الظلام والضيا
وهو بين خشب مصلوب لتلك الفنون * وميت وهو يحيى اصول الحيا
اذا غاب عن أهله فرد يوم مايهون * ولاحد يعوض موضعه لوعيا
وكم من رقيص فى صنعته باهتمام * مكابد عجاجه فى المسا والصباح
ويحتاج له الناس كل يوم فى الدوام * على شان فنونه دول فنون ملاح

الفن الخامس فى المواليا وله وزن واحد وأربع قوافى فمن تلك الاربعة واحدة

لصفى الدين الحلى

ياطاعن الخيل والابطال قد غارت * والمخصب الربع والامواه قد غارت
هواطل السحب من كفيك قد غارت * والشهب مذ شاهدت أضواك قد غارت

وقال ايضا

سل مقلتيك الكحال عمن سلاسلها * ومرشفيك من رشف منها سلاسلها
وعارضيك التى مدت سلاسلها * كم من أسود ضوارى فى سلاسلها

وقال آخر

قد أوعدونا الغضا بااننا نخلو * فى ظل بستان حافف بالتمر نخلو
والطل من فوقنا قد بلنا نخلو * ومن كلام الاعادى قط ما نخلو

وقال آخر

قسما وبالله مفرقها وجامعها * ومن أمرنا بمسجدها وجامعها
لو حل مع بغيتى عابد وجامعها * كان افتتن فى محاسنها وجامعها

ومن اثنين واثنين قال آخر

قوم اسقنى ماتبقى فى أباريقو * أماترى الصبح قد لاحت أباريقو
مع شادن كلما درات شقاريقه * سقى المداما وان عزت سقى ريقو

وقال

البارحه ريت بعينى فى الدجاجيين * اثنين مثل البدوره فى الدجى جيين
ناديتهم فين كنتم ياخفاجيين * قالوا لمن قد وعدنا فى الخفاجيين

وقال

قد زدت هجرك فجد بالعفو عن صبك * وارحم خضوعى وخف فى قتلتى ربك
يكفيك تهجر تكدر قلب من حبك * ماظن فى الناس أقسى قلب من قلبك

غيره خمرى عاطل

كاس الطلا لطلاها طال لما سر * وصار لما حوى حمرا مكلل در

مدام لوطعم كله حلو ماهو مر * ما حل عما ولك الا صار مالك حر

غيره حربى

لك يا امام الوغى فى كل موقع حرب * سماع يطرب له السامع وينفى الكرب
هذا ولك كلما دارت رحاة الحرب * سيوف تفنى وكفك لا يمل الضرب

الصفى الحلى فى المدح

أغنت وأقنت كفوفك فى الندى والحرب * فى القرب والبعد من فى شرقها والغرب
وفيض جودك وسيفك بالعطا والضرب * ذا الكرب فرج وهذا قد رمى فى الكرب

وقال أيضا

من قال جودة كفوفك والحيا مثلين * اخطا القياس وفى قوله جمع ضدين
ما جدت الاوثغرك مبتسم يازين * وذاك ما جاد الا وهو باكى العين

وقال فى التهنئة

رأيت ذا العيد أول يوم فى عصرك * وربت ذا اليوم مع ذا الشهر فى نصرك
وديت ذا الشهر مع ذا العام طوع أمرك * والكل بالكل أول مبتدا عمرك

فى المعاتبة

عنى تسليت وأسياف الجفا سليت * ومذ تولیت عن طرق الوفا ولیت
لما تمليت بالاعمال لى مليت * اذا تخليت تعرف قدر من خليت

وقال أيضا

يا قلب ان غدروا فاغدر وان خانوا * نخن وان هم قسوا فاقسا وان لانوا
فلن وان قربوا فاقرب وان بانوا * فبن وكن لى معاهم كيفما كانوا

وقال آخر

حلف على جاره أن يقاطعنى * وصد عنى وأقسم ما يطاوعنى
كم ذا يصد وكم يرجع يصد عنى * ان كنت أناهو المطلق لا يراجعنى

وقال آخر هجو

قطع قفا ابن أخت خالك وابن اخو عمك * والحق يصفع أبو بنتك أو ابن أمك
وان تكلمت تصفع تا يسيل دمك * وان كنت تسكت يول الكلب فى فمك

وقال آخر

ان ردت تسلم بطول الدهر ما تبرح * لا تيأسن ولا تقنط ولا تمرح
واستعمل الصبر لا تحزن ولا تفرح * وان ضاق صدرك ففكر فى ألم نشرح

وقال آخر

ان كنت عاقل وربك بالتقى برك * ادفع اذاك وهات خيرك ودع شرك
وان تعدى حسودك والحسد ضرك * ناديه يا أيها الانسان ما غرك

وقال

وقال آخر

ياقلب ان خانك المحبوب لاتدبر * عنوعن قصة السلوان لاتخبر
واستعمل الصبر دائم للعدا تقهر * فان والله ماخاب الذى يصبر

(الفن السادس كان وكان) وله وزن واحد وقافية واحدة ولكن الشطر الاول من البيت اطول من الثانى فمنه هذه الوعظيات

ياقاسى القلب مالك تسمع وماعندك خبر
ومن حرارة وعظى قد لانت الاحجار
أفنيت مالك وحالك فى كل مالا ينفعك
ليتك على ذى الحاله تقلع عن الاصرار
تحضر ولكن قلبك غايب وذهنك مشتغل
فكيف يامتخلف تحسب من الحضار
ويحك تنبه فتى وافهم مقالى واستمع
فى المجالس محاسن تحجب عن الابصار
يحصى دقائق فعلك وغمز لحظك يعلمه
وكيف تعزب عنه غوامض الاسرار
تلوت قولى ونصحى لمن تدبر واستمع
مافى النصيحه فضيحه كلا ولا انكار

وقال ايضا

صرح بذكر المحبه مافى المعمى فائده
وقل نعم أنا عاشق صادق بلا تمويه
ودع حديث العواذل ليس الخبر مثل النظر
أنا عاشق طبيب كل المعانى فيه
من أين للبدر حسن يحكيه أو شمس الضحى
حاشى لذاك المحيا من مشبه يحكيه
ان غبت فهو أنيسى وان حضرت نديمى
وان شربت مدامى فالكاس هو ساقيه
فمنه روحى وراحى اذا سكرت وراحتى
وفيه عزى وذلى بهجتى افديه
قولوا لمن يلحانى فى الحب قصروا عتبر
هذا الذى قد عشقته قد حار وصفى فيه

الصفى الحلى

شاهدت فى الليل طيرى وقت حتى انصب شرك

ما كل صيد يحصل ينزح الصياد
طيري الذي كان الذي لو ردت مثله ما حصل
وهو على معود وانا عليه معتاد
قد كان شرطي وخلق ليرح غيري ما عرف
كانا في المحبه جينا على ميعاد
من قبل ما ابصبص له يجي ويدخل مصوري
وانا ارصده في مطاره خايف عليه يصاد

وقال آخر

ماذق عمري جرعه أمرّ من طعم الهوى
الله يصبر قلبي على الذي يهواه
الناس تعلم مني حال الجلاده والقوى
وما أطيق التجلد على أليم جفاه
لي حب مثل الملوخه لونه وطعم وريحه
ما أكثر مغابن حبيبي وما اقل وفاه
انا عرفتو حظي وكل ما احسن لو يسي
لو كنت أعشق ظلي ما كنت قط أراه

وله في الفراقيات

يا سادة هجروني وهم نزول بخاطري
لا أوحش الله منكم في سائر الاوقات
أوحشتم العين مني وانسكم في خاطري
والقلب في النور منكم والعين في ظلمات
قد انتهى الصبر مني وما بقى فيه رمق
هيهات اني أحيا من بعدكم هيهات
لم يبق غير خيالي يلوح كالشبح الخفي
اعد بين الاحيا وانا مع الاموات
ودعتموني وسرتم والقلب يتبع ركبكم
ايش ضر لو كان جسمي من جملة التبعات
ما مر ما دريت ضدي يقول لي من فرحته
هنا تشق المرايز وتسكب العبرات
لولم اسلي روحي وارض نفسي بالمنى
لكان قلبي تقطع من بعدكم حسرات
وقفت لما رحلتم حيران بين اظعانكم

اخفض جناح المذله وارفع الاصوات
طول الليالى أسامر كى أريد الكميا
أقطر الدمع منى واصعد الزفرات
ما اطول ليالى جفاكم ساعاتها مثل السنه
وما اقصر ايام وصلى كانها ساعات
مالى أرى حسناتى بالسيآت تبدلت
وسيآت الاعادى ابدلت حسنات
خالفتونى وعمرى مازلت أتبع أمركم
كذا العبيد تتابع أوامر السادات
أسكت وأصبر عنكمو و يفعل الله مايشا
والدهر من عاداته يلقب الحالات

(الفن السابع فن القوما) قيل أول من اخترعها ابن نقطة برسم الخليفة الناصر والصحيح أنه مخترع من قبله وكان الناصر يطرب له وكان لابن نقطة ولد صغير ماهر فى نظم القوما فلما مات أبوه أراد أن يعرف الخليفة موت أبيه ليجريه على مفروضه فتعذر عليه ذلك فصبر الى دخول شهر رمضان ثم أخذ أتباع والده من المسحرين ووقف أول ليله من الشهر تحت الطيارة وغنى القوما بصوت رقيق فأصغى الخليفة اليه وطرب له فكان أول ما قاله

قوله

ياسيد السادات * لك بالكرم عادات
أنا بنى ابن نقطه * تعيش أبو يا مات

فاعجب الخليفة منه هذا الاختصار فاستحضره وخلع عليه وفرض له ضعفى ما كان لابيه
ومنها للصفى الحلى

من كان يهوى البدور * ووصل بيض الخدور
بالبيض والصفر يسخو * وقد جلس فى الصدور
من حب بيض الخدور * ورام لزوم الصدور
يسمع والا فيبسق * من بينهم مهدور
كم بين سجف الخدور * من عاشق مصدور
يرعى الكواكب لعلو * يرى جمال البدور
بين الحلل والخدور * وجوه مثل البدور
اشراقها فى المعاجز * وغربها فى الصدور
قد كنت فوق الصدور * بين الظبا والبدور
فصرت أحسد من ابصر * خيامهم والخدور

نوائب المقدور * مثل الكواكب تدور
من بعد طيب الخواطر * يقضي بضيق الصدور
غيري يلازم الصدور * وانا عليكم أدور
واصطلى الصدوانا * من بينهم مهدور

وقال أيضا

حال الهوى مخبور * يريد جلد صبور
يصون سره والا * يبقى من اهل القبور
من كان هواه مستور * يحظى برفع الستور
ومن هتك سرحبو * يعمى من الدستور
ابذل لبيض النحور * أموال مثل البحور
ان ردت تملك وتظفر * ولد انهم والحور
قم فابذل المدخور * وفي العطا لاتجور
تريد هذى المحبه * قلوب مثل الصخور
كم حول تلك الخدور * من عاشق مغدور
مثل الدواليب تجرى * دموعها وتدور
من يركب المحذور * هو في الهوى معذور
يظفر بحبه ويبلغ * قصده ويوفى النذور
كن بالهوى مسرور * ولا تبيت مغرور
واجعل تراب اعتابهم * لاجفان عينك درور
طرق المحبة وعور * كم بينها مذعور
من فتك بيض الوالف * على سواد الشعور
كم عاشق مذعور * في حب بيض الثغور
يغار قلبه ولكن * مدامعه ماتغور
كم بينهم يهتور * كالظبي انس نفور
من أهل بدر فديته * ايش ماعمل مغفور

ومن ذلك مانظمه بعضهم ليسحر بعض الخلفاء في رمضان

لازال سعدك جديد * دائم وجدك سعيد
ولا برحت مهنى * بكل صوم وعيد
في الدهر أنت الفريد * وفي صفاتك وحيد
والخلق شعر منتثر * وأنت بيت القصيد
بامن جنابه شديد * ولطف رأيه سديد
ومن يلاقي الشدائد * يقلب مثل الحديد
لازلت في تأييد * في الصوم والتعييد

ولا برحت مهنى * بكل عام جديد
نحن لذكرك نشيد * بقولنا والنشيد
ونبعث اوصاف مدحك * على خيول البريد
ظلك علينا مديد * مافوق جودك مزيد
وكم غمرت بفضلك * قريبنا والبعيد
لازلت فى كل عيد * تحظى بمجد سعيد
عمرك طويل وقدرك * وافر وظلك مديد
لازال قدرك مجيد * وظل جودك مديد
ولا برحت مسوقى * كما يوقى الوليد
مازال برك يزيد * على أقل العبيد
ومابرح جود كفك * منا كجبل الوريد
لازال برك مزيد * دائم وبأسك شديد
ولاعدمنا نوالك * فى صوم فطر وعيد

ومما قيل فى فتن الحمام

أتاما عبورى الحمام * بجسمى لكى يتظف
الا الدمع جارى * على الما ولا يوقف
وديك الجارى تجرى * ودمعى يسابقها
تقول الانام فى الحمام * له احباب فارقها

وقال آخر

ترى كل من نعشقو * علينا يقيم أنفه
فأسلاه واترك هواه * وسد الطريق خلفه
وان زاد على عشقو * وزادنى الهوى والذل
تركتو ولو كان يحيى * لاهل القبور الكل

وقد انتهى الكلام فيما اشرت اليه من الفنون السبعة وذكرت منها ماتبتهج به النفوس وتقر به العيون واختصرت ذلك الى الغاية فجاء بتوفيق الله فى الحسن نهاية وأسأل الله التوفيق عنه وكرمه والمزيد من بره ونعمه وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث والسبعون فى ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن ومايحمد ويذم من عشرتهن وفيه فصول

(الفصل الاول فى النكاح وفضله والترغيب فيه) قال الله تعالى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية وقال تعالى وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقال تعالى ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من

استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم سوداء ولود خير من حسناء عقيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن النساء بركة أحسنهن وجها وأرخصهن مهرا فينبغي للرجل اذا أراد أن يتزوج أن يرغب في ذات الدين وأن يختار الشرف والحسب كما حكي أن نوح بن مريم قاضي مرو أراد أن يزوج ابنته فاستشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتيني قال لابد أن تشير علي قال ان رئيسنا كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر أنت بأيهم تقتدي وقال رجل للحسن ان لي ابنة فمن ترى ان أزوجها له قال زوجها ممن يتقي الله عز وجل فان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها وقيل لرجل من الحكماء فلان يخطب فلانة فقال أموسر من مقل ودين فقالوا نعم قال فزوجوه اياها ويستحب أن يختار البكر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار فانهن أطيب أفواها وأنتق أرحاما وقالوا أشهى المطي مالم يركب وأحب اللآلي مالم يثقب وأنشد بعضهم

قالوا فكيت صغيرة فأجبتهم * أشهى المطي الى مالم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة * نظمت وحبة لؤلؤ لم تثقب

فأجابته امرأة

ان المطية لا يلذ ركوبها * حتى تذال بالزمام وتركبا
والدر ليس بنافع أربابه * حتى يؤلف بالنظام ويثقبا

قال خالد بن صفوان

عليك اذا ما كنت في الناس ناكحا * بذات الثنايا الغر والاعين النجل

وقيل استشار رجل داود عليه السلام في التزويج فقال له سل سليمان وأخبرني بجوابه فصادفه ابن سبع سنين وهو يلعب مع الصبيان راكبا قصبة فسأله فقال عليك بالذهب الاحمر والفضة البيضاء واحذر الفرس لا يضربك فلم يفهم الرجل ذلك فقال له داود عليه السلام الذهب الاحمر البكر والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن وراءهما كالفرس الجموح وقال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وقال صلى الله عليه وسلم انظر في أي شئ تضع ولدك فان العرق دساس وقال عليه الصلاة والسلام اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله قال المرأة الحسناء في المنبت السوء وأنشدوا فيه

اذا تزوجت فكن حاذقا * واسأل عن الغصن وعن منبته

وقال بعضهم

وأول خبث الماء خبث ترابه * وأول خبث القوم خبث المناكح

وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فان اللبن يعدي وقيل ان جعفر بن سليمان بن علي عاب يوما على أولاده وأنهم ليسوا كما

يحب فقال له ولده أحمد بن جعفر انك عمدت الى فاسقات مكة والمدينة واماء الحجاز فأوعيت فيهن نطفك ثم تريد أن ينجبن وانما نحن كصاحبات الحجاز هلا فعلت فى ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة قومها فزوجها منك وأنشدوا

صفات من يستحب الشرع خطبتها * جلوتها لاولى الالباب مختصرا
صبية ذات دين زانه أدب * بكر ولود حكت فى حسنها القمرا
غريبة لم تكن من أهل خاطبها * تلك الصفات التى اجلوا لمن نظرا
فيها أحاديث جاءت وهى ثابتة * أحاط علما بها من فى العلوم قرا

وقال آخر

مطيات السرور فويق عشر * الى العشرين ثم قف المطايا
فان جزت المبر فسر قليلا * وبنت الاربعين من الرزايا

وقال آخر

فاياك اياك العجوز ووطأها * فما هو الا مثل سم الاراقم

واعلم أن العيش كله مقصور على الحليلة الصالحة والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التى لا تسكن النفس الى عشرتها ولا تقر العيون برؤيتها وفى حكمة سليمان بن داود عليه السلام المرأة العاقلة تعمر بيت زوجها والمرأة السفيهة تهدمه وروى انه لما حضر أبو طالب نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر خطب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخى من لا يوزن به رجل من قريش الا رجح به برا وفضلا وكرما ومجدا ونبلا فان كان فى المال قل فالمال ظل زائل ورزق حائل وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالى كذا وكذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل ولما خطب عمرو بن حجر الكندى الى عوف بن محلم الشيبانى ابنته أم اياس واجابه الى ذلك أقبلت عليها أمها ليلة دخوله بها توصيها فكان مما أوصتها به أن قالت أى بنية انك مفارقة بيتك الذى منه خرجت وعشك الذى منه درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أمة ليكون لك عبدا واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا فاما الاولى والثانية فالرضا بالقناعة وحسن السمع له والطاعة وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواقع عينيه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك الا أطيب الريح وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فان شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبه وأما السابعة والثامنة فالاحراز لماله والارعاء على حشمه وعياله وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصى له أمرا ولا تفشى له سرا فانك ان خالفت أمره أوغرت صدره وان افشيت سره لم تأمنى غدره واياك ثم اياك والفرح بين يديه اذا كان مهتما والكآبة لديه اذا كان فرحا فقبلت وصية أمها فنجبت وولدت له الحرث بن عمرو جد امرئ القيس الملك

الشاعر وعن الهيثم بن عدى الطائى عن الشعبى قال لقينى شريح فقال لى ياشعبى عليك بنساء بنى تميم فانى رأيت لهن عقولا فقلت وما رأيت من عقولهن قال اقبلت من جنازة ظهرا فررت بدورهن واذا أنا بعجوز على باب دار والى جانبها جارية كأحسن ما رأيت من الجوارى فعدلت اليها واستسقيت وما بى عطش فقالت لى أى الشراب أحب اليك قلت ما تيسر قالت ويحك ياجارية ائتيه بلبن فانى أظن الرجل غريبا فقلت للعجوز ومن تكون هذه الجارية منك قالت هى زينب بنت جرير احدى نساء بنى حنظلة قلت هى فارغة أم مشغولة قالت بل فارغة قلت أترقوجينيها قالت ان كنت كفاء ولم تقتل كفؤا وهى لغة بنى تميم فتركتها ومضيت الى منزلى لأقيل فيه فامتنعت منى القائلة فلما صليت الظهر أخذت بيد اخوانى من العرب الاشراف علقمة والاسود والمسيب ومضيت أريدها فاستقبلنا وقال ما شأنك أبا أمية قلت زينب ابنة اخيك قال ما بها عنك رغبة فزوجنيها فلما صارت فى حبالى ندمت وقلت أى شئ صنعت بنساء بنى تميم وذكرت غلظ قلوبهن فقلت أطلقها ثم قلت لا ولكن أدخل بها فان رأيت ما أحب والا كان ذلك فلو شهدتنى ياشعبى وقد أقبلت نساؤها يهدينها حتى أدخلت على فقلت ان من السنة اذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم ويصلى ركعتين ويسأل الله تعالى من خيرها ويتعوذ من شرها فتوضأت فاذا هى تتوضأ وضوئى وصليت فاذا هى تصلى بصلاتى فلما قضيت صلاتى أتتنى جواريها فأخذن ثيابى وألبسنى ملحفة قد صبغت بالزعفران فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدى الى ناصيتها فقالت على رسلك أبا أمية ثم قالت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله أما بعد فانى امرأة غريبة لا علم لى باخلاقك فبين لى ما تحب فآتيه وما تكره فأجتنبه فانه قد كان لك منكح فى قومك ولى فى قومى مثل ذلك ولكن اذا قضى الله أمرا كان مفعولا وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله تعالى به اما امساك بمعروف أو تسريح باحسان أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولك ولجميع المسلمين قال فأعجبتنى والله ياشعبى الى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت الحمد لله أحمده واستعينه وأصلى على محمد وآله أما بعد فانك قد قلت كلاما ان ثبت عليه يكن ذلك حظا لى وان تدعيه يكن حجة عليك أحب كذا وأكره كذا وما رأيت من حسنة فأثبتيها وما رأيت من سيئة فاستريها فقالت كيف محبتك لزيارة الاهل قلت ما أحب أن يعلم اصهارى قالت فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ومن تكرهه أكرهه قلت بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء قال فبت معها ياشعبى بانعم ليلة ومكثت معى حولا لا أرى منها الا ما أحب فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء واذا أنا بعجوز فى الدار تأمر وتنهى قلت من هذه قالوا فلانة أم حليلتك قلت مرحبا وأهلا وسهلا فلما جلست أقبلت العجوز فقالت السلام عليك يا أبا أمية فقلت وعليك السلام ومرحبا بك وأهلا قالت كيف رأيت زوجتك قلت خير زوجة وأوفق قرينة لقد أدبت فأحسنت الادب ورويضت فأحسنت الرياضة فجزاك الله خيرا فقالت أبا أمية ان المرأة لا يرى اسوأ حالا منها فى حالتين قلت وما هما قالت اذا ولدت غلاما أو حظيت عند زوجها فان رابك ريب فعليك بالسوط فوالله ما عاز الرجال فى بيوتهم أشر من الروعاء المدلة فقلت والله لقد أدبت فأحسنت الادب ورويضت فأحسنت الرياضة قالت كيف

تحب أن يزورك أصهارك قلت ماشاء الله فكانت تأتيني في رأس كل حول فتوصيني بتلك الوصية فمكثت معي باشعبي عشرين سنة لم أعب عليها شيأ وكان لي جار من كندة يفزع امرأته ويضربها فقلت في ذلك

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يميني يوم تضرب زينب
أأضربها من غير ذنب أتت به * فما العدل مني ضرب من ليس يذنب
فزينب شمس والنساء كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وخطب الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن جعفر ابنته ام كلثوم على ألفي ألف في السر وخمسمائة ألف في العلانية فأجابه الى ذلك وحملها الى العراق فأقامت عنده ثمانية أشهر فلما خرج عبد الله ابن جعفر الى عبد الملك بن مروان وافد انزل بدمشق فأتاه الوليد بن عبد الملك على بغلة ومعه الناس فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له الوليد لكنك أنت لا مرحبا بك ولا أهلا قال مهلا يا ابن أخي فلست أهلا لهذه المقالة منك قال بلى والله وبشر منها قال وفيم ذلك قال لانك عمدت الى عقيلة نساء العرب وسيدة نساء بني عبد مناف فعرضتها عبد ثقيف يتغذاها قال وفي هذا عتبت علي يا ابن أخي قال نعم فقال عبد الله والله ما أحق الناس أن لا يلومني في هذا الا أنت وأبوك لان من كان قبلكم من الولاة يصلون رحمي ويعرفون حقي وانك وأبالك منعتماني رفدكما حتى ركبني الدين أما والله لو أن عبدا حبشيا مجدعا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه انما فديت بها رقبتي فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك فقال مالك يا أبا العباس قال انك سلطت عبد ثقيف وملكته حتى تغذى نساء بني عبد مناف فأدركت عبد الملك غيرة فكتب الى الحجاج يقسم عليه ان لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ففعل قال ولم يكن يقطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا ومازال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى مات وما كان يأتي عليه حول الا وعنده عير مقبلة من عند الحجاج عليها أموال وكسوة وتحف (وحكى) أن المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة سار الى دير هند بنت النعمان وهي فيه عيماء مترهبة فاستأذن عليها فقالت من أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفي قالت ما حاجتك قال جئت خاطبا قالت انك لم تكن جئتني بمال ولا مال ولكنك أردت أن تتشرف في محافل العرب فتقول تزوجت بنت النعمان بن المنذر والا فأي خير في اجتماع عيماء وأعور وكان عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من اجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من أحسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فقربه أبو بكر يوما وهو في غرفة له فقال يا بني اني أرى هذه المرأة قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك الا طلقتها فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لابي بكر أهلكت عبد الرحمن فقربه يوما وعبد الرحمن لا يراه وهو مضطجع في الشمس ويقول هذه الابيات

فوالله لا أنساك ما در شارق * وما ناح قمري الحمام المطوق
فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها * ولا مثلها في غير شيء يطلق
لها خلق عف ودين ومحتد * وخلق سوي في الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال له راجعها يا بني فراجعها وأقامت عنده حتى قتل عنها يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

فآليت لا تنفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
فتى طول عمري ما أرى مثله فتى * أكر وأحمى في الهياج وأصبرا
اذا شرعت فيه الاسنة خاضها * الى القرن حتى يترك الرمح أحمرا

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ودعا الناس الى وليمته فلما فرغ من الطعام وخرج الناس قال له علي بن ابي طالب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ائذن لي في كلام عاتكة حتى أهنيها وأدعو لها بالبركة فذكر عمر ذلك لعاتكة فقالت ان أبا الحسن فيه مزاح فأذن له يا أمير المؤمنين فأذن له فرفع جانب الخدر فنظر اليها فاذا ما بدا من جسدها مضمخ بالخلوق فقال لها يا عاتكة الست القائلة

فآليت لا تنفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

وقيل ان عمر لما قتل عنها جزعت عليه جزعا شديدا وتزوجت بعده الزبير بن العوام وكان رجلا غيورا وكانت تخرج الى المسجد كعادتها مع أزواجها فشق ذلك عليه وكان يكره ان ينهاها عن الخروج الى الصلاة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فعرض لها ليلة في ظهر المسجد وهي لا تعرفه فضرب بيده عجيزتها ثم انصرف فقعدت بعد ذلك عن الخروج الى المسجد وكان يقول لها ألا تخرجين يا عاتكة فتقول كنا نخرج اذ الناس ناس وما بهم من باس وأما الآن فلا ثم قتل عنها الزبير قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع وهو نائم ثم تزوجها بعده محمد بن أبي بكر فقتل عنها بمصر فقالت لا أتزوج بعده أبدا اني لا أحسبني أني لو تزوجت جميع اهل الارض لقتلوا عن آخرهم (وحكي) عن الحرث بن عوف بن أبي حارثة أنه قال لخارجة بن سنان أترى اني أخطب الى أحد فيردني قال نعم قال ومن هو قال أوس بن حارثة بن لام الطائي قال اركب بنا اليه فركبنا اليه حتى أتينا أوس بن حارثة في بلاده فوجدناه في فناء منزله فلما رأى الحرث بن عوف قال مرحبا بك يا حارث قال ما جاء بك قال جئت خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه فدخل اوس على امرأته مغضبا فقالت له من الرجل الذي سلم عليك فلم تطل معه الوقوف ولم تكلمه فقال ذلك سيد العرب الحرث بن عوف فقالت فما لك لا تستنزله قال انه استهجنني قالت وكيف قال لانه جاءني خاطبا قالت ألست تزعم أنه سيد العرب قال نعم قالت اذا لم تزوج سيد العرب في زمانه فمن تزوج قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال فما ذا قالت بأن تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط مني اليه ما فرط قالت تقول له انك لقيتني وأنا مغضب لامر فلك المعذرة فيما فرط مني فارجع ولك عندي كل ما طلبت قال فركب في اثرهما قال خارجة بن سنان

فوالله انا لنسير اذ حانت منه التفاتة فرأيته فقلت للحرث وهو ما يكلمني هذا اوس في اثرنا فقال ما أصنع به فلما رآنا لا نقف قال يا حارث أربع علي فوقفنا له وكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا قال خارجة بن سنان فبلغني ان أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة أكبر بناته فاتته فقال لها أي بنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب جاءني خاطبا وقد أردت ان أزوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لان في خلقي رداءة وفي لساني حدة ولست بابنة عمه فيراعي رحمي ولا هو يجاريك في البلد فيستحي منك ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي بذلك مسبة قال لها قومي بارك الله فيك ثم دعا بنته الاخرى فقال لها مثل قوله لاختها فأجابته بمثل جوابها فقال لها قومي بارك الله فيك ثم دعا بالثالثة وكانت أصغرهن سنا فقال لها مثل ما قال لاختيها فقالت له أنت وذاك فقال لها اني عرضت ذلك على أختيك فأبتاه ولم يذكر لها ما قالتاه فقالت له والله اني لجميلة وجيها الرفيعة خلقا الحسنة رأيا فان طلقني فلا أحلف الله عليه فقال لها بارك الله فيك ثم خرج اليه فقال زوجتك يا حارث يا بني هيسة قال قد قبلت نكاحها وأمر أمها أن تهيئها له وتصلح شانها ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله اياه ثم بعثها اليه فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج الي فقلت له أفرغت من شانك قال لا والله قلت وكيف ذلك قال لما مددت يدي اليها قالت مه أعند أبي واخوتي هذا والله لا يكون ثم أمر بالرحلة فارتحلنا بها معنا وسرنا ما شاء الله ثم قال لي تقدم فتقدمت فعدل عن الطريق فمالت ان لحقني فقلت أفرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم قال قالت تفعل بي كما يفعل بالامة السبية الاخيذة لا والله حتى تنحر الجزر والغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل مثلك لمثلي فقلت والله اني لاري همة وعقلا فقال صدقت قال وأرجو الله أن تكون المرأة النجيبة فوردنا الى بلادنا فأحضر الابل والغنم وشهر وأولم ثم دخل عليها وخرج الي فقلت افرغت من شأنك قال لا والله قلت ولم ذاك قال دخلت عليها أريدها فقالت لها قد احضرت من المال ما تريدين قالت والله لقد ذكرت من الشرف بما ليس فيك قلت ولم ذاك قالت أتستفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا وكان ذلك في أيام حرب قيس وذبيان قلت فاذا تقولين قالت اخرج الى القوم فأصلح بينهم ثم ارجع الى أهلك فلن يفوتك ما تريد فقلت والله اني لاري عقلا ورأيا سديدا قال فاخرجنا حتى أتينا القوم فشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على أن يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية فحملناعنهم الديات فكانت ثلاثة آلاف بعير فانصرفنا بأجمل ذكر ثم دخل عليها فقالت له أما الآن فنعم فاقامت عنده في ألذ عيش وأطيبه وولدت له بنين وبنات وكان من أمرهما ما كان والله أعلم بالصواب

(وحكى) الفضل أبو محمد الطيبي قال حدثنا بعض أصحابنا ان رجلا من بني سعد مرت به جارية لامية بن نائل بن عبد الله بن أسد ذات ظرف وجمال وكان شجاعا فارسا فلما رآها قال طوبى لمن كان له امرأة مثلك ثم أتبعها رسولا يسأل لها أن لها زوجا ويذكره لها وكان جميلا فقالت للرسول وما حرفته فأبلغه الرسول ذلك فقال ارجع اليها وقل لها شعر

وسائلة ما حرفتي قلت حرفتي * مقارعة الابطال في كل شارق

اذا عرضت خيل لخيل رأيتني * أمام رعيل الخيل أحمي حقائقي

اصبر نفسي حين لم أرصابرا * على ألم البيض الرقاق البوارق

فلحقها الرسول فأنشدها ما قال فقالت له ارجع اليه وقل له أنت أسد فاطلب لك لبوة فلست من نسائك وأنشدته تقول

الا انما أبغي جوادا بماله * كريما محياه كثير الصدائق

فتى همه مذ كان خود خريدة * يعانقها في الليل فوق النمارق

وحدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الحكم عن الامام الشافعي رضي الله عنه قال تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة فكانت جارية الجديدة تمر على بيت القديمة فتقول

وما يستوي الرجلان رجل صحيحة * وأخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود وتقول

وما يستوي الثوبان ثوب به البلى * وثوب بايدي البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

وقال عمرو بن العلاء وكان أعلم الناس بالنساء

فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بادواء النساء طبيب

اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له في ودهن نصيب

وسئل المغيرة بن شعبة عن صفة النساء فقال بنات العم أحسن مواساة والغرائب انجب وما ضرب رؤس الاقران مثل ابن السوداء وقال عبد الملك بن مروان من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية قال الشاعر

لا تشتمن امرأ من يكون له * أم من الروم أو سوداء جعماء

فانما أمهات القوم أوعية * مستودعات وللانساب آباء

وقال الاصمعي أتاني رجل من قريش يستشيرني في امرأة يتزوجها فقلت يا ابن أخي أقصيرة النسب أم طويلته فلم يفهم عني فقلت يا ابن أخي أما القصيرة النسب فالتي اذا ذكرت أباها اكتفت به والطويلة النسب فهي التي لا تعرف حتى تطيل في نسبها فايا ما ان تقع مع قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم فتضيع نسبك فيهم وخرج رجل من أهل الكوفة في غزاة فكتب جارية وفرسا وكان مملكا على ابنة عمه فكتب اليها يغيرها ويقول

ألا بلغوا أم البنين بانني * غنينا وأغنتنا الغطارفة النجد

بعيد مناط المنكبين اذا جرى * وبيضاء كالقمقام زينها العقد

فهذا لايام العدو وهذه * لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فلما ورد عليها كتابه وقرأته قالت يا غلام هات الدواة وكتبت جوابه تقول

ألا فاقرء مني السلام وقل له * غنينا واغنتنا غطارفة المرد

اذا شئت أغنانى غلام مرجل * ونازعته فى ماء معتصر الورد
وان شاء منهم ناشئ مد كفه * الى عكن ملساء أو كفل نهد
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم * شهودا فتقضوها على النأى والبعد
* فعجل لينا بالسراح فانه * منانا ولا تدعوا لك الله بالرد
فلا قفل الجند الذى أنت فيهم * وزاد لرب الناس بعدا على بعد

فلما ورد عليه كتابه لم يزد على أن ركب الفرس وأردف الجارية خلفه ولحق بابنة عمه فكان أول شئ بدأها به بعد السلام أن قال لها بالله عليك هل كنت فاعلة ذلك فقالت له الله فى قلبى أعظم وأجل وأنت فى عينى أذل وأحقر من أن أعصى الله فيك فكيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية وانصرف الى الغزاة والله تعالى أعلم بالصواب

(الفصل الثانى فى صفات النساء المحمودة) كتب الحجاج الى الحكم بن أيوب أن اخطب لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها مؤاتية لبعلها فكتب اليه قد أصبتها ولا عظم ثديها فكتب اليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفى الخبيع وتروى الرضيع وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صف لى أحسن النساء قال خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين رداء الكعبين ناعمة الساقين ضخماء الركبتين لفاء الفخذين ضخمة الذراعين رخصة الكفين ناهدة الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لماء الشفتين بجاء الجبين شماء العرنين شنباء الثغر محلولكة الشعر غيداء العنق مكسرة البطن فقال ويحك وأين توجد هذه قال تجدها فى خالص العرب وفى خالص فارس وقال حكيم عليكم بمن تربت فى النعيم ثم أصابتها فاقة فأثرفيها الغنى وأدبها الفقر وقال رجل لخاطب ابغ لى امرأة لا تؤنس جارا ولا توطن دارا يعنى لا تدخل على الجيران ولا تدخل الجيران عليها وفى مثل هذه قال الشاعر

هيفاء فيها اذا استقبلتها صلف * عيطاء غامضة الكعبين معطار
غود من الخفرات البيض لم يرها * بساحة الدار لا بعل ولا جار

وقال الاعشى

لم تمش ميلا ولم تركب على جمل * ولم تر الشمس للاذ وبها الكلل

وكانت امرأة عمران بن لحطان من أجمل الناس وجها وكان هو من أقبح الناس وجها فقال لها يوما أنا وايالك فى الجنة ان شاء الله تعالى فقالت له وكيف ذلك فقال لانى أعطيت مثل فشكرت وأعطيت مثلى فصبرت والصابرون والشاكرون فى الجنة وقال بعضهم رأيت فى طريق مكة أعرابية ما رأيت أحسن منها وجها فقعدت انظر اليها وأتعجب من جمالها فجاء شيخ قصير فأخذ بردائها ويادبها ومضى فلقيتها مرة أخرى فقلت لها من هذا الشيخ قالت زوجى قلت كيف يرضى مثلك بمثله فانشدت

أيا عجبا للخود يجرى وشاحها * ترف الى شيخ بأقبح تمثال

دعانى اليه أنه ذو قرابة * يعز علينا من بنى العم والخال

وسمع بعضهم قائلا يقول شعرا

ومن لا يرد مدحى فان مدائحى * توافق عند الاكرمين نوام

توافق عند المشترى الحمد بالندى * نفاق بنات الحرث بن هشام

فقال يا ابن أخى ما بلغ من نفاق بنات الحرث بن هشام قال كانوا من أجمل الناس وجوها وكان أبوهن اذا زوجهن يسوقهن ومهورهن الى بعولتهن فقال يا ابن أخى لو فعل هذا ابليس ببناته لتنافست فيهن الملائكة المقربون وقال عبد الملك لابن أبى الرقاع كيف علمك بالنساء قال أنا والله أعلم الناس بهن وجعل يقول

قضاعية الكعبين كندية الحشا * خزاعية الاطراف طائية الفم

لها حكم لقمان وصورة يوسف * ومنطق داود وعفة مريم

وقالوا الوجه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث فى الكن والتضمخ بالطيب وقالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافى الاديم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر ومنه قولهم دياج الوجه يريدون تلونه من رقته قال على بن زيد فى وصفه

حمرة خلط صفرة فى بياض * مثل ما حالة حائك ديباجا

وقال على بن عبد ربه

بيضاء يحمر خدها اذا خجلت * كما جرى ذهب فى صفحتى ورق

وقالوا ان الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهى بالضحى بيضاء وبالعشى صفراء وقال ذو الرمة

بيضاء صفراء قد تنازعها * لونان من فضة ومن ذهب

قالوا ليس المراة الجميلة التى تاخذ بصرك جملة على بعد فاذا دنت منك لم تكن كذلك بل الجميلة التى كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقالوا ان أردت أن يحبب ولدك فأغضبها ثم قع عليها

قال الشاعر

ممن حملن به وهن عواقد * حبك النطاق فعاش غير مهبل

حملت به فى ليلة مزورة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل

(الفصل الثالث فى صفة المرأة السوء نعوذ بالله تعالى منها) فى حكمة داود عليه السلام ان المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضى الله تعالى عنه وقيل المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى فى عنق من يشاء من عباده وقيل لاعرابى كان ذا تجربة للنساء صف لنا شر النساء فقال شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم المحياض المعراض المصفرة الميشومة العسرة المبشومة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة كأن لسانها حربة تضحك من غير عجب وتبكى من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب أنف فى السماء واست فى الماء عرقوب بها حديد منتفخة الوريد كلامها وعيد وصوتها

شديد تدفن الحسنات وتغشى السيئات تعين الزمان على بعلها ولا تعين بعلها على الزمان ليس فى قلبها عليه رأفة ولا عليها منه مخافة ان دخل خرجت وان خرج دخلت وان ضحك بكت وان بكى ضحكت كثيرة الدعاء قليلة الارعواء تأكل لما وتوسع ذما ضيقة الباع مهتوكة القناع صبيها مهزول وبيتها من بول اذا حدثت تشير بالاصابع وتبكى فى المجامع بادية من جانبها باحة عند بابها تبكى وهى ظالمة وتشهد وهى غائبة قد دلى لسانها بالزور وسال دمعها بالفجور ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الامور ويقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فان علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مرتدة الطرف عنه كانها تنظر الى انسان غيره من ورائه وان كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه قال بعضهم

لقد كنت محتاجا الى موت زوجتى * ولكن قرين السوء باق معمر
فيا ليتها صارت الى القبر عاجلا * وعذبها فيه تكير ومنكر

وقال زيد بن عمير

أعاتبها حتى اذا قلت أقلعت * أبى الله الا خزيها فتعود
فان طمثت قادت وان طهرت زنت * فهاتيك تزنى دائما وتقود

وقال داود عليه السلام المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه برؤيتها والله أعلم

(الفصل الرابع فى مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن) فى حكمة داود عليه السلام وجدت فى الرجال واحدا فى ألف ولم أجد واحدة فى جميع النساء وقيل ان عيسى عليه السلام لقى ابليس وهو يسوق أربعة أحمرة عليها حمال فسأله فقال أحمل تجارة وأطلب مشترين فقال ما أحدها قال الجور قال من يشتريه قال السلاطين قال فما الثانى قال الحسد قال فمن يشتريه قال العلماء قال فما الثالث قال الخيانة قال فمن يشتريها قال التجار قال فما الرابع قال الكيد قال فمن يشتريه قال النساء وقال حكيم النساء شر كلهن وشر مافيهن قلة الاستغناء عنهن وقالت الحكماء لا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وان كثر وقال النساء حبائل الشيطان قال الشاعر

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن * جزوعا اذا بانت فسوف تبين
وخنها وان كانت تقى لك انها * على قدم الايام سوف تخون
وان هى اعطتك اللسان فانها * لغيرك من طلابها ستلين
وان حلفت ان ليس تنقض عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين
وان سكبت يوم الفراق دموعها * فليس لعمر الله ذاك يقين

وقال ابن بشار

رأيت مواعيد النساء كانها * سراب لمرتاد المناهل حافل
ومنتظر الموعود منهن كالذى * يؤمل يوما ان تلين الجنادل

وقال بعض الحكماء لم تنه المرأة عن شئ قط الا فعلته وقال الفنوى

ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واقع لابد مفعول

وقال النخعي من اقتراب الساعة طاعة النساء ويقال من أطاع عرسه فقد أضاع نفسه وقال علي رضي الله عنه اياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن اكفف أبصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب وليس شروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن فان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل قال السمعاني

لا تأمنن على النساء ولو أخا * ما في الرجال على النساء أمين

ان الامين وان تحفظ جهده * لابد أن بنظرة سيخون

وقال غيره

لا تركنن الى النسا * ولا تثق بعهودهن

فرضاؤهن جميعهن معلق بفروجهن

وقال علي رضي الله عنه لا تطيعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ولا تذروهن الا لتدبير العيال ان تركن ومايردن أوردن المهالك وأفسدن المماليك ينسين الخير ويحفظن الشر يتهافتن في البهتان ويتمادين في الطغيان وقال أبو بكر رضي الله عنه ذل من اسند أمره الى امرأة وقيل ان صيادا أتى أبرويز بسمكة فأعجبه حسنها وسمنها فامر له بأربعة آلاف درهم فخط أنه سيرين زوجته فقال لها ماذا أفعل فقالت له اذا جاءك فقل له أذكرا كانت أم أنثى فان قال للذكر فاطلب منه الانثى وان قال لك أنثى فاطلب منه الذكر فلما أتاه سأله فقال كانت أنثى فقال اثتني بذكرها فقال عمر الله الملك كانت بكرا لم تتزوج فقال زه وأمر له بثمانية آلاف درهم وقال اكتبوا في الحكمة الغدر ومطاوعة النساء يؤديان الى الغرم الثقيل وقال حكيم اعص النساء وهواك وافعل ماشئت وقال عمر رضي الله عنه أكثروا لهن من قول لا فان نعم تغريهن على المسئلة وقال استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر (ومما قيل في الباءة) ذكر الجماع عند الامام مالك بن أنس رضي الله عنه قال هو نور وجهك ومخ ساقك فأقل منه أو أكثر وقال معاوية رضي الله عنه ما رأيت نهما في النساء الا عرفت ذلك في وجهه وخلا تمام بجارية له فعجز عنها فقال ما أوسع حولك فانشأت تقول

أنت الفداء لمن قد كان يملؤه * ويشتكي الضيق منه حين يلقاه

وقال آخر

شفاء الطب تقبيل ولمس * وعض بالبطون على البطون

ورهز تذرف العينان منه * وأخذ بالمناكب والقرون

وقالت امرأة من أهل الكوفة دخلت على عائشة بنت طلحة فسألت عنها فقيل هي مع زوجها في القيطون فسمعت شهيقا وشخيرا لم أسمع مثله ثم خرجت الي وجبينها يتصبب عرقا

فقلت

فقلت لها ما ظننت حرة تفعل هذا بنفسها فقالت ان الخيل تشرب بالصفير وعاتبت امرأة زوجها على قلة اتيانها فأجابها بقول

أنا شيخ ولى امرأة عجوز * تراودنى على مالا يجوز

وقالت رق أيرك مذ كبرنا * فقلت بلى قد اتسع القفيز

وكان لرجل امرأة تخاصمه وكلما خاصمته قام اليها فواقعها فقالت ويحك كلما تخاصمنى تأتينى بشفيع لا أقدر على رده وأتى رجل الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وقال ان لى امرأة كلما غشيتها تقول قتلتنى فقال اقتلها بهذه القتلة وعلى انها وقالوا من قل جماعه فهو أصح بدنا وأنقى جلدا وأطول عمرا ويعتبر ذلك بذكور الحيوان وذلك أنه ليس فى الحيوان أطول أعمارا من البغال ولا أقصر أعمارا من العصافير وهى أكثرها سفادا والله تعالى أعلم بالصواب

(الفصل الخامس فى الطلاق وما جاء فيه) عن عبد الرحمن بن محمد ابن أخى الاصمعى قال قال عمى للرشيد فى بعض حديثه يا أمير المؤمنين بلغنى أن رجلا من العرب طلق فى يوم واحد خمس نسوة قال وكيف ذلك وانما لا يجوز للرجل غير أربعة قال يا أمير المؤمنين كان متزوجا بأربعة فدخل عليهن يوما فوجدهن متشاجرات وكان شريرا فقال الى متى هذا النزاع ما أظن هذا الا من قبلك يا فلانة لامرأة منهن اذهبى فأنت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكان أصلح فقال لها وأنت أيضا طالق فقالت له الثالثة قبحك الله فوالله لقد كانتا اليك محسنتين فقال لها وأنت أيضا أيتها المعددة أياديها طالق فقالت الرابعة وكانت هلالية ضاق صدرك الا أن تؤدب نساءك بالطلاق فقال لها وانت طالق أيضا فسمعته جارة له فأشرفت عليه وقالت له والله ما شهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف الا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم أبيت الا طلاق نسائك فى ساعة واحدة فقال وأنت أيتها المتكلمة فيما لا يعنيك طالق ان أجازنى بعلك فأجابه زوجها قد أجزت ذلك فعجب الرشيد من ذلك وطلق رجل امرأته فلما أرادت الارتحال قال لها اسمعى وليسمع من حضر أنى والله اعتمدتك برغبة وعاشرتك بمحبة ولم أجدمنك زلة ولم يدخلنى عنك مله ولكن القضاء كان غالبا فقالت المرأة جزيت من صاحب ومصحوب خيرا فما استقلت خيرك ولا شكوت ضيرك ولا تمنيت غيرك ولا أجد ذلك فى الرجال شيبها وليس لقضاء الله مدفع ولا من حكمه علينا ممنع وقال رجل لابن عباس رضى الله عنه ما تقول فى رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه من ذلك عدد نجوم الجوزاء (ذكر من طلق امرأته فتبعتها نفسه) قال الهيثم بن عدى كانت تحت ابن الغربان بن الاسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرض لها بالرجوع فكتبت اليه تقول

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا * ان الغزال الذى ضيعت مشغول

فكتب اليها يقول

ان كان ذا شغل فالله يكلؤه * فقد لهونا به والحبل موصول

وقد قضينا من استطرافه وطرا * وفى الليالى وفى أيامها طول

وطلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه فدخل عليه أشعب فقال له هل لك أن تبلغ سعدى عنى رسالة ولك عشرة آلاف درهم قال أقبضنيها فأمر له بها فلما قبضها قال له هات رسالتك قال ائتها فأنشدها

اسعدى هل اليك لنا سبيل * ولاحتى القيامة من تلاق

بلى ولعل دهرا أن يؤاتى * بموت من خليلك أو فراق

قال فأتاها أشعب فاستأذن عليها فأذنت له فدخل فقالت له ما بدا لك فى زيارتنا يا أشعب فقال يا سيدتى أرسلنى اليك الوليد برسالة ثم أنشدها الشعر فقالت لجواريها علىّ بهذا الخبيث فقال يا سيدتى انه دفع الىّ عشرة آلاف درهم فهى لك وأعتقينى لوجه الله فقالت والله لأعتقنك أو تبلغ اليه ما أقول لك قال يا سيدتى فاجعلى لى جعلا قالت لك بساطى هذا قال قومى عنه فقامت فأخذه وألقاه على ظهره وقال هاتى رسالتك فقالت

أتبكى على سعدى وأنت تركتها * فقد ذهبت سعدى فانت صانع

فلما بلغه الرسالة ضاقت عليه الارض بما رحبت وأخذته كظمة فقال لاشعب اختر منى احدى ثلاث اما أن أقتلك واما ان أطرحك من هذا القصر واما ان ألقيك الى هذه السباع فتفترسك فتحير أشعب وأطرق مليا ثم قال يا سيدى ما كنت لتعذب عينا نظرت الى سعدى فتبسم وخلى سبيله ومن طلق امرأته فتبعتها نفسه الفرزدق الشاعر طلق النوار ثم ندم على طلاقها وقال

ندمت ندامة الكسعى لما * غدت منى مطلقة نوار

فأصبحت الغداة ألوم نفسى * بأمر ليس لى فيه اختيار

وكانت جنتى فخرجت منها * كآدم حين أخرجه الضرار

ولو أنى ملكت بها يمينى * لكان على القدر الخيار

ومن طلق امرأته فتبعتها نفسه فندم قيس بن ذريح وكان أبوه أمره بطلاقها فطلقها وندم على ذلك فانشد يقول

فنى صبرى وعاودنى رداعى * وكان فراق لبنى كالخداع

تكنفنى الوشاة فأزعجونى * فيا للناس للواشى المطاع

فأصبحت الغداة ألوم نفسى * على أمر وليس بمستطاع

كنبون بعض على يديه * تبين غبنه عند البياع

وحدث العتبى قال جاء رجل بامرأة كأنها ابريج من فضة الى عبد الرحمن بن الحكم وهو على الكوفة فقال ان امرأتى هذه ثجتنى فسألها عبد الرحمن فقالت نعم يا مولاى غير متعمدة لذلك كنت أعالج طبيا فوقع الفهر من يدى على رأسه وليس عندى علم ولا يقوى بدنى على القصاص فقال للرجل علام تمسكها وقد فعلت بك ما أرى فقال يا مولاى ان صداقها

على أربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسي بفراقها قال فان أعطيتك الاربعة آلاف درهم تفارقها قال نعم قال هي لك قال فهي اذن طالق فقال لها عبد الرحمن احبسي علينا نفسك وانشأ يقول

يا شيخ يا شيخ من دلالك بالغزل * قد كنت يا شيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها * فاعمد لنفسك نحو القرح الذلل

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع والسبعون في تحريم الخمر وذمها والنهي عنها)

قد أنزل الله تعالى في الخمر ثلاث آيات الاولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين من شارب ومن تارك الى أن شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضي الله عنه فأخذ بلحى بعير وشج به رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الاسود بن يعفر يقول

وكأن بالقليب قليب بدر * من الفتيان والعرب الكرام
أبوعدنى ابن كبشة أن سنحيا * وكيف حياة أصداء وهام
أيجزع أن يرد الموت عني * وينشرني اذا بليت عظامي
ألا من مبلغ الرحمن عني * بأني تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي * وقل لله يمنعني طعامي *

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيأ كان في يده فضربه به فقال أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا انتهينا ومن الاخبار المتفق عليها في تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم أول ما نهاني ربي بعد عبادة الاوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال ومن تركها في الجاهلية عبد الله بن جدعان وكان جوادا من سادات قريش وذلك انه شرب مع أمية بن أبي الصلت الثقفي فضربه على عينه فاصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال ألست ضاربها بالامس فقال أو بلغ مني الشراب ما أبلغ معه الى هذا لا أشربها بعد اليوم ثم دفع له عشرة آلاف درهم وقال الخمر علي حرام لا أذوقها بعد اليوم أبدا ومن حرمها في الجاهلية أيضا قيس بن عاصم وذلك انه سكر ذات ليلة فقام لابنته أو لأخته فهربت منه فلما أصبح سأل عنها فقيل له أو ما علمت ما صنعت البارحة فأخبر بالقصة فحرم الخمر على نفسه ومن حرمها في الجاهلية أيضا العباس بن مرداس وقيس بن عاصم وذلك ان قيسا شرب ذات ليلة فجعل يتناول القمر

ويقول والله لا أبرح حتى أنزله ثم يثب الوثبة بعد الوثبة ويقع على وجهه فلما أصبح وفاق قال مالي هكذا فاخبروه بالقصة فقال والله لا أشربها أبدا وقيل للعباس بن مرداس لم تركت الشراب وهو يزيد في سماحتك فقال أكره أن أصبح سيد قومي وأمسي سفيههم ودخل نصيب على عبد الملك بن مروان فانشده فأعجبه انشاده وشعره ووصله ثم دعا بالطعام فطعم منه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك فيما ينادم عليه قال يا أمير المؤمنين جلدي اسود وخلقي مشوه ووجهي قبيح وتكفيني مجالستك ومؤاكلتك ولم يوصلني ذلك الاعقلي وانا أكره أن يدخل عليه ما ينقصه فاعجبه كلامه ووصله وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج في وفدة وفد هاعليه هل لك في الشراب فقال يا امير المؤمنين لا خلاف لما أمرت ولكن أنا أمنع أهل عملي منه وأكره أن امنعهم عن شيء ولا أمتنع منه وقد قال الله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقيل لاعرابي لم لا تشرب النبيذ فقال لا أشرب ما يشرب عقلي وقال الضحاك بن مزاحم لرجل ما تصنع بشرب النبيذ قال يهضم طعامي قال أما انه يهضم من دينك وعقلك أكثر وقال ابن أبي أوفى لقومه حين نهوا عن الخمر

ألا يا قومي ليس في الخمر رفهة * فلا تقربوا منها فلست بفاعل
فاني رأيت الخمر شينا ولم يزل * أخو الخمر دخالا لشر المنازل

وقال الحسن لو كان العقل يشترى لتغالى الناس في ثمنه فالعجب ممن يشترى بماله ما يفسده وقال عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة والنساء حبائل الشيطان والخمر داعية الى كل شر وقال بعضهم

بلوت نبيذ الخمر في كل بلدة * فليس لاخوان النبيذ حفاظ
اذا دارت الارطال أرضولك بالمنى * وان فقدوها فالوجوه غلاظ

وقال حكيم ايالك واخوان النبيذ فبينا أنت متوج عندهم مخدوم مكرم معظم اذ زلت بك القدم فجروا عليك شولة السلم فاحفظ قول القائل فيه

وكل أناس يحفظون حريمهم * وليس لاصحاب النبيذ حريم
فان قلت هذا لم أقل عن جهالة * ولكنني بالفاسقين عليم

وللاعرج الطائي

تركت الشعر واستبدلت منه * اذا دعى صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك * ووقعت المدامة والندامى

وقال الصفدي

دع الخمر فالراحات في ترك راحها * وفي كأسها للمرء كسوة عار
وكم ألبست نفس الفتى بعد نورها * مدارع قار في مدار عقار

(نكتة) اجتمع نصراني ومحدث في سفينة فصب النصراني خمرا من زق كان معه في شربة وشرب ثم صب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصراني

جعلت فداك انما هي خمر قال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها غلامي من يهودي وحلف انها خمر فشربها المحدث على تحليل وقال للنصراني يا أحمق نحن أصحاب الحديث نضعف مثل سفيان بن عيينه ويزيد بن هرون أفنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودي والله ما شربتها الا لضعف الاسناد ومن المجون في ذلك ما حكي ان سكرانا استلقى على طريق فجاء كلب فلحس شفتيه فقال خدمك بولك ولا عدموك فمال على وجهه فقال وما عار أيضا بارك الله فيك وقيل حالة السكارى ثلاثة قرد حرك رأسه فرقص وكلب هارش فنبح وحية زويت فنامت ومر عقال الناسك بعرداس بن خداش الأسدي فاستسقاه لبنا فصب له خمرا وعلاه بالنبل فشربه وسكر ولم يصح له ثلاثة أيام فقال

سقيت عقالا بالعشية شربة * فطالت بعقل الكاهلي عقالي
فرعت بأم الخلد حبة قلبه * فلم ينتعش منها ثلاث ليال

ويقال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين برحمتك يا أرحم الراحمين آمين

الباب الخامس والسبعون في المزح والنهي عنه وما جاء في الترخيص فيه والبسط والتنعم وفيه فصول

(الفصل الاول في النهي عن المزاح) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المزاح استدراج من الشيطان واختلاع من الهوى وعن علي ما مزح أحد مزحة الا مج الله من عقله مجة وعنه اياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك وكتب عمر رضي الله عنه الى عماله امنعوا الناس من المزاح فانه يذهب بالمروءة ويوغر الصدور وقال بعض الحكماء تجنب سوء المزح ونكد الهزل فانهما بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بهدم وقال آخر لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح وعن محمد بن المنكدر قال قالت لي أمي لا تمازح الصبيان تهن عندهم وخرج اعرابي بالليل فاذا بجارية جميلة فراودها فقالت اما لك زاجر من عقلك اذا لم يكن لك واعظ من دينك فقال والله ما يرانا الا الكواكب فقالت له يا هذا وأين مكوكبها فأخجله كلامها فقال لها انما كنت مازحا فقالت

* فاياك اياك المزاح فانه * يجرئ عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

وقال الاحنف كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروءة ومن لزم شيأ عرف به ومما روي عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يتحادثون ويتناشدون الاشعار فاذا جاء ذكر الله انقلبت حالتهم كأنهم لم يعرفوا أحدا

(الفصل الثاني فيما جاء في الترخيص في المزاح والبسط والتنعم) لا بأس بالمزح ما لم يكن سفها والله تعالى وعد في اللئيم بالتجاوز والعفو فقال الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وقيل ان يحيى بن زكريا لقي عيسى عليه السلام فقال مالي

أرالك لاهيا كأنك آمن فقال له عيسى مالي أراك عابسا كأنك آيس فقال لا تبرح حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله اليهما ان أحبكما الي أحسنكما طنابي ويروى ان أحبكما الي الطلق البسام وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجارية خلقني خالق الخير وخلقك خالق الشر فبكت الجارية فقال عمر لا بأس عليك فان الله تعالى خالق الخير والشر قال الشاعر

ان الصديق يريد بسطك مازحا * فاذا رأى منك الملالة يقصر
وترى العدو اذا تيقن أنه * يؤذيك بالمزح العنيف يكثر

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا فمن مزحه صلى الله عليه وسلم أنه جاءه رجل فقال يا رسول الله احملني على جمل فقال عليه السلام لأحملنك الا على ولد الناقة فقال يا رسول الله انه لا يطيقني فقال له الناس ويحك وهل الجمل الا ولد الناقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار الحقي زوجك ففي عينيه بياض فسعت الى زوجها مهرولة فقال لها ما دهاك قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي ان في عينيك بياضا فقال نعم والله وسوادا وأنته أيضا بعجوز أنصارية فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال لها يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة تبكي فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لها أما قرأت قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كثر لحمي سابقته فسبقني فضرب بكفه وقال هذه بتلك وعنها أيضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل وأنا ألعب مع صويحباتي ولا يعيب علي وسئل النخعي هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي وكان نعيمان الصحابي من أولع الناس بالمزاح والضحك قيل انه يدخل الجنة وهو يضحك فمن مزحه أنه مر يوما بمخرمة ابن نوفل الزهري وهو ضرير فقال له قدني حتى أبول فأخذ بيده حتى أتى به الى المسجد فأجلسه في مؤخره فصاح به الناس انك في المسجد فقال من قادني قالوا نعيمان قال لله علي نذر أن أضربه بعصاي هذه ان وجدته فبلغ ذلك نعيمان فجاء اليه وقال له يا أبا المغور هل لك في نعيمان قال نعم قال ها هو قائم يصلي وأخذ بيده وجاء به الى عثمان بن عفان وهو يصلي وقال هذا نعيمان فهلاه بعصاه فصاح الناس أمير المؤمنين فقال من قادني قالوا نعيمان فقال والله لا تعرضت له بسوء بعدها وقال عطاء بن السائب كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا وربما لم يقم حتى يضحكنا وكان رجل يسمى تاج الوعظ يعظ الناس ويقص عليهم حتى يبكيهم ثم لم يقم حتى يضحكهم ويبسط آمالهم فمن لطائفه انه حكى يوما بعد ما فرغ من سعاده قال سمعت الناس يتكلمون في التصحيف وكنت لا أعرفه فوقع في قلبي أن أتعلمه فدخلت في سوق الكتبية واشتريت كتابا في التصحيف فاول ما تصفحته وجدت فيه سكباج تصحيفه شلتاج فرميت الكتاب من يدي وحلفت اني لا أشتغل به أبدا فضحك

الناس حتى غشى عليهم ودخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان فوجده يئوه فقال يا أمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب وبياسطك استرحت فقال لست بصاحب لهو فقال ما الذى تشكوه يا أمير المؤمنين قال هاج بى عرق النسا فى الليلتى هذه فبلغ منى ما ترى فقال ان بديح مولاى أرقى الخلق منه فامر باحضاره فلما مثل بين يديه قال له عبد الملك يا بديح ارق رجلى فقال يا مولاى أنا أرقى الناس لها ثم وضع يده عليها وجعل يقول ما لا يسمع فقال عبد الملك قد وجدت راحة بهذه الرقية أين فلانة ائتونى بها تكتبها لئلا يهيج بى الوجع بالليل فقال بديح الطلاق يلزمه ما اكتبها الا بتجميل جائزتى فأمر له بأربعة آلاف درهم فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما أكتبها حتى تحمل جائزتى الى بيتى قال تحمل فحملت فقال يا أمير المؤمنين الطلاق يلزمه ما رقيت رجلك الا مباسطة بقول نصيب حيث قال

ألا ان ليلى العامرية أصبحت * على البعد منى ذنب غيرى تنقم

فقال ويلك ما تقول فقال الطلاق يلزمه ما رقيتك الا بها فقال اكتبها على فقال كيف وقد سارت بها الركبان الى أخيك بمصر فضحك حتى خص برجليه وأعجبه هذا البسط وروى أن ابن سيرين كان ينشد قول الشاعر

أنبئت ان فتاة كنت أخطبها * عرقوبها مثل شهر الصوم فى الطول

ثم يضحك حتى يسيل لعابه (ومما جاء فى الشطرنج واللعب به والنهى عنه والترخيص فيه) اما النهى عنه فقد قيل ان عليا كرم الله وجهه مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال لهم ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون وكان أبو القاسم الكسروى يقول لا ترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا ولا فقيرا الا طنبليا ولا تسمع نادرة باردة الا على الشطرنج واحتضر شطرنجى فصار يقول شاه مات شاه مات مكان الشهادتين حتى مات وأما الترخيص فيه فقد سئل الشعبى عن اللعب بالشطرنج فقال لا بأس به اذا لم يكن هناك تقامر وتبادل وقال بعضهم كنا فى السجن مع ابن سيرين فكان يرانا ونحن نلعب بالشطرنج فيقوم فيأتى ويقول ارفع الفرس ارفع كذا افعل كذا ولا يعيب علينا وعن سعيد بن المسيب قال كنت ألعب بالشطرنج مع صديق فى بيته حين خفت الحجاج ومما قيل لعلى بن الجهم فى الشطرنج وقيل للمأمون

أرض مربعة حمراء من أدم * ما بين حرين معروفين بالكرم
تذكرا الحرب فاحتالا لها فطنا * من غير أن يأثما فيها بسفك دم
هذا يغير على هذا وذا على * هذا يغير وعين الحزم لم تنم
فانظر الى همم جاشت بعركة * فى عسكرين بلا طبل ولا علم

قالوا ان سبب وضع الشطرنج ان ملوك الهند ما كانوا يرون بقتال فاذا تنازع ملكان فى كورة أو مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال وقيل انه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت أحمر وأصفر القطعة منه بثلاثة آلاف دينار (ومما جاء فى لعب الغلمان) ما حكى ان غلمانا من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصواجة وأسقف البحرين

قاعد فوقعت الاكرة على صدره فأخذها فجعلوا يطلبونها منه فأبى فقال غلام منهم سألتك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا رددتها علينا فأبى لعنه الله وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلوا عليه بصوا لجهم فحازا لوا يخبطونه حتى مات لعنة الله عليه فرفع ذلك الى عمر رضى الله عنه فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلمان لذلك الاسقف وقال الآن عز الاسلام ان أطفال الاصفار اشتبيهم فغضبوا له وانتصروا وأهدر دم الاسقف والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السادس والسبعون فى النوادر وفيه فصول)

(الفصل الاول من هذا الباب فى نوادر العرب) خرج المهدى يتصيد فعارت به فرسه حتى وقع فى خباء أعرابى فقال يا أعرابى هل من قرى فأخرج له قرص شعير فأكله ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم أتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه فلما شرب قال أتدرى من انا قال لا قال أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال بارك الله لك فى موضعك ثم سقاه مرة أخرى فشرب فقال يا أعرابى أتدرى من أنا قال زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة قال لا أنا من قواد أمير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه الثالثة فلما فرغ قال يا أعرابى أتدرى من أنا قال زعمت انك من قواد أمير المؤمنين قال لا ولكنى أمير المؤمنين قال فأخذ الاعرابى الركوة فوكاءها وقال املك عنى فوالله لو شربت الرابعة لادعيت أنك رسول الله فضحك المهدى حتى غشى عليه ثم أحاطت به الخيل ونزلت اليه الموالى والاشراف فطار قلب الاعرابى فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم أمر له بكسوة ومال جزيل ووجد أعرابى يأكل ويتغوط ويفلى ثوبه فقيل له فى ذلك فقال أخرج عشقا وأدخل جديدا وأقتل عدوا وقيل لبعض الاعراب ان شهر رمضان قدم فقال والله لابدن شهله بالاسفار وسمع أعرابى قارئا يقرأ القرآن حتى أتى على قوله تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا فقال لقد هجانا ثم بعد ذلك سمعه يقرأ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال لا بأس هجا ومدح هذا كما قال شاعرنا

هجوت زهيرا ثم انى مدحته * وما زالت الاشراف تهجى وتمدح

وحضر أعرابى على مائدة يزيد بن مزيد فقال لاصحابه أفرجوا لاخيكم فقال الاعرابى لا حاجة لى بافراجكم ان أطنابى طوال يعنى سواعده فلما مد يده ضرط فضحك يزيد فقال يا أخا العرب أظن ان طنبا من أطنابك قد انقطع ورؤى أعرابى يغطس فى البحر ومعه خيط وكلما غطس غطسة عقد عقدة فقيل له ما هذا قال جنابات الشتاء أقضيها فى الصيف وسرق أعرابى غاشية من على سرج ثم دخل المسجد يصلى فقرأ الامام هل أتاك حديث الغاشية فقال يا فقيه لا تدخل فى الفضول فلما قرأ وجوه يومئذ خاشعة قال خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهى لا بارك الله لكم فيها ثم رماها من يده وخرج وحضر أعرابى مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل فقيل له يا أبا امامة اتقوم الليل فقال نعم قالوا ما تصنع قال أبول وأربع أنام وسرق اعرابى صرة فيها دراهم ثم دخل المسجد يصلى وكان اسمه موسى فقرأ الامام وما تلك بيمينك يا موسى فقال الاعرابى والله انك لساحر ثم رمى الصرة وخرج (وحكى) الاصمعى

قال

قال ضلت لى ابل فخرجت فى طلبها وكان البرد شديدا فالتجات الى حى من أحياء العرب واذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء وهو يرتعد من البرد وينشد

ايارب ان البرد أصبح قاتلا * وأنت بحالى يا الهى أعلم
فان كنت يومافى جهنم مدخلى * ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

قال الاصمعى فتعجبت من فصاحته وقلت له ياشيخ أما تسخى تقطع الصلاة وأنت شيخ كبير فأنشد يقول

أيطمع ربى أن أصلى عاريا * ويكسو غيرى كسوة البرد والحر
فوالله لاصليت ماعشت عاريا * عشاء ولاوقت المغيب ولا الوتر
ولاالصبح الايوم شمس دفيئة * وان غيمت فالويل للظهر والعصر
وان يكسنى ربى قميصا وجبة * أصلى له مهما أعيش من العمر

قال فاعجبنى شعره وفصاحته فنزعت قميصا وجبة كانا على ودفعتهما اليه وقلت له البسهما وقم فصل فاستقبل القبلة وصلى جالسا وجعل يقول

اليك اعتذارى من صلاتى جالسا * على غير طهر مومياً نحو قبلتى
فمالى ببرد الماء يارب طاقة * ورجلاى لاتقوى على ثنى ركبتى
ولكننى أستغفر الله شاتيا * وأقضيكها يارب فى وجه صيفتى
وان أنا لم أفعل فأنت محكم * بماشئت من صفحى ومن نتف لحيتى

قال فعجبت من فصاحته وضحكت عليه وانصرفت * وصلى اعرابى مع قوم ففرأ الامام قل أرأيتم ان أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا فقال الاعرابى أهلكك الله وحدك ايش كان ذنب الذين معك فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك * وقيل دخلت أعرابية على قوم يصلون فقرأ الامام فانكحوا ماطاب لكم من النساء وجعل يرددها فجعلت الاعرابية تغدو وهى هاربة حتى جاءت لاختها فقالت ياأختاه مازال الامام يامرهم أن ينكحونا حتى خشيت أن يقعوا على * وصلى اعرابى خلف امام فقرأ الامام ألم نهلك الاولين وكان فى الصف الاول فتأخر الى الصف الآخر فقرأ ثم نتبعهم الآخرين فتأخر فقرأ كذلك نفعل بالمجرمين وكان اسم البدوى مجرما فترك الصلاة وخرج هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيرى فوجده بعض الاعراب فقال له مالك يامجرم فقال ان الامام أهلك الاولين والآخرين وأراد أن يهلكنى فى الجملة والله لارأيته بعد اليوم * وجلس بعض الاعراب يشرب مع ندمائه فاحتاج الى بيت الخلاء فدلوه عليه فلما دخل جعل يضرط ضراطا شنيعا فضحكوا عليه فأنشد يقول

اذا ماخلا الانسان فى بيت غائط * تراخت بلاشك مصاريع فقحته
فمن كان ذا عقل فيعذر ضارطا * ومن كان ذا جهل ففى وسط لحيته

* وكان لسابور ملك فارس نديم مضحك يسمى مرزبان فظهر له من الملك جفوة فلما زاد ذلك عليه تعلم نبيح الكلاب وعوى الذئاب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وصوت البغال ثم احتال حتى دخل موضعا بقرب خلوة الملك وأخفى أمره فلما خلا الملك بنفسه نبح نبيح الكلاب فلم يشك

الملك فى اتله كلب فقال انظروا ما هذا فهوى عوى الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير فمضى الملك هاربا ومضت الغلمان يتبعون الصوت فلما دنوا منه سهل سهيل الخيل فاقتحموا عليه وأخرجوه عريانا فلما وصلوا به الى الملك وراه مرزبان ضحك الملك ضحكا شديدا وقال له ما حملك على ما صنعت قال ان الله عز وجل مسخنى كلبا وذئبا وحمارا وفرسا لما غضب على الملك قال فأمر الملك أن يخلع عليه وأن يرد الى مرتبته الاولى * ومن الملح قول بعض الشعراء

أيا من فاق حسنا واعتدالا * ويلح فى عطيته الشبابا
أما فى مال رفدك من زكاة * فتدخل فيه لى هذا النصابا

(وحكى) الاصمعى أن عجوزا من الاعراب جلست فى طريق مكة الى فتيان يشربون نبيذا فسقوها قدحا فطابت نفسها فتبسمت فسقوها قدحا آخر فاحمر وجهها وضحكت فسقوها ثالثا فقالت خبرونى عن نسائكم بالعراق أيشربن النبيذ قالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة والله ان صدقتم ما فيكم من يعرف أباه وصلى أعرابى خلف امام فقرأ انا أرسلنا نوحا الى قومه ثم وقف وجعل يردها فقال الاعرابى أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك وصلى آخر خلف امام فقرأ فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى ووقف وجعل يردها فقال الاعرابى يا فقيه اذا لم يأذن لك أبوك فى هذا الليل نظل نحن وقوفا الى الصباح ثم تركه وانصرف ولزم أعرابى سفيان بن عيينة مدة يسمع منه الحديث فلما أن جاء ليسافر قال له سفيان يا أعرابى ما أعجبك من حديثنا قال ثلاثة أحاديث حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يحب الحلوى والعسل وحديثه عليه الصلاة والسلام اذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤا بالصلاة وحديث عائشة عنه أيضا ليس من البر الصوم فى السفر وقيل لاعرابية ما صفة الابر عندكم قالت عصبة ينفخ فيها الشيطان فلا يرد أمرها وانفرد الرشيد وعيسى بن جعفر ومعه الفضل بن يحيى فاذا هو بشيخ من الاعراب على حمار وهو رطب العينين فقال له الفضل هل أدلك على دواء لعينيك قال ما أحوجنى الى ذلك قال خذ عسيدان الهواء وغبار الماء فصيره فى قشر بيض الذر واكتحل به ينفعك فانحنى الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال خذ هذه فى لحيتك اجرة وصفتك وان زدت زدناك فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابته وخرج معن بن زائدة فى جماعة من خواصه للصيد فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا فى طلبه وانفرد معن خلف ظبى حتى انقطع عن أصحابه فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شيخا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال من أين والى أين قال أتيت من أرض لى لها عشرون سنة مجدبة وقد أخصبت فى هذه السنة فزرعتها مقثاة فطرحت فى غيرها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور * وفضله المشهور * ومعروفه المأثور * واحسانه الموفور * قال وكم أملت منه قال ألف دينار قال فان قال لك كثير قال خمسمائة قال فان قال لك كثير قال ثلثمائة قال فان قال لك كثير قال مائة قال فان قال لك كثير قال خمسين قال فان قال لك كثير قال فلا أقل من الثلاثين قال فان قال لك كثير قال

ادخل

ادخل قوائم حماري في حرامه وأرجع الى أهلي خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق بأصحابه ونزل في منزله وقال لحاجبه اذا أتاك شيخ على حمار بقشاء فادخل به علي فأتى بعد ساعة فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر في دسته والخدم والحفدة قيام عن يمينه وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال ما الذي أتى بك أخا العرب قال أملت الامير وأتيته بقشاء في غير أوانه فقال كم أملت فينا قال ألف دينار قال كثير فقال والله لقد كان ذلك الرجل ميشورا على ثم قال خمسمائة دينار قال كثير فما زال الى أن قال خمسين دينارا فقال له كثير فقال لا أقل من الثلاثين فضحك معن فعلم الاعرابي أنه صاحبه فقال يا سيدي ان لم تجب الى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وهما معن جالس فضحك معن حتى استلقى على فراشه ثم دعا بوكيله فقال أعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مكانه فتسلم الاعرابي المال وانصرف

(الفصل الثاني في نوادر القراء والفقهاء) عن محمد بن عبد الله قال كنا في دهليز عثمان بن شيبة نخرج الينا فقال ان والقلم في أي سورة وهم بعضهم بقارئ يقرأ الم غلبت الترك في أدنى الارض فقال له الروم فقال له كلهم أعداؤنا قاتلهم الله وكان جماعة يجلسون الى أبي العيناء وفيهم رجل لا يتكلم فقيل له يوما كيف علمك بكتاب الله قال أنا عالم به فقيل له هذه الآية في أي سورة الحمد لله لا شريك له فقال له في سورة الحمد فضحكوا عليه وجاء رجل الى فقيه فقال أفطرت يوما في رمضان فقال اقض يوما مكانه قال قضيت وأتيت أهلي وقد عملوا ماموثة فسبقتني يدي اليها فأكلت منها فقال اقض يوما آخر مكانه قال قضيت وأتيت أهلي وقد عملوا هريسة فسبقتني يدي اليها فقال أرى أن لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك وجاء رجل الى بعض الفقهاء فقال له أنا أعبد الله على مذهب ابن حنبل واني توضأت وصليت فبينما أنا في الصلاة اذ أحسست ببلل في سراويلي تلزق فشممته فاذا رائحته كريهة خبيثة قال الفقيه عافاك الله خرجت باجماع المذاهب وجاء رجل الى فقيه قال أنا رجل أفسو في ثيابي حتى تفوح روائحي فهل يجوز لي أن أصلي في ثيابي قال نعم لكن لا كثر الله في المسلمين مثلك ووقع بين الاعمش وبين امرأته وحشة فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما فدخل اليها وقال ان أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه * عمش عينيه * ودقة ساقيه * وضعف ركبتيه * وتن ابطيه * وبخر فيه * وجمود كفيه * فقال له الاعمش قم قبحك الله فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه وسكن بعض الفقهاء في بيت سقفه يقرقع في كل وقت فجاءه صاحب البيت يطلب الاجرة فقال له أصلح السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح الله تعالى قال أخشى أن تدركه رقة فيسجد

(الفصل الثالث في نوادر القضاة) كان لبعض القضاة بغلة فقرأ يوما في المصحف وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فقال لغلامه أطلق البغلة ورزقها على الله فصارت البغلة تدور لاسواق والاترقة وتأكل قشور الباذنجان وقشور الرمان وقشور البطيخ وقمامات الطريق

فماتت فأمر الغلام باحضار المشاعلية ليحملوها الظاهر المدينة فاحضرهم فطلبوا من القاضي عشرة دراهم أجرة حملها وقالوا ليس لنا شيء نرتزق منه الا من مثل هذا وسيدنا رجل غني وله أشياء كثيرة العدالة والتزويج والعقود والوراقة والسجن والاطلاق وجامكية الحكم وأجرة اليمين والتدريس والاوقاف فقال لهم القاضي ألمثلي يقال هذا وأنتم لكم اثنا عشر بابا من المنافع منها الوسخ والزفر والهلع والولع وبيت النبذة وشركة النفوس وجباية الاسواق وحرق النار وسلب الشطار ولكم الصياح وثمن الاصلاح وما تروحوا من هذه البغلة بلا شيء جلدها للدباغين وذنبها للغرابلية ومعرفتها للشعار وتطبيقتها للبيطار قال فتقدم أحدهم اليه وقال بحق من تاب عليك وردعاقبتك الى خير وأراحك من هذا المعاش تصدق علينا بشيء ولا تدعنا نروح بلاش تفسير هذه الالفاظ الزفر النساء الزانيات والوسخ المراحيض والهلع جباية الاسواق والولع القمار وبيت النبذة محل المزر وشركة النفوس كل من حمل ميتا ولحقوه قبل أن يخرج من باب البلد كانوا شركاءه وسلب الشطار كل من شنقوه لهم سلبه * وولي يحيى بن أكثم قاضيا على أهل جبلة فبلغه ان الرشيد انحدر الى البصرة فقال لاهل جبلة اذا اجتاز الرشيد فاذكروني عنده بخير فوعدوه بذلك فلما جاء الرشيد تقاعدوا عنه فسرح القاضي لحيته وكبر عمته وخرج فرأى الرشيد في الحراقة ومعه أبو يوسف القاضي فقال يا أمير المؤمنين نعم القاضي قاضي جبلة عدل فينا وفعل كذا وكذا وجعل يثني على نفسه فلما رآه أبو يوسف عرفه فضحك فقال له الرشيد مم تضحك فقال يا أمير المؤمنين المثني على القاضي هو القاضي فضحك الرشيد حتى فحص برجله الارض ثم أمر بعزله فعزل وأحضر رجل ولده الى القاضي فقال يا مولانا ان ولدي هذا يشرب الخمر ولا يصلي فأنكر ولده ذلك فقال أبوه يا سيدي أفتكون صلاة بغير قراءة فقال الولد اني اقرأ القرآن فقال له القاضي اقرأ حتى أسمع فقال

علق القلب الربابا * بعد ما شابت وشابا
ان دين الله حق * لا أرى فيه ارتيابا

فقال ابوه انه لم يتعلم هذا الا البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه فقال القاضي وأنا الآخر احفظ آية منها وهي

فارحمي مضنى كئيبا * قد رأى الهجر عذابا

ثم قال القاضي قاتلكم الله يعلم أحدكم القرآن ولا يعمل به وتقدم اثنان الى ابي صمصامة القاضي فادعى أحدهما على الآخر طنبورا فأنكر فقال للمدعي ألك بينة فقال لي شاهدان فأحضر رجلين شهد له فقال المدعى عليه سلهما يا سيدي عن صناعتهما فاخبر أحدهما أنه نباذ وقال الآخر انه قواد فالتفت القاضي الى المدعى عليه وقال أتريد على طنبور أعدل من هذين ادفع اليه طنبوره وتحاكم الرشيد وزبيدة الى أبي يوسف القاضي في الفالوذج واللوذينج أيهما أطيب فقال أبو يوسف أنا لا أحكم على غائب فامر الرشيد

باحضارهما وقدما بين يدى أبى يوسف فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى نصف الجامين ثم قال يا أمير المؤمنين ما رأيت أعدل منهما كلما أردت أن أحكم لاحدهما أتى الآخر بحجته وأتى بعض المجان لبعض القضاة فقال ياسيدى ان امرأتى خبأتنا فقال له القاضى طلقها ثانا فقال عشقانا فقال قودهانا وادعى رجل عند قاض على امرأة حسناء بدين فجعل القاضى يميل اليها بالحكم فقال الرجل أصلح الله القاضى حجتى أوضح من هذا النهار فقال له القاضى اسكت ياعدو الله فان الشمس أوضح من النهار قم لاحق لك عليها فقالت المرأة جزاك الله عن ضعفى خيرا فقد قويته فقال الرجل لاجزاك الله عن قوتى خيرا فقد أوهيتها ورفعت امرأة زوجها الى القاضى تبغى الفرقة وزعمت أنه يبول فى الفراش كل ليلة فقال الرجل للقاضى ياسيدى لاتعجل على حتى أقص عليك قصتى انى أرى فى منامى كانى فى جزيرة فى البحر وفيها قصر عالى وفوق القصر قبة عالية وفوق القبة جمل وأنا على ظهر الجمل وان الجمل يطاطئ برأسه ليشرب من البحر فاذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف فلما سمع القاضى ذلك بال فى فراشه وثيابه وقال ياهذه أنا قد أخذنى البول من هول حديثه فكيف بمن يرى الامر عيانا (وحكى) أن تاجرا عبر الى حمص فسمع مؤذنا يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن أهل حمص يشهدون أن محمدا رسول الله فقال والله لأمضين الى الامام وأسأله فجاء اليه فرآه قد أقام الصلاة وهو يصلى على رجل ورجله الاخرى ملوثة بالعذرة فمضى الى المحتسب ليخبره بهذا الخبر فسأل عنه فقيل انه فى الجامع الفلانى يبيع الخمر فمضى اليه فوجده جالسا وفى حجره مصحف وبين يديه باطية مملوأة خمرا وهو يحلف للناس بحق المصحف ان الخمرة صرف ليس فيها ماء وقد ازدحمت الناس عليه وهو يبيع فقال والله لأمضين الى القاضى وأخبره فجاء الى القاضى فدفع الباب فانفتح فوجد القاضى نائما على بطنه وعلى ظهره غلام يفعل فيه الفاحشة فقال التاجر قلب الله حمص فقال القاضى لم تقول هذا فأخبره بجميع ما رأى فقال ياجاهل أما المؤذن فان مؤذننا مريض فاستأجرنا يهوديا صيتا يؤذن مكانه فهو يقول ما سمعت وأما الامام فانهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعا فتلوثت رجله بالعذرة وضاق الوقت فأخرجها من الصلاة واعتمد على رجله الاخرى ولما فرغ غسلها وأما المحتسب فان ذلك الجامع ليس له وقف الا كرم وعنبه مايؤكل فهو يعصره خمرا ويبيعه ويصرف ثمنه فى مصالح الجامع وأما الغلام الذى رأيته فان أباه مات وخلف مالا كثيرا وهو تحت الحجر وقد كبر وجاء جماعة شهدوا عندى أنه بلغ فاناأمتحنه فخرج التاجر من البلد وحلف أنه لا يعود اليها أبدا

(الفصل الرابع فى نوادر النحاة) وقف نحوى على بياع يبيع أرزا بعسل وبقلا بخل فقال بكم الارز بالاعسل والاخل بالابقل فقال بالاصفع فى الارؤس والاضرط فى الاذقن ووقع نحوى فى مكيف فجاءه كناس ليخرجه فصاح به الكناس ليعلم أهو حى أم لا فقال له النحوى اطلب لى حبلا دقيقا وشدنى شدا وثيقا واجذبنى جذبا رفيقا فقال الكناس امرأته طالق ان أخرجك منه ثم تركه وانصرف وكان لبعضهم ولد نحوى يتقعر فى كلامه فاعتل أبوه علة شديدة أشرف منها على الموت فاجتمع عليه أولاده وقالوا له ندعو لك فلانا

أخانا قال لا ان جاءني قتلني فقالوا نحن نوصيه أن لا يتكلم فدعوه فلما دخل عليه قال له يا أبت قل لا اله الا الله تدخل بها الجنة وتفوز من النار يا أبت والله ما أشغلني عنك الا فلان فانه دعاني بالاسس فأهرس وأعدس واستبذج وسكبج وطهج وأفرج ودبج وأبصل وأمضر ولوزج وافلوذج فصاح أبوه غمضوني فقد سبق ابن الزانية ملك الموت الى قبض روحي وجاء نحوي يعود مريضا فطرق بابه فخرج اليه ولده فقال كيف وجدت أباك قال ياعم ورمت رجليه قال لا تلحن قل رجلاه ثم ماذا قال ثم وصل الورم الى ركبتاه قال لا تلحن قل الى ركبتيه ثم ماذا قال مات وأدخله الله في بطر عياله وعيال سيبويه وتنطويه وجحشويه ودعا بعضهم نحويا فقال ما الذي تشكوه قال حمى جامية نارها حاميه منها الاعضاء واهيه والعظام باليه فقال له لاشفاك الله بعافيه ياليتها كانت القاضية

(الفصل الخامس في نوادر المعلمين) قال الجاحظ مررت بمعلم صبيان وعنده عصا طويلة وعصا قصيرة وصولجان وكرة وطبل وبوق فقلت ما هذه فقال عندي صغار أوباش فأقول لاحدهم اقرأ ألوهك فيصفر لي بضرطة فأضربه بالعصا القصيرة فيتأخر فأضربه بالعصا الطويلة فيفر من بين يدي فاضع الكرة في الصولجان وأضربه فأشجه فتقوم الى الصغار كلهم بالالواح فأجعل الطبل في عنق والبوق في في وأضرب الطبل وأنفخ في البوق فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون الي ويخلصوني منهم (وحكى) الجاحظ أيضا قال مررت على خربة فاذا بها معلم وهو ينبح نبيح الكلاب فوقفت انظر اليه واذا بصبي قد خرج من دار فقبض عليه المعلم وجعل يلطمه ويسبه فقلت عرفني خبره فقال هذا صبي لئيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار ولا يخرج وله كلب يلعب به فاذا سمع صوتي ظن أنه صوت الكلب فيخرج فأمسكه وجاءت امرأة الى المعلم بولدها تشكوه فقال له اما أن تنهى والا فعلت بأمك فقالت يا معلم هذا صبي ما ينفع فيه الكلام فافعل ما شئت لعله ينظر بعينه ويتوب فقام وفعل بها امام ولدها وقال الجاحظ رأيت معلما في الكتاب وحده فسألته فقال الصغار داخل الدرب يتصارعون فقلت أحب أن أراهم فقال ما أشير عليك بذلك فقلت لابد قال فاذا جئت الى رأس الدرب اكشف رأسك لئلا يعتقدوك المعلم فيصفعونك حتى تعمى وقال بعضهم رأيت معلما وقد جاء صغيران يتماسكان فقال أحدهما هذا عض أذني فقال الآخر لا والله يا سيدنا هو الذي عض أذن نفسه فقال المعلم يا ابن الزانية هو كان جعل يعض اذن نفسه وقال بعضهم رأيت معلما وهو يصلي العصر فلما ركع أدخل رأسه بين رجليه ونظر الى الصغار وهم يلعبون وقال يا ابن البقال قد رأيت الذي عملت وسوف اكافئك اذا فرغت من الصلاة (وحكى) عن الجاحظ أنه قال ألفت كتابا في نوادر المعلمين وما هم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب فدخلت يوما مدينة فوجدت فيها معلما في هيئة حسنة فسلمت عليه فرد علي أحسن رد ورحب بي فجلست عنده وباحثته في القرآن فاذا هو ماهر فيه ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب فاذا هو كامل الآداب فقلت هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب

قال

قال فكنت اختلف اليه وأزوره فجئت يوما لزيارته فاذا بالكتاب مغلق ولم أجده فسألت عنه فقيل مات له ميت فحزن عليه وجلس فى بيته للعزاء فذهبت الى بيته وطرقت الباب فخرجت الىّ جارية وقالت ما تريد قلت سيدك فدخلت وخرجت وقال باسم الله فدخلت اليه واذا به جالس فقلت عظم الله أجرك لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر ثم قلت له هذا الذى توفى ولدك قال لا قلت فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فزوجتك قال لا فقلت وما هو منك قال حبيبتى فقلت فى نفسى هذه أول المناحس فقلت سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها فقال أتظن أنى رأيتها قلت وهذه منحسة ثانية ثم قلت وكيف عشقت من لم تر فقال اعلم انى كنت جالسا فى هذا المكان وانا أنظر من الطاق اذ رأيت رجلا عليه برد وهو يقول

يا أم عمرو بحق الله مكرمة * ردّى على فؤادى أينما كانا

لا تأخذين فؤادى تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت فى نفسى لولا ان أم عمرو هذه ما فى الدنيا أحسن منها ما قيل فيها هذا الشعر فعشقتها فلما كان من الغد جئت من ذلك الرجل بعينه وهو يقول

لقد ذهب الحمار بأم عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها وأغلقت المكتب وجلست فى الدار فقلت يا هذا انى كنت ألفت كتابا فى نوادركم معشر المعلمين وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه والآن قد قويت عزمى على ابقائه وأول ما أبدأ أبدأ بك ان شاء الله

(الفصل السادس فى نوادر المتنبئين) ادّعى رجل النبوة فى أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له ما الذى يقال عنك قال انى نبىّ كريم قال فأىّ شئ يدل على صدق دعواك قال سل عما شئت قال أريد أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة بلحى فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحى وأغير هذه الصور الحسنة وانما أجعل أصحاب هذه اللحى مردا فى لحظة واحدة فضحك منه الرشيد وعفا عنه وأمر له بصلة وتنبأ انسان فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال أطرح لكم حصاة فى الماء فتذوب قالوا رضينا فأخرج حصاة معه وطرحها فى الماء فذابت فقالوا هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب فقال لستم أجلّ من فرعون ولا أنا أعظم حكمة من موسى ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندى تجعلها ثعبانا فضحك المأمون وأجازه وتنبأ رجل فى أيام المعتصم فلما حضر بين يديه قال أنت نبىّ قال نعم قال والى من بعثت قال اليك قال أشهد انك لسفيه أحمق قال انما بعث الى كل قوم مثلهم فضحك المعتصم وأمر له بشئ وتنبأ رجل فى أيام المأمون وادّعى أنه ابراهيم الخليل فقال له المأمون ان ابراهيم كانت له معجزات وبراهين قال وما براهينه قال أضرمت له نار وألقى فيها فصارت عليه بردا وسلاما ونحن نوقد لك نارا ونطرحك فيها فان كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك قال أريد واحدة أخف من هذه قال فبراهين موسى قال وما براهينه قال ألقى عصاه فاذا هى حية تسعى

وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء قال وهذه على أصعب من الاولى قال فبراهين عيسى قال وما هي قال احياء الموتى قال مكانك قد وصلت أنا أضرب رقبة القاضي يحيى بن أكثم وأحييه لكم الساعة فقال يحيى أنا أول من آمن بك وصدق وتنبأ آخر في زمن المأمون فقال المأمون أريد منك بطيخا في هذه الساعة قال أمهلني ثلاثة أيام قال ما أريده الا الساعة قال ما أنصفتني يا أمير المؤمنين اذا كان الله تعالى الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ما يخرجه الا في ثلاثة أشهر فأنت صبرت علي ثلاثة أيام فضحك منه ووصله وتنبأ آخر في زمن المأمون فلما مثل بين يديه قال له من أنت قال أنا أحد النبي قال لقد ادعيت زورا فلما رأى الاعوان قد أحاطت به وهو ذاهب معهم قال يا أمير المؤمنين أنا أحد النبي فهل تذمه أنت فضحك المأمون منه وخلى سبيله وتنبأ آخر في زمن المتوكل فلما حضر بين يديه قال له أنت نبي قال نعم قال فما الدليل على صحة نبوتك قال القرآن العزيز يشهد بنبوتي في قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح وأنا اسمي نصر الله قال فما معجزتك قال ائتوني بامرأة عاقر أنكحها تحبل بولد يتكلم في الساعة ويؤمن بي فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى اعطه زوجتك حتى تبصر كرامته فقال الوزير أما أنا فأشهد أنه نبي الله وانما يعطي زوجته من لا يؤمن به فضحك المتوكل وأطلقه وادعى رجل النبوة في زمن خالد بن عبد الله القسري وعارض القرآن فأتي به الى خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال قال الله تعالى انا أعطيناك الكوثر الآية وقلت انا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر فامر به خالد فضرب عنقه وصلب فمر به خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال انا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك أن لا تعود وأتى المأمون برجل ادعى النبوة فقال له ألك علامة قال علامتي اني أعلم ما في نفسك قال وما في نفسي قال في نفسك اني كاذب قال صدقت ثم أمر به الى السجن فاقام فيه أياما ثم أخرجه فقال هل أوحي اليك بشيء قال لا قال ولم قال لان الملائكة لا تدخل الحبوس فضحك منه وخلى سبيله وأتى بامرأة تنبأت في أيام المتوكل فقال لها أنت نبية قالت نعم قال أتؤمنين بمحمد قالت نعم قال فانه صلى الله عليه وسلم قال لا نبي بعدي قالت فهل قال لا نبية بعدي فضحك المتوكل وأطلقها وتنبأ رجل يسمى نوحا وكان له صديق نهاه فلم يقبل فامر السلطان بقتله فصلب فمر به صديقه فقال له يا نوح ما حملت من السفينة الا على الصاري

(الفصل السابع في نوادر السؤال) وقف أعرابي بباب يسأل فقال له صغير من باب الدار بورك فيك فقال قبح الله هذا الفم لقد تعلمت الشر صغيرا ووقف سائل على باب فقال يا أصحاب المنزل فبادر صاحب الدار قبل أن يتم كلامه وقال فتح الله عليك فقال السائل يا قرنان كنت تصبر اذا جئت أدعوك الى وليمة وقال أبو عثمان الجاحظ وقف سائل بقوم فقال انى جائع فقالوا له كذبت فقال جرتوني برطلين من الخبز ورطلين من اللحم ووقف سائل على باب فقالوا يفتح الله لك فقال كسرة فقالوا ما نقدر عليها قال فقليل من بر أو فول أو شعير قالوا لا نقدر عليه قال فقطعة دهن أو قليل زيت أو لبن قالوا لا

تجده قال فشربه ماء قالوا وليس عندنا ماء قال فاجلوسكم ههنا قوموا فاسألوا فأنتم أحق منى بالسؤال

(الفصل الثامن فى نوادر المؤذنين) قيل لمؤذن ما نسمع أذانك فلو رفعت صوتك فقال انى اسمع صوتى من مسيرة ميل وقال بعضهم رأيت مؤذنا أذن ثم غدا يهرول فقلت له الى أين فقال أحب أن أسمع أذانى أين بلغ واختصم رجلان فى جارية فاودعاها عند مؤذن فلما أصبح وفرغ من الاذان قال لا اله الا الله ذهبت الامانة من الناس فقالوا له كيف ذهبت الامانة من الناس قال هذه الجارية التى وضعت عندى قيل انها بكر فلما أتيتها وجدتها ثيبا وسمع مؤذن حمص يقول فى سحور رمضان تسحروا فقد أمرتكم وعجلوا فى أكلكم قبل ان أؤذن فيسخم الله وجوهكم * وشوهد مؤذن يؤذن من رقعة فقيل له ما تحفظ الاذان فقال ملوا القاضى فأتوه فقالوا السلام عليكم فأخرج دفترا وتصفحه وقال وعليكم السلام فعذروا المؤذن وسمعت امرأة مؤذنا يؤذن بعد طلوع الشمس ويقول الصلاة خير من النوم فقالت النوم خير من هذه الصلاة ومر سكران بمؤذن ردىء الصوت فجلد به الارض وجعل يدوس بطنه فاجتمع اليه الناس فقال والله ما بى رداءة صوته ولكن شماتة اليهود والنصارى بالمسلمين

(الفصل التاسع فى نوادر النواتية) حكى أن بعض النواتية تولى أحد الكراسى السلطانية لما ساعده الزمان فبينما هو جالس فى داره اذ سمع صوتا وراء الباب فقال لزوجته انى أسمع غاغة فى البر حلى قلوعى واعملى اسفيرتى على جامورى وقدمى الى استقالة الرجل وقيمنى بمدرة فامتثلت كلامه فنزل وجلس على مصطبته وقد علت مرتبته واصطفت المقدمون بين يديه ووقفت الحبرتية حواليه واذا بشيخ قد أقبل وثيابه مقطعة وعمامته فى حلقه والدم نازل من أنفه وهو يصيح بصوت عال انا بالله وبالوالى فقال له تعال ياشيخ مالى أرى أرطمونك فى حلقك وشاربورتك مكسورة وأنت بتزلع ما معتبر ونقيم الهيلا فى الساحل دخل عليك شر دغربى والا دخلت على بواجى فقال الشيخ والله ياسيدى بعض نواتية البحر عمل بى هذا فقال ياأولاد جيبوا غريموا بخمسوا عدته وقشطوا ظهره وجروه على مقدمه فامتثلوا كلام الامير وجاؤا بالغريم فلما مثل بين يديه قال له ويلك هو أنت بغنوس بسفر البحر أنت الذى قطعت القلس وخرجت فى الشعت حتى لقيت هذا الرجل نطحت مخطمته وكسرت اسقالته لو انصلح كنت عملتك فى بدراوة وعلقتك فى الصارى فلما سمع الرجل كلام الوالى علم أنه من أولاد المعيشة فقال له بهمترة النواتية والله ياخوندهو كارزنى فى معاشى اجصطن على الوحشة وأنا عايم فى الليل الاوشر دجانى من الشرق كابس هز أطرافى وكسر شاربورتى وقطع لبانى وها هو بحمد الله على بر السلامة وان كان انصلح فيه شئ فانا بمرسوم الامير أجيب له القلنطا أسد فتحه وأعيد له وسقه واخليه يروح فى طريقه فقال له الوالى أنت بتقدف فى وجهى وتطارح مقاديفك حتى تعبر على الحجر يا رجالة الصارى سلسلوا أطرافه وعروا مقاديفه وبلوا شيبة اللبان وانزلوا عليه وأوقعوه الجنبين والظهر حتى تلعب الميه على بطونسته هيا قوامك خلوا

جنب برا وجنب جوا قدام اللحن وراء الصارى فأكل علقة من كعبه الى أذنه فقالت النواتية ياخوند اهو خنفست عليه الطمية البحرية قال مدراتين وقيموه فلما أقاموه باس يد الامير وقال ياخوند سألتك بمهبوب الرياح وطيب النسيم الرب لا يليك بحر اللبان فى الحلال فى وأنت حافى فى الصيافى ويكفيك شر الاربعينيات قال فرق عليه قلب الامير وقال له وحق من ضرب القلع باللبان الحلفاء عند بخنسة الريح وفروغ الزاد بعدد من البلاد وعياط الركاب عند قيام الموجه وبعد البرق أيام النيل لولا شفاعة الركاب لكنت أهدا سقاتك واقعد فى زوايدك حتى أظل ظهرك جيفة فقال له والله ياخوند ما بقى جنبى يحمل هذا الوسق العظيم ولكن ان عدت اعبر اهذا الوجه اخسف من أضلاعى لوح وغرقنى بالقايم فقال له الامير احمد الله على السلامه واخرج فى دى الطيابة وكتب له مرسوم وعلم عليه علامة الرياس البحرية للنواتية الله لك الله لى يا عملات على أبوس

(الفصل العاشر فى نوادر جامعة) سمعت امرأة فى الحديث ان صوم يوم عاشوراء كفارة سنة فصامت الى الظهر ثم أفطرت وقالت يكفينى كفارة ستة أشهر منها شهر رمضان واسلم مجوسى فى شهر رمضان فثقل عليه الصيام فنزل الى سرداب وقعد يأكل فسمع ابنه حسه فقال من هذا فقال أبوك الشقى يأكل خبز نفسه ويفزع من الناس وسئل بعض القصاص عن نصرانى قال لا اله الا الله لا غير اذا مات أين يدفن قال يدفن بين مقابر المسلمين والنصارى ليكون مذبذبا الا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وأهدى الى سالم القصاص خاتم بلا نص فقال ان صاحب هذا الخاتم يعطى فى الجنة غرفة بلا سقف وبنى بعض المفلسين نصف دار وبنى رجل آخر النصف الآخر فقال المفلس يوما قد عولت على بيع النصف الذى لى وأشترى به النصف الآخر لتكمل لى الدار كلها وسئل جامع الصيدلانى عن عمر ابنته فقال لا أدرى الا أن أمها ذكرت أنها ولدتها فى أيام البراغيث وقيل لطفيلى أى سورة تحبك فى القرآن قال المائدة قال فأى آية قال ذرهم يأكلوا ويتمتعوا قيل ثم ماذا قال آتنا غداءنا قيل ثم ماذا قال ادخلوها بسلام آمنين قيل ثم ماذا قال وما هم منها بمخرجين وقيل لعثمان بن دراج الطفيلى يوما كيف تصنع بدار العرس اذا لم يدخلك أصحابها قال أنوح على بابهم فيتطيرون من ذلك فيدخلونى وقيل له أتعرف بستان فلان قال اى والله انه الجنة الحاضرة فى الدنيا قيل لم لا تدخله وتأكل من ثماره وتستظل باشجاره وتسبح فى أنهاره قال لان فيه كلبا لا يتمعض الا بدماء عراقيب الرجال وقيل له يوما ما هذه الصفرة التى فى لونك قال من الفترة من المضيفين وقال مررت بنا جنازة يوما ومعى ابنى ومع الجنازة امرأة تبكى وتقول الآن يذهبون بك الى بيت لا فراش فيه ولا غطاء ولا وطاء ولا خبز ولا ماء فقال ابنى يا أبت الى بيتنا والله يذهبون (وحكى) عن هرون الرشيد أنه أرق ذات ليلة أرقا شديدا فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكى انى أرقت فى هذه الليلة وضاق صدرى ولم أعرف ما أصنع وكان خادمه مسرور واقفا امامه فضحك فقال له ما يضحكك استهزاء بى أم استخفافا فقال وقرابتك من سيد المرسلين ما فعلت ذلك عمدا ولكن خرجت بالامس أتمشى بظاهر القصر الى أن جئت الى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلا واقفا يضحك الناس يقال له

له ابن المغازلى فتفكرت الآن فى شئ من حديثه وكلامه فضحكت والعفو يا أمير المؤمنين فقال له الرشيد اتنى الساعة به فخرج مسرور مسرعا الى أن جاء الى ابن المغازلى فقال له أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فقال له بشرط انه اذا أنعم عليك بشئ يكون لك منه الربع والبقية لى فقال له بل اجعل لى النصف ولك النصف فأبى فقال الثلث لى ولك الثلثان فأجابه الى ذلك بعد جهد عظيم فلما دخل على الرشيد سلم فأبلغ وترجم فأحسن ووقف بين يديه فقال له أمير المؤمنين ان أنت أضحكتنى أعطيتك خمسمائة دينار وان لم تضحكنى اضربك بهذا الجراب ثلاث ضربات فقال ابن المغازلى فى نفسه وما عسى أن تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب وظن فى نفسه ان الجراب فارغ فوقف يتكلم ويتمسخر ويفعل افعالا عجيبة تضحك الجلود فلم يضحك الرشيد ولم يتبسم فتعجب ابن المغازلى وضجر وخاف فقال له الرشيد الآن استحقيت الضرب ثم انه أخذ الجراب ولفه وكان فيه أربع زلطات كل واحدة وزنها رطلان فضربه ضربة فلما وقعت الضربة فى رقبته صرخ صرخة عظيمة وافتكر الشرط الذى شرطه عليه مسرور فقال العفو يا أمير المؤمنين اسمع منى كلمتين قال قل ما بدا لك قال ان مسرورا شرط على شرطا واتفقت أنا واياه على مصلحة وهو أن ما حصل لى من الصدقات يكون له فيه الثلثان ولى فيه الثلث وما أجابنى الى ذلك الا بعد جهد عظيم وقد شرط على أمير المؤمنين ثلاث ضربات فنصيبى منهم واحدة ونصيبه اثنان وقد أخذت نصيبى وبقى نصيبه قال فضحك الرشيد ودعا مسرورا فضربه فصاح وقال يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقى فضحك الرشيد وأمر لهما بألف دينار فأخذ كل واحد منهما خمسمائة ورجع ابن المغازلى شاكرا والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السابع والسبعون فى الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول)

(الفصل الاول فى الدعاء وآدابه) قال الله تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعانى اختلف فى سبب نزولها فقال مقاتل ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه واقع امرأته بعد ما صلى العشاء فى رمضان فندم على ذلك وبكى وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ورجع مغتما وكان ذلك قبل الرخصة فنزلت هذه الآية واذا سألك عبادى عنى فانى قريب وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم ان بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقال الحسن ان قوما قالوا للنبى أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فننادية فنزلت هذه الآية قوله تعالى أجيب دعوة الداع اذا دعان أى أقبل عبادة من عبدنى فالدعاء بمعنى العبادة والاجابة بمعنى القبول وقال قوم ان الله تعالى يجيب كل الدعاء فاما ان يعجل الاجابة فى الدنيا واما أن يكف عن الداعى واما أن يدخره له فى الآخرة لما رواه أبو سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث اما أن يعجل له دعوته واما أن يدخرله ثوابها واما أن يكف عنه من السوء بمثلها وروى أنه اذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة فى الجنة فبينما العبد المؤمن فى قصره واذا ملائكة من عند ربه يأتونه بتحف من عند الله فيقول

ما هذا أليس الله قد أنعم علي وأكرمني فيقولون ألست كنت تدعو الله في الدنيا هذا دعاؤك الذي كنت تدعوه فقد أدخرولك واعلم أن اجابة الدعاء لابد لها من شروط فشرط الداعي أن يكون عالما بان لا قادر الا الله وان الوسايط في قبضته ومسخرة بتسخيره وان يدعو بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب لاه وان يكون متجنبا لاكل الحرام ولا يميل من الدعاء ومن شروط المدعو فيه أن يكون من الامور الجائزة الطلب والفعل شرعا كما قال عليه السلام ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم فيدخل في الاثم كل ما يأثم به من الذنوب ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم قال ابن عطاء الله ان للدعاء أركانا واجنحة وأسبابا ووقاتا فان وافق أركانه قوى وان وافق أجنحته طار الى السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق أسبابه نجح فاركانه حضور القلب والخشوع واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار وأسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومن شروط الدعاء أن يكون سليما من اللحن كما قال بعضهم

ينادي ربه باللحن ليث * كذلك اذ دعاه لا يجاب

وقيل ان الله تعالى لا يستجيب دعاء عريف ولا شرطي ولا جاب ولا عشار ولا صاحب عرطبة وهي الطنبور ولا صاحب كوبة وهي الطبل الكبير الضيق الوسط * ومن آداب الدعاء أن يدعو الداعي مستقبل القبلة ويرفع يديه لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه اليه أن يردهما صفرا وأن يمسح بهما وجهه بعد الدعاء لما روى عن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وأن لا يرفع بصره الى السماء لقوله صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو ليخطفن الله أبصارهم وان يخفض الداعي صوته بالدعاء لقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وعن أبي عبد الرحمن الهمداني قال صليت مع أبي اسحق الغداة فسمع رجلا يجهر في الدعاء فقال كن كزكريا اذ نادى ربه نداء خفيا وينبغي للداعي أن لا يتكلف وأن يأتي بالكلام المطبوع غير المسجوع لقوله صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وقيل ادعوا باسان الذلة والاحتقار ولا تدعوا بلسان الفصاحة والانطلاق وكانوا لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها كما في آخر سورة البقرة وعن سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فقد أجاب الله دعاء شر الخلق ابليس اذ قال رب أنظرني الى يوم يبعثون وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سأل أحدكم مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عليه من ذلك شئ فليقل الحمد لله على كل حال وعن سلمة بن الاكوع قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا قال سبحان ربي الاعلى الوهاب وعن أبي سليمان الداراني من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينبغي للمؤمن أن يجتهد في الدعاء وأن يكون على رجاء من الاجابة ولا يقنط من رحمة الله لانه يدعو كريما وللدعاء أوقات وأحوال يكون الغالب فيها الاجابة

وذلك وقت السحر ووقت الفطر وما بين الاذان والاقامة وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين الى ان يسلم من الصلاة وعند نزول الغيث وعند التقاء الجيش في الجهاد في سبيل الله تعالى وفي الثلث الاخير من الليل لما جاء في الحديث ان في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيأ الا أعطاه وفي حالة السجود لقوله عليه الصلاة والسلام أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء وما بين الظهر والعصر في يوم الاربعاء وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض هذا كله جاءت به الآثار قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفتح ثلاثة أيام يوم الاثنين ويوم الثلاثاء واستجيب له يوم الاربعاء بين الصلاتين فعرفت السرور في وجهه قال جابر ما نزل بي أمر مهم غليظ الا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الاجابة وفي بعض الكتب المنزلة يا عبدي اذا سألت فاسألني فاني غني واذا طلبت النصرة فاطلبها مني فاني قوي واذا افشيت سرك فافشه الي فاني وفي واذا أقرضت فأقرضني فاني ملي واذا دعوت فادعني فاني حفي وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وقال وهب بن منبه بلغني ان موسى مر برجل قائم يبكي ويتضرع طويلا فقال موسى يارب أما تستجيب لعبدك فأوحى الله تعالى اليه يا موسى لو انه بكى حتى تلفت نفسه ورفع يديه حتى بلغ عنان السماء ما استجبت له قال يارب لم ذلك قال لان في بطنه الحرام ومر ابراهيم بن ادهم بسوق البصرة فاجتمع الناس اليه وقالوا يا أبا اسحق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم مائتة بعشرة أشياء الاول انكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه الثاني زعمتم انكم تحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تركتم سنته الثالث قرأتم القرآن ولم تعملوا به الرابع أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها الخامس قلتم ان الشيطان عدوكم ووافقتموه السادس قلتم ان الجنة حق فلم تعملوا لها السابع قلتم ان النار حق ولم تهربوا منها الثامن قلتم ان الموت حق فلم تستعدوا له التاسع انتبهتم من النوم واشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم العاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم وكان يحيى بن معاذ يقول من أقرته باساءته جاد الله عليه بغفرته ومن لم يمن على الله بطاعته أوصله الى جنته ومن أخلص لله في دعوته من الله عليه باجابته وقال علي رضي الله عنه ارفعوا أفواج البلايا بالدعاء وعن أنس رضي الله عنه يرفعه لا تعجزوا عن الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد

(الفصل الثاني في الادعية وما جاء فيها) كان من دعاء شريح رحمه الله اللهم اني أسألك الجنة بلا عمل عملته وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته ودعت اعرابية عند البيت فقالت الهي لك أذل وعليك ادل وكان من دعاء بعض الصالحين اللهم ان كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك ابغضها اليك وهو الاشراك بك وان كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا بأحبها اليك وهو شهادة أن لا اله الا أنت وان رسلك جاءت بالحق من عندك ومن دعاء سلام بن مطيع اللهم ان كنت بلغت احدا من عبادك الصالحين درجة بلاء فبلغنيها

يا معافية وقيل لفتح الموصلي ادع الله لنا فقال اللهم هبنا عطاءك ولا تكشف عنا غطاءك وكان من دعاء بعض السلف اللهم لا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي فان لم تقبل توبتي ونصبي فلا تحرمني اجر المصاب على مصيبته اللهم لا تكلنا الى أنفسنا ولا الى الناس فنضيع وقال الحسن من دخل المقابر فقال اللهم رب الارواح الفانية والاجساد البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما مني كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم الى أن تقوم الساعة حسنات (وحكى) عن معروف القاضي ان الحجيج كانوا يجتهدون في الدعاء وفيهم رجل من التركمان ساكت لا يحسن أن يدعو تخشع قلبه وبكى فقال بلغته اللهم انك تعلم اني لا أحسن شيأ من الدعاء فاسألك ما يطلبون منك بما دعوا فرأى بعض الصالحين في منامه ان الله قبل حج الناس بدعوة ذلك التركماني لما نظر الى نفسه بالفقر والفاقة وقال الاصمعي حسدت عبد الملك على كلمة تكلم بها عند الموت وهي اللهم ان ذنوبي وان كثرت وجلت عن الصفة فانها صغيرة في جنب عفوك فاعف عني وركب ابراهيم بن ادهم في سفينة فهاجت الريح وبكى الناس وأيقنوا بالهلاك وكان ابراهيم نائما في كساء فاستوى جالسا وقال أريتنا قدرتك فأرنا عفوك فذهب الريح وسكن البحر وقال الثوري كان من دعاء السلف اللهم زهدنا في الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا ولا ترغبنا فيها وكان بعض الاعراب اذا أوى الى فراشه قال اللهم اني أكفر بكل ما كفر به محمد وأومن بكل ما آمن به ثم يضع رأسه وسمعت بدوية تقول في دعائها يا صباح يا ممساح يا مطلع يا عريض الجفنة يا أبا المكارم فزجرها رجل فقالت دعني أصف ربي وأمجده الهي بما تستحسنه العرب وقال الزمخشري في كتابه ربيع الابرار سمعت انا من يدعو من العرب عند الركن اليماني يا أبا المكارم يا أبيض الوجه وهذا ونحوه منهم انما يقصدون به الثناء على الله بالكرم والنزاهة عن القبيح على طريق الاستعارة لانه لا فرق عندهم بين الكريم وأبي المكارم ولا بين الجواد والعريض الجفنة ولا بين المنزه والابيض الوجه وقيل لاعرابي أتحسن أن تدعو ربك قال نعم ثم قال اللهم انك أعطيتنا الاسلام من غير أن نسالك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسالك وذكر لعبد السلام بن مطيع ان الرجل تصيبه البلوى فيدعو فتبطئ عنه الاجابة فقال بلغني ان الله تعالى يقول كيف ارحمه من شيء به ارحمه وقال طاوس بينما انا في الحجر ذات ليلة اذ دخل علي بن الحسين فقلت رجل صالح من أهل بيت الخير لاسمعن دعاءه فسمعته يقول عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك فما دعوت بها في كرب الا فرج عني ودعا أعرابي فقال اللهم انا بآلائك نعمتك وقال ابن المسيب سمعت من يدعو بين القبر والمنبر اللهم اني أسألك حملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا فدعوت به فما وجدت الا خيرا ودعت أعرابية بالموقف فقالت أسألك سترك الذي لا تزيله الرياح ولا تخرقه الرماح وقيل اتقوا جايق الضعفاء أي دعواتهم ودعا اعرابي فقال اللهم اح ما في قلبي من كذب وخيانة واجعل مكانه صدقا وأمانة وصلى رجل الى جنب عبد الله بن المبارك وبادر القيام فجذب ثوبه وقال أمالك الى ربك حاجة وقال سفيان الثوري سمعت أعرابيا يقول اللهم ان كان

رزقى فى السماء فأنزله وان كان فى الارض فأخرجه وان كان بعيدا فقربه وان كان قريبا فيسره وان كان قليلا فكثره وان كان كثيرا فبارك لى فيه

وقال أبو نواس

أحببت من شعر بشار وكلمته * بيتا لهجت به من شعر بشار

يا رحمة الله حلى فى منازلنا * وجاورينا فدتك النفس من جار

وكان بشار يعنى بذلك جارية بصرية كان يحبها ويتغزل فيها ونعنى بها هنا رحمة الله التى وسعت كل شئ وسمع على بن أبى طالب رضى الله عنه رجلا يقول وهو متعلق بأستار الكعبة يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه الحاح الملحين اذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك فقال على والذى نفسى بيده لو قلتها وعليك ملء السموات والارض من الذنوب لغفر لك ومن دعائه رضى الله عنه اللهم صن وجهى باليسار ولا تبذل جاهى بالاقتار فأسترزق طامعا رزقك من غيرك وأستعطف شرار خلقك وأبتلى بحمد من أعطانى وأفتتن بذم من منعنى وأنت من وراء ذلك كله ولى الاجابة والمنع وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما انتهيت الى الركن اليمانى قط الا وجدت جبريل قد سبقنى اليه يقول قل يا محمد اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر والفاقة وهى من مواقف الخزى وهبط جبريل على يعقوب فقال يا يعقوب ان الله تعالى يقول لك قل يا كثير الخير يا دائم المعروف رد على ابنى فقالها فأوحى الله تعالى اليه وعزتى لو كانا ميتين لنشرتهما لك وكان أبو مسلم الخراسانى اذا نابه أمر قال يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين وقال جعفر بن محمد ما المبتلى الذى اشتد بلاؤه بأحق بالدعاء من المعافى الذى لا يأمن وقوع البلاء وكان الزهرى يدعو بهذا الحديث بدعاء جامع فيقول اللهم انى أسألك من خير ما أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة وأعوذ بك من شر ما أحاط به علمك فى الدنيا والآخرة وعن عقبة بن عبد الغافر دعوة فى السر أفضل من سبعين دعوة فى العلانية واعلم ان التوحيد والدعاء عند نوازل الملمات هو سفينة النجاة من الحوادث المهلكات وعن أبى الدرداء قال صلى بنا رسول الله العصر فجئنا كلب فما بلغت يده رجله حتى وقع ميتا فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال من الداعى على الكلب آنفا قال رجل من القوم انا يا رسول الله قال لقد دعوت الله باسمه الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى كيف دعوت الله قال قلت اللهم انى أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام وقيل انه دخلت أذن رجل من أهل البصرة حصاة فعالجها الاطباء فلم يقدروا عليها حتى وصلت الى صماخه فأتى الى رجل من أصحاب الحسن فشكا له ما أصابه من الحصاة فدعا له بدعاء العلاء بن الحضرمى وهو يا على يا عظيم يا حليم يا عليم قال الراوى فما برحنا حتى خرجت الحصاة من أذنه ولها طنين حتى ضربت الحائط وعن أنس اذا قال العبد يا رب يا رب يقول الله عز وجل لبيك عبدى وعنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يقول يا أرحم الراحمين

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل حاجتك فقد نظر الله اليك وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا فتح الله على عبد الدعاء فليكثر فان الله يستجيب له وروى عن علي بن أبي زفر عن أخ له وكان فاضلا صالحا فقال دعوت الله أن يريني الاسم الاعظم الذي اذا دعي به أجاب فقمت ليلة أصلي فسمعت قعقعة في سقف البيت ثم هبط نور حتى صار تلقاء وجهي واذا مكتوب بالنور فقرأته يا الله يا رحمن يا ذا الجلال والاكرام ومن دعاء الكرب ما روى عن وهب ان ابن عباس رضي الله عنهما قال له هل تجد فيما تقرأ من الكتب دعاء تدعو به عند الكرب قال نعم اللهم اني أسألك يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمير الصامتين فان لكل مسئلة منك سمعا حاضرا وجوابا عتيدا ولكل صامت منك علما ناطقا محيطا أسألك بمواعيدك الصادقة واياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة أن تفعل بي كذا وكذا فقال ابن عباس هذا دعاء علمته في النوم ما كنت أرى ان أحدا يحسنه وعن وهب أيضا قال لما أهبط الله تعالى آدم من الجنة الى الارض استوحش لفقد أصوات الملائكة فهبط اليه جبريل وقال يا آدم هل أعلمك شيأ تنتفع به في الدنيا والآخرة قال بلى قال قل اللهم أتمم النعمة حتى تهنيني المعيشة اللهم اختم لي بخير حتى لا تضرني ذنوبي اللهم اكفني مؤنة الدنيا وكل هول في القيامة حتى تدخلني الجنة معافى وعن معروف الكرخي قال اجتمعت اليهود أخزاهم الله على قتل عيسى بزعمهم وأهبط الله تعالى عليه جبريل وفي باطن جناحيه مكتوب اللهم اني أدعوك باسمك الاجل الاعز وأدعوك اللهم باسمك الاحد الصمد وأدعوك اللهم باسمك العظيم الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعالي الذي ملأ الاركان كلها أن تكشف عني ضر ما أصبحت وأمسيت فيه فأوحى الله عز وجل الى جبريل أن ارفع عبدي الي فقال رسول الله لاصحابه عليكم بهذا الدعاء ولا تستبطؤا الاجابة فان ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اسناد هذا متصل الى معروف الكرخي ثم هو منقطع ولو لم يكن فيه من البركة الا رواية معروف لكان كافيا في قبوله والعمل به * حدث عبد الله بن أبان الثقفي رضي الله عنه قال وجهني الحجاج بن يوسف في طلب أنس بن مالك فظننت أنه يتوارى عني فأتيته بخيلي ورجلي فاذا هو جالس على باب داره مادا رجليه فقلت له أجب الامير فقال أي الامراء فقلت أبو محمد الحجاج فقال غير مكترث به قد أذله الله ما أراني أعزه لان العزيز من عز بطاعة الله والذليل من ذل بمعصية الله وصاحبك قد بغى وطغى واعتدى وخالف كتاب الله والسنة والله لينتقم الله منه فقلت له أقصر عن الكلام وأجب الامير فقام معنا حتى حضر بين يدي الحجاج فقال له أنت أنس بن مالك قال نعم قال أنت الذي تدعو علينا وتسبنا قال نعم قال ومم ذاك قال لانك عاص لربك مخالف لسنة نبيك تعز أعداء الله وتذل أولياء الله فقال له أتدري ما أريد أن أفعل بك قال لا قال أريد أن أقتلك شر قتلة قال أنس لو علمت ان ذلك بيدك لعبدتك من دون الله قال الحجاج ولم ذاك قال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمني دعاء وقال من دعا به في كل صباح لم يكن لأحد عليه سبيل وقد دعوت به في صباحي هذا فقال الحجاج علمنيه فقال معاذ الله أن أعلمه لأحد ما دمت أنت في الحياة فقال الحجاج خلوا سبيله فقال الحاجب أيها الامير لنا في طلبه كذا وكذا يوما حتى أخذناه فكيف

نخلى سبيله قال رأيت على عاتقه أسدين عظيمين فاتحين افواههما ثم ان انسا رضى الله عنه لما حضرته الوفاة علم الدعاء لاخوانه وهو بسم الله الرحمن الرحيم باسم الله خير الاسماء باسم الله الذى لا يضر مع اسمه أذى باسم الله الكافى باسم الله المعافى باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم باسم الله على نفسى وديني باسم الله على أهلى ومالى باسم الله على كل شئ أعطانيه ربى الله أكبر الله أكبر الله أكبر أعوذ بالله مما أخاف وأحذر الله ربى لا أشرك به شيأ عز جارك وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك ولا اله غيرك اللهم انى أعوذ بك من شر كل جبار عنيد وشيطان مريد ومن شر قضاء السوء ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم * وهذا دعاء مشهور الاجابة وله شرح طويل تركناه اطوله وهو اللهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك لا بيد غيرك اجعل لى من كل هم وغم أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا انك على كل شئ قدير اللهم ان عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك عن قبيح عملى أطمعنى أن أسألك مالا أستوجبه منك بما قضيته لى أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا لا خائفا ولا وجلا لانك أنت المحسن الى وأنا المسيء الى نفسى فبما بينى وبينك تتودد الى بالنعم مع غناك عنى وأتبغض اليك بالمعاصى مع فقرى اليك فلم أر مولى كريما أعطف منك على عبد لئيم مثلى لكن الثقة بك حملتنى على الجراءة على الذنوب فأسألك بجودك وكرمك واحسانك وطولك أن تصلى على محمد وآله وأن تفتح لى باب الفرج بطولك وتحبس عنى باب الهم بقدرتك ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين فأعجز ولا الى الناس فأضيع برحمتك يا أرحم الراحمين وروى الحافظ النسفى باسناده عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل ساجد وهو يقول فى سجوده اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك من مظالم كثيرة لعبادك قبلى فأيما عبد من عبادك أو أمة من امائك كانت له قبلى مظلمة ظلمتها اياه فى مال أو بدن أو عرض علمتها أو لم أعلمها ولم أستطع أن أتحللها فأسألك أن ترضيه عنى بما شئت وكيف شئت ثم تهبها لى من لدنك انك واسع المغفرة ولديك الخير كله يا رب ما تصنع بعذابى ورحمتك وسعت كل شئ فلتسعنى رحمتك فانى لا شئ واسألك يا رب ان تكرمنى برحمتك ولا تهنى بذنوبى وما عليك أن تعطينى الذى سألتك يا رب يا الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفع رأسك فقد غفر الله لك ان هذا دعاء أخى شعيب عليه السلام وقال صالح المزنى قال لى قائل فى منامى اذا أحببت أن يستجاب لك فقل اللهم انى أسألك باسمك المخزون المكنون المبارك الطيب الطاهر المطهر المقدس فما دعوت به فى شئ الا عرفت الاجابة وقيل ان هذا الدعاء فيه اسم الله الاعظم وهو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى أسألك بالعزة التى لا ترام والملك الذى لا يضام والعين التى لا تنام والنور الذى لا يطفأ وبالوجه الذى لا يبلى وباليمومية التى لا تفنى

وبالحياة التي لا تموت وبالصمدية التي لا تقهر وبالربوبية التي لا تستبدل أن تجعل لنا في أمورنا فرجا ومخرجا حتى لا نرجو غيرك يا أرحم الراحمين وقال سعيد بن المسيب دخلت المسجد في ليلة مقمرة وأظن اني قد أصبحت واذا الليل على حاله فقمت أصلي وجلست أدعو واذا بهاتف يهتف من خلفي يا عبد الله قل قلت ما أقول قال قل اللهم اني أسألك بانك ملك وأنت على كل شئ قدير وما تشاء من أمر يكون قال سعيد فما دعوت به قط في شئ الا رأيت نجحه وعن الشيخ كمال الدين الدميري قال رويناعن قاضي القضاة عز الدين بن جماعة قال أنبأنا الشيخ شرف الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم ابن مفاع الفزاري خطيب دمشق قال أنبأنا الشيخ زين الدين أبو البقاء خالد بن يوسف النابلسي بقراءتي عليه قال أنبأنا الحافظ بهاء الدين ناصر السنة محمد ابن الامام أبي محمد ابن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر قراءة عليه وانا أسمع قال رويت بالاسناد وذكر اسناده الى الامام الحجة التابعي الجليل محمد بن سيرين قال نزلنا بنهر تيرا فأتانا أهل ذلك المنزل فقالوا لنا ارحلوا فانه لم ينزل هذا المنزل أحد الا أخذ متاعه فرحل أصحابي وتخلفت فلما أمسينا قرأت آيات فنمت حتى رأيت أقواما قد أقبلوا وجاؤا الى جهتي أكثر من ثلاثين نفرا وقد جردوا سيوفهم فلم يصلوا الي فلما أصبحت رحلت فلقيني شيخ على فرس ومعه قوس عربية فقال لي يا هذا انسي أنت أم جني فقلت بل أنا من بني آدم قال فما بالك لقد أتيتك في هذه الليلة أكثر من سبعين مرة وفي كل ذلك يحال بيننا وبينك بسور من حديد قلت حدثني ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ في ليلة ثلاثا وثلاثين آية لم يضره في ذلك الليلة لص طار ولا سبع ضار وعوفي في نفسه وأهله وماله حتى يصبح فنزل عن فرسه وكسر قوسه وأعطى الله تعالى عهدا أن لا يعود لهذا الامر وهذه الآيات وهي أن تقرأ بعد الفاتحة الم ذلك الكتاب الى قوله المفلحون وآية الكرسي الى قوله وهم فيها خالدون وآمن الرسول الى آخر السورة وان ربكم الله الذي الى قوله المحسنين وقل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الى آخر السورة والصافات صفا الى قوله تعالى لازب ويا معشر الجن والانس ان استطعتم الى قوله فلا تنتصران لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا الى آخرها وأنه تعالى جد ربنا الى قوله شططا زاد البوني الى قوله شهابا رصدا والله من ورائهم محيط الى قوله محفوظ قال محمد بن سيرين فذكرت هذا الحديث لشعيب بن حرب فقال كأنه سمعها آيات الحرز ويقال ان فيها شفاء من مائة داء وعد منها الجذام وغير ذلك قال محمد بن علي قرأتها على شيخ لنا قد أفلج فاذهب الله تعالى عنه ذلك الفالج قال البوني هذه الآيات شرفها مشهور وفضلها مذكور لا ينكرها الا غبي أو غيور وقد جربها المشايخ وعرف سرها من له في العلم قدم راسخ وقد رشاخ وهي على ما رويناه بل ما رأيناه أولها الفاتحة ثم أول البقرة الى آخر الآيات وقال أبو العباس أحمد القسطلاني سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي يقول سمعت أبا زيد القرطبي يقول في بعض الآثار ان من قال لا اله الا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار فعملت ذلك رجاء بركة الوعد ففعلت منها لاهلي وعملت أعمالا ادخرتها لنفسي وكان

اذ ذاك بيت معنا شاب يكاشف بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه وكان فى قلبى منه شئ فاتفق أن استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول الطعام والشاب معنا اذ صاح صيحة منكرة واجتمع فى نفسه وهو يقول ياعم هذه أمى فى النار ويصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه انه عن أمر فلما رأيت ما به من الانزعاج قلت اليوم أجرب صدقه فالهمنى الله تعالى السبعين ألفا ولم يطلع على ذلك الا الله تعالى فقلت فى نفسى الاثر حق والذين رووه لنا صادقون اللهم ان هذه السبعين ألفا فداء أم هذا الشاب من النار فما استقمت هذا الخاطر فى نفسى أن قال ياعم هذه أتى أخرجت من النار والحمد لله فحصل عندى فائدتان امتحانى لصدق الاثر وسلامتى من الشاب وعلى بصدقه ومن خاف انسانا فليصل ركعتين بعد صلاة المغرب ثم يضع جبهته على التراب ويقول ياشديد المحال ياعزيز اذللت بعزتك جميع من خلقت صل على محمد وآله واكفنى فلانا بما شئت كفاه الله تعالى شره وروى الثقفى رحمه الله تعالى باسناده الى محمد بن على بن الحسين رضى الله عنه انه كان يقول لولده يابنى من أصابته مصيبة فى الدنيا أو نزلت به نازلة فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل أربع ركعات أو ركعتين فاذا انصرف من صلاته يقول ياموضع كل شكوى وياسامع كل نجوى وياشاهد كل بلوى ويامنجى موسى والمصطفى محمد والخليل ابراهيم عليهم السلام ادعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت حركته وقلت حيلته دعاء الغريب الغريق الفقير الذى لا يجد لكشف ما هو فيه الا أنت يا ارحم الراحمين لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين قال على بن الحسين رضى الله عنهما لا يدعو به مبتلى الا فرج الله عنه وقيل الاسم الاعظم هو بسم الله الرحمن الرحيم اللهم انى اسألك ياموئس كل وحيد ياقريبا غير بعيد ياشاهدا غير غائب ياغالبا غير مغلوب ياحى ياقيوم يابديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى عنت له الوجوه وخشعت له الاصوات ووجلت له القلوب أن تصلى على محمد وعلى آله وان تعطينى كذا وكذا انك على كل شئ قدير وهذه أبيات الفرج لاحمد بن حمزة البونى قيل ان فيها اسم الله الاعظم وهى هذه

انى لارجو عطفة من الله ولا * أقول ان قيل متى ذاك متى
لابد ان ينشر ما كان طوى * جودا وأن يمطر ما كان نوى
وربما ينشر ما كان زوى * وربما قدر ما كان لوى
وكل شئ ينتهى الى مدى * والشئ يرجى كشفه اذا انتهى
لطائف الله وان طال المدى * كلمة الطرف اذا الطرف رمى
كم فرج بعد اياس قد أتى * وكم سرور قد أتى بعد الاسى
من لاذ بالله نجا فيمن نجا * من كل ما يخشى ونال ما رجا
سبحان من نهفو ويعفو دائما * ولم يزل مهما هفا العبد عفا

يعطي الذي يخطي ولا يمنعه * جلاله من العطا الذي الخطا

ومن المنظوم أيضا

يا من يرى ما في الضمير ويسمع * أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها * يا من اليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كن * امنن فان الخير عندك أجمع
مالي سوى فقري اليك وسيلة * فبالافتقار اليك فقري أدفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة * فلئن رددت فأي باب أقرع
ومن الذي ادعو واهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا * الفضل أجزل والمواهب أوسع
ثم الصلاة على النبي وآله * خير الانام ومن به يتشفع

وقال آخر

يا خالق الخلق يا رب العباد ومن * قد قال في محكم التنزيل أدعوني
اني دعوتك مضطرا فخذ بيدي * يا جاعل الامر بين الكاف والنون
نجيت أيوب من بلواه حين دعا * بصبر أيوب يا ذا اللطف نجيني
واطلق سراحي وامنن بالخلاص كما * نجيت من ظلمات البحر ذا النون

ثم يقرأ وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين قال بعضهم

يا رب ما زال لطف منك يشملني * وقد تجدد لي ما أنت تعلمه
فاصرفه عني كما عودتني كرما * فمن سوالك لهذا العبد رحمه

وقال آخر

يا من تحل بذكره * عقد النوائب والشدائد
يا من اليه المشتكى * واليه أمر الخلق عائد
يا حي يا قيوم يا * صمد تنزه عن مضادد
أنت الرقيب على العبا * د وأنت في الملكوت واحد
أنت المعز لمن أطا * عك والمذل لكل جاحد
اني دعوتك والهمو * م جيوشها نحوي تطارد
فافرج بحولك كربتي * يا من له حسن العوائد
نخفي لطفك يستعا * ن به على الزمن المعاند
* أنت الميسر والمسبب والمسهل والمساعد
يسر لنا فرجا قريبا يا الهي لا تباعد
كن راحمي فلقد يئست من الاقارب والاباعد

ثم الصلاة على النبي وآله الغر الاماجد
وعلى الصحابة كلهم * ماخر للرحمن ساجد

دعاء عظيم مأثور

اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بغيض يتجهمنى أو الى قوى ملكته أمرى ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يحل بى غضبك أو ينزل بى سخطك فلك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة لنا الا بك يا رب العالمين

ومما جاء فى أدعية الناس بعضهم لبعض دعا رجل لآخر فقال سرك الله بما سألك ولا سألك فيما سرك ودعا رجل لآخر فقال لا اخلاك الله تعالى من ثناء صادق باق ودعا صالح واق ودعا اعرابى لآخر فقال رحب واديك وعزنا ديك ولا ألم بك ألم ولا طاف بك عدم وسلمك الله ولا أسلمك وسمعت بعض العرب يدعو لرجل ويقول سلمك الله تعالى من الرهق والوهق وعافاك الله تعالى من الوحل والزحل وسلمك الله من الشاردات والواردات وسلمك الله بين الاعنة والاسنة ودعا اعرابى لعبد الله بن جعفر رضى الله عنه فقال لا ابتلاك الله تعالى ببلاء يعجز عنه صبرك وأتم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وأبقاك ما تعاقب الليل والنهار وتناسخت الظلم والانوار ودعا بعضهم لآخر فقال زودك الله تعالى الامن فى مسيرك والسعد فى مصيرك ولا أخلاك من شهر تستجده وخير من الله تستمده وعزى شبيب بن شبة يهوديا فقال أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أعطى أحدا من أهل ملتك

(ومما جاء فى الدعاء على الاعداء والظلمة ونحوهم) دعا أعرابى على ظالم فقال لا ترك الله لك شفرا ولا ظفرا أى عينا ولا يدا ومن دعاء العرب فقه الله فتا وحته حتا وجعل أمر مشتى وخرج أعرابى الى سفر وكانت له امرأة تكرهه فاتبعته نواه وقالت شط نواك ونأى سفرك ثم أتبعته رويئة وقالت رئتك أهلك وورث خيرك ثم أتبعته حصاة قالت حاص رزقك وحص اثرك ودعا اعرابى على آخر فقال اطفأ الله ناره وخلع نعليه أى جعله أعمى مقعدا ودعا اعرابى على آخر فقال سقاه الله دم جوفه أى قتل ابنه وأخذ ديته فشرب لبنها ودعا أعرابى على آخر فقال بعث الله عليه سنة قاشورة تحلقه كما يحلق الشعر بالنورة ودعا رجل على أمير فقال

أزال الله دولته سريعا * فقد ثقلت على عنق الليالى
وقالت امرأة من بنى ضبة فى زوجها
وما دعوت عليه حين ألعنه * الا وآخذ يته فاوه بآمين
فليته كان أرض الروم منزله * وليتنى قبله قد صرت للمين

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته يوم الاحزاب اللهم كل سلاحهم واضرب

وجوههم ومزقهم فى البلاد تمزيق الريح للجراد ودعا رجل فقال اللهم اكفنا أعداءنا ومن أرادنا بسوء فلتحط به ذلك السوء احاطة القلائد بترائب الولائد ثم ارسخه على هامته كرسوخ السجيل على هام أصحاب الفيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ولنختم هذا الباب بهذا الدعاء المبارك وهو اللهم انك عرفتنا بربوبيتك وعرفتنا فى بحار نعمتك ودعوتنا الى دار قدسك ونعمتنا بذكرك وأنسك الهى ان ظلمة ظلمنا نفوسنا قد عمت وبحار الغفلة على قلوبنا قد طمت والعجز شامل والحصر حاصل والتسليم أسلم وأنت بالحال أعلم الهى ما عصيتك جهلا بعقابك ولا تعرضا لعذابك ولكن سولت لنا نفوسنا واعانتنا شقوتنا وغرنا سترك علينا واطماعنا فى عفوك برك بنا فالآن من عذابك من ينقذنا وبحبل من نعتصم ان قطعت حبالك عنا واخجلتنا غدا من الوقوف بين يديك وافضيحتاه ان عرضت فعالنا القبيحة عليك اللهم اغفر ما علمت ولا تهتك ما سترت الهى ان كان عصيانك بجهل فقد دعونالك بعقل حيث علمنا أن النار بالفقر لنا ولا يبالى الهى تحرق بالنار وجها كان لك مصليا ولسانا كان لك ذاكرا وداعيا لا بالذى دلنا عليك وأمرنا بالخشوع بين يديك وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم أنبيائك وسيد أصفيائك فان حقه علينا أعظم الحقوق بعد حقك كما أن منزلته لديك أشرف المنازل سيد خلقك ومعدن أسرارك صل يارب على محمد وآله وأصحابه وارحم عبادا غرهم طول امهالك وأطمعهم كثرة افضالك فقد ذلوا لعزك وجلالك ومدوا أكفهم لطلب نوالك ولولا ذلك لم يصلوا الى ذلك اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والسبعون فى القضاء والقدر وأحكامه والتوكل على الله عز وجل)

اعلم أن كل ما يجرى فى العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكل بقضاء الله وقدره وكذلك فلا طائر يطير بجناحيه ولا حيوان يدب على بطنه ورجليه ولا تطن بعوضة ولا تسقط ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجرى شئ من ذلك الا وقد سبق علمه به واعلم ان كل ما قضاه الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما ان ما فى علم الله تعالى يكون فهو كائن قريب وما قدر الله وصوله اليك بعد الطلب فهو لا يصل اليك الا بالطلب والطلب أيضا من القدر فان تعسر شئ فبتقديره وان اتفق شئ فبتيسيره فمن رام أمرا من الامور ليس الطريق فى تحصيله انه يغلق بابه عليه ويقعد فى بيته وينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق أن يشرع فى طلبه على الوجه الذى شرعه الله فيه وقد ظاهر النبى صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة حين تحزبت عليه الاحزاب يحترس به من العدو وأقام الرماة يوم أحد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لأمة الحرب ويهئ الجيوش ويأمرهم وينهاهم لما فيه مصالحهم واسترقى وأمر بالرقية وتداوى وأمر بالمداواة وقال الذى أنزل الداء أنزل الدواء فان قيل قد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من استرقى أو اكتوى فهو برئ من التوكل قلنا أليس قد قال اعقلها وتوكل فان قيل فما الجمع بين ذلك قلنا معناه من استرقى أو اكتوى متكلا على الرقية أو الكى

وان البر من قبلهما خاصة فهذا يخرجه عن التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله وقد أمرنا بالكسب والتسبب الا ترى ان الله قال لمريم عليها السلام وهزى اليك بجذع النخلة فهلا أمرها بالسكون وحمل الرطب الى فيها وأنشدوا فى ذلك

ألم تر أن الله قال لمريم * وهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها * جنته ولكن كل شئ له سبب

وقد تقدم هذا الشعر فى باب الكسب والتسبب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم يحمل أرزاقها اليها فى أوكارها بل ألهمها طلبه بالغدو والرواح وقد جمعوا بين الطلب والقدر فقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل فى واحد منهما أربح مما فى الآخر سقط حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره ونمت بغيته وضربوا فيه مثالا عجيبا فقالوا ان أعمى ومقعدا كانا فى قرية بفقر وضر لا قائد للأعمى ولا حامل للمقعد وكان فى القرية رجل يطعمهما قوتهما فى كل يوم احتسابا لله تعالى فلم يزالا ينهمة الى أن هلك ذلك الرجل فلبثا بعده أياما واشتد جوعهما وبلغ الضر منهما مجهده فاجمع رأيهما على أن الاعمى يحمل المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره فاشتغل الاعمى بحمل المقعد ويدوربه ويرشده الى الطريق وأهل القرية يتصدقون عليهما فنجح أمرهما ولولا ذلك لهلكا فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه ألا ترى أن من طلب الرزق والولد ثم قعد فى بيته لم يطأ زوجته ولم يبذر أرضه معتمدا فى ذلك على الله واثقا به أن تلد امرأته من غير مواقعة وان ينبت الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولامر الله كارها قال الغزالى أما العيال فلا يخرج عن حد التوكل باد خار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوت سنة ونهى أم أيمن وغيرها ان تدخر شيأ وقال أنفق يا بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا وقال عبد الله ابن الفرج اطلعت على ابراهيم بن أدهم وهو فى بستان بالشام فوجدته مستلقيا على قفاه وأذا بحية فى فمها باقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى انتبه فقلت له ما حملك على هذا وعن عبد الله الهروى قال كنا مع الفضيل بن عياض على جبل أبى قبيس فقال لو أن رجلا صدق فى توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى لم أعنك رحمك الله فسكن وفى الاسرائيليات أن رجلا احتاج الى أن يقترض ألف دينار فجاء الى رجل من المتوكلين فسأله فى ذلك وقال له تمهل على بدينك الى أن أسافر الى البلد الفلانى فان لى مالا آتيك به وأوفيك منه وتكون مدة الاجل بينى وبينك كذا وكذا فقال له هذا غرر فانا ما أعطيك مالى الا أن تجعل لى كفيلا ان لم تحضر طلبته منه فقال الرجل الله كفيل بمالك وشاهد على أن لا أغفل عن وفائك فان رضيت فافعل فدا خل الرجل خشبة الله تعالى وحمله التوكل على ان دفع المال للرجل فأخذه ومضى الى البلد الذى ذكره فلما قرب الاجل الذى بينه وبين صاحبه جهز المال وقصد

السفر فى البحر فعسر عليه وجود مركب ومضت المدة وبعدها أيام وهو لا يجد مركبا فاغتم لذلك وأخذ الالف دينار وجعلها فى خشبة وسمر عليها ثم قال اللهم انى جعلتك كفيلا بايصال هذه الى صاحبها وقد تعذر على وجود مركب وعزمت على طرحها فى البحر وتوكلت عليك فى ايصالها اليه ثم نقش على الخشبة رسالة الى صاحبها بصورة الحال وطرحها فى البحر بيده وأقام فى البلد مدة بعد ذلك الى أن جاءت مركب فسافر فيها الى صاحب المال فابتدأه وقال أنت سيرت الالف دينار فى خشبة صفتها كيت وكيت وعليها منقوش كذا وكذا قال نعم قال قد أوصلها الله تعالى الى والله نعم الكفيل فقال فكيف وصلت اليك قال لما مضى الاجل المقدر بينى وبينك بقيت أتردد الى البحر لأجدك أو أجد من يخبرنى عنك فوقفت ذات يوم الى الشط واذا بالخشبة قد استندت الى ولم أر لها طالبا فأخذها الغلام ليجعلها حطبا فلما كسرها وجد ما فيها فاخبرنى بذلك فقرأت ما عليها فعلمت أن الله تعالى حقق أملك لما توكلت عليه حق التوكل وقيل ان سبب بداية ذى النون المصرى رحمه الله تعالى أنه رأى طيرا أعمى يعيد الماء والمرعى فبينما هو يتفكر فى أمر ذلك الطائر فاذا هو بسكرجتين برزتا من الارض احداهما ذهب والاخرى فضة هذه فيها ماء والاخرى فيها قميح فلقط القميح وشرب الماء ثم غابا بعد ذلك فذهل ذو النون وانقطع الى الله تعالى من ذلك الوقت (وحكى) أن رجلا من أبناء الناس كانت له يد فى صناعة الصياغة وكان أوحد أهل زمانه فساء حاله وافتقر بعد غناه فكره الاقامة فى بلده فانتقل الى بلد آخر فسأل عن سوق الصاغة فوجد كان المعلم السلطنة وتحت يده صناع كثيرة يعملون الاشغال للسلطنة وله سعادة ظاهرة ما بين مماليك وخدم وقماش وغير ذلك فتوصل الصائغ الغريب الى أن بقى من أحد الصناع الذين فى دكان هذا المعلم وأقام يعمل عنده مدة وكلما فرغ النهار دفع له درهمين من فضة وتكون اجرة عمله تساوى عشرة دراهم فيكسب عليه ثمانية دراهم فى كل يوم فاتفق أن الملك طلب المعلم وناوله فردة سوار من ذهب مرصعة بنصوص فى غاية من الحسن قد عملت فى غير بلاده كانت فى يد احدى محاظيه فانكسرت فقال له الحقها فأخذها المعلم وقد اضطرب عليه فى عملها فلما أخذها وأراها الصناع الذين عنده وعند غيره فما قال له أحد انه يقدر على عملها فازداد المعلم لذلك غما ومضت مدة وهى عنده لا يعلم ما يصنع فاشتد الملك على احضارها وقال هذا المعلم نال من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن أن يلحم سوارا فلما رأى الصانع الغريب شدة ما نال المعلم قال فى نفسه هذا وقت المروءة اعملها ولا أواخذه ببخله على وعدم انصافه ولعله يحسن الى بعد ذلك فخطيده فى درج المعلم وأخذها وفك جواهرها وسبكها ثم صاغها كما كانت ونظم عليها جواهرها فعادت أحسن ما كانت فلما رآها المعلم فرح فرحا شديدا ثم مضى بها الى الملك فلما رآها استحسنها وادعى المعلم انها صنعته فأحسن اليه وخلع عليه خلعة سنية فجاء وجلس مكانه فبقى الصائغ يرجو مكافأته عما عامله به فما التفت اليه المعلم ولما كان النهار مازاده على الدرهمين شيأ فما مضت الا أيام قلائل واذا الملك اختار أن يعمل زوجين أساور على تلك الصورة فطلب المعلم ورسم له بكل ما يحتاج اليه واكد عليه فى تحسين الصفة وسرعة العمل وجاء الى الصانع وأخبره بما قال

الملك فاستثقل مرسومه ولم يزل منتصبا الى ان عمل الزوجين وهو لا يزيده شيأ على الدرهمين في كل يوم ولا يشكره ولا يعده بخير ولا يتجمل معه فرأى المصلحة أن ينقش على زوج منهما أبياتا يشرح فيها حاله ليقف عليها الملك فنقش في باطن أحدهما هذه الابيات نقشا خفيا يقول

مصائب الدهر كفى * ان لم تكفى فعنى
خرجت اطلب رزقى * وجدت رزقى توفى
فلا برزقى احظى * ولا بصنعة كفى
كم جاهل فى الثريا * وعالم متخفى

قال وعزم الصانع على أنه ان ظهرت الابيات للمعلم شرح له ما عنده وان غم عليه ولم يرها كان ذلك سبب توصله الى الملك ثم لفهما في قطن وناولهما للمعلم فرأى ظاهرهما ولم ير باطنهما لجهله بالصنعة ولما سبق له في القضاء فأخذهما المعلم ومضى بهما فرحا الى الملك وقدمهما اليه فلم يشك الملك في انهما صنعته فخلع عليه وشكره ثم جاء فجلس مكانه ولم يلتفت الى الصانع ومازاده في آخر النهار شيأ على الدرهمين فلما كان اليوم الثاني خطر للملك فاستحضر الحظية التي عمل لها السوارين الذهب فحضرت وهما في يديها فاخذهما ليعيد نظره فيهما وفي حسن صنعتهما فقرأ الابيات فتعجب وقال هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب فغضب عند ذلك وأمر باحضار المعلم فلما حضر قال له من عمل هذين السوارين قال أنا أيها الملك قال فاسبب نقش هذه الابيات قال لم يكن عليهما أبيات قال كذبت ثم أراه النقش وقال ان لم تصدقني الحق لاضربن عنقك فأصدقه الحق فأمر الملك باحضار الصانع فلما حضر سأله عن حاله فحكى له قصته وما جرى له مع المعلم فرسم الملك بعزل المعلم وأن تسلب نعمته وتعطى للصانع وان يكون عوضا عنه في الخدمة ثم خلع عليه خلعة سنية وصار مقدما سعيدا فلما نال هذه الدرجة وتمكن عند الملك تلطف به حتى رضى عن المعلم الاول وصارا شريكين ومكثا على ذلك الى آخر العمر ورحم الله من قال

اذا كان سعد المرء فى الدهر مقبلا * تدانت له الاشياء من كل جانب

وقال آخر

ما سلم الله هو السالم * ليس كما يزعم الزاعم
تجرى المقادير التى قدرت * وانف من لا يرتضى راغم

وقال كعب بن زهير

لو كنت اعجب من شئ لاعجبنى * سعى الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لامور ليس يدركها * والنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ما عاش ممدود له أمل * لا ينتهى ذا لحتى ينتهى العمر

وروى في الاسرائيليات ان نبيا من الانبياء عليهم السلام مر بفخ منصوب واذا بطائر قريب منه فقال له الطائر يا نبي الله هل رأيت اقل عقلا ممن نصب هذا الفخ ليصيد فى به وأنا أنظر اليه

قال فذهب عنه ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع واذا بالطائر في الفخ فقال له عجبا لك ألست القائل كذا وكذا آنفا فقال يا نبي الله اذا جاء الحين لم يبق اذن ولا عين ويروى ان رجلا قال لبزرجمهر تعال نتناظر في القدر قال وما تصنع بالمناظرة قال رأيت شيأ ظاهرا استدللت به على الباطن رأيت جاهلا مبرورا وعالما محروما فعلمت أن التدبير ليس للعباد ولما قدم موسى بن نصر بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك قال له يزيد بن المهلب أنت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك في يد سليمان فقال ان الهدهد ينظر الى الماء في الارض على ألف قامة ويبصر القريب منه والبعيد على بعد في التخوم ثم ينصب له الصبي الفخ بالدودة أو الحبة فلا يبصره حتى يقع فيه وأنشدوا في ذلك

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

وقال آخر

أقام على المسير وقد أنيخت * مطاياه وغرد حادياها
وقال أخاف عادية الليالي * على نفسي وان ألقى رداها
مشيناها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت في أرض سواها

ولما قتل كسرى بزرجمهر وجد في منطقته كتاب فيه اذا كان القضاء حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر في الناس طباعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازل فالطمانينة الى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف ينصب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وحكى) الطرطوشي رحمه الله تعالى في كتابه سراج الملوك قال من عجيب ما اتفق بالاسكندرية ان رجلا من خدم نائب الاسكندرية غاب عن خدمته اياما ففي بعض الايام قبض عليه صاحب الشرطة وحمله الى دار النائب فانفلت في بعض الطرق وترامى في بئر والمدينة اذ ذاك مسردبة بسرداب يمشي الماشي فيه قائما فما زال الرجل يمشي الى أن لاحت له بئر مضيئة فطلع منها فاذا البئر في دار النائب فلما طلع أمسكه النائب وأدبه فكان فيه المثل السائر الفار من القضاء الغالب كالمتقلب في يد الطالب وأنشدوا فيه

قالوا تقيم وقد احا * ط بك العدو ولا تفر
لا نلت خيرا ان بقيـ * ـت ولا عداني الدهر شر
ان كنت أعلم أن غيـ * ـر الله ينفع أو يضر

(الباب التاسع والسبعون في التوبة والاستغفار)

قد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة وأمر الله تعالى

بالتوبة

بالتوبة فقال وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ووعد بالقبول فقال تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وفتح باب الرجاء فقال يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وروى في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس توبوا الى الله تعالى فاني أتوب الى الله تعالى في اليوم مائة مرة وروى أحمد ابن عبد الرحمن السلماني قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يقبل التوبة من عبده قبل أن يموت بيوم فقال الثاني أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبته قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله تعالى يقبل توبة العبد قبل صوته بضحوة او قال بضجعة فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعته يقول ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لله افرح بتوبة عبده من رجل نزل بأرض دوية مهلكة معه راحلته فنام واستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا أدركه الموت قال أرجع الى المكان الذي ضللتها فيه وأموت فاتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ واذا راحلته عند رأسه فيها طعامه وشرابه وزاده ومايصلحه فالله اشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من هذا براحلته وزاده وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة رواه البخاري وعن أبي موسى عبد الله بن قيس الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة قال لا فقتله وكمل به المائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فأتاه وقال له انه قد قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى كان نصف الطريق أدركه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان أدنى فهو أقرب لها فقاسوه فوجدوه أدنى الى الارض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة متفق عليه وفي الصحيحين فكان ادنى الى أرض التوبة الصالحة بشبر فجعل من

أهلها وعن أبي نجيد بضم النون وفتح الجيم عمران بن الحصين الخزاعي رضي الله عنه ان امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله أصبت حدا فأقمه علي فدعا نبي الله فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر يا رسول الله تصلي عليها وقد زنت قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل من جادت بنفسها لله عز وجل رواه مسلم وعن ابي نصرة قال لقيت مولى لابي بكر رضي الله عنه فقلت له سمعت من أبي بكر شيأ قال نعم سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر ولو عاد الى الذنب في اليوم سبعين مرة (وحكي) أن نبهان التمار وكنيته ابو مقبل أتته امرأة حسناء تشتري تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه فذهب بها الى بيته وضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فأنزل الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الى آخر الآية وعن اسماء بن الحكم الفزاري قال سمعت عليا يقول اني كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله حديثا ينفعني الله منه بما شاء ينفعني واذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر انه سمع رسول الله يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ويصلي ثم يستغفر الله الا غفر له وروى في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أذنب العبد ذنبا فقال يا رب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال الله عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم اذا امكث ما شاء الله وأصاب ذنبا آخر فقال يا رب أذنبت ذنبا فاغفره لي قال ربه علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء وكان قتادة رضي الله عنه يقول القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما دواؤكم فالاستغفار وأما داؤكم فالذنوب وكان علي رضي الله عنه يقول العجب لمن هلك ومعه كلمة النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عشرا حين يصبح وحين يمسي استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه وأسأله التوبة والمغفرة من جميع الذنوب غفرت ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج ومن قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوأ فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه ولو كانت مثل ديب النمل وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك من الذنوب مثل عدد القطر وزبد البحر محيت عنك اذا استغفرت بهذا الاستغفار وهو هذا اللهم اني أسألك واستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك من نفسي ثم لم أرف لك به واستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك واستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك يقول الله عز وجل لملائكته ويح ابن آدم يذنب الذنب ثم يستغفرني فاغفر له ثم يذنب الذنب فيستغفرني فاغفر له لا هو يترك الذنب من مخافتي ولا ييأس من مغفرتي اشهدكم يا ملائكتي اني قد غفرت له وقال بشر الحافي ينبغي ان العبد اذا عمل الخطيئة أوحى الله تعالى الى الملائكة الموكلين ترفقوا عليه سبع ساعات فان استغفرني فلا تكتبوها وان لم يستغفرني فاكتبوها (نكتة) قيل انقطع الغيث عن

بنى اسرائيل فى زمن موسى عليه السلام حتى احترق النبات وهلك الحيوان فخرج موسى عليه السلام فى بنى اسرائيل وكانوا سبعين رجلا من نسل الانبياء مستغيثين الى الله تعالى قد بسطوا أيدى صدقهم وخضوعهم وقربوا قربان تذللهم وخشوعهم ودموعهم تجرى على خدودهم ثلاثة أيام فلم تطر لهم فقال موسى اللهم أنت القائل ادعونى أستجب لكم وقد دعوتك وعبادك على ماترى من الفاقة والحاجة والذل فأوحى الله تعالى اليه يا موسى ان فيهم من غذاؤه حرام وفيهم من يبسط لسانه بالغيبة والنميمة وهؤلاء استحقوا أن أنزل عليهم غضبى وأنت تطلب لهم الرحمة كيف يجتمع موضع الرحمة وموضع العذاب فقال موسى ومن هم يارب حتى نخرجهم من بيننا فقال الله تعالى يا موسى لست بهتاك ولا نمام ولكن يا موسى توبوا كلكم بقلوب خالصة فعساهم يتوبوا معكم فاجهد بانمامى عليكم فنادى منادى موسى فى بنى اسرائيل ان اجتمعوا فاجتمعوا فاعلمهم موسى عليه السلام بما أوحى اليه والعصاة يسمعون فذرفت أعينهم ورفعوا مع بنى اسرائيل أيديهم الى الله عز وجل وقالوا الهنا جئناك من أوزارنا هاربين ورجعنا الى بابك طالبين فارحمنا يا أرحم الراحمين فما زالوا كذلك حتى سقوا بتوبتهم الى الله تعالى اللهم تب علينا وعلى سائر العصاة والمذنبين يارب العالمين أوحى الله الى داود عليه السلام يا داود لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الى وتقطعت أوصالهم من محبتى يا داود هذه ارادتى فى المدبرين عنى فكيف ارادتى بالمقبلين على ولقد أحسن من قال

أسىء فيجزى بالاساءة افضالا * وأعصى فيولينى برا وامهالا
فحتى متى أجفوه وهو يبرنى * وأبعد عنه وهو يبدل ايصالا
وكم مرة قد زغت عن نهج طاعة * ولاحال عن ستر القبيح ولازالا

وهذا آخر ما يسره الله تعالى فى هذا الباب والله أعلم بالصواب

الباب الثمانون فيما جاء فى ذكر الامراض والعلل والطب والدواء وما جاء فى السنة من العيادة وما أشبه ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول فى الامراض والعلل وما جاء فى ذلك من الاجر والثواب) روى عن عبد الله بن أنيس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ايكم يحب أن يصح جسمه فلا يسقم فقالوا كلنا يا رسول الله قال اتحبون أن تكونوا كالحمير الصولة لا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات والذى بعثنى بالحق نبيا ان الرجل لتكون له الدرجة فى الجنة فلا يبلغها بشىء من عمله فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يمرض مرضا الا حط الله من خطاياه كما تحط الشجر ورقها وكان يقول لا تزال الاوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية المصفاة وقيل ان الناس قد جوعوا فى فتح خيبر فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس ان الحمى رائد الموت وسجن الله فى الارض وقطعة من النار فاذا وجدتم ذلك فبردوها بالماء فى الشنان ثم صبوا عليكم بين المغرب والعشاء ففعلوا ذلك فزالت عنهم وعن أنس

رضى الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب وهو فى الموت فقال له كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبى فقال عليه الصلاة والسلام هما لا يجتمعان فى قلب عبد فى هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف وعن عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة الزاهدة رحمها الله تعالى انها سمعت رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيرا فقالت له يا عبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا والله لوددت ان الله وهب لى كنه معرفته ولم يبق منى جارحة الا أخذها وكتب مبارك لاخيه سفيان الثورى يشكو اليه ذهاب بصره فكتب اليه أما بعد فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك فاذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك والسلام وقيل لعطاء فى مرضه ما تشتهى قال ما ترك خوف جهنم فى قلبى موضعا للشهوة وأصاب ابن أدهم بطن فتوضأ فى ليلة سبعين مرة وقيل لاعرابى فى مرضه ما تشتهى قال الجنة فقيل أفلا ندعو لك طبيبا قال طبيبى هو الذى أمرضنى

الفصل الثانى من هذا الباب فى ذكر العلل كالبخر والعرج والعمى والصمم والرمد والفلج وغير ذلك نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة قيل تسارر أبخر واصم فقال له الاصم قد فهمت ثم فارقه فسأله رجل فقال والله لا أدرى غير انه فسا فى أذنى وقيل ان عبد الملك بن مروان كان أبخر فعض يوما على تفاحة ورمى بها الى زوجته فدعت بسكين فقال ما تصنعين بها قالت أمسح الاذى عنها فشق عليه ذلك منها فطلقها وسارر أبو الاسود الدؤلى سليمان بن عبد الملك وكان أبو الاسود أبخر فستر سليمان انفه بكمه فعبر أبو الاسود وهو يقول لا يصلح للخلافة من لا يقدر على مناجاة الشيوخ البخر وقيل طول انطباق الفم يورث البخر وكل رطب الفم سائل اللعاب سالم منه وقيل ان الزنج أطيب الناس أفواها والسباع موصوفة بالبخر والمثل مضروب بالاسد والصقر فى البخر والكلب من بينهما طيب الفم وليس فى البهائم أطيب أفواها من الظباء (وحكى) أن أبخر تزوج بامرأة فلما ضاجعها عافته ولوت عنه بوجهها ثم أنشدت تقول

ياحب والرحمن ان فاكا * أهلكنى فوانى فاكا
اذا غدوت فاتخذ مواكا * من عرفط ان لم تجد اراكا
لا تقربنى بالذى سواكا * انى أرالك ماضغا خراكا

وفى ديوان المنثور كم من ذى عرج فى درج المعالى عرج وكم من صحيح قدم ليس له فى الخير قدم وقيل ان من الصم من يسمع السر فاذا رفعت اليه الصوت لم يسمعه ورأيت من العمش من لا ينظر صورة الانسان من قريب ولكن يقرأ الخط الرقيق الحواشى وقيل ان طريفا الشاعر مدح عمرو بن هداب وكان أبرص فلما انتهى الى قوله أبرص فياض اليدين مهذب صاح به الناس وقالوا قطع الله لسانك فقال عمرو مه ان البرص مما تتفاخر به العرب أما سمعتم قول سهل حيث قال

أيشتمنى زيد بان كنت أبرصا * وكل كريم لا أبالك أبرص

وقال

كفى حزنا انى أعاشر معشرا * يخوضون فى بعض الحديث وأمسك
وماذاك من عىّ ولا من جهالة * ولكنه ما فىّ للصوت مسلك
فان سدّ منى السمع فالله قادر * على فتحه والله للعبد أملك *

ومما جاء فى العمى روى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال من عدم احدى كريمتيه ضمنت له على الله الجنة وكان أبو عبد الرحمن بن حارث بن هشام يطعم الطعام وكان أعور فجعل أعرابىّ يطيل النظر اليه حابسا نفسه عن طعامه فكلمه المغيرة فى ذلك فقال له والله انى ليعجبنى طعامك وتريبنى عينك قال فما يريبك من عينى قال أعور وأرالك تطعم الطعام وهذه صفة الدجال فقيل له ان عينه أصيبت فى فتح الروم فقال ان الدجال لا تصاب عينه فى سبيل الله وعن أنس رضى الله عنه عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال من قاد أعمى أربعين خطوة لم تمسه النار وقال على كرم الله وجهه ربما أخطأ البصير قصده وأصاب الاعمى رشده وقال أبو على البصير

لئن كان يهدينى الغلام لوجهتى * ويقتادنى فى السير أنا راكب
لقد يستضىء القوم بى فى وجوههم * ويخبو ضياء العين والقلب ثاقب

وقال

اذا عدمت طلابة العلم مالها * من العلم الا ما تسطر فى الكتب
غدوت بتشمير وجدّ عليهم * وصيرنى سمعى وهاد فترى قلبى

وقال

ان يأخذ الله من عينىّ نورهما * ففى لسانى وسمعى منهما نور
فهمى ذكىّ وقلبى غير ذى غفل * وفى فمى صارم كالسيف مشهور

وقال

عزاءك أيها العين السكوب * وحقك انها نوب تنوب
وكنت كريمتى وسراج وجهى * وكانت لى بك الدنيا تطيب
على الدنيا السلام فما الشيخ * ضرير العين فى الدنيا نصيب
يموت المرء وهو يعدّ حيا * ويخلف ظنه الامل الكذوب
اذا ما مات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب

(وحكى) أن ربيعة رمدت عينه فارسل الى امراة كان يحبها ثم أنشد يقول

عينا ربيعة رمدا وان فاحتسبى * بنظرة منك تشفيه من الرمد
ان تكتحل بك عيناه فلا رمد * على ربيعة يخشى آخر الامد

وعن عبد الرحمن بن قيس عن النبىّ صلى الله عليه وسلم انه قال داء الانبياء الفالج واللقوة قال الجاحظ ومن المفاليج سيدنا ادريس عليه السلام وأكثر ما يعترى المتوسطين من الناس لان الشاب كثير الحرارة والشيخ كثير اليبس وقيل ان أبان بن عثمان كان

أفلح حتى صار مثلا فكانت الناس تقول لا رماك الله بفالج ابن عثمان وكان معاوية الوق وعبد الملك بن مروان أبخر وحسان أعمى وابن سيرين أصم ومن فلج ابن أبي دواد قاضي قضاة المعتصم كان من الشرف والكرم بمنزلة عظيمة قد ضرب المثل بفالجه قال الشاعر في رجل ضرب غلامه

أتضرب مثله بالسوط عشرا * ضربت بفالج ابن أبي دواد

وبهجة عبد الحميد كانت مثلا في الحسن وهو عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم وكان بارعا في الحسن والجمال فزادته حسنا الى حسنه حتى ان النساء كن يخططن في وجوههن بهجة عبد الحميد وكان يقال لعمر بن عبد العزيز أشبه بني أمية وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ان من ولدي رجلا بوجهه أثر في جبهته قال أصبغ الله أكبر هذا أشبه بني أمية يملا الارض عدلا وقال أعور لابي الاسود ما الشيء ونصف الشيء ولا شيء فقال أما الشيء فالبصير كائنا وأما لا شيء فالاعمى وأما نصف الشيء فأنت يا أعور اللهم اكفنا شر العاشات برحمتك ومنك وكرمك آمين

الفصل الثالث من هذا الباب في التداوي من الامراض والطب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تداووا فان الذي أنزل الداء أنزل الدواء وقال صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء والرقى هل يردان شيأ من قضاء الله تعالى قال هما من قدر الله تعالى وقال عبد الله ابن عكرمة عجبت لمن يحتمي من الطعام خوف الداء ولا يحتمي من الذنوب خوف النار وقيل ان الربيع بن خيثم لما مرض قالوا له ألا ندعو لك طبيبا فقال لهم ان مرضي من الطبيب وانه متى أراد عافاني ولا حاجة لي بطبيبكم وأنشد

فاصبحت لا أدعو طبيبا لطبه * ولكنني أدعو لنفسي ياهنزل القطر

وعاد الفرزدق مريضا فقال

يا طالب الطب من داء تخوفه * ان الطبيب الذي أبلاك بالداء

فهو الطبيب الذي يرجى لعافية * لا من يذيب لك الترياق بالماء

قال ولما مرض بشر الحافي رحمه الله تعالى قالوا ندعو لك طبيبا فقال اني بعين الطبيب يفعل بي ما يريد فاطلع عليه أهله وقالوا لابد أن ندفع ماءك الى الطبيب فقال لاخته ادفعي اليهم الماء في قارورة وكان بالقرب منهم رجل ذمي وكان حاذقا في الطب فأتوه بماء في القارورة فلما رآه قال حركوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا له ما بهذا وصفت لنا قال وبم وصفت لكم قالوا بالحذق والمعرفة قال هو كما تقولون غير أن هذا الماء ان كان ماء نصراني فهو راهب قد فتت كبده العبادة وان كان مسلما فهو ماء بشر الحافي فانه واحد أهل زمانه في السلوك مع الله تعالى فقالوا هو ماء بشر الحافي فأسلم النصراني وقطع زناره فلما رجعوا الى بشر قال لهم أسلم الطبيب قالوا ومن أعلمك قال لما خرجتم من عندي هتف بي هاتف وقال يا بشر ببركتك أسلم الطبيب وصار من أهل الجنة وفلج الربيع بن خيثم

فقيل

فقيل له هلا تداويت فقال قد عرفت أن الدواء حق ولكن عاد وثمود وقرون بين ذلك كثيرا كانت فيهم الاوجاع كثيرة والاطباء أكثر فلم يبق المداوى ولا المداوى وقد أبادهم الموت ثم قال هذا المفرد

هلك المداوى والمداوى والذى * جلب الدواء وباعه والمشترى

وقيل لجالينوس حين نهكته العلة أما تعالج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء من الارض واذا نزل قضاء الرب بطل حذر المربوب ومر قوم بماء من مياه العرب فوصف لهم ثلاث بنات متطببات وهن من أجل الناس فأحبوا أن يروهن فكوا ساق أحدهم حتى أدموها ثم قصدوهن فقالوا هذا جريح مريض فهل من طبيب فخرجت صغراهن وهى كأنها الشمس الطالعة فلما رأت جرحه قالت ليس هو بمريض بل خدشه عود بالت عليه حية فاذا طلعت الشمس مات فكان الامر كما قالت وقيل دواء كل مريض بعقاقير أرضه فان الطبيعة تتطلع لهوائها وقالوا من قدم الى أرض غير أرضه وأخذ من ترابها وجعله فى مائها وشربه لم يمرض فيها وعوفى من وبائها واحتمى أحمد بن العدل لعلة أصابته فبرئ فقال الحمية طالع الصحة لأهل الدنيا تبرئهم من المرض ولاهل الآخرة تبرئهم من النار وقيل ان الابدان المعتادة بالحمية آفتها التخليط والمعتادة بالتخليط آفتها الحمية لان الحكماء تقول عودوا كل جسد بما اعتاد وكان كسرى أنوشروان يسلك عما يميل اليه شهوته ولا ينهمك عليه ويقول تركا ما نحبه نستغنى عن العلاج بما نكرهه وقال لقمان لا تطلوا الجلوس على الظلاء فانه يورث الباسور وكانت هذه الحكمة مكتوبة على أبواب الحشوش أى الكنف وقيل كفى بالمرء عارا أن يكون صريع مأكله وقيل أنا سله فكم أكلة أكلت نفس حر وكم أكلة جلبت كل ضر وقيل من غرس الطعام أثمره الاسقام وعن بعض أهل البيت النبوى عليهم السلام انه كان اذا أصابته علة جمع بين ماء زمزم والعسل واستوهب من مهر أهله شيأ وكان يقول قال الله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا وقال تعالى فيه شفاء للناس وقال عليه الصلاة والسلام ماء زمزم لما شرب له وقال تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فمن جمع بين ما ورد فيه وبين ما فيه شفاء وبين الهنئ المرئ يوشك أن يلقى العافية وقيل خمسة من المهلكات دخول الحمام على الشبع والجماع على الشبع وأكل القديد وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة المرأة العجوز وقالوا لا تنكح العجوز ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن اخراجه وقال الامام على رضى الله عنه

توق مدى الايام ادخال مطعم * على مطعم من قبل هضم المطاعم
وكل طعام يعجز السن مضغه * فلا تقربنه فهو شر الطاعم
ووفر على الجسم الدماء فانها * لقوة جسم المرء خير الدعائم
واياك أن تنكح طواعن سنهم * فان لها سما كسم الاراقم
وفى كل أسبوع عليك بقيئة * تكن آمنا من شر كل البلاغم

ومما يورث الهزال النوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت وقال النظام رحمه الله

تعالى ثلاثة تخرب العقل طول النظر فى المرآة وكثرة الضحك والنظر الى النجوم وفى الحديث احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أم مغيث وهى وسط الرأس وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم فى الاخدعين ونهى عن الحجامة فى نقرة القفا فانها تورث النسيان وأمر بالاستنجاء بالماء البارد فانه أمان من الباسور وخطب المأمون بمسجد مروان فوجد غالب اهل المسجد يشكو من السعال فقال فى آخر خطبته من كان يشكو سعالا فليتداو بالخل ففعلوا فعافاهم الله وقال بعض الحكماء اياك أن تطيل النظر فى عين أرمد واياك أن تسجد على حصير جديدة قبل أن تمسها بيدك فرب شظية حقيرة قلعت عينا خطيرة وقيل كانت الادوية تنبت فى محراب سليمان عليه السلام ويقول كل دواء يانبى الله أنا دواء لكذا وكذا وقال جالينوس البطنة تقتل الرجال وتورث الفالج والاسهال الذريع والاقعاد وصنفا من الجذام يقال له الفهد لايسمع صاحبه ولا يبصر نسأل الله العفو والعافية وقيل البطنة تورث الصداع والكمنة فى العينين والضربان فى الأذنين والقولنج فى البطن فعليك أيها الانسان بالطريقة الوسطى واتق الليل وطعامه جهدك وقال جالينوس الغم المفرط يميت القلب ويجمد الدم فى العروق فيهلك صاحبه والسرور المفرط يلهب حرارة الدم حتى يغلب الحرارة الغريزية فيهلك صاحبه وقيل انه وضع على مائدة المامون فى يوم عيد أكثر من ثلاثين لونا فكان يصف وهو على المائدة منفعة كل لون ومضرته فقال يحيى بن أكثم ياأمير المؤمنين ان خضنا فى الطب فأنت جالينوس فى معرفته أو فى النجوم فأنت هرمس فى صناعته أو فى الفقه فأنت على بن أبى طالب رضى الله عنه فى علمه أو فى السخاء فانت حاتم فى كرمه أو فى الحديث فأنت أبوذر فى صدق لهجته أو فى الوفاء فأنت السموأل ابن عادياء فى وفائه فسر بكلامه وقال ياأبا محمد انما فضل الانسان على غيره بالعقل ولولا ذلك لكانت الناس والبهائم سواء وقال طبيب الهند ان منفعة الحقنة للجسد كمنفعة الماء للشجر وقال سفيان بن عيينة أجمع أطباء فارس على أن الداء ادخال الطعام على الطعام وقالوا ادخال اللحم على اللحم يقتل السباع فى البر وقيل الشرب فى آنية الرصاص أمان من القولنج وعرض رجل على طبيب قارورته فقال له ماهى قارورتك لانه ماء ميت وأنت حى تكلمنى فما فرغ من كلامه حتى خر الرجل ميتا وقيل ان ملكا من الملوك حصل عنده صداع فى رأسه فاحضر الطبيب فامره أن يضع قدميه فى الماء الحار وكان عنده خصى فقال أين القدمان من الرأس فقال له الطبيب وأين وجهك من خصيتيك نزعتا فذهبت لحيتك وقيل ان المأمون حصل له صداع بطرسوس فأحضر طبيبا كان عنده فلم ينفعه علاجه فبلغ قيصر فأرسل اليه قلنسوة وكتب له بلغنى صداعك فضعها على رأسك يزل مابك فخاف أن تكون مسمومة فوضعها على رأس القاصد فلم يصبه شئ ثم انه أحضر رجلا به صداع فوضعها على رأسه فزال مابه فتعجب المامون ثم انه فتحها فوجد فيها رقعة مكتوبا فيها بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة لله تعالى فى عرق ساكن وغير ساكن حمعسق لايصدعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمن خمدت النيران ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقال على رضى الله عنه ادهنوا بالبنفسج فانه حار

في الشتاء بارد في الصيف وقال أيضا رضي الله عنه عليكم بالزيت فانه يذهب البلغم ويشد العصب ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الغم وعنه رضي الله عنه ان لم يكن في شئ شفاء ففي شرطة حاجم أو شربة من عسل وقال الحجاج لطبيبه أخبرنا بجوامع الطب فقال لا تنكح الافتاة ولا تأكل من اللحم الا فتيا واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش ولو على الشوك ولا تدخلن بطنك طعاما حتى تستمري ما فيه ولا تأوي الى فراشك حتى تدخل الخلاء وكل الفاكهة في اقبالها وذرها في ادبارها وأوصى حكيم خليفته وصية ووعده انه اذا لازمها لا يمرض الا مرض الموت فقال اياك أن تدخل طعاما على طعام ولا تمش حتى تعيا ولا تجامع عجوزا ولا تدخل حماما على شبع واذا جامعت فكن على حال وسط من الغذاء وعليك في كل أسبوع بقيئة ولا تأكل الفاكهة الا في أوان نضجها ولا تأكل القديد من اللحم واذا تغديت فنم واذا تعشيت فامش أربعين خطوة ونم على يسارك لتقع الكبد على المعدة فينهضم ما فيها وتستريح الكبد من حرارة المعدة ولا تنم على يمينك فيبطئ الهضم ولا تأكل بشهوة عينيك بعد الشبع ولا تنم ليلا حتى تعرض نفسك على الخلاء ان احتجت الى ذلك أولم تحتج واقعد على الطعام وأنت تشتهيه وقم عنه وأنت تشتهيه قال بعضهم

شره النفوس على الجسوم بلية * فتعوذوا من كل نفس تشره
ما من فتى شرهت له نفس وان * نال الغنى الا رأى ما يكره

وقال أبو الفيض القضاعي يمدح الفضل وقد فصد

أرقت دما لو تسكب المزن مثله * لاصبح وجه الارض أخضر زاهيا
دما طيبا لو يطلق الشرع شربه * لكان من الاسقام للناس شافيا

(الفصل الرابع فيما جاء في العيادة وفضلها) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة في ظل العرش عائد المريض ومشيع الموتى وطائع والديه وفي رواية ومعزي الثكلى ومن السنة تخفيف الجلوس في العيادة * مرض بكر بن عبد الله المزني فعاده أصحابه فاطالوا الجلوس عنده فقال المريض يعاد والصحيح يزار قال الشاعر

يعد من مرضاهن هيجن داءه * ألا انما بعض العوائد دائبا

وقيل اذا دخل العواد على الملك فحقهم أن لا يسلموا عليه فيحوجوه الى رد السلام ويتعبوه فاذا علموا أنه لا حظهم دعوا له وانصرفوا * قيل مرض انسان فكتب اليه بعض أصدقائه كشف الله عنك ما بك من السقم وطهرك بالعلة من الخطايا ومتعك بانس العافية وأعقبك دوام الصحة * ومرض انسان فكتب اليه صديقه

يا خوانك الادنين لابك كلما * شكوت الى اليوم من ألم الورد
فكل امرئ منهم بقدر احتماله * وان عجزوا عنه تحملته وحدي

وقال آخر

بي السوء والمكروه لابك كلما * أراد الكانبي وكان لك الاجر

وقال عبد الله بن مصعب

مالي مرضت فلم يعدني عائد * منكم ويمرض كلبكم فاعود

فسمي بعد ذلك عائد الكلاب وعاد مالك بن أنس رضي الله عنه بعض المرضى فقال

عادني مالك فلست ابالي * بعد من عادني ومن لم يعدني

وقال علي بن الجهم

أأرقد الليل مسرورا عدمت اذا * عيشي واحد يرعى ليله وصبا

* الله يعلم أني قد نذرت له * صيام شهر اذا ما أحد ركبا

وقال آخر

اذا مرضنا أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

وقال آخر

اعاذك الله من أشياء أربعة * الموت والعشق والافلاس والجرب

وقيل ان حق العيادة يوم بعد يوم أو يوم بعد يومين وعلى الاول قول الشاعر

قالت مرضت فعدتها فتبرمت * فهي الصحيحة والعليل العائد

والله لو أن القلوب كقلبها * مارق للولد الصغير الوالد

وعلى الثاني قول بعضهم

حق العيادة يوم بعد يومين * وجلسة مثل خلس اللحظ بالعين

لا تبرمن علي لا في مساءلة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

وفضل العيادة مشهور وشرفها مذكور وبها تعظم الاجور وهذا ما انتهى الينا من هذا الباب والله الموفق للصواب

الباب الحادي والثمانون في ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات لاحدكم ميت فحسنوا كفنه وعجلوا انجاز وصيته وأعمقوا له في قبره وجنبوه جار السوء قيل يا رسول الله وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة قال وهل ينفع في الدنيا قالوا نعم قال وكذلك في الآخرة ومن وصية علي رضي الله عنه لابي ذر زر القبور تذكر بها الآخرة ولا تزرها بالليل وغسل الموتى يحرك قلبك وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين في ظل الله تعالى ويقال حزنك في مصيبة صديقك أحسن من صبرك وصبرك في مصيبتك أحسن من جزعك ونظر فيلسوف الى ميت يحمل الى قبره فقال حبيب تحمله أهله الى حبس الابد ودخل عمرو بن العاصي رضي الله عنه على معاوية في مرضة مرضها فقال له أعائد أنت أم شامت فقال له عمرو لم تقول هذا والله ما كافتني رهقا ولا أصعدتني زلقا ولا جزعتني علقا فلم استطل حياتك ولم استبطئ وفاتك فأنشد معاوية يقول

فهل من خالدين اذا هلكنا * وهل في الموت بين الناس عار

ولما

ولما مرض معاوية رضي الله عنه مرضه الذي مات فيه وفد اليه الناس يعودونه فقال لأهله مهدوا لي فراشا وأسندوني وأوسعوا رأسي دهانا ثم اكحلوا عيني بالاثمد ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلموا علي قياما ولا تجلسوا عندي أحدا ففعلوا ذلك فلما خرجوا من عنده أنشد يقول

وتجلدي للشامتين أريهم * أني لريب الدهر لا اتضعضع
واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقيل لما دنا منه الموت تمثل بهذا البيت

هو الموت لا منجى من الموت والذي * نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

قال ثم رفع يديه وقال اللهم أقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق الا بك فانك واسع المغفرة وليس لذي خطيئة منك مهرب ومات رحمه الله تعالى

*وذكر أبو العباس الشيباني قال وفد على أبي دلف عشرة من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في العلة التي مات فيها فأقاموا ببابه شهرا لا يؤذن لهم لشدة العلة التي أصيب بها ثم أفاق فقال لخادمه بشر ان قلبي يحدثني أن بالباب قوما لهم الينا حوائج فافتح الباب ولا تمنعن أحدا قال فكان أول من دخل آل علي رضي الله عنه فسلموا عليه ثم ابتدأ الكلام رجل منهم من ولد جعفر الطيار فقال اصلحك الله انا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفينا من ولده وقد حطمتنا المصائب وأجحفت بنا النوائب فان رأيت أن تجبر كسيرا وتغني فقيرا لا يملك قطميرا فافعل فقال لخادمه خذ بيدي وأجلسني ثم أقبل معتذرا اليهم ودعا بدواة وقرطاس وقال ليكتب كل منكم بيده انه قبض مني ألف دينار قالوا فبقينا والله متحيرين فلما أن كتبنا الرقاع ووضعناها بين يديه قال لخادمه علي بالمال فوزن لكل واحد منا ألف دينار ثم قال لخادمه يا بشر اذا أنا مت فادرج هذه الرقاع في كفني فاذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم في القيامة كانت حجة لي أني قد أغنيت عشرة من ولده ثم قال يا غلام ادفع لكل واحد منهم ألف درهم ينفقها في طريقه حتى لا ينفق من الالف دينار شيأ حتى يصل الى موضعه قال فأخذناها ودعونا له وانصرفنا ثم مات رحمه الله وقيل لما دفن عمر بن عبد العزيز نزل عند دفنه مطر من السماء فوجدوا بردة مكتوبا فيها بالنور بسم الله الرحمن الرحيم أمان لعمر بن عبد العزيز من النار وقيل لاعرابي انك تموت قال والى أين أذهب قالوا الى الله تعالى فقال لا اكره أن أذهب الى من لا أرى الخير الا منه وبكى الخولاني عند موته فقيل له ما يبكيك قال ابكي لطول السفر وقلة الزاد وقد سلكت عقبة ولا أدري الى أين أهبط والى أي مكان أسقط ودخل ملك الموت على داود عليه السلام فقال له من أنت قال أنا الذي لا يهاب الملوك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا فقال اذن أنت ملك الموت واني لم استعد بعد فقال له يا داود أين فلان جارك أين فلان قريبك قال ماتا قال اما كان لك في موت هؤلاء عبرة لتستعد بها ثم قبضه رحمه الله تعالى وفي الخبر من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة

تكشف العبد وتحبسه ولولا ذلك لكان يعدو في الصحراء والبراري من شدة سكرات الموت وقد أجمعت الأمة على ان الموت ليس له زمن معلوم فليكن المرء على أهبة من ذلك وقيل بينما حسان جالس وفي حجره صبي يطعمه الزبد بالعسل اذ شرق الصبي فمات فقال

اعمل وأنت صحيح مطلق فرح * مادمت ويحك يامغرور في مهل

يرجو الحياة صحيح رب ما كمنت * له المنية بين الزبد والعسل

وقيل ان المأمون لما قربت وفاته دخل عليه بعض اصدقائه فوجده قد فرش له جلد دابة وبسط عليه الرماد وهو يتمرغ فيه ويقول يامن لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه ولما احتضر عمرو بن العاص دعا بغل وقيد وقال ألبسوني اياهما فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان التوبة مقبولة مالم يغرغر ابن آدم بنفسه ثم استقبل القبلة وقال اللهم انك أمرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ بك فان تعفو فأنت أهل العفو وان تعاقب فيما قدمت يداي لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ثم مات وهو مغلول مقيد فبلغ ذلك الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال استسلم الشيخ ولعلها تنفعه ولما احتضر المعتصم جعلوا يهونون عليه فقال هان على النظارة ما يمر بظهر الجلود وسمع ابو الدرداء رجلا في جنازة يقول من هذا فقال أنت فان كرهت فأنا وقيل مات عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما وكثير عزة في يوم واحد فقال رجل اللهم كما جمعتهما في زيارة القبور فلا تفرق بينهما يوم النشور فما بقي في المدينة أحد الا استحسن كلامه ولما احتضر ابراهيم الخليل عليه السلام قال هل رأيت خليلا يقبض روح خليله فأوحى الله اليه هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله قال فاقبض روحي الساعة وقيل اذا قضى الله لرجل أن يموت بارض جعل له اليها حاجة فيسيره اليها وقال بعضهم

اذا ما حمام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

(حكي) ان شابا تقيا من بني اسرائيل كان يجتمع مع سليمان عليه السلام ويحضر مجالسه فبينما هو عند سليمان في مجلسه اذ دخل ملك الموت عليه فلما رآه الشاب اصفر لونه وارتعدت فرائصه وقال يانبي الله اني خفت من هذا الرجل فمر الريح أن تذهب بي الى الهند فامر سليمان الريح فذهبت به فما كان الا قليلا حتى دخل ملك الموت على سليمان وهو متعجب فقال له سليمان مم تعجب قال أعجب اني أمرت بقبض روح الشاب الذي كان عندك بأرض الهند ودخلت عليك فوجدته عندك فصرت متعجبا ثم توجهت الى الهند فرأيته هناك وقبضت روحه فهذا عجبي فقال له سليمان انه لما رآك خاف وانزعج وطلب مني أن تحمله الريح الى الهند فأمرتها فحملته وفي ذلك المعنى قال محمد بن الحسن

وتعجب الروح مرتاح الى بلد * والموت يطلبه في ذلك البلد

وقيل ان الانسان يحصل له عند الموت قوة حركة نحو ما يحصل للسراج عند انطفائه من حركة سريعة وضياء ساطع وتسميها الاطباء النغشة الاخيرة والله أعلم وقيل ان

الرشيد مات له جارية وكانت من خواص حياطه فجزع عليها جزعا شديدا فقال لبعض اصدقائه اما ترى ما بليت به ما احببت أحدا الا مات فقال يا أمير المؤمنين أحبني فقال ويحك ان الحب ليس هو شيء يصنع انما هو شيء يقع في القلب تسوقه الاسباب فقال قل أنا أحبك قال نعم أنا أحبك قال فخم من وقته ومات وفي الحديث المرفوع كسر عظم الميت ككسره في حياته وقال يزيد بن اسلم لقد كان يمضي في الزمن الاول اربعمائة سنة ما يسمع فيها بجنازة وعن ميمون بن مهران قال شهدت جنازة ابن عباس رضي الله عنه بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر ابيض حتى وقف على أكفانه ثم دخل فيها فافتقدناه فلم نجده ولما سوينا عليه التراب سمعنا من يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك الآية وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان قبر آدم عليه السلام بمسجد الخيف بمنى وقال عطاء بلغني ان قبره تحت المنارة التي وسط الخيف وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى مما يبكيه عند ذكر الجنة والنار فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر أول منازل الآخرة فان نجا العبد منه فما بعده ايسر منه وعن معاذ بن رفاعة الزرقي قال اخبرني رجل من رجال قومي ان جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتزله العرش فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر ثوبه مبادرا الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجده قد قبض وقال الحسن رضي الله عنه ما من يوم الا وملك الموت يتصفح وجوه الناس خمس مرات فمن رآه على لهو ولعب أو معصية أوضاحكا حرك رأسه وقال له مسكين هذا العبد غافل عما يراد به ثم يقول له اعمل ما شئت فان لي فيك غمزة اقطع بها وتينك وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجاء بن حيوة يا رجاء اذا وضعت في لحدي فاكشف الثوب عن وجهي فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت غير ذلك فاعلم ان عمر قد هلك قال رجاء فلما دفناه كشفت عن وجهه فرأيت نورا ساطعا فحمدت الله تعالى أن قد صار الى خير وقال أيضا دخلت على عمر بن عبد العزيز وهو يحتضر فقال يا رجاء اني أرى وجوها كراما ليست بوجوه انس ولا جان وهو يقلب طرفه يمينا وشمالا ثم رفع يده فقال اللهم أنت ربي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت فان غفرت فقد مننت وان عاقبت فما ظلمت ألا اني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الأمة فعليه السلام والرحمة ثم قضى نحبه رحمه الله وعن أسماء بنت عميس قالت كنت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد ما ضربه ابن ملجم اذ شهق شهقة بعد أن أغمي عليه ثم أفاق وقال مرحبا بالحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فقيل له ما ترى قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أخي جعفر وعمي حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون علي يبشرونني بالجنة وهذه فاطمة قد أحاط بها وصائفها من الحور العين وهذه منازلي لمثل هذا فليعمل العاملون ولما احتضر عبد الملك

ابن مروان قال لابنه الوليد اذا أنامت اياك أن تجلس وتعصر عينيك كالمرأة الوكعاء لكن اتزر وشمر والبس جلد النمر وضعني في حفرتي وخلني وشأني وعليك شأنك وادع الناس الى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل له بسيفك هكذا ثم بعث الى محمد وخالد ابني يزيد بن معاوية فقال هل عندكما ندامة في بيعة الوليد فقالوا لا نعرف أحدا أحق منه بالخلافة فقال أما انكما لو قلتما غير هذا لضربت الذي فيه أعينكما ثم رفع كارفراشه فاذا تحته سيف مسلول تحت عيمته كل هذا وروحه تتردد في حنجرته وهو يقول الحمد لله الذي لا يبالي أصغيرا أخذ أم كبيرا لا اله الا الله محمد رسول الله ثم بعد ساعة نفذت روحه فدخل عليه الوليد ومعه بنانه يكون فتمثل بقول الشاعر

ومستخبر عنا يريد بنا الردى * ومستخبرات والعيون سواكب

وقال محمد بن هرون

كأني باخواني على جنب حفرتي * يهيلون فوقي والعيون دما تجري
فيا أيها المذري على دموعه * ستعرض في يومين عني وعن ذكري
عفا الله عني أنزل القبر ثاويا * أزار ولا أدري وأجفى فلا ادري

وكان يزيد الرقاشي يقول من كان الموت موعده والقبر بيته والثرى مسكنه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الاكبر كيف تكون حالته ثم يبكي حتى يغشى عليه فيجب على العاقل ان يحاسب نفسه بنفسه على ما فرط من عمره ويستعد لعاقبة امره صالح العمل ولا يغتر بالأمل فان من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا لاتباع أوامره واجتناب نواهيه وأن يجعل الموت خير غائب ننتظره وأن يختم لنا بالخير وأن يتغمدنا برحمته انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثاني والثمانون في الصبر والتأسي والتعازي والمراثي ونحو ذلك وفيه فصول

*(الفصل الاول في الصبر) *قال الله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصاب بمصيبة وان قل عهدها فأحدث استرجاعا الا أحدث الله له مثله وأعطاه مثل أجره ذلك يوم أصيب بها وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح حزينا أصبح ساخطا على ربه ومن أصبح يشكو مصيبة فكأنما يشكو الله ومن تواضع لغني سأله ما في يده أحبط الله ثلثي عمله ومن أعطى القرآن ولم يعمل به وتهاون به حتى دخل النار أبعده الله عن رحمته لانه هو الذي فعل ذلك بنفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات له ثلاثة من الولد لم يلج النار الا تحلة القسم يعني قوله تعالى وان منكم الا واردها وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله انا لله وانا اليه

راجعون

راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأعقبني خيرا منها الا فعل الله به ذلك وروى أنه لما مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله ألم تنه عن البكاء قال انما نهيت عن الغناء والصوتين الاحمقين والندب ولكن هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوبنا ومن لا يرحم لا يرحم فان القلب يخشع والعين تدمع وانا بك يا ابراهيم لمحزونون ولا نقول الا ما يرضي الله ربنا انا لله وانا اليه راجعون وقال ابن عباس رضي الله عنهما أول شئ كتبه الله في اللوح المحفوظ اني أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ ربا سواي وقال ابن المبارك ان المصيبة واحدة فاذا جزع صاحبها فهما اثنتان لان احداهما المصيبة بعينها والثانية ذهاب أجره وهو أعظم من المصيبة وعن العلاء بن عبد الرحمن ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة بكت فاطمة فقال لا تبكي يا بنتاه قولي اذا مات انا لله وانا اليه راجعون فان لكل انسان مصيبة معوضة قالت ومنك يا رسول الله قال ومني وعن عطاء بن أبي رباح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي فانها من أعظم المصائب وعن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال من أخذت حبيبتاه يعني عينيه فصبر واحتسب أدخله الله الجنة وقيل ان امرأة أيوب عليه السلام قالت له لو دعوت الله تعالى أن يشفيك فقال لها ويحك كنا في النعماء سبعين عاما أفلا نصبر على الضراء مثلها فلم يلبث الا يسيرا أن عوفي وقيل الصبر مفتاح الظفر والتوكل على الله تعالى رسول النجاح وقيل من لم يلق نوائب الدهر بالصبر طال عتبه عليه وقيل ان معاوية رضي الله عنه خرج يوما ومعه عبد العزيز بن زرارة الكلبي وكان ذا منصب وشرف وعقل وأدب فقال له معاوية يا عبد العزيز أتاني نعي سيد شباب العرب فقال له ابني أو ابنك قال بل ابنك قال للموت تلد الوالدة وما قيل اصبر لحكم من لا تجد معولا الا عليه ولا مفزعا الا اليه وقال سويد السدوسي

فأوصيكما يا بني سدوس كلاكما * بتقوى الذي أعطاكما وبراكما
بشكر اذا ما أحدث الله نعمة * وصبر لامر الله فيما ابتلاكما

وقال

أيا صاحبي ان رمت ان تكسب العلا * وترقى الى العلياء غير مزاحم
عليك بحسن الصبر في كل حالة * فما صابر فيما يروم بنادم

وقال آخر

هو الدهر قد جربته وبلوته * فصبرا على مكروهه وتجلدا

وحدث الزبير قال قامت عائشة بعد ما دفن أبوها أبو بكر الصديق فقالت نضر الله وجهك وشكر صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبر الاحداث بعده فان

كتاب الله تعالى قد وعدنا بالثواب على الصبر فى المصيبة وأنا تابعة له فى الصبر فاقول انا لله وانا اليه راجعون ومستعيضة بأكثر الاستغفار لك فسلام الله عليك تودع غير قالية لحياتك ولا رائغة على القضاء فيك * ولما مات ذر الهمدانى جاء أبوه فوجده ميتا وكان موته فجاءة وعياله يبكون عليه فقال مالكم والله ما ظلمناه ولا قهرناه ولا ذهبنا بحق ولا أصابنا فيه ما أخطأ من كان قبلنا فى مثله ولما وضعه فى حفرته قال رحمك الله يا بنى وجعل أجرى فيك لك والله ما بكيت عليك وانما بكيت لك فوالله لقد كنت بى بارا ولى نافعا وكنت لك محبا وما بى الملك من وحشة وما بى الى أحد غير الله من فاقة وما ذهبت لنا بعزة وما أبقيت لنا من ذل ولقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك يا ذر لولا هول المطلع لتمنيت ما صرت اليه فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك وعدت الصابرين على المصيبة ثوابك ورحمتك اللهم وقد وهبت ما جعلت لى من الاجر الى ذر صلة منى له فلا تحرمنى ولا تعرفه قبيحا وتجاوز عنه فانك رحيم بى وبه اللهم قد وهبت لك اساءته لى فهب لى اساءته اليك فانك أجود منى واكرم اللهم انك قد جعلت لك عليه حقا وجعلت لى عليه حقا قرنته بحقك فقلت اشكرلى ولوالديك الى المصير اللهم انى قد غفرت له ما قصر فيه من حقى فاغفر له ما قصر فيه من حقك فانك أولى بالجود والكرم فلما أراد الانصراف قال يا ذر قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا عندك ما نفعناك * وفى الحديث اذا مات ولد العبد يقول الله تعالى للملائكة ماذا قال عبدى عند قبض روح ولده وثمرة فؤاده فيقولون الهنا حمدك واسترجع فيقول الله تعالى أشهدكم يا ملائكتى انى بنيت له بيتا فى الجنة وسميته بيت الحمد وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه دفن ابنا له وضحك عند قبره فقيل له أتضحك عند القبر قال أردت أن أرغم أنف الشيطان فينبغى للعبد أن يتفكر فى ثواب المصيبة فتهون عليه فاذا أحسن الصبر استقبله يوم القيامة ثوابها حتى يود لو أن أولاده وأهله وأقاربه ماتوا قبله لينال ثواب المصيبة وقد وعد الله تعالى فى المصيبة ثوابا عظيما اذا صبر صاحبها واحتسب وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقال تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الآية اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على بلائك واغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين يا رب العالمين

* (الفصل الثانى من هذا الباب فى التعازى والتاسى) * روى الترمذى فى كتاب السنن للبيهقى عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من عزى مصابا فله مثل أجره وروينا فى كتاب الترمذى أيضا بسند متصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عزى ثكلى كسى برداه فى الجنة وروينا فى سنن ابن ماجه والبيهقى باسناد حسن عن عمرو بن حزم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبته الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة واعلم ان التعزية هى التصبير وذكر ما يسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهى مستحبة فانها مشتملة على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى ايضا داخلة فى قوله تعالى وتعاونوا على البر

والتقوى وهى من أحسن ما يستدل به فى التعزية وثبت فى الصحيح ان النبى صلى الله عليه وسلم قال والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه واعلم ان التعزية مستحبة قبل الدفن وبعده وتكره بعد ثلاثة أيام لان التعزية لتسكين قلب المصاب والغالب سكونه بعد ثلاثة أيام فلا يجدد الحزن هكذا قال الجماهير من أصحاب الشافعى رضى الله عنه وقيل انها لا تفعل بعد ثلاثة أيام الا فى صورتين وهما اذا كان المعزى أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن فاتفق رجوعه بعد الثلاثة وأما لفظ التعزية فلا حجر فيه فبأى لفظ عزاه حصلت واستحب أصحاب الشافعى ان يقول فى تعزية المسلم بالمسلم عظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك وفى المسلم بالكافر أعظم الله أجرك واحسن عزاءك وفى الكافر بالكافر أخلف الله عليك ولا انقص لك عداد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم فقد بعض أصحابه فسال عنه فقالوا يارسول الله بنيه الذى رأيته هلك فلقيه النبى صلى الله عليه وسلم فسأل عن بنيه فقال يارسول الله هلك فعزاه فيه ثم قال يافلان أيما كان أحب اليك أن تمتع به عمرك أو لا تاتى غدا بابا من أبواب الجنة الا وجدته وقد سبقك اليه فيفتحه لك فقال يارسول الله سبقه الى باب الجنة أحب الى من التمتع به فى دار الدنيا قال ذلك لك وروى البيهقى باسناده فى مناقب الشافعى رحمهما الله ان الشافعى قد بلغه ان عبد الرحمن بن مهدى مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فبعث اليه الشافعى رحمه الله يقول يا أخى عز نفسك بما تعزى به غيرك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك واعلم ان امض المصائب فقد سرور وحرمان أجر فكيف اذا اجتمعا مع اكتساب وزر ألهمك الله عند المصائب صبرا وأجزل لنا ولك بالصبر أجرا وروى عن ابن المبارك قال مات لى ابن فزرنى مجوسى وقال ينبغى للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال اكتبوها منه وعن معاذ ابن جبل انه قال مات لى ابن فكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل سلام عليكم فانى أحمد الله الملك الذى لا اله الا هو أما بعد فعظم الله لك الاجر وألهمك الصبر ورزقنا وإياك الشكر ثم اعلم أن أنفسنا وأموالنا وأهلنا وأولادنا من مواهب الله تعالى الهنية وعواريه المستودعة يتعنا بها الى أجل معدود ويقبضها لوقت معلوم ثم فرض الله تعالى علينا الشكر اذا أعطى والصبر اذا ابتلى وكان ابنك من مواهب الله الهنية وعواريه المستودعة متعك الله به فى غبطة وسرور وقبضه باجر كبير ان صبرت واحتسبت فاصبر واحتسب واعلم ان الجزع لا يرد ميتا ولا يطرد حزنا وروى ان أبا بكر رضى الله عنه كان اذا عزى هر زأ قال ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة والموت أشد مما قبله وأهون مما بعده فاذكر مصيبتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تهن عليك مصيبتك وعزى الامام الشافعى رضى الله عنه صديقا له فقال

انا نعزيك لا انا على ثقة * من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بباق بعد ميته * ولا المعزى ولو عاش الى حين

وكتب بعضهم الى أخ له يعزيه أنت يا أخى أعزك الله عالم بالدنيا وما خلقت له من الفناء وانها

لم تعط الا أخذت ولم تسر الا أحزنت وان الموت سبيل محتوم على الاولين والآخرين لا دافع عنه ولا مؤخر لما قضى الله عز وجل منه وانا لله وانا اليه راجعون وعزى رجل بعض الخلفاء بابن له فكتب اليه يقول

تعزا مير المؤمنين فانه * لما قد ترى يغدو الصغير ويولد
هل الابن الا من سلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

وكتب بعضهم الى صديق له وقد مات ابنته فقال

الموت أخفى سوأة للبنات * ودفنها يروى من المكرمات
أما رأيت الله سبحانه * قد وضع الغمش بجنب البنات

وكتب بعضهم الى صديق له يعزيه بأخيه ويسليه ما تصنع يا أخي والقضاء نازل والموت حكم شامل وان لم تلذ بالصبر فقد اعترضت على مالك الامر وأنت تعلم ان نوائب الدهر لا تدفع الا بعزائم الصبر فاجعل بين هذه اللوعة الغالبة والدمعة الساكبة حاجبا من فضلك وحاجزا من عقلك ودافعا من دينك ومانعا من يقينك فان المحن اذا لم تعالج بالصبر كانت كالمنح اذا لم تقابل بالشكر فصبرا صبرا ففحول الرجال لا تستفزها الايام بخطوبها كما أن متون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها فعز علي أن أخاطب مولاي معزيا واكاتبه مسليا عن كبير أو صغير مما يتعلق بخدمته أو ينتمي الى جلته فكيف بالصنو الاكرم والذخر الاعظم والركن الاشد والسهم الاسد والشهاب الاسطع والحسام الاقطع لكن التعزية سيرة سائرة وسنة ماضية غابرة وقد رأى الله هو المقدر وأجل الله اذا جاء لا يؤخر ولولا أن الذكرى تنفع والتعزية يستوي فيها الاشرف والاوضع لأجللت مولاي أن أفاتحه معزيا وأخاطبه مسليا ولكن بحمد الله العالم لا يعلم والسابق لا يتقدم فمولاي يقتدي في الصبر على النوائب وبنوره يهتدي في مشكلات المذاهب وكل ما كان من الرزء أوجع كان الاجر عليه أوسع جعل الله مولاي من الصابرين على المصيبة وأعظم أجره وجعل الجنة نصيبه * وعزى رجل فتى عن أبيه فلم يجده كما أحب فقال يا بني سوء الخلف أضر علينا من فقد السلف * ومات لبعض ملوك كندة ابنة فوضع بين يديه بدرة من المال وقال من بالغ في تعزيته فهي له فدخل عليه أعرابي وقال عظم الله أجر الملك كفيت المؤنة وسترت العورة وتم الصهر القبر فقال قد أبلغت وأوجزت ثم دفعها له * وعزت اعرابية قوما فقالت جافى الله عن ميتكم الثرى واعانه على طول البلى وآجركم ورحمه * وكان لعلي ابن الحسين جليس مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فعزاه علي بن الحسين رحمه الله ووعظه فقال يا ابن رسول الله ان ابني كان مسرفا على نفسه فقال لا تجزع فان من ورائه ثلاث خلال أولها شهادة أن لا اله الا الله وأن سيدنا محمدا رسول الله والثانية شفاعة جدي صلى الله عليه وسلم والثالثة رحمة الله التي وسعت كل شئ فاين يخرج ابنك عن واحدة من هذه الخلال * وقال سليمان بن عبد الملك عند موت ابنه لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة ان في كبدي جمرة لا يطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر فنظر الى رجاء كالمستريح بمشورته فقال رجاء افضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من باس لقد دمعت

عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال ان العين لتدمع وان القلب ليخشع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فارسل سليمان عينيه حتى قضى أربه ثم أقبل عليهم وقال لولا نزفت هذه العبرة لانصدع كبدي ثم انه لم يبك بعدها * وكتب الاسكندر الى أمه قبل وفاته بقليل اذا وصل اليك كتابي هذا فاجمعي أهل بلدك وأعدي لهم طعاما ووكلي بالابواب من يمنع من أصابته مصيبة في أم أو أب أو أخ أو أخت أو ولد ففعلت فلم يدخل اليها أحد فعلمت أن الاسكندر عزاها في نفسه ولما قتل الفضل بن سهل دخل المأمون على أمه يعزيها فيه فقال لها يا أماه لا تحزني على الفضل فأنا خلف منه فقالت كيف لا أحزن على ولد عوضني عنه خليفة مثلك فعجب المأمون من جوابها وكان يقول ما سمعت قط أحسن منه ولا أجاب للقلوب فقال لها عليك بالصبر فان فيه مزيد الاجر * ومن جزع على ولده جعفر بن علية لما قتله الحارث قام نساء الحي يبكون عليه وقام أبوه الى ولد كل شاة وناقة فذبحه وألقاها بين أيديها وقال لها ابكين مني على جعفر فجازات النوق ترغو والشياه تيعر والنساء يصرخن ويبكين وهو يبكي معهن فلم يرد اتم كان اوجع منه * وقال يحيى بن خالد التعزية بعد ثلاثة أيام تجدد الحزن والتهنئة بعد سنة تجدد الفرح * (ومما قيل في التأسي والتسلي بالخلف عن السلف) * قيل عزى بعض الشعراء يزيد بن معاوية في والده فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر الهك من بالملك حاباكا
لا رزء أصبح في الايام نعرفه * كمارزئت ولا عقبى كعقباكا

وقال آخر

لابد من فقد ومن فاقد * هيهات ما في الناس من خالد

وقال آخر

تبصر فلو أن البكا رد هالكا * على أحد فاكثر بكاك على عمر

وكتب بعضهم الى أولاد صديقه يعزيهم ويسليهم في والدهم فقال

فلو كان فيض الدمع ينفع باكيا * لعلمت غرب الدمع كيف يسيل
فان غاب بدر فالنجوم طوالع * ثوابت لا يقضى لهن افول
يغشاك بها في ظلمة الليل حائر * ويسري عليها بالرفاق دليل

ودخل عبد الملك بن صالح على الرشيد وقد مات له ولد وولده في تلك الليلة وولد فقال سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجمع لك بين أجر الصابر وثواب الشاكر وقال بعضهم

أليس لهذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبي يا نفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

وسئل الاصمعي عن قول الخنساء في نعيها صخرا حين مات ونعته فقالت

يذكرني طلوع الشمس صخرا * وأندبه لكل غروب شمس

فقالوا له لماذا اتخصت الشمس دون القمر والكواكب فقال لكونه كان يركب عند طلوع الشمس يشن الغارات وعند غروبها يجلس مع الضيفان فذكرته بهذا ممدحا له كان يغير على أعدائه ويتقيد بضيفه وقد رثته بعد البيت الاول بابيات منها

ألا يا نفس لا تنسيه حتى * أفارق عيشتي وأزور رمسي

ولولا كثرة الباكين حولي * على امواتهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن * أسلي النفس عنه بالتاسي

وقال آخر

ولولا الاسى ما عشت في الناس ساعة * ولكن اذا نادى جاوبني مثلي

وقال آخر

وهون وجدي عن خليلي انني * اذا شئت لاقيت الذي أنا صاحبه

وقال

ومما يؤدي الى الصبر والعزا * تردد فكري في عموم المصائب

(الفصل الثالث في المراثي) لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم رثاه جماعة من أصحابه وآله بمراث كثيرة منها ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فانه كان أقرب الناس اليه وهو أول من رثاه فقال

لما رأيت نبينا متجندلا * ضاقت علي بعرضهن الدور

فارتاع قلبي عند ذاك لموته * والعظم مني ما حييت كسير

أعتيق ويحك ان خلك قد توى * والصبر عندك ما بقيت يسير

يا ليتني من قبل مهلك صاحبي * غيبت في لحد عليه صخور

فلتحدثن بدائع من بعده * تعيا بهن جوانح وصدور

وقال

فقدت ارضنا هاديا نبيا * كان يغدو به الثبات زكا

خلقا عاليا ودينا كريما * وصراطا يهدي الانام سويا

وسراجا يجلو الظلام منيرا * ونبيا مؤيدا داعويا

حازما عازما حليما كريما * عائذا بالنوال برا تقيا

ان يوما أتى عليك ليوم * كورت شمسه وكان خليا

فعليك السلام منا جميعا * دائم الدهر بكرة وعشيا

ورثاه أبو سفيان بن الحرث فقال

أرقت فبات ليلي لا يزول * وليل أخي المصيبة فيه طول

واسعدني البكاء وذا الفؤاد * أصيب المسلمون به قليل

لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول

وأفحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه * نفوس الناس او كادت تسيل
نبي كان يجلوا الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ملاما * علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعي فهو السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

ولما مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه رثاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهذه الابيات حين رجع من دفنه فقال

ذهب الذين أحبهم * فعليك يا دنيا السلام
لا تذكرين العيش لي * فالعيش بعدهم حرام
اني رضيع وصالهم * والطفل يؤلمه الفطام

ورثى بعضهم محمد بن يحيى بعد موته فقال

سالت الندى والجود مالي اراكما * تبدلتما عزا بذل مؤبد
وبابال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا أقمنا كي نعزي بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه في غد

وقال آخر

ولا ارتجي في الموت بعدك طائلا * ولا أتقي للدهر بعدك من خطب

وفي المعنى لبعضهم

لقد أمنت نفسي المصائب بعده * فأصبحت منها آمنا ان اروعا
فما اتقي للدهر بعدك نكبة * ولا ارتجي للعيش بعدك مرتعا

ورثى أشجع السلمي عبد الله بن سعيد فقال

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق * ولا مغرب الا له فيه مادح
وما كنت أدري ما فواضل كفه * على الناس حتى غيبته الصفائح
وأصبح في لحد من الارض ميتا * وكان به حيا تضيق الصحاصح
سابكيك ما فاضت دموعي فان تغض * فحسبك مني ما تكن الجوانح
وما أنا من رزء وان جل جازع * ولا بسرور بعد فقدك فارح
لئن حسنت فيك المراثي بذكرها * فقد حسنت من قبل فيك المدائح

وقال آخر

الى الله أشكو لا الى الناس انني * أرى الارض تبقى والاخلاء تذهب

أخلاى لو غير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ما على الدهر معتب

وقال العباس بن الاحنف

اذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا * أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر
فان ينقطع منك الرجاء فانه * سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر

وقال آخر يرثى صديقه

خليلى ما أزداد الا صبابة * اليك وما تزداد الا تنائيا
خليلى لو نفس فديت نفس ميت * فديتك مسرورا بنفسى وماليا
وقد كنت أرجو أن تعيش وان أمت * فحال رجاء الله دون رجائيا
ألا فليمت من شاء بعدك انما * عليك من الاقدار كان حذاريا

أخذها بعضهم فقال

كنت السواد لمقلتى * يبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

وقال آخر يرثى بعض أولاده

وقاسمنى دهرى بنى مشاطرا * فلما تقضى شطره عاد فى شطرى
ألا ليت أمى لم تلدنى وليتنى * سبقتك اذ كنا الى غاية تجرى
وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا * فأصبحت لا يخشون نابى ولا ظفرى

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للخنساء أخبرينى بافضل بيت قلته فى أخيك فقالت

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى * فأنت على من مات بعدك شاغله

ولابى الهاسن الشواء فى صديق له مات وسقط الثلج عقيب موته

لم انسه وبنو الملوك امامه * يدمون للاسف الاكف عضاضا
والثلج قد غطى الربا فكأنها * من حزنها البست عليه بياضا

وقال آخر

وليس صرير النعش ما تسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصفوا
وليس نسيم المسك ريا حنوطه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

وقال مقاتل بن عطية يرثى الوزير نظام الملك

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت ولم تعرف الايام قيمتها * فردها عند ما عزت الى الصدف

وقال آخر

وقبرت وجهك وانصرفت مودعا * بابى وأمى وجهك المقبور
وأرى ديارك بعد وجهك قفرة * والقبر منك مشيد معمور
فالناس كلهم لفقدك واجد * فى كل بيت رنة وزفير

عجبا لاربع أذرع فى خمسة * فى جوفها جبل أشم كبير

وكان رجل توفى ولده فى يوم عيد فقال

لبس الرجال جديدهم فى عيدهم * ولبست حزن أبى الحسين جديدا
أيسرنى عيد ولم أر وجهه * فيه ألا بعدا لذلك عيدا
فارقته وبقيت أخلد بعده * لا كان ذا البقا ولا تخليدا
من لم يمت جزعا لفقد حبيبه * فهو الخؤون مودة وعهودا
مت مع حبيبك ان قدرت ولا تعش * من بعده ذا لوعة مكمودا
ما أم خشف قد ملا أحشاءها * حذرا عليه وجفنها تسهيدا
ان نام لم تهجع وطافت حوله * فبيت مكلوأبها مرصودا
منى باوجع اذ رأيت نوائحا * لابى الحسين وقد لطمن خدودا
ولقد عدمت أبا الحسين جلادتى * لما رأيت جمالك المفقودا
كنت الجليد على الرزايا كلها * وعلى فراقك لم أجد تجليدا
ولئن بقيت وما هلكت فانى * أجلا وان لم أحصه معدودا
لا موت لى الا اذا الاجل انقضى * فهناك لا اتجاوز المحدودا
حزنى عليك بقدر حبك لا أرى * يوما على هذا وذاك مزيدا
ما هد ركنى بالسنين وانما * أصبحت بعدك بالاسى مهدودا
ياليت أنى لم أكن لك والدا * وكذاك أنك لم تكن مولودا
فلقد شقيت وربما شقى الفتى * بفراق من يهوى وكان سعيدا
من ذم جفنا باخلا بدموعه * فعليك جفنى لم يزل مجمودا
فلا تظمئن مراثيا مشهورة * تنسى الانام كثيرا وابيدا
وجميع من نظم القريض مفارق * ولدا له أوصاحبا مفقودا

وقال الفقيه منصور بن اسمعيل المصرى

سألت رسوم القبر عمن ثوى به * لاعلم مالاقى فقالت جوانبه
أتصال عمن عاش بعد وفاته * باحسانه اخوانه وأقاربه

وقال الامام السبكى رحمه الله تعالى يرثى فضل الله العالم

مصاب ليس يشبهه مصاب * لذى الالباب اذ فقد الشهاب
امام قد حوى من كل علم * كنوزا نحوها يسعى الركاب
لبكى كل ذى علم عليه * فكم علم له ضم التراب
وكم كلم موانع قد أتته * شفاها وهى عاصية صعاب
فسلطان البلاغ بغير شك * شهاب الدين ما فيه ارتياب
سقى الله الكريم ثراه صوبا * له من كل رضوان رضاب

وقال الصدفى

ياغائبا فى الثرى تبلى محاسنه * الله يوليك غفرانا واحسانا
ان كنت جرعت كاس الموت واحدة * فى كل يوم أذوق الموت ألوانا

وقال محمد بن عبد الله العتبى يرثى ابنا له

أضحت بخدى للدموع رسوم * أسفا عليك وفى الفؤاد كلوم
والصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

وكتب أحمد بن يوسف الى عمر بن سعيد يرثى بنتا له فقال

عجبا للمنون كيف أتتها * وتخطت عبد الحميد أخاكا
شملتنا مصيبتان جميعا * فقدناها هذه ورؤية ذاكا

وله يرثى الامير يلبغا

الا انما الدنيا غرور وباطل * فطوبى لمن كفاه منها تفزعا
وما عجبى الا لمن بات واثقا * بأيام دهر ماوعى حق يلبغا

وقال آخر

الى الله أشكو أن كل قبيلة * من الناس قد أفنى الحمام خيارها

وقال رجل يرثى صديقا له توفى وكان من الكرماء

مادرى نعشه ولا حاملوه * ماعلى النعش من عفاف وجود

ولبعض الكتاب فى ابن مقلة

استشعر الكتاب فقد لسانا * وقضت بصحة ذلك الايام
فلذا اسودت الدواة كآبة * أسفا عليك وشقت الاقلام

وقال الحسن بن مطير الاسدى يرثى معن بن زائدة رحمه الله تعالى

هما لى معن وقولا لقبره * سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا
فياقبر معن كنت أول حفرة * من الارض خطت للسماحة مضجعا
وياقبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضاقت حتى تصدعا
فتى عاش فى معروفه بعد موته * أناس لهم بالبر قد كان أوسعا
ولما مضى معن مضى الجود كله * وأصبح عرنين المكارم أجدعا

وقال آخر

عجبت لصبرى بعده وهو ميت * وقد كنت أبكيه دما وهو غائب

وقال آخر

فديتك لم أصبر ولى فيك حيلة * ولكن دعانى اليأس منك الى الصبر

وقالت ريطة بنت عاصم

وقفت فابكتني ديار عشيرتي * على رزئهن الباكيات الحواسر
غدوا كسيوف الهندوراد حومة * من الموت أعيا وردهن المصادر
فوارس حاموا عن حريمي وحافظوا * بدار المنايا والقنا متشاجر *
ولو ان سلمى نالها مثل رزئنا * لهدت ولكن محمل الرزء عامر *

ولما قتل ابراهيم بن عبد الله بن الحسين وحمل رأسه الى المنصور أنفذها المنصور مع الربيع الى عمه ادريس ومحمد وكانا في حبسه وكان أبوه قائما يصلي فقال له محمد أوجز فأوجز وسلم فلما أتاه وضع الرأس في حجره فقال أهلا وسهلا يا أبا القاسم تالله لقد كنت من الناس الذين قال الله تعالى في حقهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ثم قبله بين عينيه وأنشأ يقول

فتى كان يحميه من العار سيفه * ويكفيه سوآت الامور اجتنابها

ثم قال للربيع قل لصاحبك المنصور قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعمتك أيام والملتقى غدا بين يدي الله تعالى فكان ذلك فالا على المنصور ولم يربعد ذلك اليوم راحة وقيل لحسان ما بالك لم ترث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم أر شيأ الا رأيته يقصر عنه والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثالث والثمانون في ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها)

قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فوصف سبحانه وتعالى جميع الدنيا بأنها متاع قليل وأنت أيها الانسان تعلم انك ما أوتيت من القليل الا قليلا ثم ان القليل ان تمتعت به فهو لعب ولهو لقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وقال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تبغ أيها العاقل حياة قليلة تفنى بحياة كثيرة تبقى كما قال ابن عباض لو كانت الدنيا ذهبا يفنى والآخرة خزفا يبقى لوجب علينا ان نختار ما يبقى على ما يفنى ثم تأمل بعقلك هل آتاك الله من الدنيا مثل ما أوتي سليمان عليه السلام حيث ملكه الله تعالى جميع الدنيا من انس وجن وسخر له الريح والطير والوحوش ثم زاده الله تعالى أحسن منها حيث قال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فواقه ما عد هذا نعمة مثل ما عددتموها ولا حسبها رفعة مثل ما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من حيث لا يعلم فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر هذا وقد قال لك ولجميع أهل الدنيا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أريك الدنيا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدي وأتى بي الى وادي من أودية المدينة فاذا أنا بلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهائم فقال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتأمل آمالكم وهي اليوم صارت عظاما بلا جلد ثم هي صائرة رمما وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبتموها في الدنيا فاصبحت والناس

يتعاونها وهذه الخرق البالية رياشهم أصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام دوابهم التي كانوا يتجهون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو على سرير من الليف وقد أثر الشريط في جنبه فبكى عمر رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال تذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من سعة الدنيا وأنت رسول الله وقد أثر الشريط بجنبيك فقال صلى الله عليه وسلم هؤلاء قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا في الآخرة وروى عن الضحاك قال لما أهبط الله آدم وحواء الى الارض ووجدا ريح الدنيا وفقدا ريح الجنة غشي عليهما أربعين يوما من نتن الدنيا وعن ابن معاذ قال الحكمة تهوي من السماء الى القلوب فلا تسكن في قلب فيه أربع خصال ركون الى الدنيا وهم عدو وحسد أخ وحب شرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي ياعلي أربع خصال من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وبعد الامل وحب الدنيا وروى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء العينين أنيابها بادية مشوهة الخلق لا يراها أحد الا هرب منها فتشرف على الخلائق أجمعين فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون لا * نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وعن الفضيل بن عياض انه قال جعل الخير كله في بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا وجعل الشر كله في بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وقيل ان الدنيا مثل ظل الانسان ان طلبته فتر وان تركته تبعك وفيه قال بعضهم

انما الرزق الذي تطلبه * يشبه الظل الذي يمشي معك
أنت لا تدركه متبعا * وهو ان وليت عنه تبعك

وقد شبهها بعضهم بخيال الظل فقال

رأيت خيال الظل أعظم عبرة * لمن كان في علم الحقائق راقي
شخوصا وأصواتا يخالف بعضها * لبعض وأشكالا بغير وفاق
تجيء وتمضي بابة بعد بابة * وتفنى جميعا والمحرك باقي

وما أحسن ما قال سليمان بن الضحاك

ما أنعم الله على عبد * بنعمة أوفى من العافيه
وكل من عوفي في جسمه * فانه في عيشة راضيه
والمال طاو حسن جيد * على الفتى لكنه عاريه
ما أحسن الدنيا ولكنها * مع حسنها غدارة فانيه

وتوفي رجل من كندة فكتب على قبره هذه الابيات

يا واقفين ألم تكونوا قبلنا * ان الحمام بكم علينا قادم
لو تنزلون بشعبنا لعرفتمو * أن المفرط في التزود نادم

لا تستعزوا بالحياة فانكم * تبنون والموت المفرق هادم
ساوى الردى ما بيننا فى حفرة * حيث الهدم واحد والخادم

وقال آخر

عن قليل أصيركم تراب * وتقول الرفاق هذا فلان
صار تحت التراب عظما رميما * وجفاه الاصحاب والخلان

وما أحسن ما قال عبد الله بن طاهر

أليس الى ذا صار آخر أمرنا * فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبى يا نفس مما ترينه * فكل أمور الناس هذا مصيرها

وقال شرف الدين بن أسد

يا من تملك ملكا لا بقاء له * جعلت نفسك آثاما وأوزارا
هل الحياة بذى الدنيا وان عذبت * الا كطيف خيال فى الكرى زارا

وقال بعضهم

وغاية هذى الدار لذة ساعة * ويعقبها الاحزان والهم والندم
وهاتيك دار الامن والعز والتقى * ورحمة رب الناس والجود والكرم

وقال غيره

حسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وقال آخر

فان كنت لا تدرى متى الموت فاعلمن * بأنك لا تبقى الى آخر الدهر

ابن آدم أين الاولون والآخرون أين نوح شيخ المرسلين أين ادريس رفيع رب العالمين أين ابراهيم خليل الرحمن أين موسى الكليم من بين سائر النبيين أين عيسى روح الله وكلمته رأس الزاهدين وامام السائحين أين محمد خاتم النبيين أين أصحابه الابرار أين الامم الماضية أين الملوك السالفة أين القرون الخالية أين الذين نصبت على مفارقهم التيجان أين الذين قهروا الابطال والشجعان أين الذين دانت لهم المشارق والمغارب أين الذين تمتعوا باللذات والمشارب أين الذين تاهوا على الخلائق كبرا وعتيا أين الذين راحوا فى الحال بكرة وعشيا أين الذين اغتروا بالاجناد أين أصحاب الوزراء والقواد أين أصحاب السطوة والاعوان أين أصحاب الامرة والسلطان أين أصحاب الاعمال والولايات أين الذين خفقت على رؤسهم الالوية والرايات أين الذين قادوا الجيوش والعساكر أين الذين عمروا القصور والمساكر أين الذين اعطوا النصر فى مواطن الحروب والمواقف أين الذين امنوا بسطوتهم كل خائف أين الذين ملؤا ما بين الخافقين نفرا وعزا أين الذين فرشوا القصور حريرا وقزا أين الذين تضعضعت لهم الارض هيبة وعزا هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أفناهم الله مفنى الامم وأبادهم مبيد الرمم وأخرجهم من سعة القصور الى ضيق القبور تحت الجنادل والصخور فاصبحوا

لاترى الامساكهم لم ينفعهم ما جمعوا ولا أغنى عنهم ما اكتسبوا أسلمهم الاحباء والاولياء وهجرهم الاخوان والاصفياء ونسيهم الاقرباء والبعداء لو نطقوا لانشدوا

مقيم بالحجون رهين رمس * وأهلى راحلون بكل واد
كأنى لم أكن لهم وحبيبا * ولا كانوا الاحبة فى السواد
فعوجوا بالسلام فان أبيتم * فأوموا بالسلام على البعاد

وقالوا الفخر فيما يزول ولا غنى فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كما قال بعض الحكماء المتقدمين قد ربغلى وكنيف على وفى هذا المعنى قال الشاعر

ولقد سألت الدار عن أخبارهم * فتبسمت عجبا ولم تبدى
حتى مررت على الكنيف فقال لى * أموالهم ونوالهم عندى

ولقد أصاب ابن السماك حيث قال للرشيد لما قال له عظنى وكان بيده شربة ماء فقال له يا أمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك قال نعم قال يا أمير المؤمنين لو شربتها وحبست عن الخروج أكنت تفديها بملكك قال نعم فقال له لا خير فى ملك لا يساوى شربة ولا بولة وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم تنفعه الموعظة وروى ان أبا العتاهية مر بدكان وراق واذا بكتاب فيه

لا ترجع الانفس عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا البيت فقيل لأبى نواس قاله للخليفة هرون حين نهاه عن حب الجمال وعشق الملاح فقال وددت أنه لى بنصف شعرى * ومن استبصر من أبناء الملوك فرأى عيب الدنيا وتقضيها وزوالها ابراهيم بن أدهم بن منصور كان من أبناء ملوك خراسان من كورة بلخ لما زهد الدنيا زهد فى ثمانين سريرا قال ابن بشار سالت ابراهيم بن أدهم كيف كان بدء أمرك حتى صرت الى هذا فقال كان أبى من ملوك خراسان وكان قد حبب الى الصيد فبينا أنا راكب فرسى وكلبى معى اذ رأيت ثعلبا أو أرنبا فحركت فرسى نحوه فسمعت نداء من ورائى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر أحدا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت نداء أعلى من الاول يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر شيئا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسى فسمعت النداء من قربوس سرجى يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت وقلت هيهات جاءنى النذير من رب العالمين والله لا عصيت ربى ما عصمنى بعد يومى هذا فتوجهت الى أهلى وخلفت فرسى وجئت الى بعض رعاة أبى فأخذت جبته وكساءه وألقيت اليه ثيابى فلم أزل أرض تقلنى وأرض تضعنى حتى صرت الى العراق فعملت بها أياما فلم يصف لى شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت الى بلد يقال لها المنصورية فعملت بها أياما فلم يصف لى شئ من الحلال فسألت بعض المشايخ فقال ان أردت الحلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل فيها كثير فانصرفت اليها قال فبينا أنا قاعد على باب البحر اذ جاءنى رجل فاكترانى أنظر له بستانا فتوجهت معه فاقمت فى البستان

أياما كثيرة فاذا الخادم له قد أقبل ومعه أصحاب له ولو علمت ان البستان بخادم ما انظرته فقعد في مجلسه ثم قال يا ناطورنا فاجبته قال اذهب فأتنا باكبر رمان تقدر عليه وأطيبه فأتيته برمان فكسر الخادم واحدة فوجدها حامضة فقال يا ناطورنا أنت منذ كذا وكذا في بستاننا تأكل من فاكهتنا ورمانتنا ولا تعرف الحلو من الحامض فقلت والله ما أكلت من فاكهتكم شيأ ولا أعرف الحلو من الحامض قال ففهمزا الخادم أصحابه وقال ألا تعجبون من هذا ثم قال لي لو كنت ابراهيم بن أدهم ما كنت بهذه الصفة قال ثم تحدث الناس بذلك وجاؤا الى البستان فلما رأيت كثرة الناس انتقيت والناس داخلون وأنا هارب منهم وكان يأكل من كسب يده وكان يحصد ويحفظ البساتين ويعمل في الطين فبينما هو يوما يحرس كرما اذ مر به جندي فقال أعطنا من هذا العنب فقال له ان صاحبه لم يأذن لي فضربه بالسوط فطأطأ رأسه وقال اضرب رأسا طالما عصى الله يا سيدي الجندي فاستحى الرجل وتركه ومضى وروي ان داود عليه السلام بينما هو يسيح في الجبال اذ مر على غار فيه رجل عظيم الخلقة من بني آدم ملقى على ظهره وعند رأسه حجر محفور مكتوب فيه أنا دوسم الملك تملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وانقضيت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ما ترى التراب فراشي والحجر وسادي فمن رآني فلا تغره الدنيا كما غرتني وقال وهب بن منبه خرج عيسى عليه السلام ذات يوم مع أصحابه فلما ارتفع النهار مر وا بزرع قد أفرك فقالوا يا نبي الله انا جياع فاوحى الله تعالى اليه ان ائذن لهم في قوتهم فأذن لهم فتفرقوا في الزرع يفركون ويأكلون فبينما هم كذلك اذ جاء صاحب الزرع يقول زرعي وأرضي ورثتها من أبي وجدي فماذا من تأكلون يا هؤلاء قال فدعا عيسى ربه أن يبعث جميع من ملكها من لدن آدم الى تلك الساعة فاذا عند كل سنبلة ما شاء الله من رجل وامرأة يقولون أرضنا ورثناها عن آبائنا واجدادنا ففر الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى ولكن لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يا نبي الله اني لم أعرفك زرعي ومالي حلال لك فبكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء كلهم ورثوها وعمروها ثم ارتحلوا عنها وأنت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس لك أرض ولا مال ولما مات اسكندر قال ارسطاطاليس أيها الملك لقد حركتنا بسكونك وقال بعض الحكماء من أصحابه لقد كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس أخذه أبو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنك ثم اني * نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وقال عبد الله بن المعتز

نسير الى الآجال في كل ساعة * فأيامنا تطوى وهن مراحل
ونم أرمثل الموت حتى كأنه * اذا ما تخطته الأماني باطل
وما أقبح التفريط في زمن الصبا * فكيف به والشيب في الرأس شامل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى * فعمرك أيام تعد قلائل

وقال عبد الله بن المعلم خرجنا من المدينة حجاجا فاذا أنا برجل من بنى هاشم من بنى العباس بن عبد المطلب قد رفض الدنيا واقبل على الآخرة فجمعتنى واياه الطريق فانست به وقلت له هل لك أن تعادلنى فان معى فضلا من راحلتى فجزانى خيرا وقال لو أردت هذا لكان سهلا ثم أنس الىّ فجعل يحدثنى فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة ومال كثير وبذخ زائد فأمرت يوما خادما لى أن يحشو لى فراشا من حرير ومخدة بورد نثير ففعل فانى لنائم اذا بقمع وردة قد نسيه الخادم فقمت اليه فأوجعته ضربا ثم عدت الى مضجعى بعد اخراج القمع من المخدة فأتانى آت فى منامى فى صورة فظيعة فهزنى وقال أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك ثم أنشأ يقول

يا خل انك ان توسد لينا * وسدت بعد اليوم صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به * فلتندمن غدا اذا لم تفعل

فانتبهت مرعوبا وخرجت من ساعتى هاربا الى ربى كما ترانى ثم أنشأ يقول

من كان يعلم أن الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث يخرجه
وانه بين جنات مزخرفة * يوم القيامة أو نار ستنضجه
فكل شئ سوى التقوى به سمج * ومن أقام عليه منه أسمجه
ترى الذى اتخذ الدنيا له وطنا * لم يدر ان المنايا سوف تزعجه

قال وهب بن منبه أصبت على قصر غمدان وهو قصر سيف بن ذى يزن بأرض صنعاء اليمن وكان من الملوك الاجلة مكتوبا بالقلم المسندى فترجم بالعربى فاذا هى ابيات جليلة وموعظة عظيمة جميلة وهى هذه الابيات

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من أعالى عز معقلهم * فأسكنوا حفرة يا بئس ما نزلوا
ناداهم وصارخ من بعد ما دفنوا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت محجبة * وكان من دونها الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا * فاصبحوا بعد ذاك الاكل قد أكلوا

وروى ان عيسى عليه السلام كان معه صاحب فى بعض سياحاته فأصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية فقال عيسى عليه السلام لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وأعطاه ما يشترى به فذهب الرجل وقام عيسى عليه السلام يصلى فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فقعد ينتظر انصراف عيسى من الصلاة فأبطا عليه فأكل رغيفا وكان عيسى عليه السلام رآه حين جاء ورأى الارغفة ثلاثة فلما انصرف من صلاته لم يجد الا رغيفين فقال له أين الرغيف الثالث فقال الرجل ما كانا الا رغيفين فأكلاهما ثم مرّا على وجوههما حتى أتيا على ظباء ترعى فدعا عيسى عليه السلام واحدا منها فجاءه فذكاه وأكلا منه فقال له عيسى بالذى أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين ثم مرّا على وجوههما حتى جاء قرية فدعا عيسى ربه أن ينطق له من يخبره عن حال هذه القرية فأنطق الله له لبنة فسألها

عيسى فأخبره بكل ما أراد وصاحبه يتعجب مما رأى فقال له عيسى بحق من أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فمرا على وجوههما حتى انتهيا الى نهر عجاج فأخذ عيسى صلوات الله عليه بيد الرجل ومشى به على الماء حتى جاوزا النهر فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث فقال ما كانا الا اثنين فمرا على وجوههما حتى أتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب منها ثلاث لبنات عظام وقيل ثلاثة أكوام من الرمل فقال لها كونى ذهبا باذن الله فكانت فلما رآها الرجل قال هذا مال فقال عيسى نعم واحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث فقال الرجل أنا صاحب الرغيف الثالث فقال عيسى عليه السلام هى لك كلها ثم فارقه عيسى وأقام الرجل ليس معه ما يحملها عليه فمر به ثلاثة نفر فقتلوه فقال اثنان منهما للثالث انطلق الى القرية فأتنا بطعام فانطلق فلما غاب قال أحدهما للآخر اذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا فقال الآخر نعم وأما الذى ذهب ليشترى الطعام فانه أضمر لصاحبيه السوء وقال اجعل لهما فى الطعام سما فاذا أكلاه ماتا وآخذ المال لنفسى فوضع السم فى الطعام وجاء فقتلاه وأكلا الطعام فماتا فمر بهم عيسى عليه السلام وهم مصروعون حولها فقال هكذا الدنيا تفعل بأهلها وقال الهيثم بن عدى وجد غار فى جبل لبنان زمن الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير من الذهب وعند رأسه لوح من الذهب أيضا مكتوب فيه بالرومية انا سبأ بن نواس خدمت عمر بن اسحق بن ابراهيم خليل الرب الاكبر وعشت بعده دهرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبور أحبائه ويعلم أنه صائر اليهم ثم لا يتوب وقد علمت ان الاجلاف الجفاة يستنزلوننى عن سريرى ويتولونه وذلك حين يتغير الزمان ويكثر الهذيان ويترأس الصبيان فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا وعن عمرو بن ميمون انه قال افتتحنا مدينة بفارس فدللنا على مغارة فيها بيت فيه سرير من الذهب عليه رجل عند رأسه لوح مكتوب فيه أنا بهرام ملك فارس كنت أعتاهم بطشا وأقساهم قلبا وأطولهم أملا وأحرصهم على الدنيا قد ملكت البلاد وقتلت الملوك وهزمت الجيوش وأذللت الجبابرة وجمعت من الاموال ما لم يجمعه أحد قبلى ولم استطع ان أفتدى به من الموت اذ نزل بى ويروى فى الاسرائيليات ان عيسى عليه السلام بينا هو فى سياحته اذ مر بجمجمة نخرة فسأل الله فى أن تتكلم فأطلقها الله له فقالت يا نبى الله أنا بلوان بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة ورزقت الف ولد وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف جيش وفتحت ألف مدينة فما كان كل ذلك الا كلم الغائم فمن سمع قصتى فلا يغتر بالدنيا فبكى عيسى عليه السلام بكاء شديدا حتى غشى عليه ووجد مكتوب على قصر قد خربت أركانه وبادت أهله وأظلمت نواحيه هذه الابيات

هذى منازل أقوام عهدتهم * يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم
تبكى عليهم ديار كان يطربها * ترنم المجد بين الجود والكرم

وقال فى المعنى

بالله ربك كم قصر مررت به * قد كان أعمر باللذات والطرب
نادى غراب المنايا فى جوانبه * وصاح من بعده بالويل والحرب

وفيه

أيها الرافع البناء رويدا * لا يردّ المنون عنك البناء

(وحكى) ان رجلين تنازعا فى أرض فأنطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الارض فقالت انى كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم صرت رميما ألف سنة ثم أخذنى خزاف وعملنى انا فلبثت عمات ألف سنة حتى تكسرت وصرت ترابا فأخذنى طواب وعملنى لبنا وأنا فى هذا الجدار كذا كذا سنة فلم تتنازعان فى هذه الارض وأنتم عنها زائلون والى غيرها منقلبون والله أعلم وروى أن ملكا بنى قصرا وقال انظروا ان كان فيه عيب فاصلحوه فقال رجل أرى فيه عيبين فقالوا له وما هما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم أقبل على الله وترك القصر والدنيا وقيل سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شئ رآه فى الدنيا مع طول سياحته وقطعه للقفار والفلوات فقال أعجب شئ رأيته انى مررت بمدينة لم أر على وجه الارض أحسن منها فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا متى بنيت ومازالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها خمسمائة سنة ومررت بها فاذا هى خاوية على عروشها ولم أر أحدا أسأله واذا رعاة غنم فدنوت منهم فقلت أين المدينة التى ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا مدينة ثم غبت خمسمائة سنة ومررت بها واذا موضع تلك المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه الحلية فقلت للغواصين منذ كم هذا البحر ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا ان هذا البحر من عهد الطوفان فغبت خمسمائة سنة وجئت فاذا البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة وصيادون يصيدون فيها السمك فى زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذى كان ههنا فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا انه كان ههنا بحر فغبت خمسمائة عام ثم جئت الى ذلك فاذا هو مدينة على الحالة الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغيضة التى كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا الأن هذه المدينة على حالها من عهد الطوفان فغبت عنها نحو خمسمائة سنة ثم أتيت اليها فاذا عاليها سافلها وهى تدخن بدخان شديد فلم أر أحدا أسأله ثم أتيت راعيا فسألته أين المدينة قال سبحان الله لم يذكر آباؤنا ولا أجدادنا الا أن هذا المكان هكذا منذ كان فهذا أعجب شئ رأيته فى سياحتى فسبحان مبيد العباد ومفنى البلاد ووارث الارض ومن عليها وباعث من خلق منها بعد رده اليها ولبعضهم

قف بالديار فهذه آثارهم * تبكى الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها أسائل أهلها * عن حالها مترحما أو مشفقا

فأجابني داعي الهوى في رسمها * فارقت من تهوى وعز الملتقى

ولبعضهم

أيها الربع الذي قد درثرا * كان عينا ثم أضحى أثرا
أين سكانك ماذا فعلوا * خبرن عنهم سقيت المطرا
فلقد نادى منادى دارهم * رحلوا واستودعوني عبرا

وقال عيسى عليه السلام اوحى الله الى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يا دنيا مرّي على أوليائي ولا تحلي لهم فتفتنيهم وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبها شربا ازداد عطشا أو كالكأس من عسل وفي اسفله سم فللذائق منه حلاوة عاجلة وفي أسفله الموت أو كالحلم النائم يفرح في منامه فاذا استيقظ زال فرحه أو كالبرق يضيء قليلا ثم يذهب ولما بنى المأمون قصره الذي ضرب به المثل نام فيه فسمع قائلا يقول

أتبني بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها ان عقلت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية * لمن كل يوم يقتضيه رحيل

قال فلم يلبث بعدها الا قليلا ومات وقال

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

ووجد مكتوبا على قصر بادأهله

هذي منازل أقوام عهدتهم * في خفض عيش نفيس ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا * الى القبور فلا عين ولا أثر

ولو قيل للدنيا صفي نفسك ما عدت ما وصفها به أبو نواس بقوله

وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

وروي ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما رجع من صفين ودخل أوائل الكوفة رأى قبرا فقال قبر من هذا فقالوا قبر خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا أسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلي في جسمه آخرا ألا وان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ثم مشى فاذا هو بقبور بفناء حتى وقف عليها وقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم طوبى لمن ذكر المعاد وعمل ليوم الحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله تعالى ثم قال يا أهل القبور أما الازواج فقد نكحت وأما الدار فقد سكنت وأما الاموال فقد قسمت وهذا ما عندنا فما عندكم ثم التفت الى أصحابه وقال أما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى والله أعلم

الباب الرابع والثمانون فيما جاء في فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخر

الابواب وبه يختم الكتاب ولنذكر أربعين حديثا فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم

(الحديث الاول) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه ومن صلى الله عليه لم يبق شئ فى السموات ولا فى الارض الا صلى عليه

(الحديث الثانى) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على صلاة واحدة أمر الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنبا ثلاثة أيام

(الحديث الثالث) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة خلق الله من قوله ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب رأسه وعنقه تحت العرش وهو يقول اللهم صل على عبدك ما دام يصلى على نبيك

(الحديث الرابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى على عشرا صلى الله عليه بها مائة ومن صلى على مائة صلى الله عليه بها ألفا ومن صلى على ألفا لم يعذبه الله بالنار

(الحديث الخامس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات

(الحديث السادس) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل يوما وقال يا محمد جئتك ببشارة لم آت بها أحدا قبلك وهى ان الله تعالى يقول لك من صلى عليك من أمتك ثلاث مرات غفر الله له ان كان قائما قبل أن يقعد وان كان قاعدا غفر له قبل أن يقوم فعند ذلك خررت ساجدا لله شاكرا

(الحديث السابع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى صباح عشرا محيت عنه ذنوب أربعين سنة

(الحديث الثامن) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة

(الحديث التاسع) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ليلة الجمعة أو يوم الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ووكل الله به ملكا حين يدفن فى قبره يبشره كما يدخل أحدكم على أخيه بالهدية

(الحديث العاشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى يوم مائة مرة قضيت له فى ذلك اليوم مائة حاجة

(الحديث الحادى عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم منى مجلسا أكثركم على صلاة

(الحديث الثانى عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على ألف مرة بشر بالجنة

قبل موته

(الحديث الثالث عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءني جبريل عليه السلام وقال لي يارسول الله لايصلي عليك أحد الا ويصلي عليه سبعون ألفا من الملائكة

(الحديث الرابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء بعد الصلاة على لايرد

(الحديث الخامس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة على نور على الصراط وقال عليه الصلاة والسلام لايلج النار من يصلي على

(الحديث السادس عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جعل عبادته الصلاة على قضى الله له حاجة الدنيا والآخرة

(الحديث السابع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي الصلاة على أخطأ طريق الجنة

(الحديث الثامن عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة في الهواء بأيديهم قراطيس من نور لايكتبون الا الصلاة على وعلى أهل بيتي

(الحديث التاسع عشر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن عبدا جاء يوم القيامة بحسنات أهل الدنيا ولم يكن فيها الصلاة على ردت عليه ولم تقبل منه

(الحديث العشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بي أكثرهم على صلاة

(الحديث الحادي والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة تصلي عليه مالم يندرس اسمي من ذلك الكتاب

(الحديث الثاني والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني الصلاة على من أمتي فاستغفر لهم

(الحديث الثالث والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على كنت شفيعه يوم القيامة ومن لم يصل على فانا بريء منه

(الحديث الرابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر بقوم الى الجنة فيخطئون الطريق قالوا يارسول الله ولم ذاك قال سمعوا اسمي ولم يصلوا علي

(الحديث الخامس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر برجل الى النار فأقول ردوه الى الميزان فاضع له شيأ كالانملة مني في ميزانه وهو الصلاة على فترجح ميزانه وينادي سعد فلان

(الحديث السادس والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم في مجلس ولم يصل على فيه الا تفرقوا كتفرق قوم عن ميت ولم يفساوه

(الحديث السابع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بقبري ملكا أعطاه أسماء الخلائق كلها فلا يصلي على أحد الى يوم القيامة الا بلغني اسمه وقال يارسول الله ان فلان بن فلانة صلى عليك

(الحديث الثامن والعشرون) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أمحى للذنوب من الماء لسواد اللوح

(الحديث التاسع والعشرون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام ان أردت أن أكون اليك أقرب من كلامك الى لسانك ومن روحك لجسدك فأكثر الصلاة على النبي الامي صلى الله عليه وسلم

(الحديث الثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملكا أمره الله تعالى باقتلاع مدينة غضب عليها فرجها ذلك الملك ولم يبادر الى اقتلاعها فغضب الله عليه وكسر أجنحته فقربه جبريل عليه السلام فشكا له حاله فسأل الله فيه فأمره أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فصلى عليه فغفر الله له وردّ عليه أجنحته ببركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

(الحديث الحادي والثلاثون) عن عائشة رضي الله عنها قالت من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات وصلى ركعتين ودعا الله تعالى تقبل صلاته وتقضى حاجته ودعاؤه مقبول غير مردود

(الحديث الثاني والثلاثون) عن زيد بن حارثة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه فقال صلى الله عليه وسلم صلوا علي واجتهدوا في الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

(الحديث الثالث والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا علي فان صلاتكم علي زكاة لكم واسألوا الله لي الوسيلة

(الحديث الرابع والثلاثون) عن سهل بن سعد الساعدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يصل على نبيه صلى الله عليه وسلم

(الحديث الخامس والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي

(الحديث السادس والثلاثون) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال جزى الله عنا محمدا خيرا وجزى الله نبينا محمدا بما هو أهله فقد أتعب كاتبيه

(الحديث السابع والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم

(الحديث الثامن والثلاثون) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يصلي علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه

(الحديث التاسع والثلاثون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقربكم مني منزلا يوم القيامة أكثركم علي صلاة

(الحديث

(الحديث الاربعون) نقل الشيخ كمال الدين الدميري رحمه الله تعالى عن شفاء الصدور لابن سبع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يلقى الله وهو عليه راض فليكثر من الصلاة علي فانه من صلى علي في كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبدا وهدمت ذنوبه ومحيت خطاياه ودام سروره واستجيب دعاؤه وأعطى أمله وأعين على عدوه وعلى اسباب الخير وكان ممن يرافق نبيه في الجنان اللهم صل على سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين الذي أنزل عليه في محكم الكتاب العزيز تعظيما له وتوقيرا يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فهذا خطاب خاص الخاص ولم يخاطب الله أحدا من المرسلين ولا من الانبياء ولا رسولا بالرسالة الا سيدخلقه محمدا صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى نادى أبا البشر يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ويا نوح اهبط بسلام منا ويا ابراهيم أعرض عن هذا ويا داود انا جعلناك خليفة في الارض ويا عيسى اذكر نعمتي وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك يا أيها الرسول لا يحزنك يا أيها النبي حسبك الله يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين يا أيها النبي اذا طلقتم النساء يا أيها النبي لم تحرم يا أيها النبي اتق الله يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وما ناداه باسمه يا محمد كغيره الا في أربع مواضع اقتضت الحكمة ان يذكر هنالك باسمه محمد صلى الله عليه وسلم الاول قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل لان سبب انزالها ان الشيطان صاح يوم أحد قد قتل محمد وكان ما كان فأنزل الله تعالى هذه الآية ولو قال وما رسولي لقال الاعداء ليس هو محمد فذكره باسمه لانهم ما كانوا ينكرون ان اسمه محمد الثاني قوله عز وجل ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين الثالث قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد فلو قال وآمنوا بما نزل على رسولي لقال الاعداء ليس هو فعرفه باسمه محمد صلى الله عليه وسلم الرابع قوله عز وجل محمد رسول الله والحكمة في ذكره هنا باسمه أنه سبحانه وتعالى قال قبلها هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فكان من الاعداء من يقول من هو رسوله الذي أرسله فعرفه باسمه فقال محمد رسول الله وسماه تعالى باسمه أحمد في موضع واحد وله حكمة وهي ان الله تعالى لما أرسل عيسى بن مريم عليه السلام قال لقومه من بني اسرائيل يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة التي أنزلت على موسى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد لانهم كانوا يعرفونه في التوراة أحمد فناداه سبحانه وتعالى باسمه محمد ولا أحمد وانما ذكر ذلك اعلاما به وتعريفا له وما ناداه الا بالنبوة والرسالة فقال يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا أي شاهدا بالايمان للمؤمنين ومبشر الاهل التمجيد ونذيرا لاهل التنجيد وقيل شاهدا لاهل القرآن ومبشرا لهم بالغفران ونذيرا لاهل الكفر والعصيان وقيل

شاهدا لامتك ومبشرا بشفاعتك ونذيرا لمن ارتكب مخالفتك وقيل شاهدا بالمنة ومبشرا بالجنة وقوله وداعيا الى الله باذنه أى يدعو الناس بامر الله تعالى الى لا اله الا الله قال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه داعيا فقال أنا الداعى الى الله وقوله تعالى وسراجا منيرا أى يهتدى به كما يهتدى بالسراج فى ظلمة الليل فان قلت ما الحكمة فى قوله تعالى وسراجا منيرا ولم يقل قمرا منيرا فالجواب عن ذلك ان السراج أعم من القمر لان المراد بالسراج هنا الشمس قال تعالى وجعل الشمس سراجا والشمس أعم نفعا ونورا من القمر وقيل المراد بقوله تعالى وسراجا منيرا السراج الذى يقتبس منه لان القمر لا تصل اليه الايدى حتى يقتبسون منه والسراج اذا كان فى بلد يملأ ذلك البلد نورا الا ان كل من جاء يقتبس منه والقمر ليس كذلك ولهذا كانت الدنيا قبل ولادته صلى الله عليه وسلم ظلاما فلما ولد ظهر سراج دينه بمكة فكان أول من اقتبس من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الشباب على ومن الموالى زيد ومن العبيد بلال رضى الله عنهم أجمعين وجاء سلمان من أرض فارس فاقتبس وصهيب من الروم وبلال من الحبشة ووفد الوفود واقتبسوا وأبولهب الى جانب البيت ولم يقتبس واقتبس الناس من مشارق الارض ومغاربها حتى امتلأت الارض من نور سراجه فهو صلى الله عليه وسلم أعظم الانبياء وأكرم المرسلين وسيد الخلق أجمعين لم يخلق الله أحسن ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل ولا أفصح ولا أربح ولا أسمح ولا أصبح ولا أجل ولا أعظم ولا أسنى ولا أكرم ولا أبهى ولا أنصف ولا أعدل منه صلى الله عليه وسلم فلو أن البحار مداد والنبات أقلام وجميع الخلق تكتب معجزاته صلى الله عليه وسلم لعجزوا عن وصف نزر اليسير من معجزاته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا من خالص أمته واحشرنا فى زمرته وأمتنا على محبته ولا تخالف بنا عن ملته ولا عما جاء به برحمتك يا أرحم الراحمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

بسم الله

(بسم الله الرحمن الرحيم)

بعد حمد الملك الحميد المجيد على نعمائه والشكر لمولانا المبدئ المعيد على الائه يقول راجى شفاعة نبيه المختار ابراهيم الدسوقى الملقب بعبد الغفار تم طبع كتاب المستطرف على وجه أتم وأتقن وألطف وهذه الطبعة الثالثة البهية أحسن من سابقتيها بالكلية لما اشتملت عليه من الاتقان الفائق ولطافة الشكل المستحسن الرائق بدار الطباعة السنية الزاهرة البهية المشمولة بنظر صاحب الهمة الفائقة والفطنة المتوقدة الرائقة المجد فى منافع أوطانه الشاهد له جده برفعة شانه من عليه لسان الصدق يثنى حضرة مديرها حسين بك حسنى وفاه بعبودية صاحب السعادة ومركز مدار فلك السيادة خامس الدولة الحمدية العلوية ومعهد ما اندرس من المعارف المصرية من تفاخرت الاقطار بعد الته وبلغ من كل وصف جميل حد نهايته رافع شان دولته الميمونة بمساعيه التى هى بكواكب السعد مقرونة من تحلت به مراتب الخديوية وتجلت به دراري الداورية وارث الملوك الاماجد وسلالة السراة الصناديد الجامع بين طارف المجد وتالده والمسند أحاديث الخديوية عن جده ووالده عزيز الديار المصرية وحامى حوزتها البهية ومجمل أقطارها بعدله الجلى جناب اسمعيل بن ابراهيم ابن محمد على يسر الله توفيقه للخيرات وحفه فى ناديه بجميع المسرات وحفظه وأنجاله الكرام وحرس الجميع بعينه التى لا تنام هذا ولما تهيأ هذا الكتاب للتمام وتضوع منه مسك الختام بادره بالتقريظ أدهم البراعة فى ميدان الابداع والبراعة فقال مؤرخا تمام طبعه مشيا على لطافة وضعه

ما غادة وجدى بها لا ينطق * حجبت بأبيض باتر ومشقف
حسناء واضحة المحيا ان بدت * لموفق أومى الى البدر اخسف
زارت وأعين عدلى فيها غفت * ورقيبها قد بات فى لهو خفى
زارت بليل والنجوم زواهر * فبثغت بزورتها فؤاد المدنف
أخذت تشنف مسمعى بحديثها * وتعيد لى منه سلاف القرقف
يا لذ من سفر يروقك ماحوى * من كل فن رائق مستطرف
أحلى وأعلى ثم أغلى قيمة * من كل سفر فى الفنون مصنف
جاد الزمان بطبعه أخرى وقد * كادت منافع نشره أن تحتفى
فى دارة لمديرها همم بها * فلك السرور يدور لا يتوقف
فى ظل من لو أمكنت من نظمها * عقدا لمدحته الدراري لم تف
الداورى ابن الداورى ابن الداورى * وخديو مصر معزها بالمشرف
الله يحفظه ويحفظ آله * لاسيما توفيقه الشهم الوفى
سفر اذا ما همت فيه صبابة * قال الملا حتلى وكل الحسن فى
هذا ولما أن تكامل طبعه * وغدا يروق بحسنه المستطرف

وقف البراع به يقول مؤرخا * تم بهاء جيد المستطرف

٨٢٠ ١٧ ٨ ٤٤٠

سنة ١٢٨٥

وكان تمام طبعه وحسن تنسيقه وجمعه ووضعه على هذا
المثال في أواسط شهر الحجة من التاريخ السابق
من هجرة المبعوث الى كافة الخلائق
صلى الله وسلم عليه وعلى آله
وكل ناسج على
منواله